# الخلافات بين الأقارب

## أسبابها .. آثارها .. علاجها

**إعداد الدكتور**

**عبد المنعم عثمان عبد الله صبير**

رئيس قسم اللغة العربية بالمركز القومي للمناهج
والبحث التربوي – بخت الرضا

**الطبعة الأولى**

جمادي الثانية ١٤٢٩هـ

مـــــــــايو ٢٠٠٨م

**فهرسة المكتبة الوطنية – السودان**

306.87 عبد المنعم عثمان عبد الله صبير

ع . ع . خ

الخلافات بين الأقارب: أسبابها، آثارها، علاجها / عبد المنعم عثمان عبد الله صبير – الخرطوم: دار السداد، 2008م.

476 ص، 24 سم.

ردمك: 978-99942-884-2-7

1.العلاقات الأسرية.

2.الإسلام والعلاقات الأسرية

أ. العنوان.

بسم الله الرحمن الرحيم

## مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[2] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3]

أما بعد فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ وَشَرّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.[4]

إن الناظر إلى الأسر والأقارب يلاحظ في بعضهم بروز ظواهر الجفوة والتقاطع والتهاجر بل والعداوة أحيانا والعداوة هي ما يتمكن في القلب من قصد الإضرار والانتقام.[5] كما يلاحظ المعن المتفحص في أحوال الأسر والأقارب محاولة بعضهم

---

[1] سورة آل عمران آية ١٠٢

[2] سورة النساء آية ١

[3] سورة الأحزاب آيتان ٧٠ــ٧١

[4] سنن النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب: كيفية الخطبة، حديث رقم : ١٥٦٠/ سنن أبي داود: كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، حديث رقم: ١٩٩١/ سنن ابن ماجة، المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل، حديث رقم ٤٥

[5] كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة سنة ١٤١٧هـــ ١٩٩٦م ص١٩١

هدم مجد قريبه وذوي رحمه[١] ونحت أثلته رغم أن عز قريبه عزه وأن ذلَّ قريبه ذلٌّ له كما قال طرفة بن العبد البكري لابن عمه عبد عمرو كما سنرى لاحقا.

وليعلم القريب أنه سيصرع إن صرع قريبه وأنه سيهزم إن هزم قريبه قال الشاعر:

يا أقرع بن حابس يا أقرع ... إنك متى يصرع أخوك تصرع[٢]

ويصاب المرء بالإحباط ويحس بغصة وشجى في حلقه إن كان من يعاديه ويظلمه قريبه وذو رحمه، قال أحدهم مصورا ذلك :

أغثني غياثا يا سليمان إنني ... سبقتُ إليك الموت والموت كاربي

خَشْيَة جور من أمير مسلّط ... ورهطي وما عاداك مثل الأقارب[٣]

وصور لنا طرفة بن العبد البكري طرفا من العداوات والخلافات بين الأقارب، وذلك أنه كانت لطرفة ولأخيه معبد إبل ، وكانا يرعيانها يوما ويوما، فلما غبها طرفة قال له أخوه معبد: لم لا تسرح في إبلك، كأنك ترى أنها إذا أخذت يردها شعرك هذا! قال: فإني لا أخرج فيها أبدا حتى تعلم أن شعري سيردها إن أخذت فتركها فأخذها ناس من مضر أو الملك عمرو بن هند، فذهب طرفة بعد أخذ الإبل إلى ابن عم له يقال له مالك، فطلب منه أن يساعده على ردها، فلامه وقال له: فرطت فيها ثم أقبلت تتعب في طلبها. فقال طرفة عن ابن عمه هذا:

---

[١] ذو الأرحام في اللغة: بمعنى ذوي القرابة مطلقا. وفي الشريعة هو كل قريب ليس بذي سهم ولا عصبة. (كتاب التعريفات للجرجاني ، ص١٤٥)

[٢] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ مطبعة التقدم العلمية بمصر ج ١ ص ٦٥

[٣] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج١ ص ٩٢ ــ ٩٣

فما لي أراني وابن عـــــمي مالكا متى أدن منه ينأ عـــــني ويبعد[١]

يلـــــــوم وما أدري علام يلومني كما لامني في الحي قرط بن معبد[٢]

وأيأسني من كل خــــــير طلبته كأنا وضـــــعناه إلى رمس مُلْحَدِ[٣]

على غــــير شــــيء قلته غير أنني نشدتُ فلم أغـفل حمـولة[٤] معبد [٥]

وظلـم [٦]ذوي القـربى أشد مضاضة[٧] على المرء من وقع الحسام المهند

فالذي يجب أن يكون بين الأقارب هو الحب والتآلف والمودة لا البغض والتنافر ويتساءل أبو فراس الحمداني سؤال استنكار واستغراب: هل يحصل سرور بقرب أقاربه مع تباعد قلوبهم فقال في ذلك:

---

[١]يعني إذا أردت دنوه تباعد عني

[٢] علام يلومني : على أي شيء يلومني

[٣] الرمس : القبر. واللحد ما يشق في جانب القبر.

[٤]نشدت الضالة: طلبتها. والحمولة: الإبل التي يحمل عليها. والفرش الإبل الصغار التي لم يبلغ أن يحمل عليها قال الله تعالى﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ ﴾ (سورة الأنعام آية ١٤٢)

[٥] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري تحقيق عبد السلام محمـــد هــــرون الطبعة الرابعة دار المعارف مصر ١٤٠٠هـــ ـ ١٩٨٠م / ديوان طرفة بن العبد، المكتبة الثقافية بـــيروت لبنـــان ص٦

[٦] الظُّلْمُ: وَضْع الشيء في غير موضِعه. ومن أمثال العرب في الشَّبه: مَنْ أَشْبَهَ أَباه فما ظَلَم؛ قال الأصمعي: ما ظَلَم أي ما وضع الشَّبَه في غير مَوْضعه.[لسان العرب، مادة: ظلم]

[٧] قيل: ظُلْمُ الأَقَارِبِ أشَدُّ مَضَضاً مِنْ وَقْعِ السَّيْفِ.[مجمع الأمثال، ج ١ ص ٤٤٧]

وهل أنا مسرور بقرب أقاربي　　إذا كان منهم قلوب الأباعد[1]

وقال العتابي: عشيرتك من أحسن عشرتك، وابن عمك من عمك خيره، وقرابتك من قرب منك نفعه، وأحب الناس إليك أخفهم ثقلا عليك.[2]

والذي يجب على القريب أن يسعى في مصالح قريبه وأن يؤثره على نفسه وعلى غيره من الأباعد وأن ينفعه ما استطاع إلى النفع سبيلا وأن يكون له كما قال الخليفة المأمون:

إن أخاك الحق من يسعى معك　　ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا صرف الزمان صدعك　　بدد شمل نفسه ليجمعك[3]

---

[1] بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النمري تحقيق محمد مرسي الخولي، مراجعة د. عبد القادر القط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (ب.ت) القسم الأول ص٧٨٠

[2] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول ص٧٨٠

[3] قال: عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي: كنت في حرس المأمون بحلوان حين قفل من خراسان، بعد قتل الأمين واستتباب الخلافة له، قال: فخرج لينظر إلى العسكر في بعض الليل، فعرفته ولم يعرفني فأغفلته، فجاء من ورائي حتى وضع يده على كتفي، فقال لي: من أنت: قلت: عمرو عمرك الله، ابن سعيد أسعدك الله، ابن سلم سلمك الله، فقال: أنت الذي كنت تكلؤنا في هذه الليلة؟ فقلت: الله يكلؤك يا أمير المؤمنين، فأنشأ المأمون يقول:

إن أخاك الحق من يسعى معك　　ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب زمان صدعك　　فرّق من جميعه ليجمعك

ثم قال: يا غلام! أعطه لكل بيت ألف دينار، فوددت أن تكون الأبيات طالت علي فأجد الغنى، فقلت: يا أمير المؤمنين وأزيدك بيتاً من عندي، فقال: هات، فقلت:

وإن غدوت ظالماً غدا معك

فقال: أعطه لهذا ألف دينار، فما برحت من موقفي حتى أخذت خمسة آلاف دينار. [الجليس الصالح ج١ ص ٢٨٠ـ ٢٨١/ زهر الآداب للحصري ج٢ص٢٣١]

ونأمل من هذا البحث[1] التعرف على أهم الأسباب التي تؤدي إلى الوحشة والتنافر وتباعد القلوب بين الأقارب لأن معرفة الأسباب التي تؤدي إلى هذه الظاهرة ومواجهتها لاشك أنه أفضل من تجاهلها أو الهروب من ذكرها والاستحياء من تناولها فالعداء والخلاف والجفوة والوحشة بين بعض الأقارب حقيقة ماثلة أمامنا وواقع نشاهده إما في أنفسنا أو في أقاربنا أو في أقارب جيراننا ومعارفنا من العائلات الأخرى.

وكما نريد من هذه الدراسة [2] إصلاح ما يصيب الأسر من التفكك والقطيعة والتدابر وعدم التآلف والحب بسبب أعراض وأسباب يمكن تلافيها وتداركها قبل استفحالها.لأن الذي أوجد الأسباب هيأ لها الحلول فعلينا أن نبحث عنها. كما علينا أولا تشخيص هذا الداء العضال ووصف العلاج الناجع له، وحاولت أن أدلي دلوي في هذا الأمر بجهد أسأل الله عز وجل أن يتقبله بقبول حسن وأن يلم به شعث أسر متفرقة وأن يرأب به صدع قرابات مختلفة وأن يرتق به فتق أرحام منقطعة ، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفعني به يوم فقري إليه وقد أسميته : [**الخلافات بين الأقارب : أسبابها ـ آثارها ـ علاجها**].

وقمت بتقسيمه إلى مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة على النحو التالي:

**المقدمة**

**الباب الأول**: **أسباب الخلافات بين الأقارب**.

**الباب الثاني**: **آثار الخلافات بين الأقارب**.

**الباب الثالث**:**علاج العداوة وإذهاب وحر الصدور بين الأقارب**

**الخاتمة**

وقبل الخوض في هذا الموضوع لابد من وقفات مع هذا الكتاب:

---

[1] البحث: لغة هو التفحص والتفتيش واصطلاحا، هو إتيان النسبة الإيجابية أو السلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال.[ كتاب التعريفات للجرجاني ص٦١ـ٦٢]

[2] دَرَسْتُ الكتاب أَدْرُسُه دَرْساً أَي ذللته بكثرة القراءة حتى خَفَّ حفظه عليَّ، وأَصل الدِّراسَةِ: الرياضة والتَّعَهُّدُ للشيء. [لسان العرب، مادة: درس ]

١. قد يلاحظ القارئ الكريم الإطالة ﰲ بعض القصص والإسهاب ﰲ ذكر الأشعار ولكن الغرض من وفرة هذه القصص هو أن يَعْلَق بعضُها بذهن القارئ الكريم مما يساعده ﰲ حل بعض مشكلات الأقارب التي يعاني هو شخصيا منها أو من يعرف من أقاربه أو من جيرانه ﰲ الحي أو زملائه ﰲ العمل أو الدراسة.

٢ . من أسباب الاستطراد ﰲ هذه القصص والاسترسال فيها أن البحث متعلق بشئون الأسر وأمور الحياة وهذه القصص من صميم الحياة فقد حدثت لأناس إما رأبوا صدعا ولموا شعثا وإما فتقوا رتقا وخرقوا رقعا. فالقارئ يستفيد ويفيد من راتق الفتوق وراقع الخروق ويحذر ويحذّر من باثق البثوق وخارق الرتوق.

٣ . بعض الأسباب المذكورة تصلح أن تكون تحت أكثر من باب أو فصل فمثلا قد يكون سبب من أسباب الخلاف أو العلاج دُرج تحت السبب الاجتماعي أو النفسي وهو يصلح له ولغيره من أسباب أخرى فيكتفى بما ذُكر ولا يكرر مرة أخرى ويمكن أن يشار إلى ذلك أو يصرف عنه النظر.

٤ . قد يرد سبب تاريخي كالأسباب السياسية ومن المعلوم أن معظم المهتمين بهذا الأمر والمخاطبين به من غير ذلك ولكن قصد الشمول والتقصي من ذكر الأسباب السياسية وأتي بشواهد وأمثلة له من التاريخ.

هذا والله أسأل أن ينفع به قارئه وأن يغفر لجامعه وأن يرزقه الإخلاص ﰲ القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه. وأن يدخره ليوم هو أفقر فيه إليه.

وهذا جهد مني وإدلاء دلو فإن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان والله ورسوله بريئان من ذلك[1] واللهَ أسأل ألا يحرمني أجر المصاب على

---

[1] عن إبراهيم النَّخَعِيّ: أن رجلاً تزوّج امرأة ولم يفْرِض لها صَدَاقاً، فمات قبل أن يدخل بها، فقال عبد الله بن مسعود: لها صَدَاق مثلها من نسائها، لا وَكْسَ ولا شَطَطَ، فلما قضى قال فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأً فَمِنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان، فقال رجل من جلسائه: بَلَغَنا أنه مَعْقِل بن سنان الأشجعي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قَضَيْتَ – والذي يُحْلَفُ به – بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في بِرَوْعَ بنتِ وَاشق الأشْجَعِيّة، قال: ففرح عبد الله فَرْحَة ما فرح قبلها مثلها لموافقة قوله قولَ رسول الله صلى الله

**مصيبته [1] إن لم يكن عملي صوابا أو كان فيه توسيع لدائرة خلاف بين أقارب فحسبي أني رمت رأب الصدع ولم الشعث ورتق الفتق ورقع الخرق.**

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله أولا وآخرا .

الدكتور : عبد المنعم عثمان عبد الله صبير
Subair_3@hotmail.com

عليه وسلم. [سُنَنُ أبي دَاوُد ، كتاب النكاح ، باب فيمن تزوج ولم يسمِّ صداقاً حتى مات ، حديث رقم : ٢١١٦ / الموطأ، كتاب النكاح، باب : الرجل يتزوج المرأة ولا يفرض لها صداقاً ، حديث رقم : ٥٤٣]

[1] قال عبد الملك بن قريب الأصمعي: سمعت أعرابيا بعرفات يقول : « اللهم لا تحرمني أجر تعبي ونصبي فإن حرمتني ذلك فلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته » [شعب الإيمان للبيهقي، ج ٩ ص ٢٢٧ ، حديث رقم : ٤٠٣٥]

# الباب الأول

## أسباب العداوة والخلافات بين الأقارب

### الفصل الأول

أسباب دينية وعقائدية وفكرية

### الفصل الثاني

أسباب سياسية

### الفصل الثالث

أسباب اقتصادية

### الفصل الرابع

أسباب اجتماعية

### الفصل الخامس

أسباب نفسية

# الفصل الأول

## أسباب دينية وعقائدية وفكرية

١. الخلاف في الدين

٢. الخلاف في الرأي

٣. الخلوة بالقريبات وعدم التأدب بأدب الاستئذان

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٥. العقوق من أحد الأبناء وانتهاكه حرمة أحد الأبوين

٦. التشبيب والتغزل بإحدى القريبات

٧. الفساد الخلقي عند أحد الأفراد

٨. الاحتجاج بيمين خرجت من القريب ألا ينفع قريبه بشيء

# الفصل الأول

## الأسباب الدينية والعقائدية والفكرية

أسباب الخلاف والعداوة بين الأقارب كثيرة منها أسباب دينية واعتقادية وسياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية ونقصد بالأسباب الدينية والعقائدية والفكرية الأسباب التي يعادي بها المرء أهله وأقاربه بما يقتضيه الدين والعقيدة وما ينتج عن ذلك من أمور يأتمر بها المرء ائتمارا تعبديا يرجو به ثواب الله عز وجل[١] ويخشى أليم عقابه، أو يرجو ثواب من يرتجيه إن كان غير مسلم. وأول هذه الأسباب هي:

### ١ ـ الخلاف في الدين:ـ

هو من أعظم أسباب العداء بين الأهل والأقارب، فالمتصفح للتاريخ المتتبع لأخباره القارئ له يلاحظ أن أولى المعارك التي دارت في تاريخ الإسلام وهي معركة بدر كانت بين طرفين طرف يمثله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم خليط من قبائل العرب جلهم من الأنصار وطرف آخر يمثله مشركو مكة وهم أهل النبي صلى الله وعليه وسلم ورهطه وأقاربه وعشيرته وأولو أرحامه والذي أدى إلى هذا هو الخلاف في الدين، فالمسلم الحنيف يريد أن تكون كلمة الله هي العليا ويقاتل في سبيل ذلك وأمره ربه عز وجل بذلك كما قال الله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ [٢]فِتۡنَةٌ [٣]وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ

---

[١] أصل الثوب: رجوع الشيء إلى حالته الأولى التي كان عليها، والثواب: ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله، فيسمى الجزاء ثوابا والثيب: التي تثوب عن الزوج.[مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مادة: ثوب]

[٢] أمر الله تعالى بقتال الكفار ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ ﴾ أي شرك قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم. [تفسير القرآن العظيم لابن كثير (طبع دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ) ج ١ ص ٢٢٨]

[٣] قال القرطبي: أصل الفتنة: الاختبار والامتحان مأخوذ من فتنت الفضة إذا أدخلتها في النار لتميز رديئها من جيدها.[ تفسير القرطبي (طبع دار الشعب، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ ج ٢ ص ٣٥٤]

فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[١] **والمشرك يستنكف من جعل الآلهة إلها واحدا ويقاتل في سبيل ذلك قال الله تعالى** ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾[٢] **والكافر يتحمل الألم والجهد والمشقة والعنت لنصرة باطله والدفاع عنه ويجود بنفسه وماله في سبيل ذلك ولذا أمرنا الله عز بعدم الوهن والضعف في قتالهم قال تعالى** ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ ﴾[٣]

**قال ابن كثير: قوله تعالى** ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ ﴾ **أي لا تضعفوا في طلب عدوكم بل جدوا فيهم وقاتلوهم واقعدوا لهم كل مرصد** ﴿ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ ﴾ **أي كما يصيبكم الجراح والقتل كذلك يحصل لهم كما قال تعالى** ﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ ﴾[٤] **ثم قال تعالى** ﴿ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ ﴾ **أي أنتم وإياهم سواء فيما يصيبكم وإياهم والجراح والآلام ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر والتأييد كما وعدكم إياه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو وعد حق وخبر صدق وهم لا يرجون شيئا من ذلك فأنتم أولى بالجهاد منهم وأشد رغبة فيه وفي إقامة كلمة الله وإعلائها.**[٥]

---

[١] سورة البقرة آية ١٩٣

[٢] سورة النساء آية ٧٦

[٣] سورة النساء آية ١٠٤

[٤] سورة آل عمران آية ١٤٠

[٥] تفسير القرآن العظيم (طبع دار الفكر ) ج ١ ص ٥٥١

فالألم مشترك بين دعاة الحق ودعاة الباطل ويرجو دعاة الحق دخول الجنة والفوز برضوان الله تبارك وتعالى بينما يرجو دعاة الباطل نصرة آلهتهم وطواغيتهم وينفقون أموالهم ويجودون بأنفسهم في سبيل باطلهم ليصدوا عن سبيل الله وستكون لهم هذه الأموال حسرة وسيغلبون يوم القيامة. قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ [1] فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[2]

قال الضحاك: نزلت في أهل بدر وعلى كل تقدير فهي عامة وإن كان سبب نزولها خاصا فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع طريق الحق فسيفعلون ذلك ثم تذهب أموالهم ثم تكون عليهم حسرة أي ندامة حيث لم تجد شيئا لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمتهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون وناصر دينه ومعلن كلمته ومظهر دينه على كل دين فهذا الخزي لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه ومن قتل منهم أو مات فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي ولهذا قال ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3]

---

[1] قال محمد بن إسحق : لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فلُّهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا: يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا بمن أصيب منا ففعلوا قال: ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

[2] سورة الأنفال آية ٣٦

[3] تفسير القرآن العظيم (طبع دار الفكر) ج ٢ ص ٣٠٨

**وقد جعل الله عز وجل الولاء والبراء من خصائص الإيمان قال الله تعالى** ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾[١]

**قال الحافظ ابن كثير: قيل في قوله تعالى** ﴿ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾ **نزلت في أبي عبيده قتل أباه يوم بدر** ﴿ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ **في الصدِّيق همَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن** ﴿ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ ﴾ **في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ** ﴿ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ ﴾ **في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ.**[٢]

**فعداوة الدين من أعظم العداوات والبلايا التي لا يلتئم صدعها ولا يندمل جرحها لأن الذي يعاديك في الدين لا ينظر إلى القرابة التي بينك وبينه ولا إلى العهد المبرم بينكما إلا في حالة ضعفه وحاجته له وهو ذو ملق شديد ولسان حلو وحيلة ومكر كما قال الله تعالى عنهم** ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ ﴾[٣]

**قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى محرضا للمؤمنين على معاداتهم والتبري منهم ومبينا أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله تعالى وكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولأنهم لو ظهروا على المسلمين وأديلوا عليهم لم يبقوا ولم يذروا ولا راقبوا فيهم إلّاً ولا ذمة قال علي بن أبي طلحة وعكرمة والعوفي عن ابن عباس:**

---

[١] سورة المجادلة آية ٢٢

[٢] تفسير القرآن العظيم ( طبع دار الفكر) ج ٤ ص ٣٣٠

[٣] سورة التوبة آية ٨

**الآل القرابة والذمة العهد.** [١]

**فلتعلم أن عدوك في الدين يلغ في عرضك ولوغ الكلب في الدم وهو أعق من ذئب إن رأى بك يوما دما أحال عليه، قال الشاعر:**

**فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى  بصاحبه يوما دما فهو آكله** [٢]

**وهو إن واتته الفرصة اغتنمها وأرغم أنفك** [٣] **واستأصل شأفتك** [٤] **وأسكت نأمتك** [٥] **وأبارك إبارة، أجارنا الله وإياك منه إجارة، كما قال الله تعالى عن أحد فتية أهل الكهف قائلا عن طاغوت بلدهم ومن معه من الملأ والبطانات التي تأمره بالشر وتحضه عليه** ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [٦] **فهؤلاء الفتية بين خيارين لا ثالث لهما هو العودة إلى دين الآباء والأجداد وعبادة الطواغيت. أو الرجم بالحجارة كما ترجم الكلاب الضالة.**

**والخلافات التي تقوم على غير الدين يرجى استصلاحها وإزالتها، أما خلافات الدين فلا، قال علي بن الجهم:**

**بلاء ليس يشبهه بلاء  عداوة غير ذي حسب ودين**
**يبيحك منه عرضا لم يصنه  ويرتع منك في عرض مصون** [٧]

---

(١) تفسير القرآن العظيم (طبع دار الفكر) ج ٢ ص ٣٣٩

(٢) مجمع الأمثال ج ١ ص ٦٨١

(٣) يقال: أرغم الله أنفه أي ألزقه بالرغام وهو التراب. ويقال: على رغمه: وعلى رغم أنفه: وإن رغم أنفه.[أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٤]

(٤) الشأفة: قرحة تخرج في القدم فتكوى وتذهب. يقول: أذهبك الله كما أذهب ذاك. (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٥)

(٥) مهموزة مخففة الميم وهي من النئيم وهو الصوت الضعيف أي ما ينم عليه من حركة. (أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٥)

(٦) سورة الكهف آية ٢٠

(٧) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول ص٣٨٤

والمشركون لا يجدون فرصة للطعن على المسلمين وعداوتهم إلا اقتنصوها فعند بزوغ فجر الإسلام ودخول الناس فيه دخله نفر من الصحابة فعارضهم أهلوهم وأقاربهم ووضعوا حولهم العراقيل ورموهم بالأباطيل وحاولوا استدرار عطف الأبناء المعتنقين لهذا الدين واستثارة حفائظهم وحفائظ غيرهم من الراغبين في هذا الدين بغية صدهم عنه بأنهم قطعة أرحام وعاقون وأن هذا الدين يأمر بعداء من لم يعتنقه وإن كان أقرب قريب وأعز صديق ، ولكن الله خيب سعيهم وضلل فألهم ولنأخذ من أمثال هذه المحاولات الآتي:

## سعد بن أبي وقاص[1] وأمه:

عَنْ مُصْعَبَ بْن سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ[2] أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا [3] حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ قَالَتْ : زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا قَالَ : مَكَثَتْ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ فَسَقَاهَا فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ ﴾[4] ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى ﴾[5] وَفِيهَا ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾[6]

---

[1] كان سعد يقول يوم أحد عن أخيه عتبة بن أبي وقاص: لقد حرصت على قتل أخي. ولقد كان، ما علمته عاقا لوالديه، سيئ الخلق، واعتمدته فراغ مني روغان الثعلب. (كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ١ ص ٣٩٤)

[2] هي حمنة بنت سيف بن أبي أمية.

[3] قال سعد: لّما أسْلَمتُ رَاغَمَتْني أمّي فكانت تَلْقاني مرَّة بالبِشْر ومرَّة بالبسْر. البِشْر: الطَّلاَقة، وبالمهملة: القُطوب، بَسَر وجهَه يَبْسُره.[النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، مادة: {بسر}/ لسان العرب، مادة : بسر]

[4] سورة العنكبوت آية ٨

[5] سورة لقمان آية ١٤ ــ ١٥

[6] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل سعد بن أبي وقاص، حديث رقم: ٤٤٣٢

**أبو حذيفة بن عتبة وأبوه** :

دعا أبو حذيفة بن عتبة أباه للمبارزة يوم بدر فاتهمته أخته هند بنت عتبة بالعقوق وذلك قبل إسلامها فعن أبي الزناد قال: دعا أبو حذيفة بن عتبة يوم بدر أباه إلى البراز فقالت هند بنت عتبة:

| | |
|---|---|
| الأحول الأثعل الملعون طائره | أبو حذيفة شر الناس في الدين |
| أما شكرت أبا رباك من صغر | حتى شببت شبابا غير محجون |

وكان أبو حذيفة طويلا حسن الوجه مرادف الأسنان وهو الأثعل وكان أحول قتل يوم اليمامة وله ثلاث وخمسون سنة رضي الله عنه[1]

**هند بنت عتبة وابنة عمها رملة بنت شيبة** :

آمنت رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية بالنبي صلى الله عليه وسلم وهي ابنة عم هند بنت عتبة بن ربيعة وتزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه فقالت هند بنت عتبة تعيب عليها دخولها في الإسلام وتعيرها بقتل أبيها شيبة يوم بدر. يعني أنه قتله من هي تبع له الآن.:

| | |
|---|---|
| لحا الرحمن صابئة بوج | ومكة أو بأطراف الحجون |
| تدين لمعشر قتلوا أباها | أقتْل أبيك جاءك باليقين؟[2] |

مع أن الله عز وجل أمر ببغض المخالف في الدين وقتاله إلا أنه أمر وأوضح وبين أن المرء مع والديه خاصة وعشيرته بعامة الذين لم يقاتلوه ولم يضايقوه أن يصلهم ويبرهم ولا يعني هذا أنه يحبهم.

---

[1] الخلفاء الراشدون من تاريخ الإسلام للذهبي ص٢٦.

[2] أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، مطبعة دار الفكر لبنان بيروت ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م ، ج ٦ ص ١١٧ ، ترجمة رقم ٦٩٢٥/ الإصابة لابن حجر العسقلاني ج ٧ ص ٦٥٤ ترجمة رقم :١١١٨٦

فعلى المرء المسلم الإحسان لوالديه والإنفاق عليهما حتى وإن كانا كافرين وذلك لما جاء عن عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَدِمَتْ قُتَيْلَةُ ابْنَةُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ أَسْعَدَ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَسَلٍ عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ بِهَدَايَا ضِبَابٍ وَأَقِطٍ وَسَمْنٍ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَأَبَتْ أَسْمَاءُ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَتُدْخِلَهَا بَيْتَهَا فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[1] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَأَمَرَهَا أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَأَنْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا.[2]

قال الخطابي: فيه ـ حديث أسماء ـ أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة وإن كان الولد مسلما. وقال ابن حجر: البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[3] فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل.[4]

قال الحافظ ابن كثير: يقول تعالى آمرا عباده بالإحسان إلى الوالدين بعد الحث على التمسك بتوحيده فإن الوالدين هما سبب وجود الإنسان ولهما عليه غاية الإحسان فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق ولهذا قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[5] ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما في مقابلة

[1] سورة الممتحنة آية ٨
[2] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ١٥٥٢٩
[3] سورة المجادلة آية ٢٢
[4] فتح الباري ج ٥ ص ٢٣٤
[5] سورة الإسراء آية ٢٣ـ٢٤

إحسانهما المتقدم قال ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾ [١]

أي وإن حرصا عليك أن تتابعهما على دينهما إذا كانا مشركين فإياك وإياهما فلا تطعهما في ذلك فإن مرجعكم إلي يوم القيامة فأجزيك بإحسانك إليهما وصبرك على دينك وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب أي حبا دينيا. [٢]

## ٢ ـ الخلاف في الرأي:ـ

قد يعتنق أحد الأقارب مذهبا أو طريقة أو نحلة مغايرة لقريبه فيكون أحدهما سلفيا سنيا والآخر حروريا خارجيا أو رافضيا خبيثا [٣] أو جهميا بغيضا أو صوفيا قبوريا محترقا أو إخوانيا حركيا أو تبليغيا متجولا وإلى غير ذلك من الفرق والنحل المباينة لمنهج أهل السنة والجماعة أو الموافقة له والتي قد عمت وطمت عالمنا الإسلامي المعاصر، ويكون هذا العداء ناتجا عن الجهل وعدم التأدب بأدب الخلاف. ولنكتف بمثال واحد لأخوين أحدهما معتزلي والآخر من عصاة أهل السنة وهما.

### أحمد بن المعذل بن غيلان وأخوه عبد الصمد :

أحمد بن المعذَّل بن غَيْلان العبدي البصري، فقيه مالكي، كان ذا تبحر في المعاني، وتصرف في الألفاظ، أخو عبد الصمد، وهما من شعراء الدولة العباسية، وكان أحمد بن المعذل من أقصد الناس هديا وسمتا، [٤] وأكف الناس عن أذى الناس، وأتقاهم

---

[١] سورة العنكبوت آية ٨

[٢] تفسير القرآن العظيم (طبع دار الفكر) ج ٣ ص ٤٠٦

[٣] قال ابن عائشة : كان للحسن بن قيس بن حصين ابن شيعي وابنة حرورية وامرأة معتزلية وأخت مرجئية وهو سني جماعي فقال لهم ذات يوم أراني وإياكم طرائق قددا. [ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار المعارف ،القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٥، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ص ٣١٣]

[٤] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وجه المتوكل إلى أحمد بن المعذل وغيره من العلماء فجمعهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم إليه إلا أحمد بن المعذل فقال المتوكل لعبيد الله إن هذا لا يرى بيعتنا فقال يا أمير المؤمنين بلى ولكن في بصره سوء فقال أحمد بن المعذل يا أمير المؤمنين ما في بصري سوء ولكن نزهتك من عذاب الله قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه.[البداية والنهاية ج ١٠ سنة ٢٤٧]

وأصونهم لدينه وعرضه، [1] وكان عبد الصمد بن المعذل من الزهو والكبر وذهابه بنفسه في أمر لا ينادى وليده، وكان بذئ اللسان، هجاء، يهجو حتى أقاربه وإخوانه وجيرانه، وكان من أشعر الناس وأفصحهم لسانا وأبينهم كلاما، وكان الناس يتقون لسانه ويجانبونه ويبغضونه، وكانوا يودون أخاه أحمد، وكان ذلك مما يزيده غيظا ويحمله على أن يقع في كل من يصاحب أخاه أحمد. وكان أحمد ذا مروءة وتقدم في المعتزلة توفي سنة ٢٤٠. [2]

قال ابن سنان البصري: كان أحمد بن المعذل لي صديقا، وكنت أغشاه كثيرا، فلما قدم من سر من رأى، [3] من عند أمير المؤمنين صرت إليه، ورأيت جلة أهل البصرة عنده، وكان الخليفة أكرمه، وخلع عليه ووصله بمال كثير، فلم أر أخاه عبد الصمد عنده فيمن أراه، فقلت: ما لي لا أرى أبا القاسم عندك؟ فقال: إن أبا القاسم أعزه الله وافتني هديته في هذه الليلة التي قدمت فيها بما يكون من الأخ البار بأخيه، فإن أحببتم أريتكم ذلك، قلنا له: قد أحببنا، أصلحك الله، فمثله من بر، ومثله من وصل وأكرم وأخاه. فرفع ثني وسادته وأخرج رقعة فيها:

---

[1] قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: كان عبد الصمد شديدَ الإقدام علي رديء السريرة فيما بينه وبين الناس، خبيث النية، يرصُد صديقَه بالمكروه، تقديراً أن يعاديه فيسوءه بأمْرٍ يعرفه؛ ولا يكاد يَسْلَم لأحد، وكان مشهوراً في ذلك الأمر، يُلْبَسُ عليه، ويحمل على معرفةٍ، عجباً بِظَرْف لِسانه، وطيبِ مجلسه، وأيضاً لقُبْح مسَبته، وشائن معرّته.[زهر الآداب ، ج ١ ص ٢٧١]

[2] طبقات الشعراء لعبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ص ٤٥٦

[3] سرَ مَنْ رأى، مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت بناها المعتصم ونزلها في سنة ٢٢١ هـ. [معجم البلدان، ج ٢ ص ٤١٩]

عذيري من أخٍ قد كان يُبْدِي عَلَى مَنْ لاَبس السلطانَ عَتْبَهْ
ولما أن أتته دريهمات من السلطان باع بهن ربه [(١)]
وكان يذمهم في كل يوم يشي [(٢)] بالجهل والهذيان خطبه
كسيت أبا الفضول لنا معابا وعارا قد شُملتَ به وسبّه

ثم قال: هذا بره وإكرامه إياي. قلنا: بئس والله ما أهدى. وقبّحنا فعله. فقال: إن لم يكن مع هذا غيره فنحن بخير. قلنا: وما عسى أن يكون؟ فقال: هيهات أنا أعرف أبا القاسم أعزه الله. [(٣)]

وقال عبد الصمد في أخيه أحمد أيضا :

لِي أخ لا تَرَى لهُ سائلاً غيرَ عاتِبِ
أجْمَعُ الناسِ كلّهمْ للئيمِ المَذاهِب
دون معروفِ كفّهِ لَمْسُ بعضِ الكواكبِ [(٤)]

---

(١) انظر إلى هذا الأخ العاق يستنكر على أخيه مدح الخليفة ويصفه بالملق حتى نال ما نال من مال ثم يأتي ويمدح نكرة من النكرات ورويبضة من الرويبضات طمعا في نواله ويفديه بنفسه ، قال ابن عبد ربه : أنشد محمدُ بن يزيد المبرِّد لعبد الصَّمد بن المُعذَّل في الحَسْن بن إبراهيم [العقد الفريد، ج ١ ص ١٨٨] :

يا من فَدَت نَفْسَه نَفْسي ومن جُعُلت له وِقَاءً لمَا يخشى وأَخْشاهُ
أبْلغ أخاكَ وإن شَط المَزَار به أنّي وإنْ كُنتُ لا ألقاه ألقاه
وأنّ طَرْفِيَ مَوْصول برؤيته وإنْ تَباعد عن مَثْواي مَثْواه
اللّه يعْلَم أنّي لستُ أذْكُره وكيف يَذكره مَن ليس يَنْساه
عَدُّوا فهل حَسَنٌ لم يَحوِه حَسَن وهَلْ فتَى عَدَلت جَدْواه جَدْوَاه
فالدهر يَفْنى ولا تَفْنى مَكارمه والقَطْر يُحْمىَ ولا تُحْصىَ عَطَايَاه

(٢) يشي الكلام : يكذب فيه

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٣٦٧ ــ ٣٦٨

(٤) مأخوذ من قولُ القطامي وهو من خبيث الهجاء، وكان نَزل بامرأةٍ من محارب بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مضر فذمّ مَثْوَاه عندها.

وكان أحمد قد كتب إلى أخيه عبد الصمد قائلا: إني أرى المكروه من حيث يُرتجى المحبوب، وقد شمل عرُّك ، وعمَّ أذاك ، وصرتُ فيك كأبي الابن العاق، إن عاش نغّصه، وإن مات نقصه، وأنت كالإصبع [١] الزائدة، إن تركت شانت، وإن قطعت آلمت، وقد خشَّنت بقلب جيبه لك ناصح، والسلام.

فكتب إليه عبد الصمد:

أطاع الفريضة والسنة ... فتاه على الإنس والجِنَّة
كأن لنا النار من دونه ... وأفرده الله بالجَنَّة
وينظر نحوي إذا زرته ... بعين حماة إلى كنَّة

وكانت أم عبد الصمد بن المعذل طباخةً، [٢]فكان أحمد يقول إذا بلغه هجاؤه: ما عَسِيتُ أن أقول فيمن أُلْفِحَ بين قدر وتَنُّور، ونشأ بين زُق وطُنبور؟ [٣]

وبلغ من كره عبد الصمد لأخيه أحمد أنه كان يكره أبناء أخيه ، ومن ذلك قوله في هجاء ابن أخيه أحمد :

لو كان يعطي المنى الأعمام في ابن أخ ... أصبحت في جوف قرقورٍ إلى الصين
إن القلوب لتطوى منك يابن أخي ... إذا رأتك على مثل السكاكين[٤]

موقف عبد الصمد مع أخيه يرينا تمسك المجتمع بحسن الخلق ووضعه في المرتبة الأولى دون النظر إلى التوجه والاعتقاد والاكتراث له فأحمد بن المعذل كان من المعتزلة بل كان من أجلادهم وعبد الصمد كان من أهل السنة وبدع المعتزلة تدخل في

---

[١] الإِصْبَعُ، مُثَلَّثَةَ الهَمْزَةِ، ومع كلِّ حركة تُثَلَّثُ الباءُ: تِسْعُ لُغاتٍ، والعاشر أُصْبوعٌ، بالضم، وقد تُذَكَّرُ، ج: أَصابِعُ وأَصابيعُ . [القاموس المحيط، باب العين ، فَصْلُ الصَّاد]

[٢] أمه أم ولد يقال لها الزرقاء

[٣]سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٥٢٠/ نثر الدر لأبي سعيد منصور بن الحسن الآبي، تحقيق محمد علي قرنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٤م ج ٤ ص ١٨٣ / زهر الآداب وثمر الألباب، ج ١ ص٢٧٠ ــ ٢٧٢/ سمط اللآلي ج ١ ص ٩٢

[٤] أمالي القالي، ج ١ ص ١٣٢

أمراض الشبهات ومعاص عبد الصمد تدخل في أمراض الشهوات كالشتم والسباب والحسد وأمراض الشبهات أعظم خطرا وأجل قدرا من أمراض الشهوات لأن الشبهات يظن صاحبها الخير بنفسه أما أمراض الشهوات فيعلم صاحبها أنها سيئة ويريد التخلص منها وكل من ترجم لهذين الأخوين أو أفرد أحدهما بتأليف رفع من شأن أحمد وحط من شأن عبد الصمد وهذا يرينا عدم التفات الناس في تقييمهم للبشر إلى الجانب الاعتقادي إلا قليلا.[1]

ثم أمور أخرى من سوء الخلق وهي من الأمور التي تهيج عبد الصمد وتغريه بأخيه أحمد وهو غرور التدين الذي كان عند أحمد وعكسه عبد الصمد بقوله:

أطاع الفريضة والسنة الخ

فهو ينظر إلى أخيه كمارد هالك من أهل النار أضف إلى ذلك نظرة الاحتقار التي شبهها عبد الصمد بنظرة الحماة إلى الكنة والعداوة بين الحماة والكنة مستحكمة والكراهية متأصلة.[2]

وأمر ثالث إرداف نظرات الاحتقار بالقول يرينا التعالي والغرور والتزيد على أشده وهو قول أحمد لأخيه: وصرت فيك كأبي الابن العاق.

وتنبيه أخير هو تحليل أحمد أن أفعال أخيه عبد الصمد هي نتيجة حتمية لبيئته التي جاء منها وتربى فيها وأنه تأثر بأمه التي ولدته فقد كانت طباخة وأكثر عمل الطباخين في الأفراح والزواج التي يصاحبها الغناء وآلاته وما يلازمها من لهو وطرب. ولو عقل هذا لعلم أنه يسب أباه فهذا الاختيار اختيار أبيه.

---

[1] قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: إذَا أَرَدْت أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إلَى زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَجِيجِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ بِلَبَّيْكَ، وَإِنَّمَا أُنْظُرْ إلَى مُوَاطَأَتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ، عَاشَ ابْنُ الرَّاوَنْدِيِّ وَالْمَعَرِّيُّ عَلَيْهِمَا لَعَائِنُ اللَّهِ يَنْظِمُونَ وَيَنْثُرُونَ، هَذَا يَقُولُ: حَدِيثُ خُرَافَةَ وَالْمَعَرِّيُّ يَقُولُ: تَلَوْا بَاطِلًا وَجَلَوْا صَارِمًا وَقَالُوا صَدَقْنَا فَقُلْنَا نَعَمْ يَعْنِي بِالْبَاطِلِ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَعَاشُوا سِنِينَ وَعُظِّمَتْ قُبُورُهُمْ وَاشْتُرِيَتْ تَصَانِيفُهُمْ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى بُرُودَةِ الدِّينِ فِي الْقَلْبِ.[الآداب الشرعية ج ١ ص ٢٩٩/ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ج ١ ص ٤١٠ ــ ٤١١]

[2] انظر : الخلافات بين الزوجين أسبابها آثارها علاجها

ـ تناقض عبد الصمد فنجده ذم أخاه أحمد لمدحه السلطان وأخذه عطاياه ويأتي ويمدح نكرة من النكرات وواليا من ولاة السلطان ويفديه بنفسه.

## ٣ ـ الخلوة بالقريبات[١] غير المحارم[٢] وعدم التأدب بأدب الاستئذان

### أ ـ الخلوة بالقريبات:

يتساهل كثير من الأقارب في علاقة أقاربهم غير المحارم مع نسائهم ويسمحون بمصافحة الأقارب لنسائهم، مع ورود النهي عن ذلك فعن معقل بن يسار رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له [٣].

كما يتساهل بعض الأقارب بسماحهم بدخول أقاربهم على نسائهم ، والخلوة بهن، وقد جاء في الحديث: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ[٤] قَالَ الْحَمْوُ الْمَوْتُ [٥].

قال النووي: وأما قوله صلى الله عليه وسلم (الحمو الموت) فمعناه أن الخوف منه أكثر من غيره، والشر يتوقع منه، والفتنة أكثر لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن ينكر عليه، بخلاف الأجنبي. والمراد بالحمو هنا أقارب الزوج غير آبائه

---

[١] هذا السبب يصلح أن يكون اجتماعيا أيضا. وقد يختلف هذا السبب من بلد إسلامي لآخر حسب اختلاف عادات الناس وتقاليدهم.

[٢] محرم المرأة : من حرم عليه نكاحها على التأبيد إلا أم الموطوءة بشبهة والملاعنة فإنهما حرامان على التأبيد، ولا محرمية هناك، وخرج بقيد التأبيد أخت المرأة وعمتها وخالتها وبنتها إذا عقد على الأم ولم يدخل بها. (فتح الباري لابن حجر ، (طبع دار المعرفة)ج ٩ ص ٣٣٢)

[٣] انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: ٥٢٩

[٤] الحمو الموت: يعني فليمت ولا يفعلن ذلك فإن كان هذا دأبه من أبي الزوج وهو محرم فكيف بالغريب.قال الهروي في غريبه: إن خلوة الحمو معها أشد من خلوة غيره من البعداء. (الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ج٢ص٤)

[٥] صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم، حديث رقم: ٤٨٣١ / صحيح مسلم، كتاب السلام، باب: تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها، حديث رقم: ٤٠٣٧

وأبنائه. فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته تجوز لهم الخلوة بها، ولا يوصفون بالموت، وإنما المراد الأخ، وابن الأخ، والعم، وابنه، ونحوهم ممن ليس بمحرم. وعادة الناس المساهلة فيه، ويخلو بامرأة أخيه، فهذا هو الموت، وهو أولى بالمنع من الأجنبي لما ذكرناه.

وقال ابن الأعرابي: هي كلمة تقولها العرب، كما يقال: الأسد الموت، أي لقاؤه مثل الموت. وقال القاضي: معناه الخلوة بالأحماء مؤدية إلى الفتنة والهلاك في الدين، فجعله كهلاك الموت، فورد الكلام مورد التغليظ.(١)

وعَنْ أَبِي مَعْبَدٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ وَلَا تُسَافِرْ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا قَالَ انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ (٢) امْرَأَتِكَ. (٣)

قال ابن حجر: يستفاد منه أن الحج في حق مثله أفضل من الجهاد لأنه اجتمع له مع حج التطوع في حقه تحصيل حج الفرض لامرأته وكان اجتماع ذلك له أفضل من مجرد الجهاد الذي يحصل المقصود منه بغيره، وفيه مشروعية كتابة الجيش ونظر الإمام لرعيته بالمصلحة. (٤)

قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: (ومعها ذو محرم) يحتمل أن يريد محرما لها، ويحتمل أن يريد محرما لها أو له، وهذا الاحتمال الثاني هو الجاري على قواعد الفقهاء، فإنه لا فرق بين أن يكون معها محرم لها كابنها وأخيها وأمها وأختها،

---

(١) مسلم بشرح النووي (طبع دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٣٩٢هـ) ج ١٤ ص ١٥٤ ــ ١٥٥

(٢) قوله: ( فقال رجل يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: انطلق فحج مع امرأتك ) فيه تقديم الأهم من الأمور المتعارضة ؛ لأنه لما تعارض سفره في الغزو وفي الحج معها رجح الحج معها ؛ لأن الغزو يقوم غيره في مقامه عنه بخلاف الحج معها (مسلم بشرح النووي (طبع دار إحياء التراث العربي) ج ٩ ص ١١٠)

(٣) صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم، حديث رقم: ٤٨٣٢/ صحيح مسلم، كتاب: الحج، باب: سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، حديث رقم: ١٠٩١

(٤) فتح الباري لابن حجر (طبع دار المعرفة) ج ٦ ص ١٤٦

أو يكون محرما له كأخته وبنته وعمته وخالته، فيجوز القعود معها في هذه الأحوال، ثم إن الحديث مخصوص أيضا بالزوج، فإنه لو كان معها زوجها كان كالمحرم وأولى بالجواز، وأما إذا خلا الأجنبي بالأجنبية من غير ثالث معهما فهو حرام باتفاق العلماء، وكذا لو كان معهما من لا يستحي منه لصغره كابن سنتين وثلاث ونحو ذلك، فإن وجوده كالعدم، وكذا لو اجتمع رجال بامرأة أجنبية فهو حرام، بخلاف ما لو اجتمع رجل بنسوة أجانب، فإن الصحيح جوازه.

والمختار أن الخلوة بالأمرد الأجنبي الحسن كالمرأة، فتحرم الخلوة به، حيث حرمت بالمرأة، إلا إذا كان في جمع من الرجال المصونين، قال أصحابنا: ولا فرق في تحريم الخلوة حيث حرمناها بين الخلوة في صلاة أو غيرها، ويستثني من هذا كله مواضع الضرورة، بأن يجد امرأة أجنبية منقطعة في الطريق أو نحو ذلك، فيباح له استصحابها، بل يلزمه ذلك إذا خاف عليها لو تركها، وهذا لا اختلاف فيه، ويدل عليه حديث عائشة في قصة الإفك. [١]

ومن مفاسد الدخول على النساء [٢] عدا المحارم ما ذكره لنا الشاعر أحمد محرم في ديوانه قصيدة بعنوان شهيدة العفاف وهي عبارة عن قصة فتاة ريفية أراد أخو زوجها [٣] وأصحابه اغتصابها فامتنعت فقتلوها ونالوا منها. [٤]

ومن القصص التي حدثت حديثا قصة أخي زوج أحبل زوجة أخيه وأتى بأولاد منها وأخوه يظن أن الأولاد أولاده وحدث ما أثبت أن الأخ المتزوج عقيم. وقد نشرت القصة في عدد من الصحف ومواقع الإنترنت.

---

[١] مسلم بشرح النووي (طبع دار إحياء التراث العربي) ج ٩ ص ١١٠

[٢] قيل: إن سوادها قوم لي عنادها: السواد السرار وأصله من السواد الذي هو الشخص وذلك أن السرار لا يحصل إلا بقرب السواد من السواد وقيل لابنة الخس وكانت قد فجرت ما حملك على ما فعلت؟ قالت: قرب الوساد وطول السواد. (مجمع الأمثال ج ١ ٢٣)

[٣] حموها

[٤] انظر ديوان أحمد محرم.

**ب ـ عدم التأدب بآداب الاستئذان:**

بعض الأقارب يدخل بصره في دار قريبه قبل أن يؤنسهم بمجيئه ويقول: السلام عليكم ويكون قد ولج أو ينظر من خلل الأبواب ويدخل على قريبه من غير إعطاء فرصة لصاحبات البيوت للبس ثيابهن،لأن المرأة في بيتها تكون عادة فضلى أي بلباس بيتها ومهنتها، فيهجم عليهن في هذه الحالة مما يوغر صدر قريبه عليه ويظن به الخيانة والتعمد في فعل ذلك. وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَجُلًا[1] اطَّلَعَ [2]مِنْ جُحْرٍ فِي دَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُكُّ رَأْسَهُ بِالْمِدْرَى [3]فَقَالَ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهَا فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الْإِذْنُ مِنْ قِبَلِ الْأَبْصَارِ. [4]

قال المباركفوري: قال الحافظ: ويؤخذ منه أنه يشرع الاستئذان على كل أحد حتى المحارم لئلا تكون منكشفة العورة. وقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن نافع: كان ابن عمر إذا بلغ بعض ولده الحلم لم يدخل عليه إلا بإذن، ومن طريق علقمة: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال أستأذن عل أمي؟ فقال ما على كل أحيانها تريد أن تراها، ومن طريق مسلم بن نذير: سأل رجل حذيفة أستأذن على أمي؟ قال إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره ، [5] ومن طريق موسى بن طلحة دخلت مع أبي على أمي فدخل واتبعته فدفع في صدري وقال تدخل بغير إذن؟ ومن طريق عطاء: سأل ابن عباس أستأذن على أختي؟ قال: نعم، قلت: إنها في حجري، قال: أتحب أن تراها عريانة؟ وأسانيد هذه الآثار

---

[1] قال ابن حجر: قيل هو الحكم بن أبي العاص بن أمية والد مروان، وقيل سعد غير منسوب.

[2] وقوله : " اطلع " بتشديد الطاء ، والجحر بضم الجيم وسكون المهملة.

[3] المدرى بكسر الميم وسكون المهملة خشبة على شكل شيء من أسنان المشط ولها ساعد جرت عادة الكبير أن يحك بها ما لا تصل إليه يده من جسده ، ويسرح بها الشعر الملبد من لا يحضره المشط.

[4] صحيح البخاري، كتاب: اللباس، باب: الامتشاط، حديث رقم: ٥٤٦٩ / سنن الترمذي، كتاب: الاستئذان والآداب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: من اطلع في دار قوم بغير إذنهم، حديث رقم: ٢٦٣٣

[5] البخاري في الأدب المفرد حديث رقم : ١٠٦٠ ص٤٦٥

كلها صحيحة. [١]

بل أهدر النبي صلى الله عليه وسلم إرش من أصيب وهو ينظر من ثقب الأبواب وخللها. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ [٢] بِعَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ. [٣]

فعلى المسلم أن يستأذن ويُعلم بمجيئه من يدخل عليه، قال الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [٤] قال القرطبي: سبب نزول الآية ما رواه الطبري وغيره عن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع ؟ فنزلت الآية. [٥]

فإن كان الباب مردودا فله أن يقف حيث شاء منه ويستأذن، وإن شاء دق الباب. وصفة الدق أن يكون خفيفا بحيث يسمع، ولا يعنف في ذلك؛ فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت أبواب النبي صلى الله عليه وسلم تقرع بالأظافير؛ ذكره أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب في جامعه. وذكر الخطيب في جامعه عن علي بن عاصم الواسطي قال: قدمت البصرة فأتيت منزل شعبة فدققت عليه الباب فقال: من

---

[١] تحفة الأحوذي ج ٧ ص ٤٠٥ ــ ٤٠٦ / وانظر فتح الباري ج ١١ ص ٢٥

[٢] قوله صلى الله عليه وسلم : (فخذفته بحصاة ففقأت عينه) هو بهمز (فقأت) وأما (خذفته) فبالخاء المعجمة أي رميته بها من بين أصبعيك. (مسلم بشرح النووي، (طبع دار إحياء التراث العربي) ج ١٤ ص ١٣٨)

[٣] صحيح البخاري، كتاب: الديات، باب: من اطلع في بيت قوم ففقئوا عينه فلا دية له، حديث رقم: ٦٣٩٣/ صحيح مسلم، كتاب: الآداب، باب: تحريم النظر في بيت غيره، حديث رقم: ٤٠١٧

[٤] سورة النور آية ٢٧

[٥] انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الناشر مؤسسة مناهل العرفان بيروت، توزيع مكتبة الغزالي دمشق، مجلد ٦ ج ١٢ ص ٢١٣

هذا؟ قلت أنا؛ فقال: يا هذا ما لي صديق يقال له أنا ثم خرج إليّ فقال: حدثني محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لي فطرقت عليه الباب فقال: (من هذا)؟ فقلت أنا؛ فقال: (أنا أنا) كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره قولي هذا، أو قوله هذا.[1]

وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم يستأذن حتى على زوجته، كما كان يفعل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فعَنْ زَيْنَبَ امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ مِنْ حَاجَةٍ فَانْتَهَى إِلَى الْبَابِ تَنَحْنَحَ وَبَزَقَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَهْجُمَ مِنَّا عَلَى شَيْءٍ يَكْرَهُهُ.[2]

**ج ـ الزيارة في غير أوقات وجود الرجال :**

بعض الأقارب من غير المحارم له مزاج غريب ناتج عن عدم معرفة وتقدير للأمور تقديرا صحيحا ووضعها مواضعها وفي نصابها أو يكون تصرفه عن سوء قصد وخبث نية وفساد طوية وخيانة فيقوم بزيارة قريبه أو يتصل به هاتفيا في وقت يعلم غيابه فيه وعدم وجوده في البيت ولو حدث هذا الفعل مرة أو مرتين أو ثلاث مرات لألتمس القريب عذرا لقريبه ولكن تكون هذه عادة وديدنا له ومسيرة له في الحياة ويكرر هذا الفعل مع عدد من نساء الأقارب والجيران وهو أنه لا يزور إلا في غياب رجالهم وخلو المنزل وإقفاره منهم. مما يدفع القريب المزور إلى اتهام قريبه الزائر ويجعله يضع زوجته وبناته في دائرة الشكوك. فعلى الأقارب الابتعاد عن مثل هذه الأفعال والارتباء والنأي عما يثير الشكوك ويحركها، قالت عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ

---

[1] تفسير القرطبي، (طبع دار الشعب) ج ١٢ ص ٢١٧

[2] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٣٤٣٣ / سنن ابن ماجة، كتاب: الطب، باب: تعليق التمائم، حديث رقم: ٣٥٢١

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفَنَّ مَوَاقِفَ التُّهَمِ.[1] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أقام نفس مقام التهمة فلا يلومن من أساء الظن به.[2]

وكان العرب الأقدمون يتمدحون بعدم الزيارة في غياب الرجال وهذا مبثوث في وصاياهم وأشعارهم والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

. قال عنترة :

ما اِستَمتُ أُنثى نَفسَها في مَوطِنٍ حَتّى أُوَفّي مَهرَها مَولاها

أَغشى فَتاةَ الحَيِّ عِندَ حَليلِها وَإِذا غَزا في الجَيشِ لا أَغشاها

وَأَغَضُّ طَرفي ما بَدَت لي جارَتي حَتّى يُواري جارَتي مَأواها

إِنّي اِمرُؤٌ سَمحُ الخَليقَةِ ماجِدٌ لا أُتبِعُ النَفسَ اللَجوجَ هَواها

. وقال عقيل بن علفة المري[3] :

ولست بسائل جارات بيتي أغياب رجالك أم شهود[4]

ولست بصادر عن بيت جاري صدور العير غمره الورود[5]

ولا ملق لذي الودعات سوطي ألاعبه وريبته أريد[6]

---

[1] شرح الأربعين النووية للنووي ص٣٢ / وذكره المناوي مرفوعا انظر : فتح القدير ج ٤ ص ٣٦٣

[2] رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق[انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني، حديث رقم : ٢٥٠١/ المقاصد الحسنة ، ص ٢١٨]

[3] هو عقيل بن علّفة بن الحارث بن معاوية ذبياني يكنى أبا العملس وأبا الجرباء. شاعر مجيد من شعراء الدولة الأمويّة.

[4] كنى في البيت عن عفته. يقول: لا أكلم جارتي لأني أصونها عن الكلام. ويجوز أن يكون تعرضاً للذي يهجوه، أي: لا أغتنم الخلوة لجارات بيتي، فأتطلب غيبة رجالهن عنهن.

[5] أي لا أصدر عن بيت جاري مثل العير الذي قد تغمر، أي لم يرو وفيه حاجة إلى العودة، يقول: فأنا لا آتي بيت جاري هكذا أريد الريبة.

[6] الودعة: الخرزة تعلق في عنق الصبي، أي: لا أشغل الصبي ذا الودعات بسوطي، وأخلو أنا بأمه.

. قال ابن حبيب: قال عبد الملك لمؤدب ولده: إذا رويتهم شعراً فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولي:

يَبينُ الجارُ حينَ يَبينُ عَنّي ... وَلَم تأنَس إِليَّ كِلابُ جاري
وَتظعَنُ جارَتي مِن جَنبِ بَيتي ... وَلَم تُستَر بِسِترٍ مِن جِداري
وَتأمَنُ أَن أُطالِعَ حينَ آتي ... علَيها وَهيَ واضِعَةُ الخِمارِ [(١)]

وسوء الظن ينتج عن مثل هذه الأفعال فالناس يلومون ويتكلمون مع وجود الأسباب الوجيهة دعك من عدمها، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِيَّاكَ وَمَا يَسْبِقُ إِلَى الْقُلُوبِ إِنْكَارُهُ وَإِنْ كَانَ عِنْدَك اعْتِذَارُهُ.[(٢)] فرب سامع نكرا لا تستطيع أن تبلغه عذرا.[(٣)] فعلى المرء الفرار من أمثال هذه الأمور والارتباء عنها حتى لا يقع في الاعتذار الذي لا يخلو من الكذب غالبا.[(٤)] ولذا جاء في الحديث: إياك وكل أمر يعتذر منه.[(٥)]

وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي وَأَوْجِزْ [(٦)] قَالَ إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ

---

(١) الأغاني، ج ١٣ ص ٨١

(٢) فتح القدير ج ٤ ص ٣٦٣

(٣) شرح الأربعين النووية ص٣٢/ بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول ص ٤٨٩

(٤) قال الأحنف بن قيس: إياك وما يعتذر منه، فإنه قلما اعتذر أحد فسلم من الكذب. (بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول ص٤٨٤)

(٥) رواه الضياء المقدسي في المختارة والديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه مرفوعا، والبخاري في التاريخ وأحمد والطبراني في الكبير بسند جيد عن عمارة الأنصاري موقوفا ولفظه: انظر إلى ما تعتذر منه من القول والفعل فاجتنبه، والحاكم في المستدرك من حديث سعد والطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وجابر بلفظ: إياك وما يعتذر منه. (انظر : البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ، لابن حمزة الحنفي الدمشقي ، المكتبة العلمية بيروت الطبعة ١٤٠٢هـ ـ١٩٨٢م ، ج ٢ ص ٢٠٢)

(٦) قوله ( وأوجز ) أي اقتصر على خلاصة الأمر ليكون أسهل للضبط أو أد ذلك العلم المطلوب بكلام مختصر والموجز لفظ جامع للعلم الكثير .

مُوَدِّعٍ [١] وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ [٢] وَأَجْمِعْ [٣] الْيَأْسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ.[٤]

وإن حدث أن زار القريب في وقت من هذه الأوقات فليأت بأهله أو يتصل وإن أتى منفردا لأمر طارئ فليخبر قريبه درء للشكوك عن نفسه.

كما أنه يلحق بالزيارة في غير وجود القريب التحدث مع امرأة قريبه من غير إذنه فاحترازا من مثل هذا يجب على القريب إن عرضت له حاجة عند قريبته أن يستأذن زوجها في التحدث معها، فعَنْ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ أَرْسَلَهُ [٥] إِلَى عَلِيٍّ يَسْتَأْذِنُهُ عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ [٦] فَأَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ سَأَلَ الْمَوْلَى عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أَوْ نَهَى أَنْ نَدْخُلَ عَلَى النِّسَاءِ بِغَيْرِ إِذْنِ [٧] أَزْوَاجِهِنَّ.[٨]

فعلى المسلم ألا يتساهل في هذا الأمر ويقول : هذه قريبتي ولا لزوم لهذه الأشياء، فإن الإذن أطهر لقلب القريب وقلب قريبته وأبعد لهما عن الشبهة وأسلم وأنقى لقلب ولي أمر القريبة حتى لا تحمله الغيرة إن وجد شيئا من هذا على ضرب أو إيذاء زوجته أو قريبته.

ومن أمثلة ضرب الرجل امرأته لحديثها مع الرجال ما ذكره حماد بن زيد عن

---

[١] ( مودع ) اسم فاعل من التوديع أي كن كأنك تصلي آخر صلاتك

[٢] ( تعتذر منه ) يحتاج منه إلى الاعتذار

[٣] ( وأجمع ) أي اعتقد واعزم واحكم في قلبك

[٤] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٢٤٠٠/ سنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب: الحكمة، حديث رقم: ٤١٦١

[٥] قوله: (أرسله) أي أرسل عمرو بن العاص مولاه

[٦] أسماء بنت عميس الخثعمية صحابية، تزوجها جعفر بن أبي طالب ثم أبو بكر ثم علي وولدت لهم، وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها، ماتت بعد علي.

[٧] (نهانا أو نهى أن ندخل على النساء بغير إذن أزواجهن) فيه دليل على أنه لا يجوز الدخول على النساء إلا بإذن أزواجهن.

[٨] سنن الترمذي ، كتاب الآداب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في النهي عن الدخول على النساء إلا بإذن أزواجهن، حديث رقم: ٢٧٠٣/ مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ١٧٠٩٩/ وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٦٥٢

أيوب عن ابن أبي مليكة: أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع امرأته تكلم رجلا من وراء جدار، بينها وبينه قرابة لا يعلمها ابن عمر، فجمع لها جرائد ثم ضربها حتى أضبت حسيسا. [١]

كما أن الرجل قد يعاقب زوجته لنظرها إلى الآخرين أو تصرفها تصرفا غير لائق ومن ذلك عن محفوظ بن علقمة عن أبيه أن معاذ بن جبل دخل قبته فرأى امرأته تنظر من خرق في القبة فضربها قال وكان معاذ يأكل تفاحا ومعه امرأته فمر غلام له فناولته امرأته تفاحة قد عضتها فضربها معاذ. [٢]

ومن أمثلة إيذاء الرجل امرأته لزيارة الرجال لها، ما فعله سليك بن سلكة وهو شاعر جاهلي، وكان يقال له سليك المقانب، وكان قد وجد قوما يتحدثون إلى امرأته من بني عمها فعقرها بالسيف، فطلبه بنو عمها فهرب، ولم يقدروا عليه، فقال في ذلك:

لـزوار ليلـى مـنكم آل بـرثن ... على الهول أمضى من سليك المقانب
يزورونهـا ولا أزور نـسائهم ... ألـهفي لأولاد الإمـاء الحواطـب[٣]

## ٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حميد الصفات التي مدح الله عز وجل بها المـؤمنين في القـرآن الكـريم قـال تعـالى﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٤]

فيجب على القريب أن يأمر أقاربه بالمعروف وينهاهم عن المنكر وأن يمتثل الآتي:

---

[١] روضة المحبين ونزهة المشتاقين للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية، نـشر دار الوعي حلب، ١٣٩٧هـ / ص٢٩١

[٢] الطبقات الكبرى ، ج ٣ ص ٥٨٦ / تاريخ دمشق ، ج ٥٨ ص ٤٤١

[٣] الأغاني ج ٢٠ ص ٣٩٧

[٤] سورة التوبة آية ٧١

. أن يكون متحليا بما يأمر به ومنتهيا عما ينهى عنه.

. أن يقدّر أن لا يؤدي أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر إلى مفسدة أكبر من ذلك كقطيعة الرحم مثلا.

. أن يتخير الوقت والمكان المناسب لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

. أن يوطن نفسه على الصبر وأنه لا يصفق له ولا يقال له: أحسنت، لأن طريق الدعوة ليست مفروشة بالورود والرياحين فعن حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي: أن جده عمير بن خماشة كانت له صحبة بايع النبي صلى الله عليه وسلم عند احتلامه وأوصى ولده فقال إياي ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء من تحلم عن السفيه يسر بحلمه ومن يحبه يندم ومن لا يقر بالقليل مما يأتي به السفيه يقر بالكثير ومن يصبر على ما يكره يدرك ما يحب وإذا أراد أحدكم أن يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر فليوطن نفسه بالصبر على الأذى وليثق بالثواب من الله عز وجل فإنه من يثق بالثواب من الله لا يجد مس الأذى[1].

. أن يكون قصده الإصلاح وليس الاستعلاء، وأن يحتسب في ذلك.

قال أبو بكر المروزي: قلت: لأحمد بن حنبل: إذا كان للرجل قرابة فيرى عندهم المنكر، فيكره أن يغيره، أو يقول لهم فيخرج إلى ما يغتمُّ به أهل بيته، و هو يرى لا بد. أو يرى المنكر في غيره فيكره أن يغير للذي في قرابته. قال: إن صحت نيتك لم تبال[2].

---

[1] المعجم الكبير، ج ١٧ ص ٥٠، حديث رقم : ١٠٨/ المعجم الأوسط، حديث رقم: ٣٧٠/ مصنف ابن أبي شيبة، ج ٥ ص ٢٣٤، حديث رقم: ٢٥٥٩٠/ شعب الإيمان، ج ٦ ص ٣٤٤، حديث رقم : ٨٤٤٩/ سنن البيهقي الكبرى، ج ١٠ ص ٩٥، حديث رقم: ١٩٩٩٧/ الحلم، ص ٣٠، حديث رقم : ١٧/ الزهد لابن حنبل، ج ١ ص ١٨٦/ مجمع الزوائد، ج ٧ ص ٥٢٥، حديث رقم: ١٢١٣١

[2] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، دراسة وتحقيق أحمد عطا، دار الاعتصام (ب.ت) ، ص٩٤

## ٥ـ العقوق من أحد الأبناء وانتهاكه حرمة أحد الأبوين: [١]

هناك بعض رقيقي الدين قليلي الإيمان لا يبرون[٢] آباءهم بل يعقونهما[٣] فيجب على الآباء أن يعينوا أبناءهم على برهم وذلك بعدم الاشتطاط فيما يطلبونه منهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون[٤].

والعقوق عند الأولاد أكثر منه عند البنات وذلك لرحمة البنت وبرها[٥] وكذلك لضعفها وحاجتها لأبويها إن لم تكن متزوجة ولزومها البيت وقعودها عن التكسب.

أما الأبناء الذين حالفهم الحظ والغنى الذين نسوا عندما كانوا صغارا يتبولون على آبائهم وأمهاتهم وتسلط عليهم والتف حول أعناقهم شياطين أنس من زوجات امتطين ظهورهم وسخرنهم كيف شئن فزين لهم جفاء والديهم والنأي والبعد عنهم وأن دورهما قد انتهى وأنه يمكن أن يقوم بدورك تجاه والديك إخوانك الأغنياء وأخواتك ذوات الأزواج فلماذا تقوم أنت وحدك فقط بالإنفاق على والديك دونهم؟

فأنت الآن مسئول أمام الله عن زوجتك وأولادك فقط لأنك راع لهم وكل راع مسئول عن رعيته ، فماذا عملت لهم؟ هل أحضرت لهم مالا؟ وهل جهزت لهم بيتا؟ وهل بنيت لهم أساسا وهل اشتريت لهم أثاثا ؟ وهل أحضرت لهم ملابس ؟ وإلى آخر هذا الركام من الأسئلة التي تزينها شياطين الجن والأنس زخرفا وغرورا.

---

[١] هذا السبب اجتماعي أيضا.

[٢] سئل الحسن البصري: ما بر الوالدين؟ قال : أن تبذل لهما ما ملكت وأن تطيعهما فيما أمراك به إلا أن يكون معصية. (مصنف عبد الرزاق، ج ٥ ص ١٧٦، حديث رقم: ٩٢٨٨)

[٣] العقوق هو: صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل إلا في شرك أو معصية ما لم يتعنت الوالد. (فتح الباري ج١٠ص٤٢٠)

[٤] كان محمد بن علي يقول: شر الآباء من دعاه البر إلى الإفراط، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق. (كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ١١١)

[٥] انظر : غنية المحتاج في بناء الأسرة وأنواع الزواج للمؤلف

فيقوم الولد المسكين بتصديق هذه الأقوال المنمقة الموشاة المصحوبة بالدموع السوافح فيجفو والديه ويقطع ما كان يوصله لهما من بر وصلة متعللا بغلاء المعيشة وزيادة متطلبات الأولاد واتساع البيت ، فيتنمر للوالد آخرون من أقاربه وأرحامه وغيرهم من الجيران ويعادون هذا الولد انتصارا لأب الابن العاق أو أمه واضعين نصب أعينهم قول القائل: من قل خيره على أهله فلا ترج خيره.[١] وقول عمر بن عبد العزيز لميمون بن مهران: يا ميمون لا تصلن عاقا فإنه لن يصلك وقد قطع أباه.[٢]

كما أنه قد يكون من أسباب تنمر هؤلاء الأقارب للولد الكيد له وإظهار سوءاته وعيوبه أمام الآخرين

وقد يصل العقوق عند بعض الأبناء إلى سب وشتم وهجاء ولعن الوالدين أحدهما أو كليهما كما حدث عند الحطيئة واسمه جرول بن مالك العبسي، لقب بالحطيئة لقصره، أدرك الجاهلية وأسلم في زمن الصديق، وكان كثير الهجاء حتى أنه هجا نفسه وأباه وأمه وخاله وعمه وعُرْسه، فمما قال في أمه قوله :

| | |
|---|---|
| تنحـــي فأقعـــدي منـــي بعيـــدا | أراح الله منـــــك العالمينــــــا |
| ألم أوضـــح لـــك البغـــضاء مـــني | ولكـــــن لا أخالـــــك تعقلينـــــا |
| أغربـــالا إذا اســـتودعت ســـرا | وكانونـــا[٣] علـــى المتحـــدثينا |
| جـــزاك الله شـــرا مـــن عـــجوز | ولقـــاك العقـــوق مـــن البنينـــا |
| حياتـــك مـــا علمـــت حيـــاة ســـوء | وموتـــك قـــد يـــسر الـــصالحينا |

---

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ١٨٩

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ـــ ١٩٨٤م، ص٢٤٦

(٣) قال الأصمعي: الكانون هو الذي إذا دخل على القوم وهم في حديث كنوا عنه

لســـانك مـــبرد لا خـــير فيـــه ودرك در جاذبـــــة دهـــــين[(١)]

كما أن العقوق قد يصل إلى استعمال اليد مع الوالد أو الوالدة، وإن حدث مثل هذا الفعل فالله عز وجل يعاقب فاعله عاجلا غير آجل، قال الشعبي نظر عمر بن الخطاب إلى رجل ملوي اليد فقال له: ما بال يدك ملوية قال إن أبي كان مشركا وكان كثير المال فسألته شيئا من ماله فامتنع فلويت يده وانتزعت من ماله ما أردت فدعا علي في شعر قاله:

جــزت رحــم بــيني وبــين منــازل سـواء كما يستنجز الـدين طالبـه[(٢)]
لــربيته حتــى آض شــيظما يكــاد يـــساوي غـــارب الفحـــل غاربـــه[(٣)]
فلما رآنـي أبـصر الـشخص أشخـصا قريبــا ولا البعــد الظنــون أقاربــه[(٤)]
تهـضمني مـالي كـذا ولـوى يـدي لــوى يــده الله الــذي هــو غالبـه[(٥)]
وكـان لـه عنـدي إذا جـاع أو بكـى مــن الــزاد أحلـى زادنـا وأطايبـه[(٦)]

---

(١) البداية والنهاية للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، الطبعة الأولى تحقيق د. أحمد أبو ملحم وجماعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـــ١٩٨٥م مجلد ٤ ج ٨ ص ١٠٠-١٠٢

(٢) جعل فعل الجزاء للرحم والجازي هو الله تعالى لأنها السبب في الجزاء وقوله جزاء الخ أي جزاء ذي الدين الذي لا يفتر صاحبه عن طلبه حتى يستوفي ماله والمعنى جزى الله منازل على الرحم أي على القرابة التي بيني وبينه جزاء يستوفى له وعليه كما يستنزل صاحب الدين ممن عليه حقه.

(٣) لربيته الخ اللام فيه واقعة في جواب قسم دل عليه الكلام ورباه قام بأمره وهو صغير إلى أن بلغ وآض بمعنى صار والشيظم الطويل والغارب في الأصل ما بين السنام إلى العنق ثم استعير حتى قيل لأعالي كل شيء غارب والمعنى أقسم أنه بعدما ربيته فبلغ مبلغ الرجال غدرني وهضمني حقي ولم يقم بواجب تربيتي له

(٤) فلما رآني:معناه فلما رآني شيخا كبيرا ضعف نظره واختلفت مواقع بصارته حتى يرى الشخص القريب منه أشخصا ويرى الشخص البعيد منه قريبا تغمط حقي الخ

(٥) تهضمني ظلمني لوى يده الله هذه جملة دعائية يريد بها أن ينتقم الله له من ابنه منازل ويجازيه على قلة قيامه بحقوق التربية

(٦) وكان له عندي الخ معناه كان منازل كلما جاع أو بكى وهو صغير يحضر له أبوه من الطعام أحلاه وأطيبه من باب الرأفة به.

| | |
|---|---|
| وربيتـه حــتى إذا مـا تركتـه أخـا | القـوم واستغنى عـن المسح شاربه[١] |
| وجــمعتها دهــما جــلادا كأنهــا | أشــاء نخيــل لم تقطــع جوانبــه[٢] |
| فــأخرجني مـــنها ســـليبا كــأنني | حـــسام يـــمان فارقتـــه مـــضاربه[٣] |

قال فأصبحت يا أمير المؤمنين ملوي اليد فقال عمر الله أكبر هذا دعاء آبائكم في الجاهلية فكيف في الإسلام.[٤]

وبما أن الجزاء من جنس العمل[٥] فكما عق منازل أباه فرعان بن الأعرف فقد عقه ابنه خليج فقدمه إلى إبراهيم بن عربي والي اليمامة من قبل مروان بن الحكم وقال:

| | |
|---|---|
| تظلــمني مــالي خــليج وعقــني | على حين صارت كالحني عظامي |
| وكيـف أرجـي العطـف منـه وأمـه | حـــرامية مــــا غـــرني بـــحرام |
| تخيرتـــها فازددتهـــا لتزيـــدني | ومــا نقـص مــا يـزداد غـير غـرام |
| لعمـــري قـــد ربيتـــه فرحـــا بـــه | فـــلا يفـــرحن بعـــدي امـــرؤ بغـــلام |

---

[١] واستغنى عن المسح شاربه عبارة عن كونه بلغ عنفوان الشباب وصار في عداد الفتيان البالغين مبلغ الرجال.

[٢] وجمعتها الضمير للخيل أي جمعت خيلا دهما جمع أدهم جلادا من الجلادة وهي الصلابة كأنها أشاء نخيل الخ أي كأنها صغار نخل لم يقطع منه شيء والمعنى أني لما جمعت من الخيل التي وصفتها ما جمعته وأعددتها لركوبي وركوبه اعتدى علي وسلبها مني ظلما وحرمني منها.

[٣] فأخرجني منها الضمير إلى الدهم في البيت السابق والسليب الذي سلب ماله مجاز عن الشجرة التي سلبت ورقها والمضارب جمع مضرب بفتح الراء وكسرها والمراد به هنا حد السيف وجمعه مبالغة شبه نفسه بالسيف الكهام المفلول يقول فأخرجني من هذه الخيل سليبا كسيف يماني قاطع فتفلل حده وتكسر.

[٤] في سنده ضعف وانقطاع.

[٥] قال ابن حجر: فكأنه عوقب عن عقوق أبيه بعقوق ولده وعن لي يده بأن أصبحت يده ملوية وكانت قصة منازل مع أبيه في الجاهلية كما دل عليه الخبر الأول وقصة خليج مع أبيه وسط المائة الأولى لأن مروان ولي الخلافة سنة أربع وستين. [الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ٨٤٦٨]

فأراد إبراهيم بن عربي ضربه فقال خليج: أصلح الله الأمير لا تعجل أتعرف هذا؟ قال : لا قال: هذا منازل بن فرعان الذي عق أباه وفيه يقول:

جزت رحم بيني وبين منازل   الأبيات

فقال إبراهيم يا هذا عققت فعققت فما أعلم لك مثلا إلا قول خالد لأبي ذؤيب:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها     فأول راض سيرة مـــن يسيرهــا[١]

## ٦ ـ التشبيب والتغزل بإحدى نساء الأقارب:

بعض السفهاء [٢] الذين لا أخلاق لهم يتغزلون ويشببون[٣] بنساء أقاربهم، فنجد القريب يتربص بقريبته ويتحرى أماكن تواجدها وظهورها في المناسبات أو عند ذهابها إلى المدرسة أو الجامعة لينظر إليها ويشافهها ويبث إليها وجده وحنينه وكيف أن ليله قد طال ببعدها عنه وأن جسمه قد هزل وضعف للانشغال بها والتفكير فيها وهي عنه لاهية وعن مودته ومواصلته غافلة فتصدق المسكينة هذا الذئب الماكر وتنقاد له، أوقد يفتعل غير هذه الأسباب لزيارتها والحديث معها [٤].

---

[١] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ٨٤٦٨ / الحماسة ج ١ ص ١٨٢ ــ ١٨٥

[٢] السفهاء جمع سفيه، كالعلماء جمع عليم، والحكماء جمع حكيم. والسفيه: الجاهل الضعيف الرأي، القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار.[جامع البيان ج ١ ص ١٢٨]

[٣] تشبيب الشعر: ترقيق أوله بذكر النساء، وشبب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسيب. ونسب بالنساء شبب بهن في شعره ، وتغزل . والغزل: حديث الفتيان الفتيات.[لسان العرب، مادة: شبب]

[٤] قال عبد الله بن مصعب الزبيري[الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد الطبعة الأولى ج ١ ص ٢٦١ ]:

مــالي مــرضت فــلم يعدني عائد   منكم ويمرض كلبكم فأعود

والتغزل يكون ناتجا عن عشق أحيانا وعن عدمه في أحايين كثيرة [١] ويكون التغزل بالغمز بالأعين أو بالإشارة بالأيدي أو بالصفير بالفم أو بإطلاق بعض عبارات الغزل والغرام التي يفهمها المجتمع أو بنظم الشعر والتغني بمحاسن القريبة المعشوقة. أو أن يجمع كل هذه الأشياء ويستخدمها من غمز وإشارة وخلافه وقد تكون القريبة المتغَزَّل بها فارغا[٢] وكان يمكن للقريب أن يتقدم لطلب يدها ويخطبها ويتزوج بها. وكان من عادة العرب أنهم لا يزوجون رجلا تغزل بامرأة شبب بها[٣] لأنهم إن فعلوا ذلك فقد صدّقوا الظنون بأنه قد حدث بين ابنتهم وبين هذا الرجل ما حدث، ولذا فهم يرفضون طلب القريب بالزواج من معشوقته درء للشبهة وإبطالا للشائعة ودفعا للمقالة.

وقد يطلب ولي أمر المرأة المتغزل بها من الذي تغزل بها أن يتزوجها ويلم شعثه بشعثها كما في قصة صخر بن الجعد الذي تغزل بابنة عمه وطلب منه أخوها أن يتزوجها ولكنه تباطأ فزوجه بغيرها فقذفها وهي قصة ترينا استهتار بعض الأقارب بقرابتهم وإليك تفاصيل القصة: كان صخر بن الجعد مغرما بكأس بنت بجير بن جندب وكان يشبب بها فلقيه أخوها وقاص وكان شجاعا فقال له يا صخر إنك تشبب بابنة عمك وشهرتها ولعمري ما بها عنك مذهب ولا لنا عنك مرغب فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوجكها وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمن ما عرضت لها بذكر ولا أسمعنه منك فأقسم بالله لئن فعلت ذلك ليخالطنك سيفي فقال له

---

(١) قال الشاب الظريف [الكشكول ص ٣٤ ] :

| | |
|---|---|
| لَوْ أَنكَرتْني بُيوتُ الحيِّ لاعْتَرفَتْ | مَواطِىءُ العِيس لي في رَبْعِهــا اليَبَــبِ |
| كــأنَّني لم أُعَرِّسْ في مَضــارِبها | ولــم أَحُــطَّ بِهَا رَحْــلــي ولا قَتَــبي |
| ولم أغازِلْ فتاةَ الحــيِّ مائِــسةً | في رَوْضِهــا بين ذَاكَ الحَلْيِ والذَّهَــبِ |
| تُبْدي النِّفارَ دَلالاً وَهْيَ آنِــسةٌ | يا حُسْنَ مَعْنَى الرِّضَا في صُورةِ الغَضَبِ |

(٢) غير ذات زوج

(٣) انظر: قصة جميل وبثينة ومجنون بني عامر وليلى وكثير بن عبد الرحمن الخزاعي وعزة

بل والله إن لي لأشد الحاجة إليها فوعده موعدا وخرج صخر لموعده حتى نزل بأبيات القوم فنزل منزل الضيف فقام وقاص فذبح وجمع أصحابه وأبطأ صخر عنهم فلما رأى ذلك وقاص بعث إليه أن هلم لحاجتك فأبطأ ورجع الرسول فقال مثل قوله فغضب وعمد إلى رجل من الحي ليس يعدل بصخر يقال له حصن وهو مغضب لما صنع فحمد الله وأثنى عليه وزوجه كأس وافترق القوم ومروا بصخر فأعلموه تزويج كأس بحصن فرحل عنهم من تحت الليل واندفع يهجوها بالأبيات التي قذفها فيها فيما قذفها وذلك قوله حين يقول:

وأنكحها حصنا ليطمس حملها     وقد حملت من قبل حصن وجرت

أي زادت على تسعة أشهر فترافع القوم إلى المدينة وأميرها يومئذ طارق مولى عثمان فأقاموا عليه البينة بقذف كأس فضرب الحد وعاد إلى قومه وأسف على ما فاته من تزويج كأس فطفق يقول فيها الشعر.

ولما ضرب صخر بن الجعد الحد لكأس وصارت إلى زوجها ندم على ما فرط منه واستحيا من الناس للحد الذي ضربه فلحق بالشام فطالت غيبته بها ثم عاد فمر بنخل كان لأهله ولأهل كأس فباعوه وانتقلوا إلى الشام فمر بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها فبكى عند ذلك بكاء شديدا وأنشأ يقول:

مررت على خيمات كأس فأسبلت[1]     مدامع عيني والرياح تميلها
وفي دارهم قوم سواهم فأسبلت     دموع من الأجفان فاض مسيلها

---

(١) كان صخر بن الجعد المحاربي خدنا لعوام بن عقبة، وكان عوام يهوى امرأة من قومه، يقال لها: سوداء، فماتت، فرثاها، فلما سمع صخر بن الجعد المرثية، قال: وددت أن أعيش حتى تموت كأس، فأرثيها، فماتت كأس، فقال:

على أم داود السلام ورحمة     من الله يجري كل يوم بشيرها
غداة غدا الغادون عنها وغودرت     بلماعة القيعان يستن مورودها
وغيبت عنها يوم ذاك وليتني     شهدت فيحوي منكبي سريرها
نزت كبدي لما أتاني نعيها     فقلت: أدان صدعها فمطيرها؟

سواهم فأسبلت كذاك الليالي ليس فيهــــــا بـــــــسالم صـــديق ولا يبقـــى عليهـــا خليلـــها[١]

وقد يكون الدافع للتغزل بالقريبة هو النكاية وحب الانتقام من القريب.

أو قد يكون القريب المتغزِّل بأمه أو بزوجته أو بابنته أو بأخته متوهما ومتخيلا ذلك ولا حقيقة للأمر في الواقع بل هو من وحي شياطين الجن والإنس أو قد يكون لشدة إفراطه في الغيرة كما في هذين المثالين:

. صاحَب هدبة بن خَشرم العذري زيادة بن زيد العذري، وهما مقبلان من الحج في نفر من قومهما، فكانوا يتعاقبون السوق بالإبل ، فنزل زيادة يسوق بأصحابه، فرجز فقال:

عوجي علينـــا واربعـــي يا فاطـــما ما دون أن يُرى البعيرُ قائما[٢]

ألا ترين الدمـــع مـــني ســـاجمـــا حـــذار دار مـــنك أن تلائما

فعرّجت مُطَّـــرداً [٣] عُراهمـــــــا[٤] فعماً يبذُّ [٥]القُطُفَ الرواسمـــا[٦]

كأن في المثـــناة[٧] منه عائمــــــا[٨] إنـــك والله لـــأن تبـــاغمـــا[٩]

---

[١] الأغاني ج ٢٢ ص ٣٧ ــ ٤٠

[٢] أي ما بين مناخ البعير إلى قيامه

[٣] مطرد: متتابع السير

[٤] عراهم: شديد

[٥] فعم: ضخم

[٦] الرسيم: سير فوق العنق والرواسم الإبل التي تسير هذا السير الذي ذكرناه

[٧]المثناة: الزمام

[٨] عائم: سابح

[٩] تباغم: تكلم

خودا[١] كأن البوص[٢] والمآكمـا[٣] مـنها نقا مخالطـا صرائمـا[٤]

خير من استقبـالك السـمائمـا ومن نـداء يبتغي معـاكمـا[٥]

وكان لهدبة أخت يقال لها فاطمة، فظن أنه شبب بها، فنزل هدبة فساق بالقوم، ورجز بأخت زيادة، وكان يقال لها أم القاسم، فقال:

لـقـد أراني والغلام الحازما نزجي المـطي ضمرا سَواهما

متى تقولُ القُلُصَ الـرَّواسِما والـجلة النـاجية العياهما[٦]

يُـدْنِينَ أُمَّ قـاسِـمٍ وقاسِما إذا هبطن مستـحيرا قـاتما

ورجـاع الحادي لهما الهماهما والله لا يَشْفِي الفُـؤادَ الهائما

تَمـاحُكُ اللَّـبَّاتِ والمآكِما ولا اللمام دون أن تـلازمـا

ولا اللِّـزامُ دُون أن تُفاغِما ولا الفِغامُ دون أن تُـفـاقِما

وتـَرْكَـبَ القَوائمُ القوائما[٧]

فشتمه زيادة وشتمه هدبة وتسابا طويلا فصاح بهما القوم اركبا لا حملكما الله فإنا قوم حجاج وخشوا أن يقع بينهما شر فوعظوهما حتى أمسك كل واحد منهما على ما في نفسه وهدبة أشدهما حنقا لأنه رأى أن زيادة قد ضامه إذ رجز بأخته وهي تسمع قوله

---

[١] الخود : الفتاة الحسنة الخلق ، الشابة ما لم تصر نصَفًا ، وقيل الجارية الناعمة ، والجمع خودات وخُود ولا فعل له. [لسان العرب، مادة : خود ]

[٢] البوص: العجز

[٣] المأكمتان: ما عن يمين العجز وشماله

[٤] النقا: ما عظم من الرمل والصرائم دونه

[٥] من نداء: أي رجل تناديه تبتغي أن يعينك على عكمك حتى تشده

[٦] العياهم: الشداد

[٧] لسان العرب، مادة: فغم

ورجـز هـو بأختـه وهـي غائبـة لا تـسمع قولـه فمـضيا ولم يتحـاورا بكلمـة حتـى قـضيا حجهما ورجعا إلى عشيرتيهما، فلما وصلا إلى ديارهما جمع زيادة رهطا من أهل بيته ، فبيت هدبة فضربه على ساعده، وشج أباه خشرما، فلم يزل هدبة يطلب غرة من زيادة، حتى أصابها، فبيته فقتله، فلما حمل إلى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد فادّعى عليه فقال له معاوية: ما تقول؟ قال: أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا؟ قال: بل شعرا فإنه أمتع فقال هدبة:

فلما رأيت إنما هي ضربة ... من السيف أو إغضاء عين على وتر

عمدت إلى أمر لا يعير والدي ... خزايته ولا يسب به قبري

رُمينا فرامينا فصادف سهمنا ... منية نفس في كتاب وفي قدر

وأنت أمير المؤمنين فما لنا ... وراءك مَعْدَى ولا عنك مقصر

فإن تك في أموالنا لا نضيق بها ... ذرعا وإن صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية: أراك قد أقررت يا هدبة قال: هو ذاك.فقال عبد الرحمن: أقدني فكره ذاك معاوية وضن بهدبة عن القتل وكان ابن زيادة صغيرا فقال له معاوية: أو ما علمك أن تشفي صدرك وتحرم غيرك ثم وجه به إلى المدينة فقال: يحبس إلى أن يبلغ ابن زيادة، وكان المسور بن زيادة صغيرا فحبس هدبة ست سنين بسجن المدينة حتى أدرك مسور، وبذلت لمسور بن زيادة عشر ديات[1] فأراد أن يختار العفو ويرضى بقبول الدية، فقالت له أمه: والله لئن لم تقتل هدبة لأنكحنه فيكون قد قتل أباك، ثم ينكح أمك فتسب بذلك يد المسند[2] فلفته ذلك عن مذهبه، ومضى على الاتئار من هدبة وقتله.

---

[1] كان ممن عرض الديات عليه الحسين بن علي وعبد الله بن جعفر ومروان بن الحكم وسعيد بن العاصي والي المدينة، وسائر القوم من قريش.

[2] المسند: الدهر

فلما قُدِّم ليقتل قال لابن زيادة : أثبت قدميك وأجد الضربة فإني أيتمتك صغيرا وأرملت أمك شابة، وكان سعيد قد دفعه إليه موثقا فقال هدبة :

إن تقتلوني في الحديد فإنني قتلت أخاكم مطلقا غير موثق

فقال عبد الرحمن بن زيد أخو زيادة: والله لا أقتله إلا مطلقا، فأطلق فقتله.قال فاستأذن في أن يصلي ركعتين فأذن له فصلاهما وخفف ثم التفت إلى من حضر فقال لولا أن يظن بي الجزع لأطلتهما فقد كنت محتاجا إلى إطالتهما، وهو أول من أقيد منه في الإسلام.[1]

ـ قصة عقيل بن علفة المري وابنه وسنأتي عليها في المنافسة بين الأقارب على الزواج في هذا الكتاب.[2]

وقد يرسخ الشكوك والظنون السيئة في ذهن القريب سوء سمعة قريبه وتشويه سيرته بين الناس وبدور تصرفات منه مثيلة في مناسبات سابقة.

وقد يصاحب التغزل تشبيب ومحاولة من القريب تقوية ملكته الشعرية على الواقع فينظم فيها قصيدا، فيجعل هذه الفتاة من فئران المختبرات لأشعاره، وهذا التشبيب غالبا يكون فسقا، قال شريح في روضة الأحكام: إذا شبب بامرأة وذكرها بفحش فهو فاسق وإن ذكرها بطول أو قصر فإن عينها وكانت أمته أو امرأته لم يفسق لأنه سفه يسير وقيل ترد شهادته وإن كانت أجنبية معينة فسق أو مبهمة لم يفسق وقيل: يفسق لأنه سفه.[3]

---

[1] الكامل في اللغة والأدب ج ٢ ص ٢٧٩ ـــ ٢٨٠/ سمط اللآلي ج ١ص ٥٩٢/ الشعر والشعراء لابن قتيبة ج٢ص٥٨١ ـــ ٥٨٣

[2] انظر ص ١٣٩ من هذا الكتاب

[3] الزواجر لابن حجر الهيتمي ج٢ص٢١١

## ٧ـ الفساد الخلقي عند أحد الأقارب: [١]

لا شك أن الزناة والزانيات وأصحاب الفواحش الذين في البلاد الإسلامية لم يهبطوا إليها من السماء ولم يأتوا إليها من غيرها من البلاد الأجنبية بل هم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ولهم أسر وأقارب وأصحاب الفواحش من الذكور والإناث.

فعلى أرباب الأسر اتخاذ تدابير واقية لسلامة أسرهم من هذا الداء والتدابير كثيرة فعلى الأب أولا الالتزام في نفسه حتى يلتزم أهله وبناته فإذا أردت أن تحفظ كريمتك فاحفظ كريمات المسلمين مع مراعاة أن يلتزم الأب التربية الشرعية من التفرقة بين الأبناء في المضاجع ومراقبة سلوكهم وأصدقائهم ودخولهم وخروجهم واتخاذ المسكن الشرعي لهم. فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ. [٢]

أي فرقوا بين أولادكم في مضاجعهم التي ينامون فيها إذا بلغوا عشرا حذرا من غوائل الشهوة إن كن أخوات. قال الطيبي، جمع بين الأمر بالصلاة والفرق بينهم في المضاجع في الطفولية تأديبا لهم ومحافظة لأمر الله كله وتعليما لهم والمعاشرة بين الخلق، وألا يقفوا مواقف التهم فيجتنبوا المحارم. [٣]

وإذا وقعت الفاحشة والعياذ بالله فعلى من علمها نصيحة الأب الذي قد يكون لا علم له بهذا الأمر وزجر البنت وإخافتها وتهديدها حتى تتوب إلى الله عز وجل وترعوي وكذلك زجر الأولاد الذين يزنون بحرم المسلمين وعدم ترك الحبل لهم على

---

[١] هذا السبب ديني وأخلاقي أيضا.

[٢] سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم: ٤١٨/ مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٦٤٠٢

[٣] عون المعبود ج ٢ ص ١١٥

الغارب فمما عرف عند الأسر تساهلها في زنا أولادها وأنهم صبيان وأنهم صغار ولابد للصبي من صبوة كما أن للفرس كبوة وللسيف نبوة.

وليعلم الأقارب المبتلون بهذا الأمر أن هذا الداء يطالهم ويمسهم جميعا فيجب عليهم إماتته وهجره وعدم التعرض له إلا على سبيل إصلاحه وإلا نالهم مكروهه وأصابتهم شظاياه وعواقبه أجمعين ولنبدأ بـ:

**أ ـ زنا البنت**:

قد تبتلى بعض الأسر بزنا بناتها . أعاذنا الله من ذلك ونسأله العافية والستر . فالواجب عليهم عند حدوث ذلك الآتي:

## ـ الستر على البنت إذا وقع منها محذور: ـ

عن طارق ابن شهاب أن رجلا خطب إليه ابنة له وكانت قد أحدثت له فجاء إلى عمر فذكر ذلك له فقال عمر: ما رأيت منها قال ما رأيت إلا خيرا قال فزوجها ولا تخبر . [١]

وعن الشعبي قال جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين إني وأدت ابنة لي في الجاهلية فأدركتها قبل أن تموت فاستخرجتها ثم إنها أدركت فحسن إسلامها وإنها أصابت حدا من حدود الإسلام فلم نفجأها إلا وقد أخذت السكين تذبح نفسها فاستنقذتها وقد خرجت نفسها فداويتها حتى برأ كَلْمُها فأقبلت إقبالا حسنا وإنها خطبت إلي فأذكر ما كان منها فقال عمر ها لئن فعلت لأعاقبنك عقوبة يتحدث بها أهل الأمصار أنكحها نكاح العفيفة المسلمة . [٢]

وعن عروة وعطاء أن رفقة من أهل اليمن نزلوا الحرة ومعهم امرأة وهي ثيب، فتركوها ببعض الحرة [٣] حتى بذلت نفسها، فبلغ عمر خبرها فأرسل إليها فسألها

---

[١] المصنف لعبد الرزاق ج ٦ ص ٢٤٦، حديث رقم: ١٠٦٨٩

[٢] المصنف لعبد الرزاق ج ٦ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧، حديث رقم: ١٠٦٩٠

[٣] الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار.

فقالت: كنت امرأة مسكينة لا يعطف علي أحد بشيء فما وجدت إلا نفسي، فسأل رفقتها فصدقوها فحدها، ثم كساها وحملها وقال: اذهبوا بها ولا تذكروا ما فعلت.[١]

وأما إذا كان الزنا من امرأة متزوجة فعليها أن تتوب إلى الله تعالى وأن تداري زوجها ولا تخبره وأن تستر على نفسها ولا تمكن زوجها من جماعها إن حبلت من الزنا حتى ولادتها وعلى زوجها فراقها إن علم بذلك وعدم القعود معها مع ستره لها.

**ـ عدم التعيير بالذنب والإغلاظ والنكير على الجميع:ـ**

قال علي بن أبي طالب لولده: يا بني إياك والغيرة في غير موضعها فإنها تدعو الصحيحة إلى السقم، ولكن أحكم أمرهن، فإن رأيت ذنبا فاجعل النكير على الكبير والصغير، وإياك أن تعيرهن الذنب فيهون عليهن العيب.[٢]

**الستر على النفس** :

عن مغيرة عن إبراهيم قال جاء رجل إلى عبد الله متحنطا فلما رآه ووجد ريح الحنوط قال اللهم إني أعوذ بك من شره قال فجاءه فذكر له أنه وقع على جارية امرأته فأقم علي الحد قال استغفر الله وتب إليه واستر على نفسك وإن استطعت أن تعتقها فأعتقها .[٣]

**ب ـ تعرض القريب لإحدى نساء الأقارب:**

هذا السبب من أعظم أسباب الخلاف والعداوة بين الأقارب وقد يعرف القريب خيانة قريبه وتعرضه لإحدى محارمه كأمه أو أخته أو زوجته أو خالته أو غيرهن من القريبات اللصيقات اللاتي يهمه أمرهن وقد لا يعرف وعند معرفته قد يواجه قريبه ويفضحه ويفضح معه من تعرض لها ممن يهمه أمرهن وقد يستحي من إخبار الناس بسوء فعل قريبه حتى لا يخدش سمعة قريباته ويسئ إليهن ولكنه لن ينسى فعل قريبه

---

[١] كنز العمال، حديث رقم: ١٣٤٧٨

[٢] تحفة العروس ونزهة النفوس، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم التجاني، تحقيق أبي هاجر ، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م ، ص٣٦٠

[٣] المعجم الكبير، ج ٩ ص ٢٤٣، حديث رقم: ٩١٩١

مهما طال الزمن ولن يقصر في كراهية قريبه الذي انتهك عرضه ولن يفوت فرصة الانتقام منه متى وجدها، ولتعرض الأقارب لقريباتهم نماذج نذكر منها الآتي:

**ـ عمارة بن الوليد بن المغيرة يتعرض لزوجة عمرو بن العاص:**

خرج عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة إلى الحبشة وكانا طرِّيقين فاتكين، وكانت مع عمرو امرأته. فقال لها عمارة، وهما يشربان في السفينة: قبليني. فقال لها عمرو: قبلي ابن عمك. ففعلت. وحذره عمرو. فأرادها عمارة على نفسها، فامتنعت. وفطن عمرو بذلك. ثم إن عمرا جلس على حرف السفينة ليبول. فدفعه عمارة في البحر. وكان يجيد السباحة وأخذ بالقلْس وتخلص، فاضطغنها عليه وكتب إلى أبيه العاص بن وائل: أن اخلعني وتبرأ مني ومن جريرتي على بني المغيرة وبني مخزوم، فقد كان من عمارة كيت وذيت، وهو يرصد له بما يرصد به. ولم يلبث عمارة حين دخل أرض النجاشي، أن دبّ لامرأة النجاشي، فاختلف إليها، ويقال: إنها رأته فعشقته، وكان جميلا فدعته، فجعل يختلف إليها، وكان يحدث عمرا بما يجري بينهما، فكان عمرو يظهر تكذيبه ليمحكه بذلك، فقال له ذات ليلة: إن كنت صادقا، فائتني بدهن من دهن النجاشي الذي لا يدهن به غيره، فإني أعرفه وكان أصفر، فأعطته قارورة منه، وثوبا أصفر من ثيابه. فجاء بذلك إلى عمرو، وكانا ينزلان في دار واحدة، فقال له عمرو: لقد نلت ما لم ينله قرشي قبلك.وأخذ الدهن والثوب إليه. فلما أصبح أتى النجاشي بذلك وحدثه الحديث، فأخذه النجاشي فقطعه آرابا ثم أحرقه. وأخذ امرأته فدفنها وهي حية. وقال عمرو بن العاص:

تعلم عمار إن من شر شيمة ... لمثلك أن يدعا ابن عم له ابنما
إذا كنت ذا بردين أحوى مرجلا ... فلست براء لابن عمك محرما
إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ... ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منها يسيرا وأصبحت ... إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

وليس الفتى وإن أتمت عروقه بذي كرم إلا إذا تكرما[(١)]

**ـ البرج بن مسهر يتعرض لامرأة عمه:**

كان البرج بن مسهر هو وعمه أبو جابر قاعدين يشربان وكانت امرأة أبي جابر جالسة فانتشى البرج فقام إليها ووثب عليها [(٢)] فرآه عمه فاستحيى وكف وقال يا عمي غلبني الشراب قال أو لم أرك حين رأيتني كففت واستحييت ولو كان الشراب غلبك لم تستح اذهب فوالله لا تجمعني وإياك محلة ولا غزوة ولا نجتمع في بلد ولا أكلمك كلمة أبدا فقال البرج:

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خلال كلها لي غائض[(٣)]

فمنهن أن لا تجمع الدهر تلعة بيوتا لنا يا تلع سيلك غامض[(٤)]

ومنهن أن لا أستطيع كلامه ولا وده حتى يزول عوارض[(٥)]

---

(١) كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ١ ص ٢٦٨ ــ ٢٧٠

(٢) انتبه البرج بن مسهر في الليل، وكان شاربا، فسمع أخته الفقاطة تبول، فقال: إني لأسمع شخة لابد من أن أزخها زخة. ثم واثبها فقالت: ويلك أنا أختك. فلم يلبث أن افترعها، فلما أصبح هرب على وجهه، إلى الشام، فأقام هناك وتنصر. ثم إن الحصين بن الحمام المري هجاه، وذكر فعله بأخته فشرب الخمر صرفا حتى مات. وقال حصين بن الحمام: [المحبر لمحمد بن حبيب ص ٤٧١ــ٤٧٢]

لا تحسبن أخا الفقاطة أنني رجل بخبرك لست بالعلام

استنزلوك وقد بللت نطاقها من بنت أمك والرمال دوامي

(٣) جعل شكواه إلى الله عز وجل، ليأسه من معونة المخلوقين فيما يتألم منه ويتضجر به. يقول: أشكو ثلاث خلالٍ من صديقٍ لي أميل إليه، وأخلص الود له، وكل واحدة من تلك الخلال يهزلني وينقص من لحمي، ويكسر من نشاطي. وغائض من غاض الماء إذا نقص وغاضه غيره إذا نقصه والمعنى شكايتي إلى الله من صديق لا أنكر صداقته ثلاث خصال تنغصني وتذهب بنشاطي.

(٤) التلعة الأرض المرتفعة يتردد فيها السيل إلى بطن الوادي .وقوله يا تلع سيلك غامض دعاء على تلك التلعة التي لا تجمع بيته وبيت ابن عمه وهو مرخم تلعة والغامض الخافي والمعنى فمن الخصال أن لا تجتمع بيوتنا بتلعة مدى الدهر فلا سال وادي تلعة لا تجمع بيني وبين أقاربي.

(٥) ومن الخصال أني لا أقدر على وده إن اجتلبته لنفسي لأن الإنسان لا يحمل غيره على مودته وعوارض اسم جبل وقد نفى الود في هذا البيت مع أنه أثبت الود في البيت الأول بقوله من خليل أوده لأنه يريد هنا مقتضى الود وموجبه. والمراد بالبيت:

ومنهن أن لا يجمع الغزو بيننا وفي الـــغزو ما يلقى العدو المباغض[١]
ويترك ذا البأس الشديد كأنه من الذل والبغضاء شهباء ماخض[٢]
فسائل هـــداك الله أي بـــني أب من الناس يسعى سعينا ويقارض[٣]
نقارضك الأموال والود بيننا كـــأن القلوب راضـــها لك رائض[٤]
كفى بالقبور صارما لو رعيته ولكن مـــا أعـــلنت باد وخافض[٥]

---

ومن تلك الخلال ما عرض بيني وبينه من إعراضٍ متصل وهجرٍ دائم، فلا أقدر على مفاوضته فيما يعن من خـــيرٍ وشـــر، ولا أطيق مباثته ما ينتقل فيه من محبوبٍ أو مكروهٍ، ولا أستطيع موادته ومخالصته بحسب الأحوال المتشابكة بيننا، ما ثبت عوارضٌ وهو جبلٌ ودام للدهر متصلٌ.

[١] ما زائدة والمعنى وفي الغزو إنما يلقى فيه العدو المباغض فيحتاج إلى الصديق المخالص وقيل المعنى وفي الغزو يلقـــى العـــدو المباغض فكيف الصديق يقول ومن الخصال التي أشكوها منه أننا لا نجتمع في الغزو وفي الغزو يلقى العدو المباغض المـــصرح بالعداء فكيف بالصديق.

[٢] أخذ يبين مساس الحاجة في الغزو إلى ائتلاف الأوداء، وتعاون الأشداء، فيقول: وإذ كان الغزو يترك المتكبر الذاهب بنفسه مذاهب ذوي الجبرية والعز، وكأنه مما لزمه من الذل والبغض للخلاف والحرب، وتناسي الاعتلاء والقهر، ناقةٌ شهباء أثر وجع الولادة فيها فضعفت وسقطت. وإنما خص الشهباء بالذكر لأنها أنعم الإبل وأرقها، وأقلها صبراً وأضعفها. والمخاض: وجـــع الولادة، ويستعمل في أنواع الحيوان. والطلق لا يكون إلا في النساء.

[٣] أخذ يستعطف الصديق الذي شكاه، ويستميل بقلبه، فقال: سل أرشدك الله للخير وصلة الرحم، وعدل بك عـــن ســـبل الضلال والقطيعة: أي قومٍ من الناس يسعى في منع قوى التشابك من الانبتات، وصون عرى التواصل عن الانفصام، سعينا؛ أو يقارض ذوي القربات، وإخوان الوداد والمصافاة، في حالتي السراء والضراء، مقارضنا؛ ثم توفر علينا بمثل ما يقتضيه الخبرة والمعرفة، وعلى ما يبعث عليه البحث والمساءلة.

[٤] في الكلام إلمامٌ بالعتب، وإظهارٌ للاستجفاء؛ لأنه أخذ يبين تمام ميلهم إليه، وحسن احتمالهم منه، وأنهـــم علـــى جفائـــه لا يمنعونه مالاً، ولا يمذقون له وداً، وكأن قلوبهم جبلت على حبه، وأشربت مودته، فمتى رامت سلوةً أو نبواً أديرت إلى عادته الأولى، وعطفت على محبته القدمى.

[٥] القصد بذكر القبور ما يؤوي إليها ويقال رعيت كذا وراعيته إذا راقبته وقوله باد وخافض يريد أن الذي بدا منك خافض لنا عند الناس وناقص من مترلتنا في الشرف والعز يقول لو انتظرت الموت وصبرت على المجاملة مدة العيش لكان يكفيك عند حصوله ما تعجلته من القطيعة ولكن هذا الذي بدا منك خافض لشرفنا عند القبائل. [شـــرح ديـــوان الحماســـة ج ١ ص ١٨٨ـــ ١٨٩]

أو قد يكون تعرض القريب لقريبته من باب الابتهار [1] إرغاما لأنف قريبه وتحقيرا له وحطا من شأنه وتمريغا لسمعته بين الناس ولأنفه في التراب كما في قصة الربيع بن زياد العبسي مع لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه وكيف صرح الربيع أنه فعل بأم لبيد ولكن لبيد رماه بالذم وأن هذا الأمر غير مستنكر صدوره منه لفجوره ونفى الفعل عن أمه لعفتها وعفة أمهاتها : قال الأصمعي وفد عامر بن مالك ملاعب الأسنة وكان يكنى أبا البراء في رهط من بني جعفر ومعه لبيد بن ربيعة ومالك بن جعفر وعامر بن مالك عم لبيد على النعمان فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي وأمه فاطمة بنت الخرشب وكان الربيع نديما للنعمان مع رجل من تجار الشام يقال له زرجون بن توفيل وكان حريفا للنعمان يبايعه وكان أديبا حسن الحديث والندام فاستخفه النعمان وكان إذا أراد أن يخلو على شرابه بعث إليه وإلى النطاسي متطبب كان له وإلى الربيع بن زياد فخلا بهم فلما قدم الجعفريون كانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فإذا خرجوا من عنده خلا به الربيع فطعن فيهم وذكر معايبهم وكانت بنو جعفر له أعداء فلم يزل بالنعمان حتى صده عنهم فدخلوا عليه يوما فرأوا منه جفاء وقد كان يكرمهم ويقربهم فخرجوا غضابا ولبيد متخلف في رحالهم يحفظ متاعهم ويغدو بإبلهم كل صباح يرعاها فأتاهم ذات ليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع فسألهم عنه فكتموه فقال والله لا حفظت لكم متاعا ولا سرحت لكم بعيرا أو تخبروني فيم أنتم وكانت أم لبيد يتيمة في حجر الربيع فقالوا خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه فقال لبيد هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأزجره عنكم بقول ممض لا يلتفت إليه النعمان أبدا فقالوا وهل عندك شيء قال نعم.قالوا فإنا نبلوك. قال وما ذاك قالوا تشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قلية الورق لاصقة بالأرض تدعى

---

[1] الابتهار بالذنب : هو أن يقول الرجل زنيت ، ولم يزن ، وقتلت ولم يقتل ، يبجّح بذلك ويفخر. يقول: فذلك أشد على الرجل من ركوبه: لأنه لم يدعه إلى نفسه، إلا وهو لو قدر لفعل، فهو كفاعله بالنية، وزاد على ذلك بهتكه ستر نفسه، وقحته وقلة مبالاته. يقال: ابتهر الشاعر الجارية ، إذا ذكر في شعره أنه فجر بها ولم يفعل. [غريب الحديث لابن قتيبة ج٢ص٣٣٩ ]

التربة فقال هذه التربة التي لا تذكي نارا ولا تؤهل دارا ولا تسر جارا عودها ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل أقبح البقول مرعى وأقصرها فرعا وأشدها قلعا بلدها شاسع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع فالقوا بي أخا عبس أرده عنكم بتعس وأتركه من أمره في لبس. قالوا: نصبح ونرى فيك رأينا. فقال عامر انظروا إلى غلامكم هذا يعني لبيدا فإن رأيتموه نائما فليس أمره بشيء إنما هو يتكلم بما جاء على لسانه وإن رأيتموه ساهرا فهو صاحبه فرمقوه فوجدوه وقد ركب رحلا وهو يكدم وسطه حتى أصبح فقالوا: أنت والله صاحبه. فعمدوا إليه فحلقوا رأسه وتركوا ذؤابته وألبسوه حلة ثم غدا معهم وأدخلوه على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع بن زياد وهما يأكلان لا ثالث لهما والدار والمجالس مملوءة من الوفود فلما فرغ من الغداء أذن للجعفريين فدخلوا عليه وقد كان أمرهم تقارب فذكروا الذي قدموا له من حاجتهم فاعترض الربيع بن زياد في كلامهم فقال لبيد في ذلك:

أكل يوم هامتي مقزعة  يا رب هيجا هي خير من دعه

نحن بني أم البنين الأربعة[1]  سيوف حز وجفان مترعة

نحن خيار عامر بن صعصعة  الضاربون الهام تحت الخيضعة

والمطعمون الجفنة المدعدعة[2]  مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

إن استه من برص ملمعة  وإنه يدخل فيها إصبعه

يدخلها حتى يواري أشجعه  كأنه يطلب شيئا ضيعه

فرفع النعمان يده من الطعام وقال خبثت والله علي طعامي يا غلام وما رأيت كاليوم فأقبل الربيع على النعمان فقال كذب والله ابن الفاعلة ولقد فعلت بأمه كذا وكذا فقال له لبيد مثلك فعل ذلك بربيبة أهله والقريبة من أهله وإن أمي من نساء

---

[1] أم البنين: ابنة عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ولدت لمالك بن جعفر عامرا ملاعب الأسنة، وطفيلا فارس قرزل، وربيعة المقترين ــ وربيعة: أبو لبيد ــ ومعاوية معود الحكماء، وعبيدة الوضاح، وهو صَدَق بر. فلم يمكنه للقافية أن يجعلهم خمسة فجعلهم أربعة، ونصب بني أم البنين على المدح لنحن.

[2] المدعدعة: المملوءة

لم يكن فواعل ما ذكرت[١] وقضى النعمان حوائج الجعفريين ومضى من وقته وصرفهم ومضى الربيع بن زياد إلى منزله من وقته فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه وأمره بالانصراف إلى أهله فكتب إليه الربيع إني قد عرفت أنه قد وقع في صدرك ما قال لبيد وإني لست بارحا حتى تبعث إلي من يجردني فيعلم من حضرك من الناس أني لست كما قال لبيد فأرسل إليه إنك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيئا ولا قادرا على رد ما زلت به الألسن فالحق بأهلك فلحق بأهله[٢].

وكان الأقدمون ينأون عن مثل هذه التصرفات ويربأون بأنفسهم عنها بل كان أحدهم يفتخر بحفظ جاراته وقريباته قال النمر بن تولب رضي الله عنه:

وَلا أَخونُ ابنَ عَمّي في حَليلَتِهِ ... وَلا البَعيدُ نَوىً عَنّى وَلا جاري

حَتّى يُقالَ إِذا وُرّيتُ في جَدَثي ... لَقَد مَضى نَمِرٌ عارٍ مِنَ العارِ

وقال طفيل الغنوي :

وَلا أُخالِفُ جاري في حَليلَتِهِ ... وَلا ابنُ عَمِّيَ غالَتني إِذاً غولُ

وكان من يريد أن يسقط مكانة أحد أمام الآخرين يرميه بتهمة التعرض لجاراته أو كناته كما فعل جرير مع الفرزدق وقد أخرج من المدينة بسبب ذلك يقول جرير :

لَقَدْ ولَدَتْ أُمُّ الفَرَزْدَقِ فاجِراً ... فجاءَت بوزْوَازٍ قَصيرِ القَوَائِم

وما كان جارٌ للفَرَزْدَقَ مُسْلمٌ ... لِيَأْمَنَ قِرْداً لَيْلُهُ غَيْرُ نائمِ[٣]

يُوَصِّلُ حَبْلَيْه إذا جَنَّ لَيْلُهُ ... لِيَرْقَى إلى جاراته بالسَّلالِمِ

أَتَيْتَ حُدُودَ الله مُذْ أنتَ يافعٌ ... وشبْتَ فما يَنْهاكَ شَيْبُ اللَّهازِمِ

---

[١] فلما فرغ ـــ لبيد ـــ من إنشاده التفت النعمان إلى الربيع شزرا يرمقه فقال أكذا أنت قال لا والله لقد كذب علي ابن الحمق اللئيم فقال النعمان أف لهذا الغلام لقد خبث علي طعامي فقال أبيت اللعن أما إني لقد فعلت بأمه فقال لبيد أنت لهذا الكلام أهل وهي من نساء غير فعل وأنت المرء فعل هذا بيتيمة في حجره.

[٢] الأغاني ج ١٥ ص ٣٥٢ ـــ ٣٥٤ ، وكذلك ، ج ١٧ ص ١٨٧ ـــ ١٩٠

[٣] قيل : أزنى من قرد لأن القرد أزنى الحيوان. [انظر : مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٤٥٨/ العنوسة أسبابها ـــ آثارها ـــ علاجها] ص ١١٦

تَتَبَّعُ فــي الماخُــورِ كــلَّ مُرِيبَةٍ ولَسْتَ بأَهْلِ المُحْصَنَات الكَرَائم
هو الرِّجْسُ يا أَهْلَ المَدينةَ فاحْذَرُوا مَــدَاخلَ رِجْسٍ بالخَبيثات عالم
لَقَدْ كان إخْــراجُ الفَرَزْدَقِ عَنْكُمُ طَــهُوراً لما بَيْنَ المُصَلَّى ووَاقمِ

وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حين بلغه فجور الفرزدق نفاه عن المدينة.[1]

**ج ـ اغتصاب أحد الأقارب إحدى القريبات أو زناه بها:**

هناك بعض الأقارب من لا هم له إلا إشباع رغبته ونزوته البهيمية فيدفعه ذلك إلى إشباعها وفعل كل شيء يملكه وبذله فيفعل ما يشاء من منكرات فيقارف الزنا أو الاغتصاب مع قريبته أو محرمه.

وإذا وقع هذا الشذوذ[2] فعلى الذين ابتلوا به أن يستروه عن غيرهم من بني جلدتهم من الجيران والآخرين الذين لا علم لهم به. كما أن من الحلول تزويج القريب من قريبته التي زنا بها بعد استبرائها والتأكد من عدم علوقها منه أو بعد ولادتها إن كانت حاملا وعدم لحوق الولد به لأنه ابن سفاح، وعلى الواقعين في هذا الأمر التوبة والنزوع وذلك لما جاء عن بكير بن الأخنس عن أبي قال قرأت من الليل حم عسق فمررت بهذه الآية ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ۝٢٥ ﴾[3] فغدوت إلى عبد الله أسأله عنها فأتاه رجل فسأله عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها فقرأ عبد الله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[4]

---

[1] الشعر والشعراء ج ١ ص ١٠٤/ الحلل في شرح أبيات الجمل ج ١ ص ٤٢/ خزانة الأدب ج ٢ ص ٣٨٢

[2] هذا الأمر نادر الحدوث ولذا قيل: عذرتني كل ذات أب. وهذا القول قالته امرأة وطئها أبوها، أي كل امرأة لها أب تعلم أن هذا كذب. [مجمع الأمثال ج ١ ص ٦٦١]

[3] سورة الشورى آية ٢٥

[4] مصنف ابن أبي شيبة ج ٣ ص ٥٢٧ــ ٥٢٨، في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها من رخص فيه، حديث رقم: ١٦٧٨١/ سنن البيهقي ج ٧ ص ١٥٥ــ١٥٦، حديث رقم: ١٣٦٦٤

وفي تزويج البنت بمن فجر بها هدي من هدي الصحابة الكرام رضوان الله عليهم نجتزئ منه [1] بالآتي:

. عن نافع عن ابن عمر قال: بينما أبو بكر رضي الله عنه في المسجد جاءه رجل فلاث عليه بلوث من كلام وهو دهش فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنه قم إليه فانظر في شأنه فإن له شأنا فقام إليه عمر رضي الله عنه قال إنه ضافه ضيف فوقع بابنته فصك عمر رضي الله عنه في صدره وقال قبحك الله ألا سترت على ابنتك قال فأمر بهما أبو بكر رضي الله عنه فضربا الحد ثم تزوج أحدهما من الآخر وأمر بهما فغربا عاما أو حولا. [2]

. عن عبد الله بن أبي يزيد عن أبيه أن سباع بن ثابت تزوج ابنة رياح بن وهب وله ابن من غيرها ولها ابنة من غيره ففجر الغلام بالجارية فظهر بالجارية حمل فرفعا إلى عمر بن الخطاب فاعترفا فجلدهما وحرض أن يجمع بينهما فأبى الغلام.[3]

. عن نافع قال كانت جارية لابن عمر وكان له غلام يدخل عليها فسبه فرآها ابن عمر يوما فقال أحامل أنت قالت نعم قال ممن قالت من فلان قال الذي سببته قالت نعم فسأله ابن عمر فجحد وكانت له إصبع زائدة فقال له ابن عمر أرأيت إن جاءت به ذا زائدة قال هو إذا مني قال فولدت غلاما له إصبع زائدة قال فضربهما ابن عمر الحد وزوجها إياه وأعتق الغلام الذي ولدت.[4]

ـ استعدى إلى جلال الدين أبي الفتح ملكشاه مرة تركماني أن رجلا افتض بكارة ابنته وهو يريد أن يمكنه من قتله فقال له يا هذا إن ابنتك لو شاءت ما مكنته من

---

[1] اجْتَزَأْتُ بكذا وكذا، وتَجَزَّأْتُ به: بمعَنى اكْتَفَيْت، والاسم الجُزْء.[لسان العرب، مادة :جزأ ]

[2] سنن البيهقي ج ٨ ص ٢٢٢

[3] مصنف ابن أبي شيبة ج ٣ ص ٥٢٧ ــ ٥٢٨، في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها من رخص فيه، حديث رقم: ١٦٧٧٨ / سنن البيهقي ج ٧ ص ١٥٥ ــ ١٥٦، حديث رقم: ١٣٦٥٣/ مصنف عبد الرزاق ج ٧ ص ٢٠٩، حديث رقم: ١٢٧٩٣/ كنز العمال، حديث رقم: ١٣٤٦٤

[4] مصنف عبد الرزاق ج ٧ ص ٢٠٩، حديث رقم: ١٢٧٩٧

نفسها فإن كنت لابد فاعلا فاقتلها معه فسكت الرجل فقال له الملك أو تفعل خيرا من ذلك قال وما هو قال فإن بكارتها قد ذهبت فزوجها من ذلك الرجل وأنا أمهرها من بيت المال كفايتهما ففعل.[١]

## د ـ اللواط بأحد الأقارب:

هنالك من الذئاب البشرية من يفرغون شهوتهم ويقضون نزوتهم في أطفال أبرياء وهذا الأمر مع قذارته ومما يسببه من غثيان نلاحظ فيه عدم التناسب والانسجام [٢]بين الفاعل والمفعول في الحجم والتفاعل ومما يزيد الأمر سوء أن يكون هذا الفاعل من أقرباء المفعول به ومن جيرانه أو أن يكون القريب يتيما في حجر أقاربه أو جالسا معهم للدراسة أو إلى غير ذلك من الأسباب فيستغل هذا الذئب هذه الظروف مجتمعة ويغري هذا القريب بحلوى أو نقود أو غيره ويفترسه أخزاه الله الذي لا يغالبه أحد.

فإذا علم ولي أمر الولد المفعول به هذا الأمر أرغى وأزبد وتوعد وحاول قتل قريبه وإن عفا عن ذلك حبا في الستر وقبولا للشفاعات فلا شك أن بذور الكراهية قد غرست في صدره لقريبه هذا ولأسرته.

وهذا الأمر ليس بمنأى ولا مَبْعَد عنا فالمتفحص في المجتمع القريب منه يجد بقليل من التتبع والنظر أمثلة لهذا الشذوذ ولنأخذ بلدا من بلادنا العربية أنموذجا لهذا الأمر ويمكننا قياس بقية الدول العربية عليه وذلك للتشابه الكبير بينها فقضية التحرش الجنسي والاعتداءات الجنسية في محيط الأسرة الواحدة؛ تجمع كافة الإحصائيات في هذا الجانب على أن أغلب حالات الاعتداء أو التحرش الجنسي تتم من قبل أحد أفراد الأسرة. الأرقام تتحدث! ١٢٠٠ طفل أردني تعرضوا لـ"الاعتداء الجنسي والجسدي" منذ عام ١٩٩٨ وحتى عام ٢٠٠١ ربما يكون هذا الرقم كبيرا ومخيفا مقارنة

---

[١] البداية والنهاية، ج ١٢ ص ١٤٢

[٢] قال الوليد بن عبد الملك: لولا أن الله ذكر اللواط في كتابه ما ظننت أن أحدا يفعله.[دول الإسلام للذهبي ص٥٦ ]

بعدد سكان الأردن القليل (٥ ملايين نسمة). لكن هذه الإحصاءات تشير إلى ظاهرة اجتماعية أخلاقية سلبية آخذة بالتزايد في مجتمع ما زال يوصف بأنه "محافظ. والأرقام التي كشفتها إحصائية أردنية رسمية صادرة عام ٢٠٠٢ عن وحدة حماية الأسرة التابعة لوزارة الداخلية تتحدث عن أن ٤٤٪ من ضحايا الاغتصاب قاصرون. وعن أكثر من ٢٠٠٠ قضية تم التعامل معها؛ حيث بلغت عام ٢٠٠١ حوالي ٤٦٥ قضية، وعام ٢٠٠٠ حوالي ٦٣١ قضية وحالة، وعام ١٩٩٩ حوالي ٥٣١ حالة، وعام ١٩٩٨ حوالي ٢٩٥ أما الجناة فبلغ مجموعهم ١٧٤٠ جانيا، ٧٦٪ منهم بالغون، و٢٤٪ منهم أطفال "قاصرون ."الفئة العمرية دون ١٨ سنة هي أكثر الفئات العمرية تعرضا للإساءة، سواء كانت هذه الإساءة جنسية أو جسدية، وكان غالبية الجناة في الاعتداءات من الذكور، خصوصا الجنسية منها، وكان التحصيل العلمي عند غالبية الجناة والمجني عليهم دون المتوسط. والجزء الأكبر من الجناة من فئة العاطلين عن العمل، ثم من فئة ذوي الدخل المحدود، بينما كان غالبية المجني عليهم من فئة الطلاب ثم من فئة بلا عمل. وقد لوحظ ازدياد حجم هذه القضايا في المناطق الشعبية بشكل ملحوظ عنها في المناطق المتوسطة والمناطق الغنية، وكان أغلب الجناة والمجني عليهم في الاعتداءات الجنسية من فئة العازبين. وتميزت أسر الجناة والمجني عليهم بكبر عدد أفرادها؛ إذ بلغ متوسط عدد أعضاء هذه الأسر ٧ أفراد يذكر أن أعداد المجني عليهم الكلي خلال السنوات ١٩٩٨ و١٩٩٩ و٢٠٠٠ قد بلغت ١٤٨٠ شخصا؛ حيث مثلت نسبة عدد الأطفال من العدد الكلي ٨١٪ وبلغ مجموع من تعرضوا للاغتصاب ١٣٥ شخصا، ٤٤٪ منهم من الأطفال، وجريمة الشروع بالاغتصاب طالت ٥٠ شخصا، ٥٠٪ منهم من الأطفال، وهتك العرض ٩٢١ شخصا، ٨٨٪ منهم من الأطفال، وإيذاء أطفال جسديا ٢٣٦ طفلا أما عدد الجناة لذات الفترة فقد بلغ العدد الكلي للجناة ١٧٤٠ شخصا مثّل عدد الأطفال من هذا العدد نسبة ٢٤٪، وقد بلغ عدد الجناة في جريمة الاغتصاب ١٧٨ شخصا، ٣٪ منهم من الأطفال، والشروع بالاغتصاب ٦٥ شخصا، ٣٪ منهم من الأطفال، وهتك العرض ١١٥٩ شخصا،

منهم ٣٢٪ من الأطفال، ومواقعة أنثى ٤٢ شخصا، منهم ٤٪ من الأطفال، والتشرد مثّل عدد الأطفال نسبة ١٠٠٪، منهم حيث بلغ عددهم ٤ أطفال [1].

## ٨ـ الاحتجاج بيمين خرجت من القريب أن لا يكلم قريبه وألا ينفعه بشيء:

قد ينشب خلاف بين قريبين ينتج عنه قسم أحدهما ألا يصل قريبه ولا ينفعه بشيء أبدا ويظن أن الأولى به والأجدر أن يبر يمينه وألا يحنث فيها وأن يجفو قريبه وألا يصله وهذا الأمر خلاف الحقيقة بل عليه أن يحنث في يمينه وأن يكفر عنها[2] فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾[3] يقول: لا تقسموا ألّا تنفعوا أحدا [4].

وعند حدوث قصة الإفك دخل فيها أحد أقارب أبي بكر الصديق وكان يتيما ربي في حجره فخاض في الإفك فقَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ: وَاللّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئاً أَبَداً. بَعْدَ الّذِي قَال لِعَائِشَةَ. فَأَنْزَلَ اللّهُ الآية: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [5] قَالَ حِبّانُ بْنُ مُوسَىَ: قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَىَ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللّهِ.فقالَ

---

[1] http://diwanalarab.com [الأردن: ارتفاع نسبة التحرش بالأطفال عند الأقارب]

[2] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه).[صحيح مسلم، كتاب: الأيمان، باب نذر من حلف يمينا، فرأى غيرها خيرا منها، أن يأتي الذي هو خير، ويكفر عن يمينه، حديث رقم: ١٦٥٠]

[3] سورة النور آية ٢٢

[4] تفسير الطبري ج ١٨ ص ١٠٢

[5] سورة النور آية: ٢٢

أَبُو بَكْرٍ: وَاللّهِ إِنّي لأُحِبّ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لِي. فَرَجَعَ إِلَىَ مِسْطَحٍ النّفَقَةَ الّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ. وَقَالَ: لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَداً [١].

قال المباركفوري : ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ ﴾ أي لا يحلف من الألية وهي القسم ﴿ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ ﴾ أي في الدين وهو أبو بكر ﴿ وَٱلسَّعَةِ ﴾ يعني في المال ﴿ أَن يُؤۡتُوٓاْ ﴾ ألا يؤتوا ﴿ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ صفات لموصوف واحد وهو مسطح لأنه كان مسكيناً مهاجراً بدرياً ﴿ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ ﴾ أي عن خوض مسطح في أمر عائشة ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ ﴾ خطاب لأبي بكر ﴿ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ على عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ فتخلقوا بأخلاقه تعالى (قال أبو بكر) أي لما قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية (وعاد) أي أبو بكر (له) أي لمسطح (لما كان يصنع) أي إلى مسطح من الإنفاق عليه.[٢]

قال البخاري: وَقَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾ ﴾[٣]

قال ابن حجر: قال ابن التين وغيره: اختلف في معناه فعن زيد بن أسلم: لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بررة، وفائدة ذلك إثبات الهيبة في القلوب، ويشير إليه قوله ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾[٤] وعن سعيد بن جبير: هو أن يحلف أن لا يصل

---

[١] صحيح مسلم،كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، (طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) ج ٤ ص ٢١٣٦

[٢] تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ج ٩ ص ٢٧

[٣] سورة البقرة آية ٢٢٥

[٤] سورة القلم آية ١٠

رحمه مثلا فيقال له صل، فيقول قد حلفت وعلى هذا فمعنى قوله أن تبروا كراهة أن تبروا فينبغي أن يأتي الذي هو خير ويكفر. (١)

والشواهد لقسم أحد الأقارب على عدم كلام قريبه كثيرة منها ما حدث بين أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وبين ابن أختها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه فعَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي عَوْفُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ هُوَ ابْنُ الْحَارِثِ وَهُوَ ابْنُ أَخِي عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمِّهَا أَنَّ عَائِشَةَ حُدِّثَتْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا فَقَالَتْ أَهُوَ قَالَ هَذَا قَالُوا نَعَمْ قَالَتْ هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لَا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَداً فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِينَ طَالَتْ الْهِجْرَةُ (٢) فَقَالَتْ لَا وَاللَّهِ لَا أُشَفِّعُ فِيهِ أَبَداً وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي (٣) فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ وَقَالَ لَهُمَا أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا (٤) أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي (٥) فَأَقْبَلَ بِهِ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ (٦) بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَا السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ أَنَدْخُلُ (٧) قَالَتْ عَائِشَةُ ادْخُلُوا قَالُوا كُلُّنَا قَالَتْ نَعَمْ ادْخُلُوا كُلُّكُمْ وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ (٨)

---

(١) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ج ١١ ص ٥٥٩

(٢) (طالت الهجرة) استمرت المقاطعة.

(٣) (أتحنث إلى نذري) أخالف نذري وأحنث به.

(٤) (لا يحل لها) لأنه كان ابن أختها، وكانت تتولى تربيته غالباً.

(٥) (قطيعتي) تركي وهجري.

(٦) (مشتملين) اشتمل بثوبه أداره على جسده.

(٧) (أندخل) أي الحجرة.

(٨) (الحجاب) الستر الذي كانت تجلس خلفه إذا دخل عليها غير محارمها.

فَــاعْتَنَقَ عَــائِشَةَ وَطَفِقَ [١] يُنَاشِدُهَا [٢] وَيَبْكِي وَطَفِقَ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ وَيَقُولَانِ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنْ الْهِجْرَةِ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنْ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ [٣] طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا نَذْرَهَا وَتَبْكِي وَتَقُولُ إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَّمَتْ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً [٤] وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي [٥] حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا [٦].

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هجر المسلم لأخيه وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: لَا يَحِلُّ لِمسلمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ [٧] يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا [٨] وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ [٩] بِالسَّلَامِ [١٠].

---

[١] (طفق) شرع وأخذ.

[٢] (يناشدها) يطلب منها ويسألها العفو والكف عن مقاطعته.

[٣] (التحريج) التضييق.

[٤] (رقبة) عبداً مملوكاً أو أمة.

[٥] (فتبكي) أسفاً على تسرعها بالنذر الذي احتاجت لعدم البر به. (خمارها) غطاءها

[٦] صحيح البخاري، كِتَاب الْأَدَبِ باب الْهِجْرَةِ ، حديث رقم : ٥٧٢٥

[٧] قال النووي: قالوا: وإنما عفي عنها في الثلاث لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك، فعفي عن الهجرة في الثلاثة ليذهب ذلك العارض، وقيل إن الحديث لا يقتضي إباحة الهجرة في الثلاثة وهذا على مذهب من يقول لا يحتج بالمفهوم ودليل الخطاب.

[٨] قوله صلى الله عليه وسلم: "يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا" وفي رواية: "فيصد هذا ويصد هذا" هو بضم الصاد ومعنى يصد يعرض أي يوليه عرضه بضم العين وهو جانبه والصد بضم الصاد وهو أيضاً الجانب والناحية.

[٩] قوله صلى الله عليه وسلم: "وخيرهما الذي يبدأ بالسلام" أي هو أفضلهما وفيه دليل لمذهب الشافعي ومالك ومن وافقهما أن السلام يقطع الهجرة ويرفع الإثم فيها ويزيله. وقال أحمد وابن القاسم والمالكي: إن كان يؤذيه لم يقطع السلام هجرته، قال أصحابنا: ولو كاتبه أو راسله عند غيبته عنه هل يزول إثم الهجرة؟ وفيه وجهان: أحدهما لا يزول لأنه لم يكلمه وأصحهما يزول لزوال الوحشة (شرح النووي، (دار التراث العربي بيروت ١٣٩٨هـ)، ج ١٦ ص ١١٨)

[١٠] صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب: السلام للمعرفة وغير المعرفة، حديث رقم: ٥٨٨٣ / صحيح مسلم كتابات في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي، رقم: ٢٥٦٠ (من حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ)

قال ابن حجر: قال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه لا يجوز الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يفسد عليه دينه أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مضرة، فإن كان كذلك جاز، ورب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية.

وقد استشكل على هذا ما صدر من عائشة في حق ابن الزبير قال ابن التين: إنما ينعقد النذر إذا كان في طاعة كلله علي أن أعتق أو أن أصلي، وأما إذا كان في حرام أو مكروه أو مباح فلا نذر، وترك الكلام يفضي إلى التهاجر وهو حرام أو مكروه.

وقد ذكر الخطابي أن هجر الوالد ولده والزوج زوجته ونحو ذلك لا يتضيق بالثلاث، واستدل بأنه صلى الله عليه وسلم هجر نساءه شهرا، وكذلك ما صدر من كثير من السلف في استجازتهم ترك مكالمة بعضهم بعضا مع علمهم بالنهي عن المهاجرة.

ولا يخفى أن هنا مقامين أعلى وأدنى، فالأعلى اجتناب الإعراض جملة فيبذل السلام والكلام والموادة بكل طريق، والأدنى الاقتصار على السلام دون غيره، والوعيد الشديد إنما هو لمن يترك المقام الأدنى، وأما الأعلى فمن تركه من الأجانب فلا يلحقه اللوم، بخلاف الأقارب فإنه يدخل فيه قطيعة الرحم، وإلى هذا أشار ابن الزبير في قوله " فإنه لا يحل لها قطيعتي " أي إن كانت هجرتي عقوبة على ذنبي فليكن لذلك أمد، وإلا فتأييد ذلك يفضي إلى قطيعة الرحم، وقد كانت عائشة علمت بذلك لكنها تعارض عندها هذا والنذر الذي التزمته، فلما وقع من اعتذار ابن الزبير واستشفاعه ما وقع رجح عندها ترك الإعراض عنه، واحتاجت إلى التكفير عن نذرها بالعتق الذي تقدم ذكره، ثم كانت بعد ذلك يعرض عندها شك في أن التكفير المذكور لا يكفيها فتظهر الأسف على ذلك إما ندما على ما صدر منها من أصل النذر المذكور وإما خوفا من عاقبة ترك الوفاء به[١].

---

[١] فتح الباري ج ١٠ ص ٤٩٥ ــ ٤٩٧

# الفصل الثاني

## أسباب سياسية

١. العصر الجاهلي

٢. العصر الأموي

٣. العصر العباسي

# الفصل الثاني

## أسباب سياسية

هذا السبب في الحقيقة قليل الحدوث وهو تاريخي أكثر من كونه واقعيا لأنه ليس كل الأسر والأقارب ساسة بل غالبها من السوقة ولا علاقة لها بالسياسة[١] وأمور الحكم وإنما مشاركتها في السياسة تكون في اختيار الحاكم إذا سمحت لها أنظمتها بذلك فهي تشارك في انتخاب من تريد ويمكن أن يحدث الخلاف في اختيار المنتخب وفي إدلاء الصوت والذي يكون بين الأقارب هو في الحقيقة المنافسة على كسب المحامد والشرف، قال أبو جهل: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبدا ولا نصدقه.[٢]

قال عبد الملك بن مروان في الخلافات التي حدثت بينه وبين عمرو بن سعيد الأشدق: يا أبا أمية لو أعلم أنك تبقى وتصلح قرابتي لفديتك ولو بدم النواظر ولكن قلما اجتمع فحلان في إبل إلا أخرج أحدهما صاحبه.[٣]

ولذا قيل: للملوك بدوات وقيل أيضا : المُلْك عقيم.[٤] يعني إذا تنازع قوم فيه انقطعت بينهم الأرحام فلم يبق فيه والد على ولد، فصار كأنه عقيم[٥] لا يولد

---

[١] ساس الأمر يسوسه سياسة دبره وقام بأمره (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م ج١ ص١٤٢)

[٢] انظر البداية والنهاية لابن كثير مجلد ٢ ج ٣ ص ٦٢

[٣] تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٦١ـ٨٠ ، ص٢٠٥

[٤] الملك عقيمٌ: يراد أن الملك لو نازعه ولده ملكه لم يلبث أن يهلكه، فيصير كأنه عقيم لم يولد له.

[٥] يقال: عقمت المرأة، فهي معقومة، وعقيم، إذا لم يولد لها، والعرب تسمي الشمال عقيماً، لأنه لا خير فيها عندهم، والخير عندهم في الجنوب، لأنها تأتي بالسحاب، والشمال تجيء بالأعاصير.[كتاب جمهرة الأمثال، لأبي

له.[١] وقد صنف محمد بن حبيب كتابا أسماه: من قتل حميمه من الملوك ذكر فيه عددا من الملوك قتلوا أقاربهم بسبب الملك [٢] ولنمثل بثلاثة أمثلة: مثال من العصر الجاهلي وآخر من العصر الأموي وثالث من العصر العباسي:

## ١ ـ العصر الجاهلي:

قتل سلمة بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي أخاه شرحبيل بن الحارث، وكان الحارث ملَّك ولده سلمة على حنظلة وتغلب، وشرحبيل على الرباب وبكر بن وائل ، وحجرا على كنانة وأسد ابني خزيمة، ومعد يكرب على قيس عيلان. فوثبت بنو أسد فقتلوا حجرا ، وسعى المفسدون بين سلمة وشرحبيل حتى احتربا ، فقتل سلمة شرحبيل.ونصحه أحد وزرائه وهو ذو رعين بقوله :

ألاَ مَنْ يَشْتَري سَهَراً بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَــنْ يبيتُ قَرِيرَ عَيْنِ
فإمَّا حِمْيَر غَدَرَتْ وخانت فَمــَعْذِرَةُ الإله لِذِي رُعَيْنَ

قالوا: إن أول من قال ذلك ذو رُعَيْن الْحِمْيَري، وذلك أن حِمْيَر تفرقت على ملكها حسان، وخالفت أمره لسوء سيرته فيهم، ومالوا إلى أخيه عمرو، وحملوه على قتل أخيه حسان وأشاروا عليه بذلك ورغبوه في الملك، ووعدوه حسن الطاعة والموازرة، فنهاه ذو رعين من بين حمير عن قتل أخيه، وعلم أنه إن قتل أخاه ندم ونفر عنه النوم وانتقض عليه أمره، وأنه سيعاقب الذي أشار عليه بذلك، ويعرف غشهم له، فلما رأى ذو رعين أنه لا يقبل ذلك منه وخشي العواقب قال هذين البيتين وكتبهما في صحيفة وختم عليها بخاتم عمرو، وقال: هذه وديعة لي عندك إلى أن أطلبها منك، فأخذها عمرو فدفعها إلى خازنه وأمره برفعها إلى الخزانة والاحتفاظ بها إلى أن يسأل عنه، فلما قتل أخاه

---

هلال العسكري، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش ، ج ١ص ١٨٩]

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٣٥٣، مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٤٦

(٢) انظر : من قتل حميمه من الملوك من مجموعة نوادر المخطوطات

وجلس مكانه في الملك منع منه النوم، وسلط عليه السهر، فلما اشتد ذلك عليه لم يدع باليمن طبيبا ولا كاهنا ولا منجما ولا عرافا ولا عائفا إلا جمعهم، ثم أخبرهم بقصته، وشكا إليهم ما به، فقالوا له: ما قتل رجل أخاه أو ذا رحم منه على نحو ما قتلت أخاك إلا أصابه السهر ومنع منه النوم فلما قالوا له ذلك أقبل على من كان أشار عليه بقتل أخيه وساعده عليه من أقيال حمير فقتلهم حتى أفناهم، فلما وصل إلى ذي رعين قال له: أيها الملك إن لي عندك براءة مما تريد أن تصنع بي، قال: وما براءتك وأمانتك؟ قال: مر خازنك أن يخرج الصحيفة التي استودعتكها يوم كذا وكذا، فأمر خازنه فأخرجها فنظر إلى خاتمه عليها ثم فضها فإذا فيها:

ألاَ مَنْ يَشْتَرِي سَهَراً بِنَوْمٍ إلى آخر الأبيات

ثم قال له: أيها الملك قد نهيتك عن قتل أخيك، وعلمت أنك إن فعلت ذلك أصابك الذي قد أصابك، فكتبت هذين البيتين براءة لي عندك مما علمت أنك تصنع بمن أشار عليك بقتل أخيك، فقبل ذلك منه، وعفا عنه، وأحسن جائزته.[1]

## ٢ ـ العصر الأموي:

قتل عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاصي بن أبي أمية عمرو بن سعيد بن العاصي المعروف بالأشدق[2] وأمه أم البنين بنت الحكم بن العاصي بن أبي أمية. وكان قد نازع عبد الملك وحاربه حتى جرت بينهما السفراء على أن يجعل عمرو مع كل عامل لعبد الملك عاملا له ، ففعل ، فلم يزل عبد الملك يلطف له حتى قتله.[3]

---

[1] البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦٧ / مجمع الأمثال ج ١ / من قتل حميمه من الملوك من مجموعة نوادر المخطوطات ج٢ص٢٢١

[2] الأَشْدَق: العريض الشِّدْق الواسعُه المائلُه، أَيَّ ذلك كان، ورجل أَشْدَق إذا كان مُتَفَوِّهاً ذا بيانٍ، ومنه قيل لعمرو بن سعيد الأَشْدَق لأَنه كان أَحدَ خُطباء العرب.[لسان العرب، مادة: شدق]

[3] من قتل حميمه من الملوك (أسماء المغتالين من مجموعة نوادر المخطوطات ج٢ص٢٢٢)

وإليك تفاصيل القصة كما ذكرها الحافظ ابن كثير الذي قال: ثم دخلت سنة تسع وستين.ففيها كان مقتل عمرو بن سعيد الأشدق الأموي؟ قتله عبد الملك بن مروان وكان سبب ذلك أن عبد الملك ركب في أول هذه السنة في جنوده قاصدا قرقيسيا ليحاصر زفر بن الحارث الكلابي الذي أعان سليمان بن صرد على جيش مروان حين قاتلوهم بعين وردة ومن عزمه إذا فرغ من ذلك أن يقصد مصعب بن الزبير بعد ذلك فلما سار إليها استخلف على دمشق عمرو بن سعيد الأشدق فتحصن بها وأخذ أموال بيت المال وقيل: بل كان مع عبد الملك ولكنه انخذل عنه في طائفة من الجيش وكر راجعا إلى دمشق في الليل ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي فانتهوا إلى دمشق وعليها عبد الرحمن بن أم الحكم نائبا من جهة عبد الملك فلما أحس بهم هرب وترك البلد فدخلها عمرو بن سعيد الأشدق فاستحوذ على ما فيها من الخزائن وخطب بالناس فوعدهم العدل والنصف والعطاء الجزيل والثناء الجميل ولما علم عبد الملك بما فعله الأشدق كر راجعا من فوره فوجد الأشدق قد حصن دمشق وعلق عليها الستائر والمسوح وانحاز الأشدق إلى حصن رومي منيع كان بدمشق فنزله فحاصره عبد الملك وقاتله الأشدق مدة ستة عشر يوما ثم اصطلحا على ترك القتال وعلى أن يكون ولي العهد بعد عبد الملك وعلى أن يكون لكل عامل لعبد الملك عامل له وكتبا بينهما كتاب أمان وذلك عشية الخميس ودخل عبد الملك إلى دمشق إلى دار الإمارة على عادته وبعث إلى عمرو بن سعيد الأشدق يقول له: رد على الناس أعطياتهم التي أخذتها من بيت المال فبعث إليه الأشدق أن هذا ليس إليك وليس هذا البلد لك فاخرج منه فلما كان يوم الاثنين بعث عبد الملك إلى الأشدق يأمره بالإتيان إلى منزله بدار الإمارة الخضراء فلما جاءه الرسول صادف عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية وهو زوج ابنته أم موسى بنت الأشدق فاستشاره عمرو في الذهاب إليه فقال له: يا أبا سعيد والله لأنت أحب إليّ من سمعي وبصري وأرى أن لا تأتيه فإن تبيعا الحميري ابن امرأة كعب الأحبار قال إن عظيما من عظماء بني أمية يغلق أبواب دمشق فلا يلبث أن يقتل

فقال عمرو: والله لو كنت نائما ما تخوفت أن ينبهني ابن الزرقاء وما كان ليجترئ على ذلك مني مع أن عثمان بن عفان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه. وقال: عمرو بن سعيد أبلغه السلام وقل له أنا رائح إليك العشية إن شاء الله فلما كان العشي يعني بعد الظهر لبس عمرو درعا بين ثيابه وتقلد سيفه ونهض فعثر بالبساط فقالت امرأته وبعض من حضره إنا نرى ألا تأتيه فلم يلتفت إلى ذلك ومضى في مائة من مواليه وكان عبد الملك قد أمر بني مروان فاجتمعوا كلهم عنده فلما انتهى عمرو إلى الباب أمر عبد الملك أن يدخل وأن يحبس من معه عند كل باب طائفة منهم فدخل حتى انتهى إلى صرحة المكان الذي فيه عبد الملك ولم يبق معه من مواليه سوى وصيف فرمى ببصره فإذا بني مروان عن بكرة أبيهم مجتمعون عند عبد الملك فأحس بالشر فالتفت إلى ذلك الوصيف فقال له: همسا ويلك انطلق إلى أخي يحيى فقل له فليأتني فلم يفهم عنه وقال له: لبيك فأعاد عليه ذلك فلم يفهم أيضا وقال لبيك فقال: ويلك أغرب عني في حرق الله وناره وكان عند عبد الملك حسان بن مالك بن بحدل وقبيصة بن ذؤيب فأذن لهما عبد الملك بالانصراف فلما خرجا غلقت الأبواب واقترب عمرو من عبد الملك فرحب به وأجلسه معه على السرير ثم جعل يحدثه طويلا ثم إن عبد الملك قال: يا غلام خذ السيف عنه فقال عمرو إنا لله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك أو تطمع أن تتحدث معي متقلدا سيفك فأخذ الغلام السيف عنه ثم تحدثا ساعة ثم قال له عبد الملك: يا أبا أمية قال: لبيك يا أمير المؤمنين قال: إنك حيث خلعتني آليت بيميني إن ملأت عيني منك وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة فقالت بنو مروان: ثم تطلقه يا أمير المؤمنين فقال: ثم أطلقه وما عسيت أن أفعل بأبي أمية فقال بنو مروان: بر يمين أمير المؤمنين فقال عمرو: بر قسمك يا أمير المؤمنين فأخرج عبد الملك من تحت فراشه جامعة فطرحها إليه ثم قال: يا غلام قم فاجمعه فيها فقام الغلام فجمعه فيها فقال عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس فقال: عبد الملك أمكرا يا أبا أمية عند الموت لاها الله إذا ما كنا

لنخرجك في جامعة على رؤوس الناس ولما نخرجها منك إلا صعدا ثم اجتذبه اجتذابة أصاب فمه السرير فكسر ثنيته فقال: عمرو أذكرك الله أن يدعوك كسر عظمى إلى ما هو أعظم من ذلك فقال عبد الملك: والله لو أعلم أنك إذا بقيت تفي لي وتصلح قريش لأطلقتك ولكن ما اجتمع رجلان في بلد قط على ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه فلما تحقق عمرو ما يريد من قتله قال له: أغدرا يا ابن الزرقاء وأسمعه كلاما رديئا بشعا وبينما هما كذلك إذ أذن مؤذن العصر فقام عبد الملك ليخرج إلى الصلاة وأمر أخاه عبد العزيز بن مروان بقتله وخرج عبد الملك وقام إليه عبد العزيز بالسيف فقال له عمرو: أذكرك الله والرحم أن لا تلي ذلك منى وليتول ذلك غيرك فكف عنه عبد العزيز ولما رأى الناس عبد الملك قد خرج وليس معه عمرو أرجف الناس بعمرو فأقبل أخوه يحيى بن سعيد في ألف عبد لعمرو بن سعيد وأناس معهم كثير وأسرع عبد الملك الدخول إلى دار الإمارة وجاء أولئك فجعلوا يدقون باب الإمارة ويقولون: أسمعنا صوتك يا أبا أمية وضرب رجل منهم الوليد بن عبد الملك في رأسه بالسيف فجرحه فأدخله إبراهيم بن عدى صاحب الديوان بيتا وأحرزه فيه ووقعت خبطة عظيمة في المسجد وضجت الأصوات ولما رجع عبد الملك وجد أخاه لم يقتله فلامه وسبه وسب أمه ولم تكن أم عبد العزيز أم عبد الملك فقال له: ناشدني الله والرحم وكان ابن عمة عبد الملك بن مروان ثم إن عبد الملك قال: يا غلام ائتني بالحربة فأتاه بها فهزها؟ وضربه بها فلم تغن شيئا ثم ثنى فلم تغن شيئا فضرب بيده إلى عضد عمرو فوجد مس الدرع فضحك وقال: أدارع أيضا إن كنت معدا يا غلام ائتني بالصمصامة فأتاه بسيفه ثم أمر بعمرو فصرع ثم جلس على صدره فذبحه وهو يقول:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي    أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

قالوا: وانتفض عبد الملك بعد ما ذبحه كما تنتفض القصبة برعدة شديدة جدا بحيث إنهم ما رفعوه عن صدره إلا محمولا فوضعوه على سريره وهو يقول: ما رأيت

مثل هذا قط قبله صاحب دنيا ولا آخرة ودفع الرأس إلى عبد الرحمن بن أم الحكم فخرج إلى الناس فألقاه بين أظهرهم وخرج عبد العزيز بن مروان ومعه البدر من الأموال تحمل فألقيت بين الناس فجعلوا يختطفونها ويقال إنها استرجعت بعد ذلك من الناس إلى بيت المال. وقد دخل يحيى بن سعيد أخو عمرو بن سعيد دار الإمارة بعد مقتل أخيه بمن معه فقام إليهم بنو مروان فاقتتلوا وجرح جماعات من الطائفتين وجاءت يحيى بن سعيد صخرة في رأسه أشغلته عن نفسه وعن القتال ثم إن عبد الملك بن مروان خرج إلى المسجد الجامع فصعد المنبر فجعل يقول: ويحكم أين الوليد وأبيهم لئن كانوا قتلوه لقد أدركوا ثأرهم فأتاه إبراهيم بن عدى الكناني فقال: هذا الوليد عندي قد أصابته جراحة وليس عليه بأس ثم أمر عبد الملك بيحيى بن سعيد أن يقتل فتشفع فيه أخوه عبد العزيز بن مروان وفي جماعات آخرين معه كان عبد الملك قد أمر بقتلهم فشفعه فيهم وأمر بحبسه فحبس شهرا ثم سيره وبني عمرو بن سعيد وأهليهم إلى العراق فدخلوا على مصعب بن الزبير فأكرمهم وأحسن إليهم ثم لما انعقدت الجماعة لعبد الملك بعد مقتل ابن الزبير وفدوا عليه فكاد يقتلهم فتلطف بعضهم في العبارة حتى رق لهم رقة شديدة فقال لهم عبد الملك: إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله فاخترت قتله على قتلى وأما أنتم فما أرغبني فيكم وأوصلني لقرابتكم وأرعاني لحقكم فأحسن جائزتهم وقربهم وقد كان عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو بن سعيد: أن ابعثي إليَّ بكتاب الأمان الذي كنت كتبته لعمرو فقالت: إني دفنته معه ليحاكمك به يوم القيامة عند الله.[1]

---

[1] خطب عبد الملك بن مروان بالمدينة، بعد قتل ابن الزبير، في العام الذي حج فيه، سنة خمس وسبعين فقال: بعد حمد الله والثناء عليه، أما بعد: فلست بالخليفة المستضعف، ولا الخليفة المداهن، ولا الخليفة المأفون، ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال، ألا وأني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف، حتى تستقيم لي، فكأنكم تكلفوننا أعمال المهاجرين الأولين، ولا تعملون مثل أعمالهم، فلن يزدادوا إلا اجتراحاً، ولا تزدادوا إلا عقوبة، حتى حكم السيف بيننا وبينكم، هذا عمرو بن سعيد، قرابته قرابته، وموضعه موضعه، قال برأسه هكذا، فقلنا بسيوفنا هكذا، ألا وإنا نحتمل لكم كل شيء، إلا وثوباً على منبر، أو نصب راية ألا إن الجامعة

وقد كان مروان بن الحكم وعد عمرو بن سعيد هذا أن يكون ولي العهد من بعد ولده عبد الملك كلاما مجردا فطمع في ذلك وقويت نفسه بسبب ذلك وكان عبد الملك يبغضه بغضا شديدا من حال الصغر ثم كان هذا صنيعه إليه في الكبر وذكر أن خالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم: عجب منك ومن عمرو بن سعيد كيف أصبت غرته حتى قتلته فقال:

وأدنيته مني ليسكن روعه ... فأصول صولة حازم مستمكن

غضبا ومحمية لديني إنه ... ليس المسيء سبيله كالمحسن[1]

وقال الزبير بن بكار: كان عمرو بن سعيد ولاه معاوية المدينة ثم ولاه يزيد ، فبعث عمرو بعثا لقتال ابن الزبير، وكان عمرو يدّعي أن مروان جعل الأمر إليه بعد عبد الملك ثم نقض ذلك وجعله إلى عبد العزيز بن مروان، فلما شخص عبد الملك إلى حرب مصعب إلى العراق خالف عليه عمرو بن سعيد وغلق أبواب دمشق فرجع عبد الملك وأحاط به ثم أعطاه أمانا ثم غدر به فقتله.[2] فقال في ذلك يحيى بن الحكم عم عبد الملك :

أعيني جودي بالدموع على عمرو ... عشية تبتز الخلافة بالغدر

كأن بني مروان إذ يقتلونه ... بغاث من الطير اجتمعن على صقر

غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل ... وأنتم ذو قربائه وذو صهر[3]

فرحنا وراح الشامتون عشية ... كأن على أكتافنا فلق الصخر

---

التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي، والله لا يفعل أحد فعله إلا جعلتها في عنقه، ثم لا أخرج نعشه إلا صعداً، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه.[الأوائل ص ٣٨٢ ــ ٣٨٦]

[1] البداية والنهاية لابن كثير، (مكتبة المعارف) ج ٨ ص ٣١٠

[2] تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٦١ــ٨٠ ص ٢٠٤

[3] كان عمرو بن سعيد زوج أم البنين بنت الحكم شقيقة مروان. (تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٦١ ــ ٨٠ ص ٢٠٣)

لحا الله دنيا يدخل النار أهلها وهتك ما دون المحارم من ستر

وكان مروان يلقب بخيط باطل وسمي بذلك لأنه كان طويلا مضطربا، فلقب به لدقته[١]، قال الشاعر :

فوالله ما أدري وإني لسائل حليلة مضروب القفا : كيف تصنع

لَحَا اللَه قَوْماً مَلَّكُوا خَيْطَ باطلٍ عَلَى النـاسِ يُعْطِي مَنْ يَشَاء ويَمْنَعُ[٢]

## ٣ ـ العصر العباسي :

شغب [٣] أم أمير المؤمنين المقتدر بالله الملقبة بالسيدة. كان دخلها من أملاكها في كل سنة ألف ألف دينار فكانت تتصدق بأكثر ذلك على الحجيج في أشربة وأزواد وأطباء يكونون معهم وفي تسهيل الطرقات والموارد وكانت في غاية الحشمة والرياسة ونفوذ الكلمة أيام ولدها فلما قتل كانت مريضة [٤] فزادها قتله مرضا إلى مرضها ولما

---

[١] تاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٦١ـ٨٠ ص٢٠٤

[٢] مروج الذهب للثعالبي ج ٣ ص ٣٢ / مجمع الأمثال، ج ٢ ص ٢٧٣/كتاب جمهرة الأمثال ج ١ ص ٤٥٤/ المستقصى من الأمثال ج ١ ص ١١٨ / ثمار القلوب ج ١ ص ٧٦

[٣] هي والدة أبي الفضل جعفر بن أحمد المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد الموفق بن جعفر المتوكل على الله بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد العباسي، لقبت أمه شغب في خلافة ولدها بالسيدة بويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي .[البداية والنهاية، (مكتبة المعارف) ج ١١ ص ١٦٩]

[٤] لما قتل المقتدر بالله عزم مؤنس على تولية أبي العباس بن المقتدر بعد أبيه ليطيب قلب أم المقتدر فعدل عن ذلك جمهور من حضر من الأمراء فقال أبو يعقوب إسحاق بن إسماعيل النوبختي بعد التعب والنكد نبايع لخليفة صبي له أم وخالات يطيعهن ويشاورهن ثم أحضروا محمد بن المعتضد وهو أخو المقتدر فبايعه القضاة والأمراء والوزراء ولقبوه بالقاهر بالله وذلك في سحر يوم الخميس لليلتين بقيتا من شوال منها واستوزر أبا علي بن مقلة ثم أبا جعفر محمد بن القاسم بن عبدالله ثم أبا العباس ثم الخصيبي وشرع القاهر في مصادرة أصحاب المقتدر وتتبع أولاده واستدعى بأم المقتدر وهي مريضة بالاستسقاء وقد تزايد بها الوجع من شدة جزعها على ولدها حين بلغها قتله وكيف بقي مكشوف العورة فبقيت أياما لا تأكل شيئا ثم وعظها النساء حتى أكلت شيئا يسيرا من الخبز والملح ومع هذا كله استدعى بها القاهر فقررها على أموالها فذكرت له ما يكون للنساء من الحلي والمصاغ والثياب ولم تقر بشيء من الأموال والجواهر وقالت له لو كان عندي من هذا شيء ما سلمت ولدي فأمر بضربها وعلقت برجليها ومسها

استقر أمر القاهر في الخلافة وهو ابن زوجها المعتضد وأخو ابنها المقتدر وقد كانت حضنته حين توفيت أمه وخلصته من ابنها لما أخذت البيعة بالخلافة له ثم رجع ابنها إلى الخلافة فشفعت في القاهر وأخذته إلى عندها فكانت تكرمه وتشتري له الجواري فلما قتل ابنها وتولى مكانه طلبها وهي مريضة فعاقبها عقوبة عظيمة جدا حتى كان يعلقها برجليها ورأسها منكوس فربما بالت فيسيل البول على وجهها ليقررها على الأموال فلم يجد لها شيئا سوى ثيابها ومصاغها وحليها في صناديقها قيمة ذلك مائة ألف دينار وثلاثون ألف دينار وكان لها غير ذلك أملاك أمر ببيعها وأتى بالشهود ليشهدوا عليها بالتوكيل في بيعها فامتنع الشهود من الشهادة حتى ينظروا إليها ويجلوها فرفع الستر بإذن الخليفة فقالوا لها : أنت شغب جارية المعتضد أم جعفر المقتدر ؟ فبكت بكاء طويلا ثم قالت : نعم فكتبوا حليتها عجوز سمراء اللون دقيقة الجبين وبكى الشهود وتفكروا كيف يتقلب الزمان بأهله وتنقل الحدثان وأن الدنيا دار بلاء لا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها من ركن إليها أحرقته بنارها ولم يذكر القاهر شيئا من إحسانها إليه رحمها الله وعفا عنه توفيت في جمادى الأولى من هذه السنة ودفنت بالرصافة.[1]

ثم آل الأمر بأن سملت عينا من عاقبها، وخلع ونكل به، قال ابن كثير عن خلع القاهر وسمل عينيه وعذابه : كان سبب ذلك أن الوزير علي بن مقلة كان قد هرب حين قبض على مؤنس فاختفى في داره وكان يراسل الجند ويكاتبهم ويغريهم بالقاهر ويخوفهم سطوته وإقدامه وسرعة بطشه ويخبرهم بأن القاهر قد أعد لأكابر الأمراء أماكن في دار الخلافة يسجنهم فيها ومهالك يلقيهم فيها كما فعل بفلان وفلان فهيجهم ذلك على القبض على القاهر فاجتمعوا وأجمعوا رأيهم على مناجزته في هذه

---

بعذاب شديد فأشهدت على نفسها ببيع أملاكها فأخذه الجند مما يحاسبون به من أرزاقهم وأرادها على بيع أوقافها فامتنعت من ذلك وأبت أشد الإباء. [البداية والنهاية ج ١١ص ١٧٠ــ١٧١]

[1] البداية والنهاية، (مكتبة المعارف) ج ١١ ص ١٧٦

الساعة فركبوا مع الأمير المعروف بسيما وقصدوا دار الخلافة فأحاطوا بها ثم هجموا عليه من سائر أبوابها وهو مخمور فاختفى في سطح حمام فظهروا عليه فقبضوا عليه وحبسوه في مكان طريف اليشكري وأخرجوا طريفا من السجن وخرج الوزير الخصيبي مستترا في زي امرأة فذهب واضطربت بغداد ونهبت وذلك يوم السبت لثلاث خلون من جمادى الأولى فيها في الشهر الذي ماتت فيه شغب فلم يكن بين موتها والقبض عليه وسمل عينيه وعذابه بأنواع العقوبات إلا مقدار سنة واحدة وانتقم الله منه ثم أمروا بإحضاره فلما حضر سملوا عينيه حتى سالتا على خديه وارتكب منه أمر عظيم لم يسمع مثله في الإسلام ثم أرسلوه وكان تارة يحبس وتارة يخلى سبيله وقد تأخر موته إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وافتقر حتى قام يوما بجامع المنصور فسأل الناس فأعطاه رجل خمسمائة دينار ويقال : إنما أراد بسؤاله التشنيع عليهم.[1]

**نلاحظ في الخلافات السياسية التي تسفر عن قتل أحد الأقارب :**

. استهجان هذا الفعل من القريب إن كان فعله غدرا كما في قتل عبد الملك بن مروان لعمرو بن سعيد فيقف الأقارب بين مؤيد ومعارض للقتل السياسي ، ومن ذلك ما تقدم من قول يحي بن الحكم عم عبد الملك ومدحه لعمرو وهجوه لأخيه مروان وأبنائه عبد الملك وغيرهم من إخوانه وقال أخو عبد الملك بشر بن مروان :

| | |
|---|---|
| لـــو أن أبا أمية كان حياً | لقد رأس الأمور وقد براها |
| غدرتم غدرةً تركت قريشاً | شعاع الأمر مختلفاً هـــواها |
| وأفسدتم خلافتكـــم وخنتم | أميناً لـــو تـــحملها كفاها[2] |

ـ كلما عظم إحسان القريب لقريبه وعامله بنقيض ذلك يكون الاستهجان والاستبشاع والاستفظاع أكبر ومن ذلك ما فعله القاهر مع امرأة أبيه ووالدة أخيه فأساء إليها غاية الإساءة مع إحسانها إليه.

---

[1] البداية والنهاية، (مكتبة المعارف) ج ١١ ص ١٧٨

[2] انظر: الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٣٧٩ ـــ ٣٨٠

. قول القائل :

ألاَ مَنْ يَشْتَري سَهَراً بِنَوْمٍ

هذا المثل لا ينطبق على جميع الناس بل يسهر بعض رقيقي القلب وينام قساة القلوب ملء أعينهم كما بين ذلك عبد الملك وأوضح أن الجامعة (الغُلُّ) التي جمَّع فيها عمرو بن سعيد موجودة عنده مع عدم إغفاله ذكر قرابة عمرو بن سعيد وثنائه عليه ولكنه لما قال برأسه هكذا قال عبد الملك بسيفه هكذا كما مر بنا آنفا.

وقد يقول قائل هذا القول:

ألاَ مَنْ يَشْتَري سَهَراً بِنَوْمٍ

ينطبق على قتل الأخ ولم يكن عمرو أخا لعبد الملك فنقول لك: قتل المأمون أخاه الأمين ولم يذكر عنه أنه ترك النوم أو سهر بل نام نوم قرير العين هانيها ولكنه تنمر لعبد الله بن طاهر لافتئاته عليه في قتل الأمين فقط.

# الفصل الثالث

## أسباب اقتصادية

١ . الخلاف حول الميراث

٢ . المشاركة في التجارة

٣ . البخل والأثرة والنظرة الذاتية الضيقة

٤ . عدم الوفاء بالديون

٥ . الاشتطاط في مهور زواج الأقارب

٦ . أخذ أموال الأقارب من غير طيب نفس منهم

# الفصل الثالث

## أسباب اقتصادية

**المال** [١] **عصب الحياة وهو زينة من زين الحياة قال الله تعالى**﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾[٢] **وهو محبب إلى نفوس الناس كما قال الله تعالى** ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[٣] **ويسعى بنو البشر لزيادته: فعَنْ عَطَاءٍ قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَى ثَالِثًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ.** [٤]

**وهو سبب من أسباب الخلاف بين بني البشر سواء أكانوا أقارب أو غير أقارب ولنذكر لذلك شاهدين عن شخصية واحدة:**

---

[١] المال سمي بذلك لكونه مائلا أبدا وزائلا، ولذلك سمي عرضا، وعلى هذا دل قول من قال: المال قحبة تكون يوما في بيت عطار، ويوما في بيت بيطار. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: ميل]

[٢] سورة الكهف ٤٦

[٣] سورة آل عمران آية ١٤

[٤] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم: ٥٩٥٦/ صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثا، حديث رقم: ١٧٣٧

. كان الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب الشاعر يعامل الناس بالعينة، [١] فإذا حلت دراهمه ركب حمارا يقال له شارب الريح فيقف على غرمائه فيقول:

بنو عمنا أدوا الدراهم إنما     يفرِّق بين الناس حب الدراهم[٢]

. وكان رجل من بني الديل يقال له عقرب عسر القضاء فإذا تعلّق به غرماؤه أفلتهم وهرب عنهم وقال :

فلو كنت الحديد لكسّروني     ولكـــني أشـــد من الحديد

فعيّنه الفضل مالا، فلما كان قبل محله جاء فبنى على باب عقرب معلفا لحماره وأتى بشيء فبسطه، فلقي كل واحد منهما من صاحبه شرا، فهجاه الفضل فقال:

قد تجَرَتْ عقرب في ســوقنا     لا مرحبا بالعقرب التاجرة

إن عادت العقرب عــدنا لها     وكـــانت النعل لها حاضرة

كل عـــدو يُتَّقى مـــقـــبلا     وتتقـــى لســعتها دابـــرة

إن عدوا كـــيده في اســـته     لـــغـــير ذي كيد ولا نائرة

قد خابت العقرب واستيقنت     أن مـــا لها دنيا ولا آخرة[٣]

ونمثل للأسباب الاقتصادية التي تؤثر في علاقات الأقارب بالآتي:

---

[١] العينَة: هو أن يَبيعَ من رَجُلٍ سِلْعة بثَمنٍ مَعْلوم إلى أجَلٍ مُسَمّىً، ثم يَشْتَريها منه بأقلَّ من الثَّمن الذي باعَها بــه. وسُمِّيت عِينَةً لحصُول النَّقْد لصاحب العِينَة؛ لأنَّ العَيْن هو المَال الحاضِرُ من النَّقْد، والمُشْتَري إنما يَشْتَريها لِيَبِيعَهــا بعَيْن حاضِرَة تَصِل إليه مُعَجَّلَة.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عين}]

[٢] بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٢١٥/ كتاب جمـل مـن أنـساب الأشـراف للبلاذري ج٤ ص ٤١٦

[٣] كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ٤١٧

## ١ ـ الخلاف حول الميراث :

**الميراث: لغة: انتقال الشيء من شخص إلى آخر بعد الوفاة، سواء كان الانتقال إلى وارث موجود، أو في حكم الموجود كالجنين.**

**واصطلاحا: استحقاق نصيب في تركة المتوفى، بسبب قرابة أو زوجية أو ولاء.**

**وأسباب الميراث المتفق عليها هي: القرابة والزوجية، ومن أدلة مشروعية الاستحقاق بسببهما قول الله تعالى** ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ [(١)]، **وقوله سبحانه** ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ ، [(٢)] **وما رواه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لأَوْلَى [(٣)] رَجُلٍ ذَكَرٍ.** [(٤)] [(٥)]

---

(١) سورة النساء آية ٧

(٢) سورة النساء آية ١٢

(٣) قال العلماء: المراد بأولى رجل أقرب رجل. مأخوذ من الولي، على وزن الرمي. وليس المراد بأولى، هنا، أحق. بخلاف قولهم: الرجل أولى بماله. لأنه لو حمل هنا على أحق لخلا من الفائدة. لأنا لا ندري من هو الأحق.

(٤) (رجل ذكر) وصف الرجل بأنه ذكر تنبيها على سبب استحقاقه، وهو الذكورة التي هي سبب العصوبة وسبب الترجيح في الإرث. ولهذا جعل للذكر مثل حظ الأنثيين.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الفرائض ، باب: ابني عم: أحدهما أخ للأم، والآخر زوج، حديث رقم: ٦٣٦٥/ صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر، حديث رقم: ١٦١٥

ولا يحرم من الميراث أحد ممن قام به سبب الإرث ، إلا أن يكون قاتلا لمورثه أو مختلفا معه في الدين.

ومما يدل على ذلك ما جاء: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْقَاتِلُ لَا يَرِثُ. قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ لَا يُعْرَفُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَإِسْحَقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فَرْوَةَ قَدْ تَرَكَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْقَاتِلَ لَا يَرِثُ كَانَ الْقَتْلُ عَمْدًا أَوْ خَطَأً وقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا كَانَ الْقَتْلُ خَطَأً فَإِنَّهُ يَرِثُ وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ.[1]

قال المباركفوري: قَوْلُهُ: (الْقَاتِلُ لَا يَرِثُ) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقَاتِلَ لَا يَرِثُ مِنْ الْمَقْتُولِ ، سَوَاءٌ كَانَ قَتَلَ خَطَأً أَوْ عَمْدًا وَإِلَيْهِ ذَهَبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ.

قَوْلُهُ: (هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ) وَأَخْرَجَهُ اِبْنُ مَاجَهْ وَالنَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الْكُبْرَى وَقَالَ إِسْحَاقُ مَتْرُوكٌ.

قَوْلُهُ : ( وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْقَاتِلَ لَا يَرِثُ ، كَانَ الْقَتْلُ خَطَأً أَوْ عَمْدًا الَخْ ) قَالَ الشَّوْكَانِيُّ فِي النَّيْلِ تَحْتَ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مَرْفُوعًا : " لَا يَرِثُ الْقَاتِلُ شَيْئًا " ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ : اِسْتَدَلَّ بِهِ مَنْ قَالَ بِأَنَّ الْقَاتِلَ لَا يَرِثُ سَوَاءٌ كَانَ الْقَتْلُ عَمْدًا أَوْ خَطَأً وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالُوا : وَلَا يَرِثُ مِنْ الْمَالِ وَلَا مِنْ الدِّيَةِ . وَقَالَ مَالِكٌ وَالنَّخَعِيُّ وَالْهَادَوِيَّةُ : إِنَّ قَاتِلَ الْخَطَأِ يَرِثُ مِنْ الْمَالِ دُونَ الدِّيَةِ ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ التَّخْصِيصَ لَا يُقْبَلُ إِلَّا بِدَلِيلٍ ، وَحَدِيثُ عُمَرَ بْنِ شَيْبَةَ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ الْأَشْجَعِيِّ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ نَصٌّ فِي مَحَلِّ النِّزَاعِ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " لَهُ اِعْقِلْهَا وَلَا تَرِثْهَا " . وَقَدْ كَانَ قَتَلَ اِمْرَأَتَهُ خَطَأً ، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ عَدِيٍّ الْجُذَامِيِّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي سُنَنِهِ بِلَفْظِ ، أَنَّ عَدِيًّا كَانَتْ لَهُ اِمْرَأَتَانِ اِقْتَتَلَتَا فَرَمَى إِحْدَاهُمَا فَمَاتَتْ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[1] سنن الترمذي ، كتاب الفرائض عن رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم باب ما جاءَ في إِبْطَالِ مِيرَاثِ الْقَاتِلِ، حديث رقم: ٢٠٣٥/ سنن ابن ماجه، بَاب: الْقَاتِلُ لَا يَرِثُ، حديث رقم: ٢٦٣٥، وحديث رقم: ٢٧٢٥

وَسَلَّمَ أَتَاهُ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ : " اِعْقِلْهَا وَلَا تَرِثْهَا " . وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا رَمَى بِحَجَرٍ فَأَصَابَ أُمَّهُ فَمَاتَتْ مِنْ ذَلِكَ ، فَأَرَادَ نَصِيبَهُ مِنْ مِيرَاثِهَا فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ : لَا حَقَّ لَكَ ، فَارْتَفَعُوا إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهُ : حَقُّكَ مِنْ مِيرَاثِهَا الْحَجَرُ وَغُرْمُهُ الدِّيَةُ وَلَمْ يُعْطِهِ مِنْ مِيرَاثِهَا شَيْئًا . وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ قَالَ : " أَيُّمَا رَجُلٍ قَتَلَ رَجُلًا أَوْ اِمْرَأَةً عَمْدًا أَوْ خَطَأً فَلَا مِيرَاثَ لَهُ مِنْهُمَا، وَأَيُّمَا اِمْرَأَةٍ قَتَلَتْ رَجُلًا أَوْ اِمْرَأَةً عَمْدًا أَوْ خَطَأً فَلَا مِيرَاثَ لَهَا مِنْهُمَا "، وَقَالَ قَضَى بِذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلِيٌّ وَشُرَيْحٌ وَغَيْرُهُمْ مِنْ قُضَاةِ الْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ سَاقَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَابِ آثَارًا عَنْ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمَا، تُفِيدُ كُلُّهَا أَنَّهُ لَا مِيرَاثَ لِلْقَاتِلِ مُطْلَقًا.[1]

وعن أسامة بن زيد؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يرث المسلم الكافر. ولا يرث الكافر المسلم.[2]

وبعد أن يولي المرء يتبعه إلى قبره ثلاثة عمله وأهله وماله فيرجع اثنان هما الأهل والمال [3]وبعد الانتهاء من دفع ما على الميت من تبعات وديون يفكر الوارثون في قسمة هذا الميراث ويؤخرونه أو يستعجلون به حسب حالهم من السعة والضيق وحسب وجود المال من الكثرة والقلة كما أن مسألة الفضل واللؤم يؤثر في هذا الأمر تأثيرا بينا وسنتناول هذا الأمر على النحو التالي :

---

[1] تحفة الأحوذي ج ٥ ص ٣٨٨

[2] صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب: لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وإذا أسلم قبل أن يقسم الميراث فلا ميراث له، حديث رقم: ٢٥ / صحيح مسلم، كتاب الفرائض باب: .... ، حديث رقم: ١٦١٤/ سُنَنُ أبي دَاوُد،كتاب الفرائض، باب هل يرث المسلمُ الكافرَ؟، حديث رقم: ٢٩٠٩

[3] عَنْ عَبْد اللّه بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالك يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم "يَتْبَعُ الْمَيّتَ ثَلاَثَةٌ. فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحدٌ. يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ. فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ، وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ." [صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت، حديث رقم: ٦١٤٩ / صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق، باب: .... حديث رقم: ٢٩٦٠]

**أولاً : ما يتعلق بصاحب المال :**

هنالك عدة أمور متعلقة بصاحب المال سواء أكان أبا أو أما أو عما ونحوهم وسيكون تعبيرنا عنه في تناولنا للموضوع بالأب لأنه الأكثر والأعم ويمكن أن يلحق مثيله به ومن الأشياء المتعلقة بالأب الآتي:

**أ ـ قيام الأب بقسمة ماله حال حياته:**

ـ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ، أَنَّ سَعْدَ بن عُبَادَةَ، قَسَّمَ مَالَهُ بَيْنَ بنيهِ،[1] ثُمَّ تُوُفِّيَ وَامْرَأَتُهُ حُبْلَى لَمْ يَعْلَمْ بِحَبَلِهَا، فَوَلَدَتْ غُلامًا فَأَرْسَلَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ فِي ذَلِكَ إِلَى قَيْسِ بن سَعْدِ بن عُبَادَةَ، فَقَالَ:"أَمَّا أَمْرٌ قَسَمَهُ سَعْدٌ وَأَمْضَاهُ فَلَنْ أَعُودَ فِيهِ، وَلَكِنْ نَصِيبِي لَهُ"، قُلْتُ: أَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ قَسَّمَ؟ قَالَ: لا نَجِدُهُمْ كَانُوا يَقْسِمُونَ إِلا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.[2]

ـ عن أبي حيان قال حدثني أبي قال حضر جار لشريح وله بنون فقسم ماله بينهم لا يألو أن يعدل ثم دعا شريحا فجاء فقال أبا أمية إني قسمت مالي بين ولدي ولم آل وقد أشهدتك فقال شريح قسمة الله أعدل من قسمتك فارددهم إلى قسمة الله وفرائضه وأشهدني وإلا فلا تشهدني لا أشهد على جور.[3]

. قال محمد بن سلام الجمحي : ولغيلان بن سلمة شعر وهو شريف وكان قسم ماله كله بين ولده وطلق نساءه فقال له عمر إن الشيطان قد نفث في روعك أنك ميت

---

[1] كان بشامة بن الغدير كثير المال، وكان ممن فقأ عين بعير في الجاهلية، وكان الرجل إذا ملك ألف بعير فقأ عين فحلها. وكان قد أقعد، فلما حضره الموت، ولم يكن له ولد، قسم ماله بين إخوته وبني أخيه وأقاربه، فقال له زهير بن أبي سلمى وهو ابن أخته: ماذا قسمت لي يا خالاه؟ قال: أفضل ذلك كله! قال: ما هو؟ قال: شعري! فيزعم من يزعم أن زهيرا جاءه الشعر من قبل بشامة بن الغدير.[طبقات فحول الشعراء ٥٢٦ ــ ٥٢٧]

[2] سنن سعيد بن منصور، ج ١ ص ٣١٥، حديث رقم: ٢٩٠/ مصنف ابن أبي شيبة، الرجل يلي المال وفيهم صغير وكبير كيف ينفق،ج ٧ ص ٣١٥، حديث رقم: ٦٢/ مصنف عبد الرزاق، ج ٩ ص ٩٩، حديث رقم: ١٦٤٩٩/ المعجم الكبير للطبراني، ج ١٣ ص ٢٩٢، حديث رقم: ١٥٢٧٧

[3] مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦ ص ٢٣٤، حديث رقم: ٣٠٩٩٨

ولا أراه إلا كذلك لترجعن في مالك ولتراجعن نساءك أو لآمرن بقبرك أن يرجم كما رجم قبر أبي رغال ففعل. (١)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: اختلف قولهم في قسمة الرجل ماله بين ولده في حياته فروى إن شاء قسم وإن شاء لم يقسم إذا لم يفضل.

وروى عنه محمد بن الحكم أحب إليَّ أب لا يقسم ماله يدعه على فرائض الله لعله يولد له. (٢)

**ب ـ حرمان أحد الأفراد من الميراث: (٣)**

قد تصل قسوة بعض الآباء وجهلهم إلى الوصية بحرمان أحد أبنائهم من ميراثهم وينتج ذلك عن عقوق أبنائهم فيقابلونه بحرمانهم من ميراثهم فيحرم الأب ابنه من صلبه من ميراثه ويكون ذلك في حالة الاحتضار وكتابة الوصية عند غياب المرشد الأمين الذي يتقي الله عز وجل.

**ج ـ الوصية لأحد الأقارب دون الآخرين:**

لا بد في الوصية أن تكون دون الثلث، وذلك لما جاء، عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: جاءني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم عامَ حَجّة الوَداع يعودني (٤) من وجعٍ (٥) اشتدّ بي، فقلتُ: يا رسول اللّه، بلغ مني الوجع ما ترى، وأنا ذو مال (٦) ولا يرثني إلا ابنةٌ (٧) لي، فأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قال:

---

(١) تاريخ دمشق، ج ٤٨ ص ١٤١ / طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٠٤

(٢) بدائع الفوائد ، ج ٣ ص ٦١١

(٣) قال نعامة الفزاري: يا حبذا التراث لولا المذلة (الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ٣٥)

(٤) من العيادة.

(٥) بفتحتين اسم لكل مرض

(٦) التنوين للكثرة.

(٧) قوله: إلا ابنة لي، أي من الولد أو من خواصّ الورثة أو من النساء وإلا فقد كان له عصبات، فإنه من زهرة، وكانوا كثيراً، قاله النووي، وقال الحافظ في "فتح الباري" (٣٦٨/٥): زعم بعض من أدركنا أن هذه البنت اسمها

فبالشطر [١] ؟ قال: لا، قال: فبالثلث؟ ثم قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: الثلثَ، والثلث كثير [٢]، أو كبير، إنّك [٣] أن [٤] تَذَرَ [٥] ورثتك [٦] أغنياء خيرٌ من أن تَذَرَهم عَالةً [٧] يتكفَّفُون [٨] الناسَ. [٩]

قال محمد: الوصايا جائزة في ثُلُث مال الميت بعد قضاء [١٠] دَيْنه، وليس له أن يُوصي بأكثرَ منه، [١١] فإنْ أوصى بأكثر من ذلك فأجازَتْه الورثة بعد موته فهو جائز، وليس لهم أن يرجعوا بعد إجازتهم، وإن رَدّوا [١٢] رَجَع ذلك إلى الثلث لأن النبي صلى

---

عائشة فإن كان محفوظاً فهي غير عائشة بنت سعد التي روت هذا الحديث عند البخاري وهي تابعية عُمِّرت حتى روى عنها مالك ماتت سنة ١١٧هـ. لكن لم يذكر أحد من النسّابين لسعد ابنة تسمّى بعائشة غير هذه، وذكروا أن أكبر بناته أم الحكم الكبرى، وله بنات أخر متأخرات الإسلام بعد الوفاة النبوية، فالظاهر أنها أم الحكم، ولم أرَ من جوّز ذلك.

[١] بالفتح فسكون النصف.

[٢] قوله: كثير أو كبير، بالشك من بعض الرواة، قال الحافظ: والمحفوظ في أكثر الروايات بالمثلثة، وفيه أشار إلى أن الثلث رخصة والأحب الوصية بما دونها.

[٣] قوله: إنك، بكسر الهمزة استينافاً، وبالفتح أي لأنك.

[٤] أنْ، بفتح الهمزة وسكون النون.

[٥] تذر، بفتح الذال المعجمة أي تترك

[٦] ورثتك أي البنت وعصباته أغنياء أي بما يرثونه منك خير من أن تذرهم عالةً

[٧] خير من أن تذرهم عالةً – جمع عائل بمعنى المحتاج

[٨] يتكفَّفُون الناس أي يسألونهم بأكفّهم.

[٩] صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب: أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، حديث رقم: ٢٥٩١/ صحيح مسلم كتاب الوصية باب الوصية بالثلث حديث رقم: ١٦٢٨

[١٠] لأن قضاءه فرض فهو مقدَّم على المستحب.

[١١] أي من الثلث.

[١٢] أي لم يجز الورثة بعد موته.

اللّه عليه وسلم قال: الثلث والثلث كثير، فلا يجوز لأحد وصية بأكثر من الثلث إلا أن يجيز الورثة. وهو قول أبي حنيفة والعامة من فقهائنا، رحمهم اللّه تعالى.[١]

**ـ الوصية في حالة الحياة:**

عَنِ الشَّعْبِيِّ حَدَّثَنِي النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَا لَهُ فَقَالَتْ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا قَالَ لَا قَالَ فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ.[٢]

**ـ الوصية عند الوفاة:**

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ الْمَالُ لِلْوَلَدِ [٣] وَكَانَتْ الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ فَنَسَخَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ مَا أَحَبَّ [٤] فَجَعَلَ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ [٥] الْأُنْثَيَيْنِ وَجَعَلَ

---

[١] الموطأ ، ج ٣ ص ١١٩

[٢] صحيح البخاري : كتاب الشهادات ، باب لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ ، حديث رقم : ٢٥٠٧/ صحيح مسلم : كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، حديث رقم : ١٦٢٣ / وانظر البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ج ١ ص ١٤٧ وكذلك ج ١ ص ٧٠ ــ ٧٢

[٣] (كان المال للولد) أي كان الحكم في أول الأمر: إذا مات الشخص فماله لولده.

[٤] (ما أحب) ما أراد.

[٥] (حظ) نصيب.

لِلْـأَبَوَيْنِ لِكُـلِّ وَاحِـدٍ مِنْهُمَـا الـسُّدُسَ وَجَعَـلَ لِلْمَـرْأَةِ الـثُّمُنَ وَالرُّبُـعَ [١] وَلِلـزَّوْجِ الـشَّطْرَ [٢] وَالرُّبُعَ. [٣]

قال ابن حجر: قوله (وجعل للمرأة الثمن والربع) أي في حالين وكذلك للزوج، قال جمهور العلماء: كانت هذه الوصية في أول الإسلام واجبة لوالدي الميت وأقربائه على ما يراه من المساواة والتفضيل، ثم نسخ ذلك بآية الفرائض، وقيل كانت للوالدين والأقربين دون الأولاد فإنهم كانوا يرثون ما يبقى بعد الوصية. [٤]

وعَنْ شُرَحْبِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ. [٥]

**د ـ قيام الأب بإخفاء أمواله حرمانا لأبنائه منها :**

قد يقوم الأب بإخفاء أمواله نفاسة أن يرثها أهله من بعده كما ذكر بعضهم أن جدهم كانت له أموال كثيرة فدفنها في الأرض وغيب أثر المكان بأن أمشى عليها ماشيته فذهبت في الأرض ومات ولم يرث أبناؤه منه شيئا.

## ثانيا : ما يتعلق بالوارثين :

### أ ـ أمر الأسرة الأب بقسمة ماله في حياته:

قد يجبر الأبناء الأب على قسمة أمواله في حياته، قال جابر بن حباب يصف حاله وقد أرغمه بنوه على اقتسام ماله في حياته :

---

[١] (الثمن) عند وجود ولد للمتوفى، والربع عند عدمه.

[٢] (الشطر) النصف عند عدم الولد، والربع عند وجوده.

[٣] صحيح البخاري، كتاب: الوصايا، باب: لا وصية لوارث، حديث رقم: ٢٥٩٦

[٤] فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج ٥ ص ٢٦٠

[٥] سنن الترمذي: أبواب الوصايا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء لا وصية لوارث، حديث رقم: ٢٢٠٣ / سُنَنُ أَبِي دَاوُد، أول كتاب الإجارة، باب في تضمين العارية، حديث رقم: ٣٥٦٥

وإن يقتسم مالي بني ونسوتي　　فلن يقسموا خلقي الجميل ولا فعلي[١]
أهين لهم مالي وأعلم أنني　　سأورثه الأحياء، سيرة من قبلي[٢]
وما وجد الأضياف فيما ينوبهم　　لهم عند علات الزمان أبا مثلي[٣]

ومن ذلك أن امرأة ثعلبة بن عمير الحنفي خافت أن يذهب ماله في الدين وكان يدان كثيراً فخافت امرأته فقالت: ألا تقسم مالك بين بنيك؟ فقال:

وعاذلة تلوم فلم أطعها　　قديماً ما عصيت العاذلينا
ألا مالي وما أهلكت منه　　لمن أبقي لأي الوارثينا
أللمحتال حين أموت بعدي　　بجمع المال أم للمنشدينا
أرى المضعوف والمحتال كلاً　　يعيش برزق رب العالمينا

فاستعدى عليه غرماؤه المهاجر بن عبد الله والي اليمامة وحبسوه فقال:

إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن　　قضاءً ولكن كان غرماً على غرم[٤]

**ب ـ الحجر على صاحب المال خوفا من قيامه بتفريقه وإضاعته:**

قد يقوم الأقارب بالحجر على قريبهم خشية منهم أن يقوم هذا القريب بتوزيع المال وتفريقه فيحجرون عليه إبقاء على المال ومن ذلك أن عبد الله

---

[١] يقول: إن اقتسم مالي أولادي وأزواجي وبناتي، وفازوا بما أخلفه فيهم فلن يقتسموا ما تفردت به من خلق كريم أعده لزواري، وفعال شريف أقيمه لعفاتي، وأديمه لمن يعتلق حبلى، أو يتصل سببه ونسبه بسببي ونسبي.

[٢] يقول أهين لهم مالي، يريد أني أبذله وأبتذله، لعلمي بأن ما أبقيه للأحياء سيرة من تقدمني فليس بمال لي، وأن الذي يختص بملكي هو ما أتولى تفريقه وإنفاقه في الوجوه المحمودة عندي.

[٣] يريد بيان مكانه من مآرب أضيافه، وأنهم لا يعتاضون فيما ينوبهم عند الزمان وتغيره وإمكان العلات في البخل وأهله أباً مثله إذا فقدوه. وجعل نفسه أباً على عادتهم في تسمية المضيف أبا المثوى. ويجوز أن يكون المراد بعلات الزمان تحوله وتبدله.

[٤] الوافي بالوفيات، ج ٣ ص ٤٩١ / المستطرف ج ١ ص ٧٣

ابن جدعان[١] كان ممن حرم الخمر في الجاهلية بعد أن كان مغرى بها، وذلك أنه سكر ليلة، فطفح ومد يده إلى القمر، فأخبر بذلك حين صحا، فحلف لا يشربها أبداً. ولما كبر وهرم، أرادت قبيلته بنو تيم أن يمنعوه من تبذير ماله ولاموه في العطاء، فكان يدعو الرجل، فإذا دنا منه، لطمه لطمة خفيفة، ثم قال: قم فأنشد لطمتك، واطلب ديتها، فإذا فعل ذلك، أعطته بنو تيم من مال ابن جدعان حتى يرضى عن لطمته.[٢]

**ج ـ قسمة الميراث ظنا من الوارثين وفاة الأب وذلك لطول غيابه:**

قد تكون قسمة المال لظروف وملابسات معينة كما حدث لأبي دهبل الجمحي الذي غاب فترة طويلة من الزمان فظن أبناؤه وبناته أنه هلك فاقتسموا ماله وأبت امرأته قال إبراهيم بن أَبي عبد الله: خرج أَبو دهبل الجمحي [٣] يريد الغزو، وكان رجلاً صالحاً جميلاً، فلما كان بِجَيْرُونَ [٤]جاءته امرأَة فأَعطته كتاباً، فقالت: اقرأْ لي هذا الكتاب، فقرأَه لها ثم ذهبت فدخلت قصراً، ثم خرجت إليه فقالت: لو تبلغت معي إلى هذا القصر فقرأْت هذا الكتاب على امرأَة فيه كان لك في ذلك حسنة، إن شاء الله تعالى، فإنه أَتاها من غائب يعنيها أمره. فبلغ معها القصر فلما دخله إذا فيه جوارٍ كثيرة، فأَغلقن عليه القصر، وإذا امرأَة وضيئة فدعته إلى نفسها فأَبى، فحُبس وضيق عليه حتى كاد يموت، ثم دعته إلى نفسها، فقال: أَما الحرام فوالله لا يكون ذلك ولكن أَتزوّجك. فتزوجته وأَقام معها زماناً طويلاً لا يخرج من القصر حتى يُئس منه، وتزوج بنوه وبناته واقتسموا ماله وأَقامت زوجته تبكي عليه حتى عمشت، ثم إن أَبا دهبل قال

---

[١] هو عبد الله بن جدعان القرشي التيمي، يكنى: أبا زهير، من رهط أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – كان من رؤساء قريش وأجوادهم، وله في الجود أخبار مشهورة.

[٢] سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ج ١ ص ٩٧

[٣] هو وهب بن زمعة أبو دهبل الجمحي الشاعر من أهل مكة قدم دمشق. له مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير، في شعره رقة وجزالة، كان صالحاً ولاه عبد الله بن الزبير بعض أعمال اليمن، وتوفي ٦٣ هـ بعليب (موضع بتهامة).

[٤] جيرون: أحد أبواب دمشق وقيل جيرون هي دمشق نفسها.(معجم البلدان، ج ٢ ص ١٩٩)

لامرأته: إنك قد أثمت فيّ وفي ولدي وأهلي، فأْذني لي في المصير إليهم وأعود إليك. فأخذت عليه العهود أن لا يقيم إلا سنة، فخرج من عندها وقد أعطته مالاً كثيراً حتى قدم على أهله، فرأى حال زوجته وما صارت إليه من الضر، فقال لأولاده: أنتم قد ورثتموني وأنا حيّ، وهو حظكم والله لا يشرك زوجتي فيما قدمت به منكم أحد، فتسلمت جميع ما أتى به، ثم إنه اشتاق إلى زوجته الشامية وأراد الخروج إليها، فبلغه موتها فأقام وقال:

صاحِ حَيَّا الإِلَهُ حَيّاً ودُوراً ... عند أَصْلِ القَناةِ من جَيْرُونِ
طالَ لَيْلِي وبِتُّ كالمَجْنُونِ ... واعْتَرَتْنِي الهُمُومُ بالماطِرُونِ
فَلتلْكَ اغْتَرَبْتُ بالشَّامِ حتى ... ظَنَّ أَهْلي مُرَجَّماتِ الظُّنُونِ
ثم فارَقْتُها على خَيْرِ ما كا ... نَ قَرِينٌ مُفارِقاً لِقَرِينِ
فبَكَتْ خَشْيَةَ التَّفَرُّقِ للبَيْـ ... ـنِ، بُكاءَ الحَزِين إِثْرَ الحَزِينِ[1]

**د ـ تأخير قسمة الميراث وتعيير المستعجل لقسمته:**

قد تخترم المنايا أحد الآباء مخلفا عددا من البنين والبنات فيستنكف الابن الأكبر عن قسمة ميراث أبيه[2] على إخوانه وأخواته وإن حدثه أحدهم في ذلك فإنه يغضب ويرغي ويزبد ظنا منه أن هذه التقسيم العاجل الذي يذهب بتركة أبيه يذهب أيضا بذكراه وسيرته بين الناس ويعجل بإماتتها.

كما أنه يضن بمال أبيه أن يذهب به ويتأثله رجال غرباء عن أبيهم وعنهم ويعني بذلك أزواج أخواته ويلمح إن كان في الأخوات قلة ويصرح بذلك في أحايين إن كان في أخواته كثرة .كما أنه يظن أن الاستعجال في القسمة نوع من أنواع عدم الوفاء والنسيان لذكرى الوالد ومن ثَمَّ يقوم بتسويف هذا الأمر وتأخيره وإرجائه ، وقد يغضب إن طلب منه قسمة هذا الميراث، ومن ذلك ما جاء: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّ

---

[1] تاريخ دمشق، ج ٦٣ ص ٣٥٥ ــ ٣٥٦، ترجمة رقم: ٨٠٧١ / لسان العرب، مادة خصر/ المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١١٧/ الشعر والشعراء ص ٣٨٩

[2] تكون معظم هذه الحالات عن قلة الفهم وليست عن الخيانة

أَخَوَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ بَيْنَهُمَا مِيرَاثٌ فَسَأَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ [١] الْقِسْمَةَ [٢] فَقَالَ إِنْ عُدْتَ [٣] تَسْأَلُنِي عَنِ الْقِسْمَةِ فَكُلُّ مَالٍ لِي فِي رِتَاجِ [٤] الْكَعْبَةِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ إِنَّ الْكَعْبَةَ غَنِيَّةٌ عَنْ مَالِكَ كَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَكَلِّمْ أَخَاكَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَمِينَ عَلَيْكَ وَلَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ الرَّبِّ وَفِي قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَفِيمَا لَا تَمْلِكُ. [٥]

قال شمس الحق العظيم آبادي: (لا يمين عليك): أي على مثلك. والمعنى لا يجب إلزام هذه اليمين عليك وإنما عليك الكفارة.

قال الطيبي: أي سمعت ما يؤدي معناه إلى قولي لك لا يمين عليك يعني لا يجب الوفاء بما نذرت، وسمي النذر يميناً لما يلزم من اليمين. [٦]

ومما يتعلق بتأخير قسمة الميراث أن يقوم أحد الوارثين بسب المخالف وشتمه بسبب الميراث ووصفه بصفات لا يعيها قائلها في حينها ومن ذلك أنه نازع محمدُ بن الفَضْل بعضَ قَرابته فِي مِيراث، فقال له: يا بن الزِّنْدِيق؛ قال له: إن كان أبي كما تقوله وأنا مثله، فلا يَحِلّ لك أن تُنازعني في هذا الميراث، إذ كان لا يرث دِينٌ دِيناً. [٧]

**هـ- الاستئثار بالميراث وظلم الوارثين وعدم إعطائهم شيئا منه:**

كان طرفة في أول أمره منصبا على اللهو يعاقر الخمر وينفق عليها ماله، وكان في حسب من قومه جريئا على هجائهم وهجاء غيرهم، ومات أبوه وهو صغير، فأبى أعمامه أن يقسموا ماله وظلموا حقا لأمه، وكان اسمها وردة فقال:

---

[١] (أحدهما صاحبه): أي أخاه المصاحب المشارك في الميراث

[٢] (القسمة): أي في النخيل والعقار أو الدرهم والدينار

[٣] (فقال): أي الآخر إن عدت): بضم أوله أي رجعت

[٤] (في رتاج الكعبة): بكسر أوله أي مصالحها أو زينتها.وجعل ماله في رِتَاج الكَعْبة أي لها، فكَنَى عنها بالبـــاب، لأن منه يُدْخَل إليها. وجمع الرِّتاج: رُتُج.

[٥] سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين في قطيعة الرحم، حديث رقم: ٣٢٧٢

[٦] عون المعبود، ج ٩ ص ١١٦ ــ ١١٧، حديث رقم: ٣٢٧٢

[٧] العقد الفريد ج ١ ص ٤٧١

ما تنظرون بحــق وردة فــيكم صــغر البنون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره حــتى تظــل لــه الدماء تصبب
والظــلــم فرّق بين حيي وائل بكــرٌ تســاقــيها المــنايا تــغلب
قــد يورد الظــلم المبيّن آجنا ملحا يُخالط بــالذعاف ويُقــشب
أدوا الحقوق تفر لكم أعراضكم إن الــكريم إذا يــحرَّب يغضب

وحيا وائل: بكر وتغلب، ويشير طرفة إلى تمادي كليب وقتله سراب ناقة البسوس جارة جساس بن مرة، وقتل جساس ثأرا بناقة جاره، فنشبت بين الحيين حرب البسوس البسوس التي استمرت أكثر من أربعين سنة. [١]

## و ـ إخراج بعض الزوجات بحجة أنهن مطلقات:

قد يقوم بعض الوارثين بإخراج بعض الزوجات غير الأمات من المال بحجة الطلاق ، وهذا الأمر يحدث غالبا عند الأسر المتشعبة التي يكون للأب فيها أكثر من زوجة وعدد كبير من الأبناء فيكون داء الضرائر بين الزوجات والتنافس بين الأبناء فتنتج أمثال هذه الأمور ، ومن ذلك قصة فتاة تحكي عن إخوانها لأبيها كيف أخرجوا أمها من الميراث تقول : رحل أبي بعد سنوات من الصراع مع أمي وأبنائه ( أي أنه متزوج بامرأة أخرى قبل أمي ). وهم ٤ أولاد و٣ بنات. وأخرجوا أمي من الميراث بحجة أنها مطلقة وهي ليست كذلك. ونحن الآن وبعد مرور ٤ سنوات على وفاة أبي لم ننته من مشكلات الميراث. [٢]

## ز ـ محاسبة بعض الوارثين بعضا عن أموال بأيديهم:

قد يقوم بعض الوارثين بمحاسبة الأفراد الوارثين لبعضهم في أشياء اكتسبوها وحصلوا عليها من حياة والدهم بل قد يبلغ التنازع بين أفراد الأسرة حول الميراث إلى درجة التنازع حول أشياء يستغربها المرء ومن أشخاص يستغرب حدوث الأمر

---

[١] ديوان طرفة ص ١١

[٢] العنوسة: أسبابها، آثارها، علاجها، ص ٣٣٦

منهم كأن ينازع الرجل أخته ما أعطاه لها والدها ويدعي أن هذا داخل في الميراث وليس هذا في مسائل العقار بل في حلية النساء وزينتهن فينازع من ربي في الحلية في حليته ويشكوه إلى القاضي فيسمع بلؤمه القاصي والداني ومن ذلك:

. عن مغيرة عن شباك قال خاصم رجل أخته إلى شريح في حلي عليها فقال هو ميراث أبي فسألها البينة فقال لا بل أسألك البينة أنه لأبيك.[١]

ـ منع أخت عمياء محتاجة من ميراثها من أبيها ويترك ما أخذه من أخته وغيره ويولي ويأخذه أمير المصر ويبقى إثمه وعاره عليه، ومن ذلك ما قام به ابن المسجف العسقلاني عبد الرحمن بن أبي القاسم الذي توفي فجاءة، وخلف خمسمائة ألف درهم فأخذها ابن ممدود (الجواد صاحب دمشق) وله أخت عمياء فقيرة فمنعها حقها من ميراثها.[٢]

فالذي يتوقع من الرجل تحمل العبء والإنفاق على المرأة عامة وأخته وأمثالها من القرابة خاصة. لا أن يأخذ منها شيئا بل أن يأتي بها إلى المحكمة لتسألها عن قرط في أذنها أو أن تستفسر عن سوار في معصمها أو أن تستريب عن خلخال في قدمها أو قلادة في صدرها أو خاتم في إصبعها أأخذت هذا من أبيها وتأثلته منه حال حياته أو بعد وفاته أو كيف حصلت عليه وما هو مصدره وأصله؟؟

### ح ـ لجوء بعض الوارثين إلى إخفاء ما ورثوه خوفا من طمع الآخرين فيه:

قد يلجأ بعض الوارثين إلى إخفاء ما تملكوه من والدهم في حياته أو ما أعطاه لهم الشرع ، ومن ذلك قصة امرأة أخفت مجوهراتها في رحمها فقد ذكر موقع أخبار الجريمة الآتي: احتفظت سيدة خمسينية بما تمتلك من ذهب داخل رحمها خوفاً من بطش أشقائها بما تبقى لها من ممتلكات بعد أن جردوها مما ورثته من والدها وزوجها المتوفى. بعد أن قام شقيقها برميها أمام مستشفى الإيمان بجنوب الرياض قبل عشرة

---

[١] مصنف ابن أبي شيبة ج ٥ ص ٢٦، في الرجل يموت وقد جعل لابنه الشيء، حديث رقم: ٢٣٣٧٦

[٢] تاريخ الإسلام، ج ١ ص ٤٧٢٥/ الوافي بالوفيات للصفدي، ج ٦ ص ٩١

أيام في محاولة للتخلص منها خوفاً من أن تموت بينهم خاصة أن حالتها الصحية أثناء وصولها إلى المستشفى كانت صعبة للغاية كما تقول إحدى الممرضات في قسم جراحة النساء بالمستشفى.

وقامت الإدارة الأمنية بمستشفى الإيمان بالتبليغ حول وجود امرأة بالمستشفى دون إثبات.

وقالت السيدة مريم : إنها احتفظت بذهبها داخل رحمها خوفاً من بطش أشقائها الذين جردوها من كل ما تملك وسرقوا نصيبها من ميراث والدها وزوجها. وأضافت "عندما هددتهم بالشكوى والفضيحة حبسوني في غرفة وأغلقوا نافذتها بالطوب منذ ١١ عاماً فلم أفكر جيدا وقتها وكان كل همي هو أن أحتفظ بذهبي بأي طريقة فقمت بإدخاله عن طريق المهبل على دفعتين كانت الفترة بينهما شهرين، وأوضحت أنها أصيبت بعد ذلك بنزيف مهبلي متكرر مع دوخة وإغماء.

وتقول مريم إنها طيلة الـ ١١ عاما الماضية كانت حبيسة في غرفة لا ترى أحدا سوى شقيقتها الوحيدة التي كان يُسمح لها بالدخول عليها مرة كل ٤ أو ٥ أشهر وكان طعامها الوحيد هو الخبز وقشور الفواكه مما أدى إلى تقلص وزنها حتى وصلت إلى حد الهزال.[١]

## ط ـ إحراج أحد الوارثين وإبراز معائبه :

. إحراج أحد المخاصمين في الميراث خصمه وإفحامه وإبراز سوءاته ومعائبه ومن ذلك أن بنت الكنيزي النحوية كانت في الجانب الشرقي من بغداد، وكانت نهاية في الفضل، ولها أخ غاية في الجهل. وكانت حسنة المعرفة بالنحو واللغة ولها تصانيف فيهما تعرف بها. اختصمت هي وأخوها في ميراث أبيهما، وطال النزاع بينهما في مجلس

---

[١] نقلا عن: http://www.arabtimes.com/ موقع أخبار الجريمة، ٢٦ مارس ٢٠٠٤

الحكم، وزاد الكلام ونقص، فاغتاظ الحاكم من تفيهقها [(١)] وحوشي كلامها [(٢)] وسقط أخيها وعاميته فقالت: أغاظ سيدنا ما رأى مني ومن هذا الأخ أصلحه الله؟ قال: كلا، ولكن جردي الدعوى فإنه أقرب للإنجاز، فقالت: لي أيد الله الشيخ في ذمته اثنان وعشرون ديناراً مطيعية سلامية.فقال له: ما الذي تقول؟ فقال: ما لها عندي اثنان، وسكت. وأراد أن يقول مثلما قالت فلم يقدر، فقال: بالله يا سيدي كيف قالت فقد والله صدعتنا؟ فقال له: فضولك قول كما تحسن. وضحك أهل المجلس وصار طنزاً [(٣)] واندفعت الخصوم ذلك اليوم [(٤)].

## ي ـ قتل أحد الأقارب قريبه ليستأثر بالميراث :

### ١ ـ قتل الابن أباه :

كان محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي الزهري من أهل المدينة قتله غلمانه بأمر ابنه في أمواله بثلبة بناحية شغب وبدا [(٥)] وكان ابنه سفيها شاطرا قتله للميراث فوثب غلمانه عليه بعد سنين أيضا فقتلوه [(٦)].

### ٢ ـ قتل الأب ابنه :

قتل الآباء الأبناء من أجل حرمانهم من الميراث لم أجد له شاهدا في التاريخ مع

---

(١) قال الأصمعي: أصل الفَهْقِ الامتلاء، فمعنى المُتَفَيْهق الذي يتوسع في كلامه ويَفْهَقُ به فمه. [لسان العرب ، مادة : فهق ]

(٢) حُوشيّ الكلام: أي وَحْشيّه وعَقِدَه، والغريبَ المُشْكل منه.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة {حوش}]

(٣) الطَّنْزُ: السُّخْرِيَةُ، وبابه نصر طَنَزَ به، وهُمْ مَطْنَزَةٌ: لا خَيْرَ فيهم، هَيِّنَةٌ أَنْفُسُهُم عليهم.[القاموس المحيط، باب الزاي فَصْلُ الطّاء / لسان العرب، مادة : طنز]

(٤) الوافي بالوفيات ج ٧ ص ٢٨٧

(٥) بدا: بالفتح والقصر واد قرب أيلة من ساحل البحر وقيل بوادي القرى.

(٦) تاريخ دمشق، ج ٥٤ ص ٣١، وكذلك ج ٥٤ ص ٣٣ / تهذيب الكمال، ج ٢٥ ص ٥٥٨

التتبع الطويل لهذا الموضوع [١] وإنما أكثر حوادث قتل الآباء للأبناء بسبب التنازع في الملك أو إصابة الأب بمرض يقتل بسببه أبناءه وغيرهم [٢].

**٣ ـ قتل ابن الأخ عمه:**

قال السدي: كان رجل من بني إسرائيل مكثرا من المال، فكانت له ابنة، وكان له ابن أخ محتاج، فخطب إليه ابن أخيه ابنته، فأبى أن يزوجه، فغضب الفتى وقال: والله لأقتلن عمي، ولآخذن ماله، ولأنكحن ابنته، ولآكلن ديته، فأتاه الفتى وقد قدم تجار في بعض أسباط [٣] بني إسرائيل، فقال: يا عم انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم، لعلي أن أصيب منها فإنهم إذا رأوك معي أعطوني فخرج العم مع الفتى ليلا، فلما بلغ الشيخ ذلك السبط قتله الفتى، ثم رجع إلى أهله، فلما أصبح جاء كأنه يطلب عمه، كأنه لا يدري أين هو، فلم يجده فانطلق نحوه، فإذا بذلك السبط مجتمعين عليه، فأخذهم وقال: قتلتم عمي فأدوا إليَّ ديته وجعل يبكي ويحثو التراب على رأسه، وينادي واعماه، فرفعهم إلى موسى فقضى عليهم بالدية، فقالوا له: يا رسول الله ادع لنا ربك حتى يبين لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية، فوالله إن ديته علينا لهينة ولكنا نستحي أن نعير به فذلك حين يقول الله ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [٤]

---

[١] من وجد شاهدا على ذلك فأرجو منه أن يمدني به وله مني الشكر والدعاء ومن الله حسن الجزاء.

[٢] انظر: أخبار القضاة ج ١ ص ١٦٠/ تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ٢١٥/ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج ١ ص ٥٥، وكذلك ج ١ ص ٢٣٦ / الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ج ٥ ص ١٦٠/ الحلة السيراء ج ١ ص ٤٤

[٣] السبط واحد الأسباط وهو ولد الابن والبنت، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب ويقال لكل جماعة من أب واحد قبيلة (لسان العرب ، مادة : سبط)

[٤] تفسير ابن كثير ج ١ص ١٤٦ــ١٤٧ والآية رقم ٦٧ وما بعدها من سورة البقرة

**٤ ـ قتل العم ابن أخيه:**

قال القاضي جمال الدين التبريزي، [(١)] : ماتت أمي بنت عشرين سنة، وكان أبي تاجراً ذا مال، فقدم بي إلى دمشق، وأنا ابن ست سنين فمات، وكفلني عمي عبد الخالق، ورجع إلى حران، وباع أملاكنا بثمانين ألفاً وورد بي، ثم قال لي يوماً: امض بنا، فمضى بنا نحو ميدان الحصا، وعرج بي فوثب علي وخنقني، فغشيت، فرماني في حفرة، وطم علي المدر والحجارة، فأبقى كذلك إلى أربعة أيام، فمر رجل صالح كان برباط الإسكاف عرفته بعد ثلاثين سنة، فبكر يتلو، ومر بجسر ابن شواش ثم إلى القطائع، فجلس يبول، وكنت أحرك رجلي فرأى المدر يتحرك، فظنه حية، فقلب حجراً، فبدت رجلي في خف بلغاري، فاستخرجني، فقمت أعدو إلى الماء فشربت من شدة عطشي، ووجدت في خاصرتي فزاراً من الحجارة، وفي رأسي فتحاً قال الشيخ شمس الدين: ثم أراني القاضي أثر ذلك في كشحه، ووضع أصابعي على جورة في رأسه تسع باقلاة ودخلت البلد إلى إنسان أعرفه، فمضى بي إلى ابن عم لنا، وهو الصدر الخجندي، وكان مختفياً بالصالحية، وله غلامان ينسجان ويطعمانه، اختفى لأمور بدت منه أيام هولاكو، وكتب معي ورقة إلى نسائه بالبلد، وكانت بنته ست البهاء التي تزوج بها الشيخ زين الدين بن المنجا، وماتت معه، هي أختي من الرضاعة، فأقمت عندهن مدة لا أخرج، حتى بلغت، وحفظت القرآن بمسجد الزلاقة، فمررت يوماً بالديماس، فإذا بعمي، فقال: ها جمال الدين، امش بنا إلى البيت، فما كلمته، وتغيرت ومعي رفيقان، فقالا لي: ما بك، فسكت وأسرعت، ثم رأيته مرة أخرى بالجامع، فأخذ أموالي، وذهب إلى اليمن، وتقدم عند ملكها، ووزر، ومات عن أولاد. [(٢)]

---

[(١)] هو القاضي جمال الدين التبريزي عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن موسى. القاضي، الخطيب.

[(٢)] الوافي بالوفيات ج ٦ ص ٢١٣/ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ج ١ ص ٤٧٧

**إيذاء الحاكم الذي يحكم بين الوارثين أو الشافع الذي يشفع بينهما**:

خاصم الوليد بن صريع مولى عمرو بن حريث أخته أم كلثوم ابنة صريع إلى عبد الملك بن عمير قاضي الكوفة وكان يقال له القبطي لفرس كان له فقضى لها على أخيها فقال هذيل الأشجعي:

لقد عثر القبطــي أو زل زلــة   وما كان منه لا العثار ولا الزلل
أتاه وليد بالشهود يقودهم على   ما ادعى من صامت المال والخول
يقــود إليــه كلثمــا وكلامها   شــفاء من الداء المخامر والخبل
فأدلى وليــد عنــد ذاك بحجة   وكــان وليد ذا مــراء وذا جدل
وكــان لهــا دل وعين كحيلة   فأدلت بحسن الدل منها وبالكحل
فأفتنت القبطي حتى قضى لهــا   بغير قضاء الله في محكم الطــول
فلو أن من في القصر يعلم علمه   لما استعمل القبطي يوما على عمل
له حين يقضي للنساء تخاوص   وكان وما فيه التخاوص والحــول
إذا ذات دل كلمتــه بحاجة   فهم بأن يقضي تنحنــح أو سعل
وبرق عينيه ولاك لسانه يرى   كل شيء ما خلا شخصهــا خلل

فبلغ ذلك عبد الملك بن عمير فقال: ما لهذيل أخزاه الله والله لربما جاءتني النحنحة أو السعلة وأنا في المتوضأ فأردها مخافة ما قال.[1]

## ثالثا: ما يتعلق بأولي الأحلام والنهى والحاضري قسمة الميراث والعلماء والدعاة:

المتعلقون بالميراث من غير الوارثين عدة فمنهم العلماء والدعاة والشاهدو القسمة والجيران ونحوهم عليهم الآتي:

. التحذير من إتلاف أموال اليتامى وإهدارها ووجوب الإرعاء لها والإبقاء عليها واتقاء الله فيها.

---

[1] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم ٢ص٢٤ــ٢٥/ المنتخب من كنايات الأدباء للسيوطي ص ٩٩

. على الدعاة التركيز على أن أكل أموال اليتامى سبب لدخول النار وعليهم أن يذكروا أن هناك كثيرا من الأوصياء الذين لا خلاق لهم يقومون بأكل أموال اليتامى الذين في حجورهم ظلما ولذا حذرنا البارئ جل ثناؤه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾[1]

قال القرطبي: روي أنها نزلت في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير فأكله؛ فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية، قال مقاتل بن حيان؛ ولهذا قال الجمهور: إن المراد الأوصياء الذين يأكلون ما لم يبح لهم من مال اليتيم. وقال ابن زيد: نزلت في الكفار الذين كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار. وسمي أخذ المال على كل وجوهه أكلا؛ لما كان المقصود هو الأكل وبه أكثر إتلاف الأشياء. وخص البطون بالذكر لتبيين نقصهم، والتشنيع عليهم بضد مكارم الأخلاق. وسمي المأكول نارا بما يئول إليه.[2]

فالذي يجب على الأولياء الإحسان إلى من في حجورهم من يتامى والتعفف عن أموالهم والإنفاق عليهم من أموال الأوصياء، كما في هذه القصة:

قال الإمام مالك بن أنس: قدم على عمر بن عبد العزيز فَتَيَانِ فقالا: إن أبانا توفي فترك مالا عند عمنا حميد، فأمر عمر بإحضاره، فلما دخل عليه، قال له عمر: يا حميد أنت القائل:

حميد الذي أمج[3] داره أخو الخمر ذو الشيبة والصلع
أتاهُ المشيب على شربها وكان كريما فما نزع[1]

---

[1] سورة النساء آية ١٠

[2] تفسير القرطبي (طبع دار الشعب) ج ٥ ص ٥٣

[3] أَمَجُ: بفتحتين وجيم: موضع بين مكة والمدينة.[ النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {أَمَج} / لسان العرب، مادة: أمج]

فقال: نعم. قال: إذا أقررت فإني سأجلدك؟ قال: ولم؟ قال: لأنك أقررت بشرب الخمر، وزعمت أنك لم تنزع عنها. فقال: هيهات أين يذهب بك؟ ألم تسمع قول الله تعالى﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ [٢] قال عمر: أولى لك يا حميد، لقد أفلت، ثم قال: ويحك يا حميد، كان أبوك صالحا وأنت رجل سوء. قال: أصلحك الله، وأنت رجل صالح، وكان أبوك رجل سوء، وما كل الناس يشبه أباه، فقال: إن هؤلاء يزعمون أن أباهم توفي، وترك عندك مالا. قال: صدقوا، وأنا أحضره الآن. فأحضره بخواتيم أبيهم، ثم قال: إن هؤلاء توفي أبوهم منذ كذا وكذا، وأنا أنفق عليهم من مالي وهذا مالهم. فقال عمر: ما أحد أحق أن يكون عنده منك. قال: ما كان ليعود إليَّ بعد أن خرج من عندي [٣].

ونلاحظ أن الذي أغضب الفتيان كما رأينا في هذه القصة ظنهما أن عمهما أكل أموالهما ولذا اشتكياه لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ولكنه كان رجلا شهما كريما.

كما يجب على الأولياء الحفاظ على أموال اليتامى التي بأيديهم وذلك بعدم تمكينهم منها إلا بعد رشدهم ومن ذلك: قال علي بن عاصم قال حصين دخلت المسجد فإذا أنا بشريح يقضي بين الناس فجئت حتى قعدت إليه فجاء شاب قد اجتمع فقعد

---

[١] بينا سعيد بن جبير يطوف بالبيت وبين يديه رجل أضلع يطوف بين يديه فقيل له : أتعرف هذا؟ فقال : لا ومن هذا ؟ قيل : هذا الذي يقول له الشاعر:

حميد الذي أمــج داره    أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع
علاه المشيب على شربها    وعــاش حـــميدا ولم يترع

فقال سعيد بن جبير [ أخبار مكة ج ١ ص ٣٠٩ ، حديث رقم : ٦٣٧]:

بل عاش شقيا ولم يترع

[٢] سورة الشعراء الآيات آيات : ٢٢٤ ــ ٢٢٦

[٣] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول ص ١٠٧/ سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ١١٨ ــ ١١٩

بين يديه فقال يا أبا أمية إن أبي توفي وترك مالا عند عمي وإنه يمنعنيه فجاء عمه فقعد بين يدي شريح فقال له شريح ما بال ابن أخيك يشكوك يقول إن له عندك مالا تمنعه أن ينتفع به قال يا أبا أمية إنه يكثر أكل السكر قال علي يعني شرب النبيذ [١] قال اتق الله وأحسن إلى ابن أخيك ولم يأمره أن يدفع إليه ماله [٢].

وعلى الدعاة بيان أن من أكل مال أيتام عليه أن يتحلل منه وأن يتوب وأن يرجع الحقوق إلى أهلها لأن الحقوق لا تسقط إلا بعد استيفائها أو عفو أهلها وتحلل آكلها منها والتخلص من تبعتها.

. اتصال الدعاة والعلماء وأولي النهى بولاة الأمور لرد الجانف وإقامة أود المعوج من الأقارب.

. تذكير الوارثين أن استصلاح الأموال التي بأيديهم وتنميتها والحفاظ عليها وعدم التفريط فيها وإهمالها استنادا أو اغترارا بما سيئول إليهم من ميراث أفضل لهم وأكرم [٣] ومن ذلك أنه: لما هلك عبد الرحمن بن عوف بعث عثمان بن عفان سهل بن حنيف يقسم ماله بين ولده فأخذ بيد عمر بن عبد الرحمن وكانت أمه سهلة بنت عاصم بن عدي فقال له يا ابن أختي أنت والله أحب القوم إلي علانية غير سر وذلك من قبل الأنصاريات التي ولدنك وإني موصيك بوصية إن حفظتها فهي خير لك من مال أبيك وإن تركتها لم ينفعك ما ترك أبوك لو كان لك قال ما ذاك أوصني قال يا ابن أختي اعلم أنه لا عيلة لمصلح ولا مال لخرق واعلم أن الرقيق ليسوا بمال وهم جمال

---

[١] النَّبِيذ: هو ما يُعْمَلُ من الأشْرِبة من التَّمرِ، والزَّبيب، والعَسَل، والحِنْطَة، والشَّعير وغير ذلك يقال : نَبَذْتُ التَّمر والعنَب، إذا تَركْتَ عليه الْمَاء لِيَصِيرَ نَبِيذاً

[٢] الإشراف في منازل الأشراف، لأبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي ، المعروف بابن أبي الدنيا، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، تحقيق: د. نجم عبد الرحمن خلف، رقم: ٣٩٨

[٣] انظر قول بيهس : يا حَبَّذَا التراثُ لولا الذلَّة ومناسبته في هذا الكتاب.

واعلم أن خير المال العقد [١] وشر العقد النضح [٢] هي كانت أموالنا في الجاهلية حتى كان أحدنا سفيها بولده وخادمه؛ وينزل بينها ويدخل فضلها؛ فأما إذ ركبتم الدواب ولبستم الثياب فليست من أموالكم في شيء فإن كنت لا بد متخذا منها شيئا فاتخذ مزرعة إن عالجتها نفعتك وإن تركتها لم تضرك قال عمر بن عبد الرحمن فحفظت وصية خالي فكانت خيرا لي مما ورثت من أبي [٣] .

- تذكير الوارثين بالله تعالى وتوصيتهم بتقوى الله تعالى والحرص على ميل عوجهم ورد جنفهم إن رأوا منهم ذلك .

. تذكير الآباء وحثهم على العدل بين الأبناء وعدم تفضيل ابن على آخر.

. تحذير الآباء من عدم القيام بقسمة الميراث في الحياة.

. تحذير الآباء من عدم حرمان أحد الأفراد من الميراث.

. الاطمئنان إلى عدم ظلم الكبار للصغار والرجال للنساء ففي كثير من البلاد تورث البنت بشق النفس.

. عدم إمضاء الوصية الجائرة والعمل بها فكثير من الجهال يوصي عند مماته بوصايا جائرة ومن ذلك ما قاله عوانة: قيل للحطيئة عند موته: لك مال فأوص منه للمساكين: قال: بل أوصيهم بإلحاف المسألة. قيل: فأعتق غلامك يسار. قال: هو عبد ما بقي على ظهر الأرض عبسي. قيل: فأوص فإن لك بنات. قال: مالي كله للذكور دون الإناث. قالوا: إن الله جل ذكره لم يقل هكذا. قال: لكني أقوله. وأوصيكم بالأيتام شراً، كلوا أموالهم، وانكحوا أمهاتهم، واحملوني على حمار، فلعلي لا أموت، فإنه لم يمت عليه كريم قط، وويل للشعر من رواية السوء [٤] .

---

[١] العقد: الجمل الموثق الظهر

[٢] الناضح : البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء

[٣] تاريخ دمشق ، ج ٤٥ ص ١٢٤

[٤] التعازي والمراثي للمبرد ص ٣٤٠ ــ ٣٤١

. قيام العلماء والدعاة والخطباء ببيان الحكم الشرعي في الميراث وتوضيح مغبة ظلم الوارثين وعدم جواز الوصية الجائرة، قال ابن القيم: علي بن سعيد عن أحمد إذا زوج بعض ولده وجهزه وله ولد سواهم وهم عنده ينفق عليهم ويكسوهم فإن كان نفقته عليهم مما يجحف بماله ينبغي له أن يواسيهم وإن لم يجحف بماله وإنما هي نفقة فلا يكون عليه شيء.

قال أبو حفص قوله يجحف بماله يعنى ينفق فوق الحاجة ينبغي أن يعطي الذين خرجوا من نفقته بإزاء ذلك لأن ما زاد على النفقة يجري مجرى النحل.

وروى عنه أحمد بن الحسين في امرأة جعلت مالها لأحد بنيها إن هو حج بها دون أخويه تعطيه أجرته وتسوي بين الولد.

وروى عنه إسحاق بن إبراهيم في الأب يقول وهبت جاريتي هذه لابني إذا كان ذلك في صحة منه وأشهد عليه كان قبضه لها قبضا وهذه الرواية تدل على أن هبة الأب لابنه الصغير يجري فيها الإيجاب لأنه اعتبر في ذلك القبض وروى عنه يوسف بن موسى في الرجل يكون له الولد البار الصالح وآخر غير بار لا ينيل البار دون الآخر.

قال أبو حفص لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفرق ولأنه كالبار في الميراث وروي عنه للشاهد أن لا يشهد إذا جاء مثل هذا وعرف فيه الحيف في الوصية وروى عنه الحكم لا يشهد إذا فضل بعض ولده [١].

ويلاحظ في بعض البيئات أن يقوم الأب في حياته بإعطاء بناته بيتا ليرغب في غير المتزوجة ويكون استقرارا وسكنا للمتزوجة فعلى الأولاد الذكور إمضاء هذا الأمر ومباركته وذلك لتعسر الزواج في هذا الوقت وصعوبته [٢].

---

[١] بدائع الفوائد ، ج ٣ ص ٦١١

[٢] انظر : العنوسة : أسبابها ـــ آثارها ـــ علاجها للمؤلف

**٢ ـ المشاركة في التجارة :**

**من أسباب الخلاف بين البشر عامة وبين الأقارب خاصة المشاركة في العمل والتجارة وقد أوضح الله لنا قلة الشركاء الصالحين والخلطاء الصادقين الذين لا يظلمون أحدا ولا يبغون على خلطائهم فقال عز من قائل**﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴾[1]

**قال القرطبي: -** ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ ﴾ **فيه وجهان: أحدهما أنهما الأصحاب. الثاني أنهما الشركاء.** ﴿ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ **أي يتعدى ويظلم.** ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ **فإنهم لا يظلمون أحدا.** ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ **يعني الصالحين، أي وقليل هم ف** ﴿ مَّا ﴾ **زائدة. وقيل: بمعنى الذين وتقديره وقليل الذين هم**[2] **.**

**فعلى الأقارب الخلطاء:**

**ـ أن يتقوا الله عز وجل في تعاملهم بينهم ويتحروا الصدق.**

**ـ أن يسارعوا إلى تصفية أعمالهم ويفضل أن يعمل كل قريب وحده أو مع مجموعة أخرى غريبة عنه. لأن عمل القريب مع قريبه تدخله عوامل أخرى من تسرب أسرار العمل وتداولها بين الأقارب ويمكن أن تصل إلى النساء والصبيان في البيوت مما ينتج عنه وشايات وتحريض على بعض الشركاء بأنهم خونة وسارقون وظلمة.**

---

[1] سورة ص آية ٢٤

[2] تفسير القرطبي (طبع دار الشعب) ج ١٥ ص ١٧٩

### ٣ ـ البخل[١] والأثرة والنظرة الذاتية الضيقة [٢]:

بعض الأقارب يكون له غنى ويسر حال، وأقاربه حوله يعانون الفقر وشظف العيش، فلا يمد يده لمساعدة واحد منهم، ويبخل عليهم بماله وبجاهه، وقد ذم العرب الأقدمون مثل هذا وذكروه بالعيب والاستهجان والاستقباح والأمثلة والشواهد كثيرة مستفيضة نجتزئ منها بالآتي :

. قال زهير بن أبي سلمى:

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن يجعل المعروف في غير أهله ... يكن حمده ذما عليه ويندم[٣]

وقال الفضل بن عبد الرحمن :

وعَطْفاً على المولى وإن كان بينَه ... وبينكَ في بعضِ الأمورِ معاتبُ

ومن ذا الذي يرجو الأباعدُ نفعَه[٤] ... إِذا هو لم يصلح عليه الأقاربُ[٥]

وقال الحارث بن كلدة الثقفي :

أَلا رُبَّ مَنْ يَغْشَى الأَباعِدَ نَفْعُهُ ... وتَشْقَى به حتَّى المَماتِ أَقَارِبُهْ

وإن يَكُ خيراً فالبعيدُ ينالُه ... وإن يَكُ شرًّا فابنُ عمِّكَ صاحبُهْ

فَخلِّ ابنَ عَمِّ السَّوْءِ والدَّهْرَ، إِنَّهُ ... سَيَكْفِيكَهُ أَيَّامُهُ وتَجارِبُهْ

---

[١] البخل هو: المنع من مال نفسه، والشح هو بخل الرجل من مال غيره.(كتاب التعريفات للجرجاني ص٦٢)

[٢] ارتبأت عن كلمة إنانية إحياء للفصيح وإماتة لغيره قال القسطنطيني : من اختراعاتهم الفاسدة لفظ الأنانية فإنه لا أصل له في كلام العرب. [خير الكلام في التقصي على أخطاء العوام ، علي بن بالي القسطنطيني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، تحقيق د. حاتم صالح الضامن ، ص ٢٠]

[٣] ديوان زهير ص٣١

[٤] قال يزيد بن الحكم:

وَما خَيرُ مَن لا يَنفَعُ الأَهلَ مالُهُ ... فَإِن ماتَ لَم تَحزَن عَلَيهِ أَقارِبُهْ

كَهامٌ عَنِ الأَقصى كَليلٌ لِسانُهُ ... وَفي البَشَرِ الأَدنى حَديدٌ مَخالِبُهْ

[٥] بر الوالدين للطرطوشي ص١٧٢

أَرانِــي إذا اسْتَــغْنَيْتُمُ فَعَدوُّكُمْ وأُدْعَى إِذا ما الدَّهْرُ نابَتْ نَوائِبُهْ
لَعَلَّكَ يوماً أَنْ يَسُرَّكَ مَشْهَدِي إِذا جاء خَصْمٌ كالحُباب تُشاغِبُهْ[١]

ولذا قيل : من لم يصلح لأهله لم يصلح لك، ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك.[٢] وقريب مثل هذا لا شك أنه لا يحزن أحد لوفاته فكما قيل: من لم ينلك البر في حياته، لم تبك عيناك على وفاته.[٣]

**٤ ـ عدم الوفاء بالديون**:

المداينة بين الناس شيء عادي وسنة من سنن الحياة وهو من معاني ومضامين حاجة الناس بعضهم لبعض وأنه لا غنى لواحد منهم عن الآخرين قال المتنبي:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعضهم وإن لم يشعروا لبعض خدم

ولما كان من شيم النفوس الظلم[٤] والغدر والخيانة شرع الله عز وجل كتابة الديون والإشهاد عليها وفصل نوع الشهداء قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾[٥]

والدين مع أنه شيء عادي إلا أنه يذل الإنسان إن كان فقيرا وعجز عن سداده وكان دائنه لئيما، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من كثرته، فعن أَنَسِ

---

[١] كتاب العين، ج ٢ ص ٥٣/ الحماسة البصرية ص ٣٦

[٢] أدب الدين والدنيا للماوردي ص١٥٣

[٣] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ١٩١

[٤] قال المتنبي (ديوان المتنبي دار الجيل بيروت (ب.ت) ص٥٧١):

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

[٥] سورة البقرة آية ٢٨٢

بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ.(١)

فالدين هم بالليل وذل بالنهار، فعن عمر بن عبد الرحمن بن دلاف المزني عن أبيه: أن رجلا من جهينة كان يسبق الحاج فيشتري الرواحل فيغلي بها ثم يسرع السير فيسبق الحاج فأفلس فرفع أمره إلى عمر بن الخطاب فقال أما بعد أيها الناس فإن الأسيفع أسيفع جهينة رضي من دينه وأمانته بأن يقال سبق الحاج ألا وإنه قد دان معرضا فأصبح قد رين به فمن كان له عليه دين فليأتنا بالغداة نقسم ماله بينهم وإياكم والدين فإن أوله هم وآخره حرب.(٢)

وروي: إياكم والدين فإنه هم بالليل (٣) ومذلة (٤) بالنهار.(٥)

فصاحب الدين له مقال ، فهو يغلظ على المدين: فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ يَطْلُبُ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَيْنٍ أَوْ بِحَقٍّ فَتَكَلَّمَ بِبَعْضِ الْكَلَامِ فَهَمَّ (٦) صَحَابَةُ

---

(١) صحيح البخاري، كِتَاب الدَّعَوَاتِ، باب الِاسْتِعَاذَةِ مِنْ الْجُبْنِ، حديث رقم: ٦٠٠٨ / سنن أبي داود ، كتاب الطهارة، باب في الاستعاذة، حديث رقم: ١٥٤١

(٢) الموطأ، ج ٢ ص ٧٧٠، حديث رقم: ١٤٦٠

(٣) (فإنه هم بالليل) لأن اهتمامه بقضائه والنظر في أسباب أدائه يسلبه لذة نومه

(٤) (ومذلة بالنهار) فإنه يتذلل لغريمه ليمهله هذا تحذير شديد عن ارتكاب الدين لا سيما لمن لا يرجو له وفاء وقيل الدين قد يعدم الدين.[فيض القدير ، ج ٣ ص ١٦٨، رقم : ٢٩٢٥]

(٥) كنز العمال، الترهيب عن الاستقراض من غير ضرورة، حديث رقم: ١٥٤٨٣/ كشف الخفاء، حديث رقم: ٨٥٢ / الجامع الصغير للسيوطي، حديث رقم: ٢٩٢٥، وضعفه

(٦) (فهمَّ) أي قصدوا الوقوع فيه بالزجر والأذى، تأديبا له.

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهْ [١] إِنَّ صَاحِبَ الدَّيْنِ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ حَتَّى يَقْضِيَهُ. [٢]

والمدين يعد ويخلف ويقول ويكذب ويتجنب مجامع الناس ومنتدياتهم وخاصة التي يظن أن دائنه موجود فيها. هذا إن كان معسرا: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي نَطْلُبُ الْعِلْمَ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَقِينَا أَبَا الْيَسَرِ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ غُلَامٌ لَهُ مَعَهُ ضِمَامَةٌ مِنْ صُحُفٍ [٣] وَعَلَى أَبِي الْيَسَرِ بُرْدَةٌ [٤] وَمَعَافِرِيٌّ [٥] وَعَلَى غُلَامِهِ بُرْدَةٌ وَمَعَافِرِيٌّ فَقَالَ لَهُ أَبِي يَا عَمِّ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ سَفْعَةً مِنْ غَضَبٍ [٦] قَالَ أَجَلْ كَانَ لِي عَلَى فُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ الْحَرَامِيِّ مَالٌ فَأَتَيْتُ أَهْلَهُ فَسَلَّمْتُ فَقُلْتُ ثَمَّ هُوَ قَالُوا لَا فَخَرَجَ عَلَيَّ ابْنٌ لَهُ جَفْرٌ [٧] فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ أَبُوكَ قَالَ سَمِعَ صَوْتَكَ فَدَخَلَ أَرِيكَةَ أُمِّي [٨] فَقُلْتُ اخْرُجْ إِلَيَّ فَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ أَنْتَ فَخَرَجَ فَقُلْتُ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنِ اخْتَبَأْتَ مِنِّي قَالَ أَنَا وَاللَّهِ أُحَدِّثُكَ ثُمَّ لَا أَكْذِبُكَ خَشِيتُ وَاللَّهِ أَنْ أُحَدِّثَكَ فَأَكْذِبَكَ وَأَنْ أَعِدَكَ فَأُخْلِفَكَ وَكُنْتَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُنْتُ وَاللَّهِ مُعْسِرًا قَالَ قُلْتُ آللَّهِ قَالَ اللَّهِ قُلْتُ آللَّهِ

---

[١] (مه) أي اسكت ودع عنك ذلك.

[٢] سنن ابن ماجة، كتاب الصدقات، باب لصاحب الحق سلطان ، حديث رقم: ٢٤٢٥، وفي الزوائد: في إسناده حنش واسمه حسين بْنُ قيس، أبو عليّ الرحبيّ، ضعّفه أحمد وابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة.

[٣] ( ضمامة من صحف ) بكسر الضاد المعجمة أي رزمة يضم بعضها إلى بعض.

[٤] (بردة) البردة شملة مخططة وقيل كساء مربع فيه صغر يلبسه الأعراب وجمعه برد.

[٥] (ومعافري) نوع من الثياب يعمل بقرية تسمى معافر وقيل هي نسبة إلى قبيلة نزلت تلك القرية والميم فيه زائدة

[٦] ( سفعة من غضب ) هي بفتح السين المهملة وضمها لغتان أي علامة وتغير

[٧] (جفر) الجفر هو الذي قارب البلوغ وقيل هو الذي قوي على الأكل وقيل ابن خمس سنين

[٨] ( أريكة أمي ) قال ثعلب هي السرير الذي في الحجلة ولا يكون السرير المفرد وقال الأزهري كل ما اتكأت عليه فهو أريكة

قَالَ اللَّهِ قُلْتُ آللَّهِ قَالَ اللَّهِ [١] قَالَ فَأَتَى بِصَحِيفَتِهِ فَمَحَاهَا بِيَدِهِ فَقَالَ إِنْ وَجَدْتَ قَضَاءً فَاقْضِنِي وَإِلَّا أَنْتَ فِي حِلٍّ فَأَشْهَدُ بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ [٢] رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ [٣].

ولذا أمر الله عز وجل بإنظار المعسر إلى حين يسره قال الله تعالى ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ [٤] وحث النبي صلى الله عليه وسلم على إنظار المعسر أو الوضع عنه فعَنْ أَبِي الرِّجَالِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ أَنَّ أُمَّهُ عَمْرَةَ بِنْتَ عَبْدِالرَّحْمَنِ قَالَتْ سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ [٥] الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ [٦] فِي شَيْءٍ وَهُوَ يَقُولُ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَيْنَ الْمُتَأَلِّي [٧] عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ [٨] فَقَالَ أَنَا يَا

---

[١] (قلت آلله قال الله) الأول بهمزة ممدودة على الاستفهام والثاني بلا مد والهاء فيهما مكسورة.

[٢] (مناط قلبه) هو بفتح الميم وهو عرق معلق بالقلب.

[٣] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل، وقصة أبي اليسر، حديث رقم: ٣٠٠٦

[٤] سورة البقرة آية ٢٨٠

[٥] (يستوضع) يطلب منه أن يضع ويحط عنه شيئا من دينه.

[٦] (يسترفقه) يطلب منه أن يرفق به في الاستيفاء والمطالبة.

[٧] (المتألي) الحالف المبالغ في اليمين مشتق من الألية وهي اليمين.قال كثير في عمر بن عبد العزيز:

قَليلُ الأَلايا حَافِظٌ لِيَمينِهِ ... فَإِن سَبَقَت مِنهُ الأَلِيَّةُ برَّتِ

[٨] (المعروف) الخير والإحسان.

رَسُولَ اللَّهِ وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ [١] أَحَبَّ [٢].

وبين صلى الله عليه وسلم أن إنظار المعسر سبب لدخول الجنة. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَكَانَ يُدَايِنُ [٣] النَّاسَ فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ قَالَ لَا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى قُلْتُ لَهُ خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ. [٤]

ويستدين بعض الأقارب بحجة جلب المكارم والمحامد للعشيرة ومثل هذا النوع غالبا تكون له أعمال بر وخير من إكرام ضيفان وتعلق بمعالي الأمور فتجده يقترض بزعم أنه سيسدد في حين آخر فمثل هذا على أقاربه وعشيرته إعانته على مكرمته وعدم تثبيطه عنها وعليه تركها إن عجز عن سداد ديونه. فيكف عن الاقتراض.

كما لا يفوتنا أن ننبه إلى أنه يوجد نوع من الناس همه الاقتراض والاستدانة بحاجة وبغير حاجة مع المماطلة وعدم السداد، وهذا من الظلم فعَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَخِي وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و

---

[١] (وله أي ذلك أحب) لخصمي ما رغب وأحب من الحط أو الرفق.

[٢] صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب: هل يشير الإمام بالصلح، حديث رقم: ٢٥٥٨/ صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب: استحباب الوضع من الدين، رقم: ١٥٥٧

[٣] (يداين الناس) يبيعهم مع تأخير الثمن إلى أجل.

[٤] صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف، حديث رقم: ١٩٧٢/ صحيح مسلم، كتاب المساقاة والمزارعة، باب فضل إنظار المعسر، رقم: ١٥٦٢

َسَلَّمَ مَطْلُ الْغَنِيِّ [١]ظُلْمٌ. [٢] أو يقترض من شخص ليسدد لآخر.

قال الشاعر :

إذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن    قضاء ولكن كان غرما على غرم[٣]

وقد يقترض القريب من قريبه أو قريبته مبلغا من المال ويعد بالوفاء به ويعجز عن ذلك أو يماطل وفي الغالب التداين بين الأقارب لا يكون فيه كتابة ولا إشهاد وذلك لائتمان بعضهم بعضا ومما لا شك فيه أن الزاهد فيما عند الناس محبوب لديهم. لما جاء عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ. [٤] وإذا حدث واقترض الإنسان مبلغا من قريبه أو قريبته فعليه التقيد بأحكام الشرع من كتابة وإشهاد وعليه المبادرة بالوفاء والسداد عند المقدرة أو محاولة إرضاء قريبه بأي وسيلة مشروعة من رهان وخلافه حتى لا ينشأ خلاف بينه وبين أقاربه.

وقد يعاتب بعض الأقارب قريبه لكثرة دينه وتبيين أن هذا الأمر لا يليق به ومن أمثلة معاتبات الأقارب في الدين ما حدث للمقنع الكندي وكان يكثر من الدين فلامه

---

[١] قال القاضي وغيره: المطل منع قضاء ما استحق أداؤه. فمطل الغني ظلم وحرام. ومطل غير الغني ليس بظلم ولا حرام. بمفهوم الحديث، ولأنه معذور. ولو كان غنيا، ولكنه ليس متمكنا من الأداء لغيبة المال، أو لغير ذلك، جاز له التأخير إلى الإمكان. [ مسلم بشرح النووي ج ١٠ ص ٢٢٧]

[٢] صحيح البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: مطل الغني ظلم، حديث رقم: ٢٢٧٠ / صحيح مسلم، كتاب المساقاة: باب تحريم مطل الغني وصحة الحوالة واستحباب قبولها إذا أحيل على مليٍّ ، حديث رقم: ١٥٦٤

[٣] الوافي بالوفيات، ج ٣ ص ٤٩١ / المستطرف ج ١ ص ٧٣

[٤] سنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، حديث رقم: ٤١٠٢، في الزوائد: في إسناده خالد بن عمرو، وهو ضعيف متفق على ضعفه. واتهم بالوضع. وأورد له العقيليّ هذا الحديث، وقال: ليس له أصل من حديث الثوريّ. لكن قَالَ النوويّ عقب هذا الحديث: رواه ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة.

قومه، فبين لهم أن سبب إكثاره من الدين هو إكساب قومه المحامد وسد الخلال التي أخلوا بها والرتوق التي فتقوها والثغور التي أضاعوها والواجبات التي فرطوا فيها والحقوق التي قصروا فيها وتعلقه بمعالي الأمور التي يطيقها وذلك كإطعام الضيف وبذل الطعام وإنهابه للناس وفتح أبوابه مشرعة لقاصدي فضله ونواله وقد بين خلالا وصفات كثيرة ذكرها في قوله:

يُعاتِبُني في الــدينِ قَومي وَإِنَّما ... دُيونِيَ في أَشياءَ تُكسِبُهُم حَمدا(١)

وستأتي القصيدة في أمثلة لعداوات استصلحت من هذا الكتاب.

وعلى القريب أن يعذر أقاربه في عدم إقراضهم المال وخاصة إذا كان ينفق المال على نفسه فعليه بالصبر واليأس من مال غيره قال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني:

إذا شــئت أن تــستقرض المال منفقاً ... عــلى شهوات النفس في زمن العسر

فسل نفسك الإقراض من كنز صبرها ... عــليك وإنــظاراً إلى زمــن اليــسر

فان فعلت كنــت الغــني وإن أبــت ... فكل منــوع بــعــدها واسع العذر(٢)

## ٥ ـ الاشتطاط في مهور زواج الأقارب :

قد يتقدم متقدم من الأسرة لطلب يد إحدى قريباته كابنة عمه أو خاله أو نحوها من القرابة القريبة ويكون الشخص المتقدم غير مرغوب فيه من قبل أسرة الفتاة المطلوبة ويعزى ذلك لعدة أسباب منها:

ـ أن يكون هذا المتقدم ممن تذم الأسرة بمصاهرته وذلك بأن تكون أمه أو أبوه

---

(١) المعنى عاتبني قومي في كثرة ديوني ولم يعلموا أنها تكسبهم حمدا لبذلي لها في أمور الخير

(٢) المنتظم، ج ٤ ص ٢٩٧

غريبين عن الأسرة أو أن يكون هذا القريب هجينا [(١)] بين الهجنة [(٢)] وهذا مما يعاب به القريب وينتقص من قدره أمام أقاربه وإن لم يجبهوه به فإنه يحس ذلك من نظرات عيونهم وصفحات وجوههم وفلتات لسانهم ، قال الشاعر :

كَمْ فيهمُ مِن هَجينٍ أُمُّه أَمَةٌ     في عَيْنِها قَدَعٌ، [(٣)] في رِجْلِها فَدَع[(٤)]

ومن أمثلة هذا النوع عنترة[(٥)] بن شداد العبسي الذي رفض عمه أن يزوجه لأنه هجين فطلب منه عمه أن يأتي بألف ناقة من النوق العصافير وهي من إبل النعمان بن المنذر وكان قصد العم أن يقتله النعمان فذهب عنترة وقبض عليه وأدخل السجن وقابل الملك النعمان وأرغمه على منازلة أسد ضاري فقتله عنترة وفي نهاية الأمر أعطاه النعمان الإبل ولكن العم مع ذلك لم يزوج عنترة، يقول عنترة مصورا ذهابه للملك النعمان وخداع عمه له وما لاقاه في هذه الرحلة من أهوال يقول :

تُرى علمتْ عبيلة [(٦)] ما ألاقي     من الأهوال في أرض العراق[(٧)]

---

(١) الهُجْنَةُ في الناس والخيل إنما تكون من قِبل الأم فإذا كان الأب عتيقا أي كريما والأم ليست كذلك كان الولد هَجينا والإقراف من قِبَل الأب.[مختار الصحاح، مادة : هجن]

(٢) الهَجينُ: العربيّ ابنُ الأَمة لأَنه مَعيبٌ، والجمع هُجُنٌ وهُجَناء وهُجْنانٌ ومَهاجِينُ ومَهاجِنَةٌ؛ والأُنثى هَجينة من نسوة هُجْن وهَجائنَ وهجان.[لسان العرب، مادة: هجن]

(٣) قَدِعَتْ عينُه تَقْدَعُ قَدَعاً: ضَعُفَتْ من طول النظر إِلى الشيء.

(٤) لسان العرب ، مادة : قدع

(٥) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي. أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه.

(٦) العَبْلُ: الضَّخْم: يُقال: عَبُلَ عَبَالَةً وعَبِلَ عَبَلاً؛ فهو أعْبَل وامْرَأةٌ عَبِيْلَةٌ: ضَخْمةٌ. وعَبْلاَءُ: طَويلةٌ حَسَنَة.[المحيط في اللغة، مادة: عبل]

(٧) الأهوال: جمع هول، وهو المصيبة.

طغاني بالــريا والمكــر عــمــي وجار علي في طلب الصداق[١]

فخطت بمهجتي بــحــر المنــايا وسرت إلى العراق بلا رفاق

وسقت النوق والــرعيان وحدي وعدتُ أجدُّ من نار اشتياقي

وما أبعدت حــتى ثــار خلفي غبار ســنابك الخيل العتاق [٢]

وطبّــق كــل ناحــية غــبار وأشــعل بالمــهنــدة الرقاق

وضجت تــحته الفرسان حتى حسبت الرعد محلول النطاق[٣]

فعدت وقد عــلمت بأن عــمي طــغاني بالمحال وبالنفــاق

وبادرت الفوارس وهي تــجري بطعن في النحور وفي التراقي[٤]

وما قصرت حــتى كــل مهري وقصر في السباق وفي اللحاق

نزلت عن الجواد وسقــت جيشا بسيفي مثــل ســوقي للنياق

وفي باقي النــهار ضعفت حــتى أسرت وقد عيي عضدي وساقي

وفاض عــلي بحر مــن رجــال بأمــواج من السمر الدقــاق

وقادوني إلى ملك كــريم عــزيز رفــيع قــدره في الــعز راق

وقد لاقــيت بــين يــديه ليــثا كــريه الملتــقى مــر المذاق

بــوجه مثل ظــهر الترس فــيه لهيب النــار يُشعَلُ في المآقي

قطعت وريده بالســيف جــزرا وعــدت إليه أحجل في وثاقي

عساه يــجود لي بــمراد عمي ويــنــعم بالــجمال وبالنياق[٥]

---

[١] طغاني : ظلمني . الريا : الرياء.

[٢] السنابك: جمع سنبك، وهو طرف الحافر.

[٣] النطاق: شقة تشد بها المرأة وسطها، أراد أن الرعد لا شيء يمسكه فهو متتابع.

[٤] التراقي: الواحد ترقوة، وهي عظم في أعلى الصدر بين ثغرة النحر والعاتق.

[٥] ديوان عنترة بن شداد، اعتنى به وشرحه، حمدو طمّاس، طبع دار المعرفة، بــيروت، لبنــان، الطبعــة الأولى ، ١٤٢٣هــ ــ ٢٠٠٣ م ، ص ١٣٨ ــ ١٣٩

. أن يكون القريب المتقدم فقيرا فقرا مدقعا، من ذلك ما حدث لعروة بن حزام العذري مع عمه ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: عروة بن حزام أبو سعيد العدوي كان شاعرا مغرما في ابنه عم له، وهي عفراء بنت مهاجر يقول فيها الشعر واشتهر بحبها فارتحل أهلها من الحجاز إلى الشام فتبعهم عروة فخطبها إلى عمه فامتنع من تزويجه لفقره وزوجها بابن عمها الآخر فهلك عروة هذا في محبتها وهو مذكور في كتاب مصارع العشاق [1] .

. ذكر أهل التأريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال: يا خالد ائتني بمحدث من المسجد. والناس إذ ذاك يطلبون المقام في المسجد. فانتهى إلى شاب قائم يصلي فجلس حتى سلم ثم قال: أجب الأمير. فقال: أبعثك الأمير إلي قاصداً. قال: نعم فمضى معه حتى انتهى إلى الباب فقال له خالد: كيف أنت ومحادثة الأمير. قال: سيجدني كما يحب إن شاء الله تعالى. فلما دخل عليه قال له الحجاج: هل قرأت القرآن؟ قال: نعم وقد حفظته. قال: فهل تروي شيئاً من الشعر. قال: ما من شاعر إلا وأروي عنه؟ قال: فهل تعرف من أنساب العرب ووقائعها؟ قال: لا يذهب عني شيء من ذلك. فلم يزل يحدثه بكل ما أحب حتى إذا هم بالانصراف، قال: يا خالد، مر للفتى ببرذون وغلام ووصيفة وأربعة آلاف درهم. فقال الفتى: أصلح الله الأمير بقي من حديثي أظرفه وأعجبه فأعاده الحجاج إلى مجلسه وقال: حدثني. فقال: أصلح الله الأمير هلك والدي وأنا طفل صغير فنشأت في حجر عمي وله ابنة بسني، وكنا في التصابي من الصبا وما كنا فيه أعجوبة، حتى إذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها أموالاً لجمالها وكمالها، فلما رأيت ذلك خامرني السقم، وضنيت ورميت على الفراش ثم عمدت إلى خابية عظيمة فملأتها رملاً وصخراً وقيرت رأسها ودفنتها تحت فراشي، فلما تم على ذلك أيام بعثت إلى عمي فقلت: يا عمي، إني كنت أريد السفر فوقعت على مال عظيم وخفت أن أموت ولا يعلمه

[1] البداية والنهاية ، للإمام ابن كثير ، ج ٧ ص ٢٦٦

أحد فإن حدث بي أمر فأخرجه وأعتق عني عشر نسمات واحجج عني عشر حجج، وجهز عني عشر رجال بخيولهم وأسلحتهم، وتصدق عني بألف دينار، ولا تبال يا عم! فإن المال كثير. فلما سمع عمي مقالتي أتى امرأته فأخبرها بقولي فما كان بأسرع من أن أقبلت بجواريها حتى دخلت علي فوضعت يدها على رأسي ثم قالت: والله يا ابن أخي ما علمت بسقمك وما حل بك حتى أخبرني أبو فلان الساعة. وأقبلت تلاطفني وتعالجني بالأدوية وحملت لي لطائف، وردت الخطاب عن ابنتها، فلما رأيت ذلك تحاملت ثم بعثت إلى عمي إن الله عز وجل قد أحسن إلي وعافاني فابتغ لي جارية من خصالها وكمالها كيت وكيت، ولا يسألونك شيئاً إلا أعطيته، فقال: يا ابن أخي ما يمنعك من ابنة عمك؟

فقلت: هي من أعز خلق الله تعالى علي غير أني قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت. قال: كلا، إن الامتناع كان من قبل أمها، وهي الآن قد سمحت ورضيت بذلك. فقلت: شأنك. فرجع إلى امرأته فأخبرها بقولي، فجمعت عشيرتها فزوجوني إياها فقلت: عجل علي بابنة عمي كيف شئت ثم أريك الخابية. فأهديت إلي، ولم تدع شيئاً يصنع بأشراف النساء إلا فعلته. ثم زفت ابنتها علي وأحضرتها بكل ما وجدت إليه سبيلاً، وأخذ عمي متاعاً من التجار بعشرة آلاف درهم، وكان يأتينا في كل صباح من قبل أبويها لطائف وتحف مدة. فلما كان بعد ذلك بأيام أتاني عمي وقال: يا ابن أخي، إنا قد أخذنا من التجار متاعاً بعشرة آلاف درهم، وليسوا صابرين على حبس الثمن. قلت: شأنك والخابية. فمر مسرعاً حتى جاء بالرجال والحبال فاستخرجها وحملها، ومر مسرعاً بها إلى منزله، فلما فتحها كان فيها ما علمت، فما كان بأسرع من أن جاءت أمها بجواريها فلم تدع في منزلي كثيراً ولا قليلاً إلا حملته، فبقيت مهاناً على الأرض وجفتنا كل الجفاء، فهذا حالي، أصلح الله الأمير، فأنا من خجلي وضيق صدري آوي إلى المساجد. فقال الحجاج: يا خالد، مر للفتى بثياب ديباج وفرس أرمينية وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم. وقال: يا فتى اغد إلى خالد غداً حتى تستوفي

منه المال. فخرج الفتى من عند الحجاج، قال: فلما انتهيت إلى باب داري سمعت ابنة عمي تقول: ليت شعري ما أبطأ بابن عمي، أقتل أم مات أم عرض له سبع؟ قال: فدخلت عليها وقلت: يا ابنة عمي أبشري وقري عيناً فإني أدخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت. وحكيت لها ما كان من أمري، فلما سمعت الفتاة مقالتي لطمت وجهها وصاحت، فسمع أبوها وأمها وأخواتها صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها: ما شأنك؟ فقالت لأبيها: لا وصل الله رحمك ولا جزاك عني وعن ابن أخيك خيراً جفوته وضيعته حتى أصابته الخفة وذهب عقله اسمع مقالته. فقال العم: يا ابن أخي ما حالك؟ فقلت: والله ما بي من بأس إلا أني دخلت على الحجاج وذكر له من أمره ما كان وأنه أمر له بمال جزيل. فقال العم لما سمع مقالته: هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما أصبحوا بعثوا إلى المعالج فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويسهله أخرى، فيقول الفتى: والله ما بي من بأس وإنما أدخلت على الحجاج فكان كيت وكيت. فلما رأى الفتى أن ذكر الحجاج لا يزيده إلا بلاء كف عنه وعن ذكره ثم قال له: ما تقول في الحجاج؟ قال: ما رأيته. ثم خرج المعالج فقال لهم قد ذهب عنه الأذى ولكن لا تعجلوا بحل قيده فبقي الفتى مقيداً مغلولاً. فلما كان بعد أيام ذكره الحجاج فقال: يا خالد ما فعل الفتى؟ فقال: أصلح الله الأمير ما رأيته منذ خرج من حضرة الأمير. قال: فابعث إليه أحداً. قال: فبعث إليه خالد حرسياً، فمر الحرسي على عم الفتى فقال له: ما فعل ابن أخيك؟ فإن الحجاج يطلبه. قال: إن ابن أخي لفي شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء في عقله. قال: لا أدري ما تقول، لا بد من الذهاب به الساعة. فدخل عليه العم فقال: يا ابن أخي، إن الحجاج قد بعث في طلبك أفأحلك؟ قال: لا، إلا بين يديه. فحمل في قيوده وغله على ظهور الرجال حتى أدخل على الحجاج. فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى إليه فكشف قيده وغله وقال: أصلح الله الأمير، إن آخر أمري أعجب من

أوله، وحدثه بحديثه فعجب الحجاج وقال: يا خالد، أضعف للفتى ما كنا قد أمرنا له، فقبض المال أجمع وحسن حاله ولم يزل مسامراً للحجاج حتى مات.[١]

. عدم رضا الأسرة عن أخلاق المتقدم لابنتهم وذلك لشره وخبثه وعرامته ومن ذلك ما حدث لبشر بن عوانة فقد كَانَ بِشْرُ بْنُ عَوَانَةَ العَبْدِيُّ صُعْلُوكاً. فَأَغَارَ عَلَى رَكْبٍ فِيهِمُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ، فَتَزَوَّجَ بِهَا، وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوم، فَقَالَتْ :

أَعْجَبَ بِشْراً حَوَرٌ فِي عَيْنِي   وَسَاعِدٌ أَبْيَضُ كَاللُّجَيْنِ
وَدُونَهُ مَسْرحَ طَرْفِ العَيْنِ   خَمْصَانَةٌ تَرْفُلُ فِي حِجْلَينِ
أَحْسَنُ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَينِ   لَوْ ضَمَّ بِشْرٌ بَيْنَهَا وَبَيْنِي
أَدَامَ هَجْرِي وَأَطَالَ بَيْنِي   وَلَوْ يَقِيسُ زَيْنَهَا بِزَيْنِي
لأَسْفَرَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ

قَالَ بِشْرٌ: وَيْحَكِ مَنْ عَنَيْتِ؟ فَقَالَتْ: بِنْتَ عَمِّكَ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: أَهِيَ مِنَ الحُسْنِ بِحَيْثُ وَصَفْتِ؟ قالَتْ: وَأَزْيَدُ وَأَكْثَرُ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَمِّهِ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ، وَمَنَعَهُ العَمُّ أُمْنِيَّتَهُ، فَآلَى أَلاَّ يُرْعِيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ إِنْ لَمْ يُزَوِّجْهُ ابْنَتَهُ، ثُمَّ كَثُرَتْ مَضَرَّاتُهُ فِيهِمْ، وَاتَّصَلَتْ مَعَرَّاتُهُ إِلَيْهِمْ؛ فَاجْتَمَعَ رِجَالُ الحَيِّ إِلَى عَمِّهِ، وَقَالُوا :كُفَّ عَنَّا مَجْنُونَكَ، فَقَالَ: لاَ تُلْبِسُونِي عَاراً، وَأَمْهِلُونِي حَتَّى أُهْلِكَهُ بِبَعْضِ الحِيَلِ، فَقَالُوا: أَنْتَ وَذَاكَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَمُّهُ: إِنِّي آلَيْتُ أَنْ لاَ أُزَوِّجَ ابْنَتِي هَذِهِ إِلاَّ مِمَّنْ يَسُوقُ إِلَيْهَا أَلْفَ نَاقَةٍ مَهْراً، وَلا أَرْضَاهَا إِلاَّ مِنْ نُوقِ خُزَاعَةَ، وَغَرَضُ العَمِّ كَانَ أَنْ يَسْلُكَ بِشْرٌ الطَّرِيقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُزَاعَةَ فَيَفْتَرِسَهُ الأَسَدُ؛ لأَنَّ العَرَبَ قَدْ كَانَتْ تَحَامَتْ عَنْ ذَلكَ الطَّرِيقِ، وَكَانَ فِيهِ أَسَدٌ ثُمَّ سَلَكَ بشر ذَلِكَ الطَّرِيقَ، فَمَا نَصَفَهُ حَتَّى لَقِيَ الأَسَدَ، وَقَمَصَ مُهْرُهُ، فَنَزَلَ وَعَقَرَهُ، ثُمَّ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ إِلَى الأَسَدِ، وَاعْتَرَضَهُ، وَقَطَّهُ، ثُمَّ كَتَبَ بِدَمِ الأَسَدِ عَلَى قَمِيصِهِ إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ:

أَفَاطِمُ لَوْ شَهِدْتِ بِبَطْنِ خَبْت   وَقَدْ لاَقَى الهِزَبْرُ أَخَاك بِشْرَا
إِذاً لَرَأَيْتِ لَيْثاً زَارَ لَيْثاً   هِزَبْرَاً أَغْلَباً لاقَى هِزَبْرَا

---

[١] إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ، لمحمد بن دياب الإتليدي ص ١١١ـــ ١١٩

تَبَهْنَسَ إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي    مُحَاذَرَةً، فَقُلْتُ: عُقِرْتَ مُهْرَا
وَأَنْتَ تَرُومُ للأَشْبَالِ قُوتاً    وَأَطْلُبُ لابْنَةِ الأَعْمامِ مَهْرَا
فَفِيمَ تَسُومُ مِثْلي أَنْ يُوَلِّي    وَيَجْعَلَ في يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرَا
نَصَحْتُكَ فَالْتَمِسْ يا لَيْثُ غَيْرِي    طَعَاماً؛ إنَّ لَحْمي كَانَ مُرَّا
فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الغشَّ نُصْحي    وَخَالَفَني كَأَني قُلْتُ هُجْرَا
هَزَزْتُ لَهُ الحُسَامَ فَخِلْتُ أَنِّي    سَلَلْتُ بِهِ لَدَى الظَّلْماءِ فَجْرَا
وَأَطْلَقْتُ المَهَنَّد مِنْ يَمِينِي    فَقَدَّ لَهُ مِنَ الأَضْلاَعِ عَشْرَا[1]

مما سبق من هذه النماذج يتضح لنا الآتي:

. عدم تزويج عم عنترة له سببه الفوارق الاجتماعية والخوف من تعيير المجتمع فابنة عمه عربية صليبة وهو مولى .

. رفض تزويج عروة بن حزام من ابنة عمه عفراء و رفض تزويج سمير الحجاج من ابنة عمه هو فقرهما وقلة ذات يدهما.

. العلة في رد عم بشر بن عوانة له هو شره وعرامته وأذاه للحي.

وتستحي الأسر غالبا من رد هذا النوع من الأقارب المتقدمين لطلب بناتهم فيتحرجون ويتذممون من جبهه ورفضه رفضا صريحا حتى لا تلام على ذلك من قبل الآخرين فتغلف رفضها له بأن تطلب منه مهرا كبيرا ويكون الغرض من مطالبته بهذا المهر تعجيزه من الإتيان به وذلك لعلمها باستحالة الحصول على هذا المهر لكثرته ولأنه محفوف بالمخاطر وفي مجتمعات الناس أقارب قصّر بهم عن الزواج من بعض فتيات أقاربهم وضعهم الاجتماعي ونظرة الأقارب والمجتمع لهم.

ولا ينظر الأقارب غالبا إلى التباين في العلم والجمال بين أبناء وبنات العم قالت أحداهن مبينة عادة المجتمع في هذا:

---

[1] مقامات بديع الزمان الهمذاني، ج ١ ص ٦٤ ـــ ٦٦/ الحماسة البصرية ٢٦١ ـــ ٢٦٤/ جواهر الأدب لأحمد الهاشمي ط ٣٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر ج١ص ٣١٨ ـــ ٣١٩

ألا رب حوراء المحاجر طفلة تساق إلى وغد من القوم تنبال[١]

يقولون جرته إليها قرابة فويح العذارى من بني العم والخال[٢]

وقد بدأت هذه الظواهر في الانحسار نسبة للانفتاح المدني والتأثر بالحضارة الغربية والانتقال من حياة البدو إلى الحضر ومن الريف إلى المدن.

كما أن ابنة العم قد تكون على درجة كبيرة من القبح والدمامة فيجبر ابن عمها على الزواج منها تغطية لقدحه فلا يبر الأبعدون بالزواج منهم ويترك الأقربون كما يقولون ويتمثلون بقول القائل: الزيت يحرم على الجيران إن لم يكف أهل البيت.[٣]

## ٦ ـ أخذ أموال الأقارب من غير طيب نفس منهم :

قد يأخذ أحد الأقارب من قريبه مالا من غير طيب نفس منه كأن يأخذ شيئا من غير استئذان ويخبره به بعد أيام أو بعد أن يكون قد حازه إلى رحاله فيستحي قريبه من رده ويتذمم من جبهه بالمنع مع ظهور عدم الرضا على وجه القريب المأخوذ منه.

وهذا الأمر يكون سببا في إيغار الصدر على القريب الآخذ وجعل عرضه غرضا لصاحب المال المأخوذ فيشيع معايبه ويبث سيئاته وينشر سوءاته بين الناس لا سيما عند تكرار فعله هذا أكثر من مرة .

وقد يكون الأخذ سرقة أو اختلاسا يختلسه القريب من مال قريبه كلما سنحت له سانحة أو واتته فرصة فيأخذ ما وارته الخزائن من أموال مخبأة أو مصوغات أو مشغولات اتخذها صاحبها عدة لنوائب الزمان وغوائل الدهر والأخذ خلسة كثيرا ما يفعله الأبناء مع آبائهم المحتجنين للأموال أو الأبناء السفهاء الذين يريدون قضاء

---

[١] التِّنْبال والتِّنْبَل والتِّنْبالة الرَّجُل القَصِير، وجَمْعه التَّنابِيل.[لسان العرب، مادة: تنبل]

[٢] بلاغات النساء ص ٢١٤ ــ ٢١٥/ ربيع الأبرار، ج ١ ص ٤٦١ ــ ص ٤٦٢/ تحفة العروس ونزهة النفوس ص ١٣٥

[٣] انظر: العنوسة أسبابها آثارها علاجها ، ص ١١٩

أوطارهم ونيل مآربهم وتفريغ شهواتهم ويكون هذا الصنف عادة من المدمنين على الكحول والمخدرات أو يكونون من الأبناء العاقين الذين يستبطئون وفاة والديهم حتى يرثوا ما جمع الولدان من مال فتجد الواحد منهم يأخذ ما يقع في يده أو يأخذ مصوغات أمه وأخواته وحليهن ويبيع ما حصل عليه بأزهد الأثمان وأبخسها.

فيكتشف الأب أو الأم أو نحوهما من الأقارب أنه قد أخذ ماله فيبدأ في السؤال والبحث عنه حتى يعرف من أخذه فإن لم يكتشف الآخذ ولم يفلح في استرجاع المال ويئس منه فإنه يبدأ في الدعاء على من أخذ ماله.

وإن عرف القريب أن الآخذ من أقربائه فإنه قد يشكوه إلى الشرطة وقد يستحي من ذلك سترا للأسرة إن كان ابنا أو من القرابة القريبة.

وقد يقوم أحدهم بقتل قريبه رغبة في ميراثه كما مر بنا سابقا [1]. ومن فعل مثل ذلك من الأقارب فإنه لا يرث من قريبه الذي قتله معاملة له بعكس ما أراد. [2]

وقد يكون أخذ مال القريب من أحد الأقارب نكاية فيه لقبيح فعله في ظن الآخذ كما فعل منازل بن فرغان مع أبيه فرغان بن الأعرف فقد كان والد منازل بن فرغان المري تزوج امرأة شابة على أمه، فغضب لأمه فاستاق ماله واعتزل مع أمه فقال في ذلك فرغان:

جزت رحم بيني وبين منازل ... جزاء كما يستنجز الدين طالبه
تظلمني مالي كذا ولوى يدي ... لوى يده الله الذي لا يغالبه
ولى وولاني عشوزن[3] ركنه ... ووجه عدو يقطع الطرف حاربه
وولى بها دهما وجونا كأنها ... فسيل الكنادي لم تقطَّع جوانبه
وما ذاك إلا في فتاة أصبتها ... ألا ليت أن الشيخ جبت زباز..ـه

---

[1] انظر ص (١٠٢ – ١٠٤) من هذا الكتاب

[2] انظر ص (٨٨ – ٨٩) من هذا الكتاب

[3] العَشَوْزَنُ العَسِرُ الخُلُق من كل شيء.والسيئ الخلق من كل شيءٍ.[لسان العرب، مادة: عشزن]

أيظلمني مالي ويخنث ألوتي ... فسوف يلاقي ربه فيحاسبه[١]

وقد يكون أخذ الأقارب لمال أقاربهم، حسدا ولؤما وذلك لغنى الأقارب مع شحهم وبخلهم وعدم تصدقهم على أقاربهم الفقراء، وليس في هذا أي مبرر لأخذ مال أحد من غير طيب نفس.

ومن أدل الأمثلة على جشع ولؤم الأقارب مع بعضهم ما ذكر عن قيام قريب بخطف طفلة من بين أبويها وذلك لامتناع أبيها من إقراضه مبلغا من المال واتصاله بأهل الطفلة وهم أقاربه قرابة لصيقة طالبا منهم مبلغ ٥٠ ألف جنيه.[٢]

فعلى القريب أن يكون وسطا في تعامله مع أقاربه فلا يشرئب بعنقه ولا تستشرف نفسه لأخذ أموال أقاربه ولا يطمع في الاستحواذ عليها والاستئثار بها وأن لا يأخذ مال أحد منهم إلا عن طيب نفس كما جاء في الحديث[٣] كما أن على القريب ألا يعرض عن قبول هدايا أقاربه ومبراتهم مما يسبب لهم حرجا وعنتا.

ومما يلحق بذلك محاولة إتلاف أموال الأقارب وعدم الإرعاء والإبقاء عليها [٤] ومما يجدر ذكره قول أحدهم: كنا في زيارة أحد الأقارب وبعد أن قدم لنا ما يقدم للضيفان أعطانا صاحب الدار عطرا لنتعطر به إمعانا في إكرامه لنا ودخل ليأتي

---

[١] انظر: العققة والبررة لأبي عبيدة معمر بن المثنى الخارجي ج ٢ ص ٣٨٧ ـــ ٣٨٩ (من مجموعة نوادر المخطوطات طبعة دار الجيل الطبعة الأولى ١٤١١هـ / وانظر : التعدد: أسبابه آثاره ثماره للمؤلف

[٢] انظر : موقع أخبار الجريمة ، مايو ٠٢، ٢٠٠٣ - ١٥:١٢

[٣] إن كل مسلم أخو المسلم المسلمون إخوة ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس ولا تظلموا ولا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. [مجمع الزوائد ، (عن أبي حميد الساعدي)حديث رقم : ٦٦٠٣، وقال: رواه أحمد والبزار ورجال الجميع رجال الصحيح / كنز العمال ، حديث رقم: ٩٤١]

[٤] قال أعرابي: كنت أشْتهي ثريدة دَكْناء من الفُلفُل، رَقْطَاء من الحِمص، ذات حِفَافين من اللَّحْم، لها جَناحان من العُراق، أضْرب فيها كما يَضْرب وَلي السُّوء في مال اليتيم. (العقد الفريد، ج ١ ص ٤٥٢)

بشيء آخر وأثار انتباهي أن مرافقي أخذ العطر وسكبه على جسده بسرف ظاهر قائلا إننا لن نجده ولن نعطاه بعد هذه المرة فلنأخذ منه نصيبنا .

# الفصل الرابع

## أسباب اجتماعية

١ . الزواج

٢ . التعدد

٣ . الطلاق

٤ . الخلع

٥ . عدم مشاورة القريب قريبه في زواج موليته واستبداده بذلك

٦ . التجاور بين الأقارب مما ينتج عنه التداخل الشديد

٧ . إفشاء الأسرار

٨ . الظلم وعدم الإنصاف

٩ . متعلقات بأفراح وأتراح الأقارب

١٠ . التحسس والتجسس وتسقط الأخبار والغيبة والنميمة

# الفصل الرابع

## أسباب اجتماعية

### ١ - الزواج:

زواج الأقارب عادة منتشرة في المجتمعات الإسلامية ومحرمة عند الإفرنج[١] وهي عادة معروفة منذ الجاهلية وإن كان بعض الجاهليين يرغبون عنها ظنا منهم أن ذلك يؤثر في قوة المولود وصحته لأن في رأيهم أن المولود من الأقارب يكون ضعيفا. قال النابغة الذبياني:

فتًى لم تلِدْه بنتُ عمّ قريبة ... فيضْوى وقد يَضوى سليل القرائبِ

ولكنَّما أدَّته بنتُ محجّبٍ ... عظيمِ الرواقِ من خيارِ المَرازبِ

تعلّم من أعمامه البأسَ والندى ... وورَّثه الأخوالُ حسنَ التجاربِ[٢]

ومن أمثالهم: النزائع [٣] لا القرائب، ويقال: الغرائب لا القرائب. ويقال: اغتربوا لا تضووا : أي أنكحوا في الأباعد لا يولد لكم ضاو. والقرائب جمع قريبة.[٤]

معناه تَزَوَّجُوا في الأَجْنَبِيَّاتِ ولا تَتَزَوَّجُوا في العُمُومَةِ وذلك أَنَّ العربَ تَزعمُ أَنَّ ولدَ الرجلِ من قَرابَتِه يَجِيءُ ضاوِيّاً نَحِيفاً، غيرَ أَنَّه يَجِيءُ كريماً على طَبْعِ قَوْمِه؛ ومعنى لا تُضْوُوا أَي لا تَأْتُوا بأَوْلادٍ ضَاوِينَ أَي ضُعفَاءَ، الواحِدُ ضَاوٍ.[٥]

---

[١] من المنتشر بين مسلمي البوسنة وألبانيا عدم تزوج بنات العم والخال تأثرا بنصارى أوربا، قال ابن القيم : فمن الصّقالبة ناسٌ لا يتزوّجون من قربٍ منهم في النّسب ولا الدّار. [كتاب النساء لابن الجوزي ص ١٢٨ ]

[٢] النزيعة : الغريبة. يعني أن الغريبة أنجب.

[٣] ديوان النابغة ص٢٥ / سمط اللآلي ص٨٧١ / مجمع الأمثال ج٢ص٣٤٣ / الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين للخالديين، تحقيق د. السيد محمد يوسف، طبع لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ج ١ ص ٣٢٨

[٤] مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٩٤

[٥] لسان العرب مادة: ضوا

وكان بعضهم يحرص على أن تكون شريكة حياته من غير قرابته، ولذا فإنه ترك ابنة عمه مع حبه لها وكرامتها عليه ورغب في غيرها لمقصد يعلمه ويؤثره وهو خوفه من دقة نتاج هذا الزواج وضعفه، قال قائلهم:

تجاوزت بنت العم وهي حبيبة ... مخافة أن يضوى عليّ سليلي[١]

وقال الكناني:

تَنَحَّيْتُها للنَّسْلِ، وَهْيَ غَرِيبَةٌ ... فَجاءَتْ بِهِ كالبَدْرِ خِرْقاً مُعَمَّمَا

فلو شاتم الفتيان في الحي ظالما ... لما وجدوا غير التكذب مشتما

بل كان بعضهم يحذر من زواج الأقارب كما قال راجزهم:

أنذر من كـان بـعيد الهـم ... في الناس تزويج بنات العم

ليس بناج من ضوى[٢] وسقم ... يأبى وإن أطعمته لا ينمي[٣]

وكـان أحـدهم يفتخـر بـأن أمـه لـيـست قريبـة مـن أبيـه، ولا كـان زواج أبويـه مشاغرة بين أهل أبيه وأهل أمه، بل زواج رغبة، قال الأسدي:

ولست بضاوي تموج عظامه ... ولادته في خالد بعد خالد

تقـارب من آبائه أمهاته إلى ... نسب أدنى من الشبر واحد

بنو أخوات أنكحوهن إخوة ... مشاغرة فالحي للحي والد[٤]

وقال جرير في ابنه بلال:

إنَّ بلالاً لم تشنِهُ أمُّه ... لم يتناسَبْ خالُه وعمُّه[٥]

---

(١) أدب الدين والدنيا ص ٢٥٧

(٢) يقال ضويت إليه فأنا أضوى ضوياً، إذا أويت إليه وقد ضوى يضوي ضوى، وهو رجل ضاو وفيه ضاوية، إذا كان نحيفاً قليل الجسم.

(٣) إصلاح المنطق ص ٣٢٦

(٤) البرصان والعرجان للجاحظ ص ١٦

(٥) يعتدّ بأنَّ خاله وعمَّه لم يتناسبا، لأنَّ العرب تزعم أن ابن الغرائب أنجب، وأنَّ ابن القريبين يكون ضاوياً.

فريحُه ريحي وشمّي شمُّه[١]

وقال العتبي: تزوج أهل بيت بعضهم في بعض، فلما بلغوا البطن الرابع بلغ بهم الضعف إلى أن كانوا يَحبون حبواً لا يستطيعون القيام ضعفاً [٢].

قال المزني: سمعت الشافعي يقول: أيما أهل بيت لم يخرج نساؤهم إلى رجال غيرهم، ورجالهم إلى نساء غيرهم إلا وكان في أولادهم حمق [٣].

ويحرص بعض العرب على أن تكون شريكة حياته بنت عمه أو من رهطه وعشيرته على الأقل وذلك حفاظا على الشرف وكرم الأرومة، قال عمرو بن كلثوم: زوجوا بنات العم من بني العم، فإن تعديتم بهن إلى الغرباء فلا تألوا بهن الأكفاء [٤].

ويرغب العرب في بنات العم لأنهن أصبر على الشدة واللاواء والفقر خلافاً للغريبة، قال الأصمعي: قيل لبني عبس كيف كنتم وكيف كان حالكم؟ قالوا: طاحت والله الغرائب من النساء فما بقي إلا بنات العم [٥]. وقال الشاعر:

ما سلمت من ريبة وذم     في حربنا إلا بنات العم[٦]

ولبعض علماء الاجتماع رأي في زواج الأقارب فيرون أنه ينتج عنه أمراض الاستقلاب الوراثية مثل: مرض ويلسون، والبرص الوراثي، والبول الأسود. ولسنا هنا بصدد تقرير ذلك طبيا وإنما الغرض من إثارة هذا الأمر هو علاقة زواج الأقارب بما يحدثه من آثار عند الأقارب وما ينتج عنه من مشاكل. [٧]

---

[١] الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين للخالديين، ص ٣٢٩

[٢] الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين للخالديين، ص ٣٢٨ ــ ٣٣٠

[٣] سير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٤٣/ حلية الأولياء ج ٩ ص ١٢٥/ مناقب الشافعي للبيهقي ج ٢ ص٢٠١

[٤] الأغاني ج٩ص١٧٨

[٥] البصائر والذخائر مجلد ٣ ج ٤ ص ١٦

[٦] شواهد الكشاف ج ٤ ص ٤٤٩

[٧] انظر: قدس برس [ميدل إيست أون لاين : ٢٠٠٣/٥/٢٨]

- آثار زواج الأقارب :

مما لاشك فيه أن لزواج الأقارب آثارا على الرجال والنساء على السواء، ولا نريد أن نتعرض بالحديث لكل الآثار، بل نتناول الآثار التي تتعارض مع الرغبات والميول فقط.

ـــ آثار زواج الأقارب على الرجال:

يعاني الرجال من زواج القريبات بأن تكون القريبة غُلاًّ في عنقه تستأسد عليه وتتنمر له وتعلم أنها مهما فعلت فلن يجرؤ زوجها على طلاقها مراعاة لأهله وأهلها فتفهم هذا الأمر تمام الفهم وتستغله أسوأ استغلال،حدّث عوانة أَن المغيرة سأَل ابن لسان الحمرة عن النساء فقال: النساء أَرْبَع: فَرَبِيعٌ مَرْبَع، وجَمِيعٌ تَجْمَع، وشيطانٌ سَمَعْمَع، وغُلٌّ لا يُخْلَع، فقال: فَسِّرْ، قال: الرَّبِيعُ المَرْبَع الشابّةُ الجميلة التي إِذا نظرت إِليها سَرَّتْك وإِذا أَقسَمْتَ عليها أَبَرَّتْك، وأَما الجميع التي تجمع فالمرأَة تتزوجها ولك نَشَب ولها نشَب فتجمع ذلك، وأَما الشيطان السَّمَعْمَعُ [1] فهي الكالحة في وجهك إِذا دخلت المُوَلْوِلَةُ في إِثْرك إِذا خرجت. وأَما الغُلُّ الذي لا يُخْلَعُ فبنت عمك القصيرة الفَوْهاء الدَّمِيمةُ السوداء التي نثرت لك ذا بطنها، فإِن طلقتها ضاع ولدك، وإِن أَمْسَكْتها أَمسَكْتَها على مِثْلِ جَدْعِ أَنفك [2].

ـــ آثار زواج الأقارب على النساء:

من ذلك أن تزوج البنت لمن لا تريد ولا ترغب فيه من أقاربها الأميين أو ذوي الأخلاق غير المستقيمة أو من قباح الشكل أو كبار السن متهدمي البنية قال الأصمعي: رأيت بطريق مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها، فقعدت أنظر إليها متعجباً من جمالها، فجاء شيخ قصير يأذنها [3] فسارها ومضى، فقلت من هذا؟ قالت: زوجي، قلت: كيف

---

(١) امرأَة سَمَعْمَعَةٌ: كأَنها غُول. والشيطانُ الخَبِيث يقال له السَّمَعْمَعُ. [لسان العرب، مادة: سمع]

(٢) لسان العرب، مادة: سمع / الأغاني، ج ٤ ص ٢٧٨

(٣) أي يأخذ بأذنها ليكلمها

ترضى مثلك بمثله؟ فقالت:

أيا عجباً للخود يجري وشاحها        تزف إلى شيخ من القوم تنبال
دعاني إليه أنه ذو قرابة        فويل الغواني من بني العم والخال[1]

## ـ آثار زواج الأقارب على الزوجين :

ابنة العم ونحوها من ذوي القرابة القريبة، لا تقع من نفس الزوج موقع الغريبة، إما لإلفته لها ودوام النظر إليها إذا كانت كذلك، وإما لأنه يقع بينه وبينها من الحشمة والخجل ما تكسل به وتضعف شهوته، والولد لا يكمل خلقه وتتم قوته إلا بتمام الشهوة وقوتها ولهذا قالوا: من استحيا من بنت عمه لم ينجب [2] له [3].

وقد يحاول القريب التهرب من الزواج من قريبته بكل الطرق وبذل كل السبل للفكاك من هذا الزواج وإفشاله وقد ينجح في ذلك وقد يخفق ومن ذلك أنه :

ـ يوجد في بلد عربي مختبر لفحص الزوجين لبيان موافقتهما للبعض أو عدمها ومن أغرب المواقف التي مرت بالمختبر، حسب ما ذكره الدكتور خضري، أن رجلا جاء لإجراء فحص الزواج لابنه وخطيبته وظهرت نتائج الفحوصات جيدة إلا أن الخطيب طلب من إدارة المختبر تغيير النتيجة إلى "عدم التوافق" وعندما سئل عن السبب رد بأنه لا يريدها وقد تراجع عن الزواج منها لكن لصلة القرابة مع عائلتها لا يستطيع تركها ويريد أن يكون السبب عن طريق التحليل [4].

---

[1] بلاغات النساء ص ٢١٤ ــ ٢١٥/ ربيع الأبرار ، ج ١ ص ٤٦١ ــ ص ٤٦٢/ تحفة العروس ونزهة النفوس ص ١٣٥

[2] قيل: مَنِ اسْتَحْيَا مِنْ بِنْتِ عَمِّهِ لَمْ يُولَدْ لَهُ وَلَدٌ. [مجمع الأمثال، ج ٢ ص ٣٢٨]

[3] تحفة العروس ص٦٩

[4] www.almalhof.com / انظر : المختار (مجلة تصدر على شبكة الدليل العربي) الأربعاء، ١٥ مارس ٢٠٠٦

ـ سمعت رجلا يحكي عن حال ابنه الذي كان قد رشح له ابنة أخيه فرفض الابن الزواج منها وترك البلد وسافر إلى منطقة بعيدة ذكرها والده باسمها وكيف أن الأب والعم والد البنت والأهل انتظروه بالفتاة وتم الزواج رغما عنه عند عودته وكان الأب يقص هذا الخبر وفي حديثه أثر التهكم من ابنه وفي عينيه نشوة الانتصار وكيف أنه استطاع إلزام ابنه وإرغامه بهذا الزواج .

وزواج الأقارب ليس كله شر بل فيه خير كثير وإحسان عظيم وبر ظاهر إلى الأقارب ومن ذلك ما جاء عن عروة بن الزبير عن أمه عن عبد الله بن عمر أنه أتى عمر بن الخطاب فقال إني قد خطبت بنت نعيم بن النحام وأريد أن تمشي معي فتكلمه لي فقال عمر إني أعلم بنعيم منك إن عنده بن أخ له يتيما [(١)] ولم يكن ليتركه فقال إن أمها قد خطبت إلي قال عمر فإن كنت فاعلا فاذهب معك بعمك زيد بن الخطاب قال فذهبا إليه فكلمه قال فكأنما كان نعيم يسمع كلام عمر فقال مرحبا بك وأهلا وذكر من منزلته وشرفه ثم قال إن عندي ابن أخ لي يتيما ولم أكن لأصل لحوم الناس وأترك لحمي قال فقالت أمها من ناحية البيت والله لا يكون هذا حتى يقضي به علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحبس أيم بني عدي على ابن أخيك سفيه أو قالت ضعيف ثم خرجت حتى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته الخبر فدعا نعيما فقص عليه كما قال لعبد الله بن عمر فقال لنعيم صل رحمك وأرض أيمك وأمها فإن لهما من أمرهما نصيبا. فقال نعيم ما بها إلا ما دفع لها ابن عمر فهو لها من مالي.[(٢)]

وليس المقصد من تناولنا لزواج الأقارب الدعوة لتركه ولا التزهيد فيه وإنما المقصد معرفة هذه الأمور التي نحن بصدد معالجتها في كتابنا هذا والعمل على

---

(١) هو النعمان بن عدي بن نضلة العدوي من مهاجرة الحبشة ولاه عمر ميسان. [الإصابة في تمييز الصحابة ج ٦ ص ٤٤٧ ، ترجمة رقم : ٨٧٥٣]

(٢) الإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم: ٨٧٥٣ ، والإصابة ج ٨ ص ٢٥٣ ، ترجمة رقم : ١٢١٤٨

تداركها والتقليل منها ولنأخذ مثالا لذلك وهو أنه إذا اختلف زوجان غريبان وحدث بينهما طلاق فإن الآثار المترتبة على هذا الاختلاف والتنافر بين أسرتين مختلفتين لا يرتقي إلى شقاق وقطيعة رحم أما إذا اختلف زوجان قريبان فإن أسرتيهما تتحزبان واحدة مع الزوج وآخرون مع الزوجة وقد يتفاقم أمرهما إلى هجر وقطيعة أرحام واحتراب مما ذكرناه مفصلا في الخلافات بين الزوجين.

والمشاكل التي تنتج من الزواج بين الأقارب على النحو التالي:

### أ- المنافسة بين الأقارب على زواج فتاة معينة:

قد يتقدم أحد الأفراد لخطبة فتاة فيسبقه قريبه ويخطبها مع ورود النهي عن ذلك: فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ فَلَا يَحِلُّ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ. [1]

وقد تحدث هذه الحالات بغير علم القريب بتقدم قريبه إلى هذا الأمر . وهذا نادر الحدوث . وفي مثل هذه الحال على أهل الفتاة أن يذكروا تقدم فلان لابنتهم وأن ينبهوه لذلك.

وقد يكون القريب الأخير المتقدم على حظ من المال والتعليم والمنزلة والجاه أكثر من سابقه ويكون أولياء الفتاة على جهل بالدين أو على علم به ولكن على درجة من الطمع واللؤم والدناءة تجعلهم يرفضون الأول ويصرفون النظر عنه ويُقبلون على الثاني ويوافقون عليه مما ينتج عنه العداوة والجفوة والهجر بين الأقارب عامة وبين المتقدِم الأول والمتقدم الثاني كما سيتضح في الأمثلة الآتية :

---

[1] صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب: تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك، حديث رقم ٢٥٣٦

**الشماخ وأخوه جزء:**

كان الشماخ [١] يهوى امرأةً من قومه يقال لها كلبة بنت جوال أخت جبل بن جوال الشاعر، وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر؛ فخطبها فأجابته وهمت أن تتزوجه. ثم خرج إلى سفر له فتزوجها أخوه جزء بن ضرار، فآلى [٢] الشماخ ألا يكلمه أبداً، وهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

لنا صاحبٌ قد خان من أجل نظرةٍ　　　سقيم الفؤاد حب كلبة شاغله

فماتا متهاجرين [٣].

**عقيل بن علفة[٤] وابنه:**

كان علفة[٥] بن عقيل بن علفة هوي[٦] امرأة من قومه وهويته فأراد أن يتزوجها فخطبها أبوه عقيل فزُّوجته، فأقامت عنده حينا، ثم إن قومها ادعوا عليه أنه طلقها، فهرب بها إلى الشام وخرج معه ولده علفة وعملس[٧] وجثامة وابنته الجرباء، [٨] فلما كانوا بدومة الجندل تغنى علفة بن عقيل فقال :

---

[١] هو الشماخ بن ضرار الغطفاني يكنى أبا سعيد وأبا كثير وأمه معاذة بنت بجير بن خلف من بنات الخرشب.

[٢] آلى : حلف وأقسم.

[٣] الإصابة لابن حجر، ترجمة: ٣٩٢٢ / الأغاني ج ١٠ ص ١٩١

[٤] شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية وكان أعرج جافيا شديد الهوج كثير البذخ وكان يرى أن لا كفء له في قومه وكان في بيت شرف من قومه وكانت قريش ترغب في مصاهرته تزوج إليه أشرافها وأمراؤها.

[٥] العُلَّفَةُ ثمرة الطلح ، وفيها حَب كالتُّرْمُس أَسْمر تَرْعاه السائمة ولا يأْكله الناس إلا المضْطر، الواحدة عُلَّفةٌ، وبها سمي الرجل. [لسان العرب، مادة: علف]

[٦] الهوى هو ميل النفس إلى الشيء ، وفعلها له واتباعه غيا كان أو رشدا. وفعله هوي يهوى هوى مثل عمي يعمى عمى ، وأما هوى يهوي بالفتح فهو السقوط ومصدره الهوي بالضم ، والهوى أكثر ما يستعمل في الحب المذموم.

[٧] العَمَلَّس: الذئب الخبيث والكَلْب الخبيث. [لسان العرب ، مادة : عملس]

[٨] الجَرْباءُ: الجاريةُ المليحة، سُميت جَرْباءَ لأَن النساءَ يَنْفِرْنَ عنها لتَقْبِيحها بَمحاسنِها مَحاسِنَهُنَّ. وكان لعَقيلِ بن عُلَّفَةَ المُرّي بنت يقال لها الجَرْباءُ، وكانت من أَحسن النساءِ.[لسان العرب، مادة: جرب]

قفي يا ابنة المري نسألك ما الـذي تـقولين فيما كـنت منيتنا قبل
نخبرك إن لـم تنجزي الـوأي أنـنا ذوا خلَّةٍ لـم يبق بينهما وصل
فإن شئت كان الصرم ما هبت الصبا وإن شئت لم يفنَ التكرم والبذل
ونسـألك مـا يغني عن الجاهل المنى ولا يسـتقيدن الجنيب ولا حبل

فعدا عليه عقيل أبوه بالسيف وقال: يا عدو الله من هذه المرية؟ واتهمه بامرأته وقال: أتشبب بأمك؟ فكلمه أخوه فيه فحمل عليهما. ورماه عملّس بسهم في فخذه فصرعه فقال عقيل:

إنَّ بَنِـيَّ رمَّـلُوني بالـدَّمِ من يلق أبطال الرجال يكلم
شِنْشِنَة [١] أعْرِفُها من أخْزَم [٢] ومـن يكن ذا أود يقوَّم[٣]

**لقمان بن عاد وإخوته :**

قيل: إن لقُمانْ بن عاد خطب امرأة قد خطبها إخوته قبله فقالوا بْئس ما صنعت! خطبت امرأةً قد خطبناها قبلك وكانوا سبعةً وهو ثامنهم! فصالحهم على أن يَنْعتَ لها نفسه وإخوته بصدقْ وتختار هي أيهَّم شاءت. فقال خذُي مني أخي ذا الْبَجَل. [٤] إذا رعى القوم غُفَل [٥]. وإذا سعى القومُ نسل [٦]. وإذا كان الشأن اتَّكل. قريبٌ من

---

(١) الشِنْشنَة: السَّجيَّة والطَّبيعةُ .

(٢) مَثل أوّلُ من قاله أبو أخْزَم الطَّائي. وذلك أنّ أخزم كان عاقّاً لأبيه، فماتَ وتركَ بنين عَقُّوا جَـدّهم وضَـرَبُوه وأدْمَوْه فقاله.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة:{شنشن}]

(٣) البررة والعققة لأبي عبيدة معمر بن المثنى الخارجي من ضمن مجموعة نوادر المخطوطات ج٢ص٣٨٤ـ٣٨٥

(٤) فُسرِّ ذو البجل بذي الضخامة. وقيل هو من قولك بجلي هذا؛ أي حسْبي.والمعنى أنه قصير الهمة مُقْتَصر على الأدْنى. فإذا ظفر به قال بجلي.

(٥) إذا رعى القومُ غفل أي إذا اهتّموا برعاية بعضهم بعضا أو برعاية ما معهم أو برَعْي الإبل لم يهتم بـشيء مـن ذلك وكان غافلاً عنه.

(٦) وإذا سعى القوُم نسل أي إذا بذلوا السْعَي وتناهضوا فيما يفيء عليهم خيراً أو ينُجيهم من بَليَّة نسل هو مـن بينهم ؛ أي خرج وكان بمعْزل من السعي معهم. اتَّكَل أي اعتمد على غيره في كفاية الشأن ولم يتولَّه بنفسه عجزاً.

نضيج. بعيد من نيئ [١]. فَلَحْيا لصاحِبناْ لحَياً [٢]. فقالت عيال لا أريدُه. ثم قال خذْي منى أخَي ذا البجلة [٣]. يحَمْلُ ثقلي وثْقله. ويخصف نَعْلي ونعله. وإذا جاء يومه قُدِّمت قبلَه فقالت: خادم لا أريده. ثم قال خُذي منى أخي ذا العِفاق [٤]. صَفَّاق أفَّاق [٥]. يُعْمِل النَّاقة والسَّاق. فقالت فَيْجٌ [٦] لا أريده. ثم قال خُذِي منى أخي ذا الأسد [٧]. جوَابُ ليل سَرْمَد [٨]. وبَحر ذُو زبد. فقالت سارق لا أريده. ثم قال خذي منى أخي ذا النَّمر. حيّ خفر. شجاع ظَفِر. أعجبني وهو خيٌر من ذاك إذا سكر. فقالت: يشرب الخمر فلا أريده. ثم قال خذي منى أخي ذا الْحمَمة. يَهَبُ البَكْرَة السَّنِمة [٩]. والمائة البقرة العممة [١٠]. والمائة الضائنة الزَّنَمِة [١١]. وإذا أتت على عادٍ ليلةٌ مظلمة.

---

[١] النيئ غير النضيج ؛ يريد أنه لازم بيت جَثّامةٌ لا يصيد ولا يغزو فيأكل اللحم الملهْوَج. ويُحتمل أنه ليس بجلد يخدم أصحابه في السفر ويطبخ لهم.ولكنه يتكاسل عن ذلك وعن معاونتهم أيضا إذا باشروا الطبخ. فإذا قدَمّوا أكل؛ فهو بعيد عن النيىء وطبخه قريبٌ من النضيج وأكله .

[٢] فلَحْيا من لَحَيْتُ العُودَ بمعنى لحَوْتُه ؛ وهو دعاء عليه بالهلاك والتكرير للتأْكيد.

[٣] ذو البَجْلة هو ذو الشارة الحسنة كأنه الذي له من الروّاء ما يُبَجَلّ لأجله . وإذا جاء يومُه أي وقت وفاته وأجله. حمده لإعانته له وحَمْله عنه ودعا له .

[٤] ذو العفاق من عفق يعفِق إذا أَسْرَع في الذَّهاب.

[٥] صَفّاق من الصُّفْق وهو الجانب. يقال جاء أهل ذلك الصُّفْق . وأفاّق من الإفق أراد أنه مِسْفار مُنَقِّب في النواحي والآفاق . يُعْمِل الناقة والساق أيْ يركب تارة ويترجل أخرى لجلادته .

[٦] الفَيْج: المُسْرِع في مَشْيه الذي يَحْمِل الأخبار من بلَد إلى بلد. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة:{فيج}]

(٧) ذو الأسَد أي ذو القوة الأسَدية . والأسد مصدر أسد بمعنى استَأْسَد.

[٨] ليل سَرْمد أي دائم غير منقطع لفَرْط طوله.

[٩] السنمة العظيمة السَّنام.

[١٠] العممة التامة .

[١١] الزَّنمة ذات الزَّنمة وهى شيء يقطع من أذُنها ويترك معلّقا وروي الزَّلمة بمعناها .

رتب رُتوبَ [١] الكَعْب وولاهَّم شُزنَه [٢] . قال: اكفُوني الميَمْنَة. سأكفيكم المَشْأمَة. وليست فيه لَعْثمَة. إلا أنه ابن أمة [٣] . فقالت مُسْرفٌ لا أريده. ثم قال خذي منى أخي حُزَيْنا. أَوَّلنا إذا غَدَوْنا. وآخِرُنا إذا استنجينا [٤] . وعصمة أَبْنائنَا إذا شَتَوْنا. وفاصِلُ خُطَّة أعيت علينا. ولا يُعدُّ فضله لدينا. ثم قال أنا لقمان بن عاد. لعادية [٥] وعاد. إذا انضَجْعتُ لا أجْلَنْظِيء [٦] . ولا تملأ رئتي جَنبْي [٧] . إن أر مَطْمِعَي فَحِدَأٌ تلمّع [٨] . وإلاّ أر مطمعي فوَّقاعٌ بصُلَّع [٩] . فتزوَجت حُزَيناً [١٠] .

ـــ ابن وأبوه:

خطب الفرات بن أبي الخنساء الجشمي امرأة فأبت عليه وتزوجت أباه فقال

---

[١] الرُّتوب الثبوت .

[٢] وَلاّهم شُزَنه ؛ أي ولاّهم عُرضْه ؛ فخاطبهم بنفسه. يقال وليَّته ظهري إذا جعله وراءه وأخذ يذبُّ عنه . ومعناه جعلت ظَهْري يليه .

[٣] الّلعْثمَة التَّوقُّف؛ أي ليس في صفاته التي توجب تقديمه توقّف. إلا أنه ابنُ أمة أي هذا عيبه فقط.

[٤] استنجينا من النَّجاء وهو الفرار . يريد إذا خرجنا إلى الغَزْوِ تقدمنا وبادرنا . وإذا انْهَزَمْنا تأخّر عنا ليحامي علينا مما يتبعْنا.

[٥] العادية خيل تعدو أو رَجْلٌ يَعْدُون. والعادي الواحد؛ أي أنا لجماعة ولواحد يعني أن مقاومته للجماعة والواحد واحدةٌ لا تتفاوت لشدَّة بأسه وقوة بطشه. نظير أضْجَعه فانْضَجَع في مجيء الفعل مطاوعا لأفعل أزعجه فانزعج وأطلقه فانطلق ؛ وحقُّ الفعل أن يطاوع فعل لا غير ؛ وإنما فُعل هذا على سبيل إنابة أفعل مناب فعل

[٦] الاجلنْظاءَ . الاستلقاء ورفع الرجلين ؛ يعنى أنه ينام على جنبه مستوفزا.

[٧] ولا تملأ رئتي جَنْبَي أي لست بجبان فينتفخ سَحْري حتى يملَأ جَنْبي بانتفاخه .

[٨] يَلْمَع يخفق بجناحيه. والتلمّع تفعّل منه . والحِدوُ الحدأُ بلغة أَهْل مكة .

[٩] الصُّلَعَ الحجر الأملس. وقيل الموضع الذي لا ينبت من صلع الرأس. أراد أن عيشه عيشُ الصعاليك؛ إنْ ظفر بشيء أَلْم عليه. وإلا فهو موطّن نفسه على معاناة خشونة الحال وشظف العيش ؛ كالحدأ الذي إن أبصر طُعْمته انقضّ عليها فاختطفها وإن لم ير شيئا لم يبرح واقعا على الصَلَع.

[١٠] الفائق للزمخشري، ج ١ ص ٧٤ ـــ ٧٥ / غريب الحديث لابن قتيبة ج ١ ص ٥١٤ ـــ ٥١٦

الفرات :

يا أم علوان هلا كنت قلت لهم إذ يقرنونـــك إني أبـــغض الشمطا

ما خير زوج فتـــاة لا يداعبها وإن تنـــقـــط ألا يبـــصر النقـــطا

ألم تري شيخكم شابت مفارقه واللحم عن عضده قد خل واختلطا[١]

**ب ـ منع القريب ابنته من قريبه وإعطاؤها رجلا آخر:**

**ــــ المنع ابتدأ:**

قد يتقدم أحد الأقارب لخطبة فتاة قريبة له، فيمنعه وليها من الزواج بها، ويعلل هذا المنع بأنها مخطوبة ويمكن أن تكون كذلك أو هو يكذب في ذلك.

وأحيانا يكون الولي معه حق في هذا المنع وذلك لنقص في الخاطب وعيب فيه، من قلة دين ومقارفة معاص، أو سفه وخفة عقل أو فقر مدقع أو سوء أخلاق إلى غير ذلك من الأسباب التي يعرفها ولي البنت ولا يريد الإفصاح عنها. فلا يراعي الخاطب وأسرته هذه الظروف فيعادون هذه الأسرة ويرمونها بكل بائقة ويفجرون في خصومتهم وعدائهم لها.

وقد يلجأ من منع من ابنة عمه ونحوها من القرابة إلى الانتقام من والد الفتاة أو ولي أمرها الذي تسبب في منعه وإيذائه ومن ذلك :

**ــــ قريب يلقي قريبه في بئر:**

من أمثال العرب: أضل من قارظ[٢] عنزة: هو يذكر بن عنزة وكان بسببه خروج قضاعة من مكة وذلك أن جذيمة بن مالك بن نهد هوي فاطمة بنت يذكر بن عنزة فطرد عنها فخرج ذات يوم هو وأبوها يذكر يطلبان القرظ فمرا بقليب فيه معسل النحل فتقارعا للنزول فيه فوقعت القرعة على يذكر فنزل واجتنى العسل حتى رفع

---

[١] معجم الشعراء ج ١ ص ٦٠

[٢] القارظ الذي يجتني القرظ وهو ورق السلم يدبغ به ومنابت القرظ اليمن ويقال كبش قرظي منسوب إلى بـــلاد القرظ.(مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢١٢)

منه حاجته ثم قال أخرجني فقال جذيمة لا أخرجك أو تزوجني فاطمة فقال أما وأنا على هذه الحالة فلا ولكن أخرجني ثم اخطبها فإني أزوجكها فأبى وتركه ومضى فلما انصرف إلى الحي سألوه عنه فقال أخذ طريقا وأخذت أخرى فلم يقبلوا منه ثم سمعوه يترنم بهذا الشعر :

فتاة كأن فتات العبير   بفيها يعل به الزنجبيل

قتلت أباها على حبها   فيمنعني نيلها أو تنيل

فاتهموه وأرادوا قتله فمنعه قومه فاحتربت بكر وقضاعة بسببه فكان أول سبب لتفرقهم عن تهامة[1] .

ــ المنع بعد الإعطاء:

قد يتقدم أحد الأقارب إلى خطبة إحدى قريباته ويعطيه وليها ويوافق على ذلك وإذا تقدم للبنت خاطب آخر مكانته أعلى من الخاطب الأول وجاهه أعرض. يحاول الولي التنصل من وعده ويغدر بعهده الذي قطعه على نفسه وهو إعطاء البنت للخاطب الأول ويمكن أن تكون البنت راغبة في الخاطب الأول كارهة للثاني ولكن طمع الولي هو الذي يقرر الموقف. ولنأخذ مثالا لذلك:

كان عروة بن حزام بن مالك بن حزام العذري قد توفي أبوه وله من العمر أربع سنوات وكفله عمه هصر بن مالك أبو عفراء فنشئا جميعا فكان يألفها وتألفه فلما بلغ الحلم سأل عروة عمه تزويجها فوعده ذلك ثم أخرجه إلى الشام بعير له وجاء ابن أخ له يقال له: أثالة بن سعيد بن مالك يريد الحج فنزل بعمه هصر فبينما هو جالس يوما تجاه البيت إذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل أداوة سمن وعليها إزار خز أخضر فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها من عمه

---

[1] مجمع الأمثال ج ١ ص ٤٢٦/ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ج ١ ص ٤٧٣ ، رقم: ٢٢١ / خزانة الأدب ، ج ٢ ص ٢٦٧ / سمط اللآلي ، ج ١ ص ٢٩

فزوجها وإن عروة أقبل بالعير وقد حمل أثالة عفراء على جمل أحمر فعرفها من البعد وأخبر أصحابه فلما التقيا وعرف الأمر بهت لا يحير جوابا حتى افترق القوم فأنشد :

فقلت لعراف[1] اليمامة داوني فإنك إن أبرأتني لطبيب

فما بي من حمى ولا مس جنة ولكن عمي الحميري كذوب

عشية لا عفراء منك بعيدة فتسلو ولا عفراء منك قريب[2]

وحاول العم ستر نفسه بطلبه مهرا كبيرا من عروة فقال عروة:

يُكَلِّفُني عَمِّي ثمانين بَكْرَةً ومالي والرحمن غيرُ منها،ثَمانِ

يُقَطِّعْنَ الأَزِمَّةَ بالبُرى ويَقْطَعْنَ عرْضَ البيد بالوَخَدانِ

فَيا ليتَ عَمِّي يومَ فرَّقَ بيننا سُقيْ السُّمَّ ممزوجاً بشَبٍّ يَمانِ

بُنَيَّةُ عَمِّي حيلَ بيني وبينَها وضَجَّ لِوَشْكِ الفُرْقَةِ الصُّرَدانِ[3]

## ج ـ رفض إحدى القريبات قريبها :

قد يتقدم قريب لخطبة قريبته فيقابل بالرفض ويكون الرفض أحيانا من الفتاة إقناعا منها بعدم ملائمة المتقدم لها للزواج منها وأحيانا يكون الرفض منها بإيعاز من أهلها وفي أحايين كثيرة من أهلها وتتفاوت مشاعر الناس تجاه تقدمهم لفتاة معينة يحال بينهم وبين الزواج منها على النحو التالي:

### ١ ــ تمني حياة سعيدة لها ولزوجها :

إن كان الرفض من أهلها وأنهم زوجوها غيره فإن البعض يتمنى لها حياة سعيدة ويرى أن الأمر قسمة ونصيب كما يقولون : قال السموأل بن عادياء مصورا أمثال هذا النوع من الناس :

---

(١) يقال للحازي عراف، وللقنان عراف ، وللطبيب عراف ، لمعرفة كل منهم بعلمه، والعراف الكاهن. وفي الحديث: من أتى عرافا أو كاهنا، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. أراد بالعراف المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه.[لسان العرب، مادة: عرف]

(٢) تزيين الأسواق ص ٧٠ ــ ٧١

(٣) خزانة الأدب (الطبعة السلفية) ج ٣ ص ٣٤٦ ــ ٣٤٧

وكأنْ تضرَّعَ مــن خاطبٍ تــزوَّجَ غيرَ التي يخطب
وزّوجــها غيــرُه، دونَــهُ وكانـــتْ له قبله، تُحْجَبُ
وقد يدركُ المرءُ، غيرُ الأريبِ وقد يصرعُ الحوَّل، القلبُ

## ٢ ــ تمني الموت العاجل لها :

قال حفص العليمي متمنيا موتا عاجلا لمن لم تتزوج به وحال بينه وبينها أهلها:

فيا رب إن لم تقضها لي فلا تــدع قذور لهم واقبض قذور كما هيا(١)
ويا ليت إن الله إن لــم ألاقهـا قــضى بين كــل اثنين ألا تلاقيا(٢)

## ٣ ــ تمني التمكن من زوجها للتخلص منه:

يتعلق بالمنى بعض من جبه عن امرأة ورد عنها ومن ذلك أن رجلا رد عن امرأة فتمنى أن يقابل الرجل الذي فضل عليه وزوجوه لها أن يلقه خاليا فيريه شجاعته ويعرف المفضّل قدر نفسه ومكانها، قال رِزامُ بن قُشَيرٍ في هُودانَ بن الوازِع، وخَطَب امرأةً كان رِزامُ خَطَبها قبله، وكلاهما من عَبيدةَ بن مُعاوية بن قُشير:

تَمَنيّتُ والانسان يُولعُ بالُمنَى أمــانّي في هُودَانَ يا لَيْتها لِيَا
تَمَنّيْتُ حتى قُلتُ يا لَيتَ أنّني تَناوُلتُ بالهندي هُودَانَ خاليا
فَيصْبحُ نَعْشاً بعدَ غَنْم أصابَهُ وأُصبْحُ مما جَرَّ سَيفي جَاليا

فأجابهُ هُودَان بن الوازع:

تَمَنّيْتَ أن تلْقَى ابن عمك خَالياً فَتْلقَى شُجاعاً والقَضيبَ اليَمانيا
إذا مــا ابتــدرنا مَغْنَماً فهويتُهُ فلا هــو إلا أن تَمّنى الأمــانِيا

---

(١) قال الشماخ بن ضرار التغلبي [البيان والتبيين ج ١ ص ١٥١]:
يقر بعيني أن أنبأ أنها وإن لم أنلها أيم لم تزوج
(٢) شرح ديوان حماسة أبي تمام ج٢ص٨٥١ــ٨٥٢

### ٤ ــ التعجيل بقتلها وإنهاء حياتها:

بعضهم ينقلب على الفتاة إن كان الرفض منها ويتسبب في قتلها والتخلص منها ومن ذلك:

. عن عطاء بن يسار عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه فغرت عليها فقتلتها فهل لي من توبة قال: أمك؟ حية قال: لا. قال: تب إلى الله وتقرب إليه ما استطعت فذهب فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه! فقال: إني لا أعلم عملا أقرب من بر الوالدة[1].

. قال أبو البلاد الطهوي وكان قد خطب امرأة فزوجت من بني عمرو بن تميم فقتلها وهرب ثم قال :

ألا أيها الربع الذي ليس بارحا    جنوب الملا بين المراغة[2] والكدر
سقيت بعذب الماء هل أنت ذاكر    لنا من سليمى إذ نشدناك بالذكر
لعمرك ما قنعتها السيف عن قلى    ولا سأمان في الفؤاد ولا غمر
ولكن رأيت الحي قد غدروا بها    ونزغ من الشيطان زين لي أمري
وإنا أنفنا أن ترى أم سالم عروسا    تمشي الخيزلى في بني عمرو[3]

### ٥ ــ هجاء الفتاة الرافضة وبث معائبها:

قد يتقدم أحد الأقارب لخطبة إحدى قريباته، فيوافق أهلها، وتمانع البنت من الزواج به، بل قد تجبهه برفضها له، وتحطم أمالا عراضا بناها على تقدمه لها وتجرح كبرياءه وغروره، فيعود ذاما لها، متمنيا لها عنوسة مستديمة، وإن تزوجت فحياة زوجية تعيسة، وأن يرزقها الله عز وجل زوجا يتحدث الناس بسوئه، قذرا قبيحا مهينا للنساء

---

[1] الأدب المفرد ج ١ ص ١٥، باب بر الأم، حديث رقم: ٤/ شعب الإيمان للبيهقي، ج ١٦ ص ٤٣٤، حديث رقم: ٧٦٧٦، مع ملاحظة أن البيهقي ذكر أن الرجل قتل زوج المرأة ولم يقتلها هي.

[2] المراغة من منازل بني يربوع

[3] معجم البلدان ، ج ٥ ص ٩٤

ضرابا لهن، وهو عندما تقدم لطلب يدها كان من أسباب تقدمه الإحسان إليها، وهو رجل لن تعوزه امرأة فمثلها في الدنيا آلاف من العانسات البائسات، وهي لن تجد مثله وستندم على تفريطها فيه ولات حين مندم وصور لنا بعض هذه الاختلاجات والمشاعر النفسية ابن أخي زرٍّ بن حبيش الفقيه القارئ وكان قد خطب امرأة من أقاربه فردته فقال :

وَنُبِّئْتُها أَحْـرَمَتْ [١] قـومها ... لتَنكِـح في معشرٍ آخَرينا
فإن كنت أَحْـرَمْتنا فاذْهَبي ... فـإن النِّساءَ يَـخُنَّ الأَمينا
وطُـوفي لتَلْتَقطـي مِثْلَـنا ... وأُقْـسِمُ باللهِ لا تَفـْعَلينا
ولـكن لعـلك أن تنكحي ... لئـيم المـركّب خبا بطينا
فإمّا نَكَحْتِ فـلا بالرِّفاء ... إذا مـا نَكَحْتِ ولا بالبَنينا
وزُوِّجْتِ أَشْمَطَ في غُـرْبة ... تُجَـنُّ الحَليلَة منه جُنونا
خَليـلَ إمـاءٍ يـُراوِحْنَهُ ... وللمُحْصَنات ضَـرُوباً مُهينا
يريك الكواكب نصف النهار ... وتـلقين من بغضه الأقورينا
كأنك مـن بغـضه فاقـد ... تـرجِّع بـعد حـنين حنينا
إذا ما نُقِـلْتِ إلـى داره ... أَعَـدَّ لظهرِكِ سـوطاً مَتينا
وقَلَّبْتِ طـَرْفَكِ في ماردٍ [٢] ... تَظَـلُّ الحَمامُ عليه وُكُونا [٣]
يُشِمُّك أَخبَثَ أَضـْراسه ... إذا مـا دَنَوْتِ فتسْتَنْشقينا
كأَن المَساويكَ في شِدْقه ... إذا هُنَّ أُكرِهن، يَقلَعنَ طِينا
كأَنَّ بين تَوالـيَ أَنْيابِـهِ ... وبين ثَناياهُ غِسْلاً [٤] لَجِينا

---

[١] أي حرمتهم على نفسها، قال الأصمعي: أحرمت قومها أي حرَمتهم أن ينكحوها.

[٢] أراد بالمارِد حِصْناً أَو قَصراً مما تُعْلى حيطانُه وتُصَهْرَجُ حتى يَمْلاسَّ فلا يقدر أَحد على ارتقائه

[٣] الوُكُونُ: جمع واكِنٍ مثل جالس وجُلوسٍ، وهي الجاثمة، يريد أن الحمام يقف عليه فلا يُذْعَرُ لارتفاعه

[٤] الغِسْل: الخطْمِيُّ، واللَّجِينُ: المضروب بالماء، شبَّه ما رَكِبَ أَسنانَه وأَنيابَه من الخضرة بالخِطميّ المضروب بالماء.

فأبـــعدك الله من جارة        وألـــزمك الله ما تكرهينا[١]

وقد يتجاوز الشخص القريب الذي رفض من قبل المرأة هجاء المرأة وذمها في شخصها بل يقوم بهجائها وهجاء أبويها وقومها وكل ما يتعلق بها من قرابة وأسباب ومن ذلك قول أعرابي من بني عامر وخطب امرأة منهم كانت قد تزوجت قبله وكان لها مال فلم تتزوجه وردته :

أترجو العامرية زوج صـــدق        وقد زادت على مائة سنوها
يطفطف ما يريد الزوج منها        وأنتن من طول العمر فوها
ونقّل رحـــلها في كـــل حي        وجربت الرجال وجربوها
فما وجـــدوا مناسبها كراما        ولا هم عند خلوهما رضوها
ولا هي بالولود لمـــــن أتاها        ولو ولدت لشين بها بنوها
وفيها لابنها خزي طـــويل        كما قد كان أخزاها أبوها [٢]

ولو عقدنا مقارنة بين الهاجي الأول والثاني نجد أن الثاني قد فاق الأول في اللؤم وبزه في قبح القول والشتم فالأول فضل نفسه فقط وبين أن هذه المرأة التي رفضته لن تجد مثله مهما بحثت وأنه سيجد مثلها وأفضل منها ووصفها بأنها رغبت عن قومها رغبة في غيرهم ويدعو لها إن يكون زوجها سيئا . إن زوجت . يغاديها ويراوحها بالضرب والسب من غير سبب منها وأن زوجها مع كبر سنه وسوء خلقه منتن رائحة الجسم متغير الفم وأن أسنانه قد اخضرت من عدم استياكه وتراكم الأوساخ عليها وأنه يشمها هذه الرائحة.

أما الثاني فقد كان راغبا في المرأة أو في مالها بدليل أنه تقدم لطلب يدها وعندما رفضته عاد ذاما لها وانقلبت حسناتها التي رغبته فيها إلى سيئات فذكر أنها:

---

[١] لسان العرب، مادة: حرم/ الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين للخالـــديين ، ج ٢ ص ٢٣٧ــــ ٢٣٨ ، ونسبها للسليك بن السلكة.

[٢] الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين للخالديين ، ج ١ ص ١٠٤

كبيرة السن فعمرها قد تجاوز المائة عام وتدلدل وترجرج ما يطلبه الرجال منها مع عفونة فمها وعقم رحمها وأنها قد تزوجت وطلقت مرارا لعدم رضا الأزواج عنها وأنها لو ولدت لسب أبناؤها بها للؤمها وسوء خلقها وسوء أبيها.

ولو عقل هذا القائل لعلم أنه يهجو نفسه وأباه وأمه وأخته وعماته لأنه عامري وهجا بني عامر وعمهم بالهجاء وشملهم بالقبيح رجالا ونساء.

وقال حريث بن عتّاب الطائي وهو شاعر أموي بدويّ مقل وكان يهوى امرأة من بني عتود يقال لها حبَّى [١] بنت الأسود فخطبها ولم ترضه وتزوجت غيره من بني ثعلٍ فطفق يهجو بني ثعل يقول:

بني ثعل أهل الخنا مــا حديثكم ... لكم منطقٌ غـــاوٍ وللناس منطق

كأنكم مــعزىً قواصع جــرّةٍ ... مـــن العيِّ أو طيرٌ بخفّـــان ينعق

ديافيّة قــلفٌ كأن خطيبهـــم ... سواء الضُّحى في سلحه[٢] يتمطَّق[٣]

وقال الطائي في حبَّى المذكورة:

لا تأمنن بــعد حبّى صــلةً أبداً ... على الخيانة إن الخــائن الظرف

كأنـــنا ريــشةٌ في عرض بلقعةٍ ... من حيثما واجهتها الريح تنصرف

ينسي الخليلين طول النأي بينهما ... وتــلتقي طــرقٌ شــتّى فتأتلف[٤]

وفي الغالب أن الفتاة المهجوة لا تستسلم لذلك بل ترد الصاع صاعين والكلمة عشر كلمات ومن ذلك أنه: خطب صالح بن محمد بن إسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي أم جعفر بنت علي الهاشمية من ولد أبيه فرد عنها فقال من شدة الغيظ وكانت قبله عند ابن عمٍ لها:

---

(١) هي حُبَّى ابْنَةُ الأَسْوَد من بَني بُحتُرِ بنِ عُتُودٍ كَانَ حُرَيْثُ بنُ عَتَّابٍ الطَّائِيُّ الشاعرُ يَهْوَاهَا فَخَطَبَهَا ولَمْ تَرْضَــهْ وتَزَوَّجَتْ غَيْرَه من بَنِي ثُعَلَ فطَفِقَ يَهْجُو بَنِي ثُعَل. [تاج العروس ج ١ ص ٣٨٩]

(٢) السَّلْحُ: اسم لذي البَطْنِ، وقيل: لما رَقَّ منه من كل ذي بطن، وجمعه سُلُوح وسُلْحانٌ.

(٣) الوافي بالوفيات، ج ٤ ص ١٠٠

(٤) بلاغات النساء ص ٢٨٦ ـــ ٢٨٧

يا شوصة في فؤادي ويا قذى في جفوني
يا بقية في سلاح يا فضلة المأفون
اتأمروني بتزويجها فأين أين يميني
وزوجها كان منها في غيضةٍ من قرون

فقالت:

ارجع بغيظك عنا لست لي بقرين
ولست صاحب دينا ولست صاحب دين
تروم ملكي بعقل واهٍ وحمقٍ حرون[1]

**٦ ـــ الدعاء على أهلها الذين حالوا بينه وبين الزواج منها:**

قد يقوم الذي جبه عن فتاة ورد عنها بالدعاء على وليها، أَنشد أبو الغطمَّشِ المعوضي أحدُ بني مُعاوية بن حزن بن عُبادَةَ بن عُقَيل، لبعض بني طي:

مَنازِلُ أُمِّ العَمرِ حيْنَ تحلُّهُ وتجتابُ فيه الخذلمي المُهتَّما
سلا لي أم العمر فيم يلومُها وَلَمْ تأت مَكروُهاً ولم تغش مأثما
دَعوتُ ولي الناسُ فيما دَعَوتُهُ يُلقّه من شَيبانَ جيشاً عَرَمَرْمَا
فأَضْحى صَريعاً تَحْجلُ الطيرُ حولَهُ وتَبقى زمانا بعْدَهُ وتأَيُّمَا
فإن فَعَلت شَيْبانُ إني لضامنٌ لها غّرةً من مالِ كلْبٍ ومَغنَما
جزى اللهُ عنها وَالَيِيْها ملامةً وَأصلاهما يوم الحِسَابِ جَهَنّما
بما وَلّياها أَقْتَمَ الوَجْهِ عابِساً إذا كَلَّمتهُ لامَها وَتَجهَّما[2]

وانظر دعاء القريب على قريبه الذي ظلمه.[3]

---

[1] الوافي بالوفيات، ج ١٤ ص ١٠٠

[2] التعليقات والنوادر ص ٢٨، رقم: ٣٢٩، ورقم: ٣٣٠

[3] انظر: ص من هذا الكتاب

٧ ــ تمني طلاقها طمعا في الاقتران بها :

كان مزاحم العقيلي يهوى امرأة من قومه يقال لها ليلى، فغاب غيبة عن بلاده، ثم عاد وقد زوجت، فقال في ذلك:

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت فظلت بي الأرض الفضاء تدور

وزايلني لبي وقــد كان حــاضراً وكاد جناني عنــد ذاك يــطير

فقلت وقد أيــقنت أن ليس بيننا تــلاق وعيــني بالدموع تمور

أيا سرعة الأخبــار حين تزوجت فــهل يأتيني بالطــلاق بشير[١]

٨ ــ تمني موت بعلها طمعا في الاقتران بها :

بعضهم يتمنى موت بعلها لعله أن يقترن بها لاحقا إن كانت الرغبة مشتركة بينه وبينها ، قال فراص بن عتبة الأزدي وكان قد خطب بنت عم له وكان يهواها فرد عنها وزوجت غيره فقال :

تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوما أو يموت حميمها

يعني ابن عمها الذي تزوجها[٢].

٩ ــ اكتفاء المتقدم بذكر حميد صفاته وكرم سجاياه:

قد يقوم الشخص الذي جبه بالرد أو فضل غيره عليه بذكر صفاته الحسنة وخلاله الكريمة ومن ذلك ما قاله ابن الأعرابي: كانت للعجير بنت عم، كان يهواها وتهواه، فخطبها إلى أبيها فوعده وقاربه، ثم خطبها رجل من بني عامر موسر، فخيرها أبوها بينه وبين العجير، فاختارت العامري ليساره، فقال العجير في ذلك:

أَلَمــا عــلى دارٍ لــزينبَ قد أتى لها بِلِوى ذي المرج صيفٌ وَمَربَع[٣]

---

[١] الأغاني ج ٥ ص ١٢٩

[٢] معجم الشعراء ، ص٦٠

[٣] الإلمام: النزول، وضمنه معنى الإشراف. واللوى: ما التوى من الرمل. والمرج: الموضع الذي ترعى فيه الدواب. وأراد بالمربع الربيع.

وقولا لهـــا قد طـالما لَـم تكلمي    وأرعـاكِ بالعَيـنِ الفؤادُ المروَّعُ[١]
و َقـولا لها قـال العجيرُ وَخَـصَّني    إليـكِ وإرسـالُ الخَليـلَين يَنفَعُ
أأنت التي استودعتُك السرَّ فانتحي[٢]    ليَ الخونُ [٣] مرّاحٌ من القَومِ أَفرَعُ
إذا مُتُّ كانَ الناسُ نصفَينِ شـامتٌ    وآخـرُ مُثنٍ بالذي كنتُ أَصنَعُ
ولكن ستبكيني خُطـوبٌ وَمَجلسٌ    وشُعثٌ أُهينوا في المجـالسِ جُوَّعُ
وَمُستَلحَمٍ قد صكَّهُ القومُ صكَّـةً    بُعَيدَ المَوالي نيـلَ ما كان يَمنَـعُ
رَدَدتُ لهُ ما أفـرط القتلَ بالضحى    وبالأمسِ حتى اقتالَهُ فَهوَ أَصلَـحُ
وَلَسـتُ بِمَولاهُ وَلا بابـنِ عمِّـهِ    ولكن متى ما أملك النَفع أَنفَـعُ [٤]

## ١٠ ـــ الاهتمام بما يفعل الزوج مع زوجته:

هذا من باب الغيرة والتعلق والحسرة عن أمر كان في ظن من فاته أن سيكون له فالرجل الذي رد عن المرأة كان يمني نفسه الاقتران بها والخلوة معها ويسرح بخياله في أمور كان يعتزم القيام بها من أمور يقوم بها الزوجان مما وارته الجدر وأخفته الستائر ولكن ظهرت أمور وبدرت بوادر حالت دون تحقيق ذلك، ومن ذلك:

. مر المجنون بزوج ليلى وهو جالسٌ يصطلي في يومٍ شاتٍ، وقد أتى ابن عم له في حي المجنون لحاجةٍ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول:

بربك هل ضممت إليك ليلى    قبيل الصبح أو قبلت فاها
وهل رفت عليك قرون ليلى    رفيف الأقحوانة في نداها

---

(١) راعك: أفزعك.

(٢) انتحى: اعتمد وقصد.

(٣) الخون: الخيانة

(٤) خزانة الأدب ، ج ٣ ص ٣٠٠

فقال: اللهم إذ حلفتني فنعم، قال: فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه، وسقط الجمر مع لحم راحتيه، وعض على شفته فقطعها، فقام زوج ليلى مغموماً بفعله متعجباً منه فمضى [١].

. كان مزاحم العقيلي يهوى امرأة من قومه يقال لها مية، فتزوجت رجلاً كان أقرب إليها من مزاحم، فمر عليها بعد أن دخل بها زوجها، فوقف عليها ثم قال:

أيا شفتي مي أما من شـريعة ... من الموت إلا أنتما تـوردانيا!

ويا شـفتي مـي أمالي إليكما ... سبيل وهذا الموت قد حل دانيا!

ويا شفتي مـي أما تبـذلان لي ... بشيء وإن أعطيت أهلي وماليا!

فقالت: أعزز علي يا بن عم بأن تسأل ما لا سبيل إليه، وهذا أمر قد حيل دونه، فاله عنه فانصرف [٢].

أو قد يقوم من رد عن المرأة وصرف عنها ورغب عنه إلى غيره بتزهيد المرأة بعدم الاقتراب والدنو من الرجل الذي فُضِّل عليه لأن به معايب لا تحصى ولا تعد وإن قارفت ذلك فعليها إن استطاعت قطع فمها فإن فعلت فبها ونعمت وإن لم تستطع فلتغسله سبع مرات أولاهن بالتراب وأخراهن بالرماد، قال أبو الأعوجَ بن الصَقيل بن الأحنَفِ أحد بني نُبيط، لمليحةٍ عندَ قبيح:

أسَـلْكِ بحَـقّي والديكِ كليهما ... وجَـدّيكِ هـل قَبّلْتِ فَاهُ المُثلَما

فإن كُنتِ قد قَبّلْتِ فاهُ فمَضْمُضي ... ثَنـاياكِ عَشْراً ثُمَّ صُومي المحرَّما [٣]

---

[١] الأغاني ج ١ ص ١٢١

[٢] الأغاني، ج ٥ ص ١٢٩

[٣] التعليقات والنوادر، ص ٢٧، رقم: ٣٣٣

### ١١ ــ محاولة إفشال الزواج بذكر معايب الشخص المتقدم:

كان مسعود بن خرشة [١] يهوى امرأة من قومه من بني مازن يقال لها: جمل بنت شراحيل، أخت تمام بن شراحيل المازني الشاعر، فخطبها رجل من قومها، وبلغ ذلك مسعوداً فقال:

أيا جمل لا تشقي بأقعس حنكل   قليل الندى يسعى بكير ومحلب

لـــه أعتز حـــو ثـــمان كـــأنما   يراهن غر الخيل أو هن أنجب [٢]

### د ـ فسخ الخطوبة :

قد يتقدم أحد الأقارب لخطبة قريبته، ثم يبدو له تجاهها شيء فيغير رأيه فيفسخ الخطبة ويخبر أهلها ويعتذر لهم اعتذارا طيبا قد يقبلونه ظاهرا ولكنه غالبا يترك فيهم أثر جرح وتحطيم كبرياء.

وقد يزيد الأمر سوء أن يتقدم الخاطب الذي فسخ الخطوبة لخطبة أخرى ولا يخبر أهل قريبته المخطوبة السابقة له ، استحياء منهم وخوفا من غضبهم ، أو احتقارا لشأنهم وعدم اكتراث بهم.

وقد يكون فسخ الخطوبة من الفتاة وأهلها بسبب تقدم آخر لخطبتها أو نحو هذا.

فعلى القريب أن لا يتقدم لخطبة فتاة إلا بعد دراسة كل الجوانب والدوافع منه لهذه الخطبة وترك المؤثرات الأخرى، كأن يقول: إن هذه قريبتي ولا بد للإنسان أن ينفع قريبه ، أو أن تكون دوافعه الطمع في مال المتقدم لها أو مال أبويها أو إخوانها ، وغيرها من الأسباب والدوافع للزواج، فأمر الزواج له ما بعده فهو حياة لا تنتهي إلا بالموت أو الطلاق، وزواج المرأة من غير رغبة فيها يعجل بفشله.

---

[١] مسعود بن خرشة أحد بني حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي بدوي من لصوص بني تميم.

[٢] الأغاني ج ٥ ص ٤٠٧

كما أن على أولياء البنت عدم الغضب عند انصراف من يريد زواج ابنتهم، فالزواج أمر مقسوم ومقدر من الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا، ولعل صرف الله عز وجل عنهم لهذا الزوج المتقلب المزاج الذي تقدم من غير رؤى واضحة وترك من غير مبررات من أعظم المنن وأجل النعم.

كما أن على الفتاة وأهلها اتقاء الله في أنفسهم وفي غيرهم فلا يفسخون خطبة خاطب ويعطون آخر مهما كانت الأسباب وإن بدأ أمر لا بد لهم معه من فسخ خطوبة ابنتهم عليهم إظهاره ليعذروا أمام الآخرين.

## هـ ـ زواج أحد الأقارب من أجنبية: [١]

قد يقدم أحد الأقارب على الزواج من أجنبية وقد تكون هذه الأجنبية خارج دائرة الأسرة كأن تكون من المنطقة التي يسكن فيها أو من بلده أو من بلاد عربية أخرى أو خارج هذا كله كأن تكون نصرانية أو من مسلمات الثغور كألبانيا أو البوسنة أو الجمهوريات الإسلامية، وقد يكون الدوافع لهذه الزواجات أن الزوج طالب أو عامل في ذلك البلد يريد حفظ نفسه وصيانتها في هذا الخضم من الفتن أو قد يكون رأى فشل زواج الأقارب فأحب أن يأتي بتجربة جديدة كما أنه قد يكون من دوافع الزواج من الأجنبية تحسين النسل وإكسابه بياضا وجمالا، وطولا [٢]. وهذه من الأسباب التي جعلت العرب يرغبون في الإماء والسراري كما يوضح لنا ذلك قصة سوّار القاضي مع أحد ولاة بني العباس فذكر أنه استعدى نبطي على زينب بنت سليمان سوّار بن عبد الله بن قدامة العنبري التميمي، فأرسل سوّار يعلمها لتحضر، فامتنعت فكتب إلى الهيثم بن معاوية، فأمره بإحضارها، فكتب إليه الهيثم: إنها بنت سليمان بن علي، فكتب إليه سوّار: فهي أولى من أعطى الحق من نفسه إذا كانت بهذا الموضع السني، فلما ولي

---

[١] انظر للمؤلف: المعلم الداعية لغير الناطقين بالعربية في مناطق الثغور: توجيهات واقتراحات، فصل: زواج المعلم الداعية من نساء الثغور.

[٢] انظر : الخلافات بين الزوجين

إسماعيل بن سليمان على البصرة، جاءه سوار مسلما، فعظمه إسماعيل، ورفعه في المجلس، فأقبل جعفر بن سليمان على إسماعيل فقال: ألابن التركية تعظم وترفع، وقد أراد إثبات أختك على كذا وكذا، وآذى سوارا، فأقبل سوار على إسماعيل، فقال: أصلح الله الأمير إنه ذكر أمي، وقال: ابن التركية، وإنا معشر العرب قدمنا من هذه البادية، وفي ألواننا سواد وفي أبداننا نحف وقلة، فنظرنا إلى هذه الأعاجم فإذا هي أمد منا أجساما، وأشد منا بياضا وأظهر منا حالا فرغبنا فيهم، فاتخذنا منهم السندية والهندية، والخراسانية، والبربرية، فولدن فينا فمددن من أجسامنا وبيضن من ألواننا وحسّن من وجوهنا، ثم نهض. فقال إسماعيل لجعفر: هذا عملك أنت أسمعتني، قد والله ذكر أمي وأم أبيك وأم أمير المؤمنين [1].

وعند مجيء هذا القريب بزوجته فإنه يكون مكان غبطة أو حسد وشماتة من أقاربه. فهو يكون مدار غبطة من الأقارب ذوي الأخلاق الحسنة أو أصحاب تجارب لزواجات فاشلة ويكون مدار حسد إذا كانت زوجته الأجنبية على درجة من الجمال والتعليم والغنى وصغر السن. ويكون مكان الشماتة إذا كانت على العكس من ذلك فيشمت الرجال شماتة تظهر في أعينهم ويتندرون بها بينهم. وتشمت النساء ويُسمعن أم الزوج وأخواته طعنا أنفذ من السنان بأن ابنكم ذهب إلى آخر الدنيا وأتى بهذه العجوز العقيم. ونحن نستغرب ونُكبر شجاعته كيف يعيش معها مع قبحها ودمامتها [2] ولماذا لا يخاف منها؟ وكان في بنات عمه وخاله أجمل وأعقل وأصغر منها.

ويتكلم أولو الأحلام والنهى من الأقارب قائلين: لماذا ترك ابننا بنات عمه وخاله واغترب عنا؟؟ ويكون هذا القول ناتجا عن الحفاظ عن الأهل والعشيرة والضنانة أن

---

(١) أخبار القضاة لمحمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ، ج ٢ص ٦٣

(٢) قال قيس بن زهير وهو سيد عبس: أربعة لا يطاقون: عبد ملك، ونذل شبع، وأمة ورثت، وقبيحة تزوجت.(كتاب الأذكياء لأبي الفرج عبد الرحمن بن الفرج بن علي بن الجوزي مكتبة الغزالي (ب.ت) ص ٨٧/ مجمع الأمثال، ج ١ ص ٢٧٤)

يخرج أحد أفرادها عنها ، أو يكون ناتجا عن الحسد والنفاسة واستماع أقوال النساء. وفي الغالب أن غضب الأقارب من أمثال هذا الزواج ناتج عن انتظارهم لهذا القريب أن يتزوج منهم.

## و ـ نكاح الشغار: [١]

بعض الأقارب يزوجون أولادهم من بناتهم ويكون الأولاد مقسمين منذ الصغر فلان لفلانة وفلانة لفلان ولو جاء خاطب خارج دائرة الأقارب فلابد من استشارة العم والقريب إن كان أحد أبنائه جاهزا للزواج وإلا فأذن لنا ولا تؤاخذنا.

وإذا حدث عدم توافق في أنكحة الشغار بين زوج وزوجته فإن أخا الزوجة التي غضب منها زوجها سيغضب من زوجته أخت الزوج الغاضب على زوجته من غير سبب سوى أن أخاها غضب على زوجته وإن ضرب أحدهما زوجته فسيضرب الآخر زوجته وإن طاعنها بكلام فسيطاعنها الآخر بأشد منه وإن هجر أحد الزوجين زوجته فسيهجر الآخر وإن طلق فسيطلق الآخر ومن ثم تقوم المشاكل ويكتوي بنارها الأقربون ويُقحم فيها آخرون منهم ومن غيرهم كل يتحزب لمن يريد مع علم بعض الأسر بورود النهي عن نكاح الشغار ابتدأ. وذلك لما جاء عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ الشِّغَارِ وَالشِّغَارُ أَنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ الْآخَرُ ابْنَتَهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا صَدَاقٌ . [٢]

## ز ـ تزوج المرأة بعد موت زوجها: [٣]

قد تترمل المرأة ويموت زوجها، وهذه سنة الحياة، قال يزيد بن الحكم الثقفي:

---

[١] أصل الشغار في اللغة الرفع يقال : شغر برجله أي رفعها عند البول وسمي هذا النكاح شغارا لأنه رفع العقد في أصله فارتفع النكاح والمهر معا.( جامع الأصول ج١٢ص٢٣٦)

[٢] صحيح البخاري كِتَاب النِّكَاحِ باب الشِّغَارِ، حديث رقم: ٤٨٢٢/ صحيح مسلم، كتاب النكاح ، باب تحريم نكاح الشغار وبطلانه ، حديث رقم : ١٤١٥

[٣] هذا السبب نفسي أيضا.

كل امرئ ستئيم منـ ـه العرس أو منها سيئيم[١]

فبعض النساء يستعجلن الزواج ويتجملن للخطاب وهذا حق مشروع لهن وبعضهن يصبرن ويقمن على أولادهن ويشبلن عليهم، وفي هذا أجر عظيم لهن: عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ[٢] كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوْمَأَ يَزِيدُ بِالْوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ[٣] امْرَأَةٌ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى يَتَامَاهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا[٤].

## أنواع الأرامل :

النساء الأرامل أنواع منهن:

ــ أرامل صغار سن لا أولاد لهن:

بعضهن شابات صغيرات ليس لهن أولاد من الزوج المتوفى فهؤلاء الأجدر بهن والأحرى أن يتزوجن وليس العزوف عن الزواج ورفضه من الوفاء للزوج.

هنالك أمثلة كثيرة لامتناع الأرامل عن الزواج من أجل أولادهن نجتزئ منها بالآتي:

---

(١) الأيم الذي تجرد من الأهل والعرس الزوج والمعنى أن الموت يشتمل الذكر والأنثى فإما أن يموت الرجل وتبقى امرأته أيما أو تموت امرأته ويبقى الرجل أيما منها .[شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ٢ ص ٧٣٧ ــ ٧٣٨]

(٢) السُّفْعَةُ: نوعٌ من السواد ليس بالكثير. وقيل هو سوادٌ مع لون آخر، أراد أنها بذلت نفسَها، وتركَت الزِّينة والترفُّة حتى شَحِب لونها واسودّ إقامةً على وَلَدها بعد وفاة زوجها.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {سفع}]

(٣) السَّبَّابةُ: الإِصْبَعُ التي بين الإبهام والوُسْطى،وهي المُسَبِّحَةُ عند المُصَلِّين. وكانت في الجاهلية تدعى بالسبابة، لأنهم كانوا يسبون بها، فلما جاء الله بالإسلام كرهوا هذا الاسم فسموها المشيرة، لأنهم كانوا يشيرون بها إلى الله في التوحيد. وتسمى أيضا بالسباحة، جاء تسميتها بذلك في حديث وائل بن حجر وغيره، ولكن اللغة سارت بما كانت تعرفه في الجاهلية فغلبت.[لسان العرب، مادة: سبب / تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٥]

(٤) سنن أبي داود، كتاب: الأدب باب: في فضل من عال يتيما حديث رقم: ٤٤٨٢/ مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٢٨٨٠

قال عمارة بن عقيل: كانت عندنا امرأة باليمامة يقال لها أم أثال وكانت من أجمل النساء فآمت من زوجها فخطبها أشراف أهل اليمامة وكنت فيمن خطبها فقالت وكان لها ابن يقال له أثال فردت كل خاطب من أجله:

لعمري أثال لا أفدي بعينه وان كان في بعض المعاش جفاء
إذا استجمعت أم الفتى غض طرفه وشاعره دون الدثار بلاء[١]

ــ أرامل لهن أولاد صغار:

أن تكون الأرملة ذات أولاد صغار فهذه إن تزوجت من أخي زوجها أو قريبه فهذا أفضل لها ولأبنائها وأرضى لأهل زوجها وزواج المرأة الصغيرة ذات الأطفال الصغار بعد موت زوجها أو فراقه لها يكتنفه كثير من الصعاب والمشاكل لأن الزوج المطلق في حال فراقه لزوجته أو أهله في حالة وفاته يسعون لانتزاع هؤلاء الأطفال من أمهم وفجيعتها بهم فعلى أهل زوجها السعي نحو تزويجها حفاظا على أبنائها وعلى أهلها الموافقة بمن يأتي من قبل أهل زوجها إن كان كفيا فعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال كانت امرأة من الأنصار تحت رجل من الأنصار فقتل عنها يوم أحد وله منها ولد فخطبها عم ولدها ورجل إلى أبيها فأنكح الرجل وترك عم ولدها فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت أنكحني أبي رجلا لا أريده وترك عم ولدي فيؤخذ مني ولدي فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أباها فقال أنكحت فلانا فلانة قال نعم قال أنت الذي لا نكاح لك اذهبي فانكحي عم ولدك[٢].

. أن تتزوج الأرملة تأمينا لمستقبل ولدها، كما فعلت أم سمرة بن جندب فعن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري عن أبيه أن أم سمرة بن جندب مات عنها زوجها وترك ابنه سمرة وكانت امرأة جميلة فقدمت المدينة فخطبت فجعلت تقول لا أتزوج رجلا إلا

---

[١] بلاغات النساء ص ٦٣

[٢] مصنف عبد الرزاق ٦ ص ١٤٧، حديث رقم: ١٠٣٠٤

رجلا يكفل لها بنفقة ابنها سمرة حتى يبلغ فتزوجها رجل من الأنصار على ذلك وكانت معه في الأنصار.[1]

. أن تنتظر الأرملة التي لها أولاد صغار كبر أولادها ثم تتزوج بعد ذلك كما فعلت أم سليم والدة أنس بن مالك فعن أم سليم: أنها آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت : فجاء أبو أنس وكان غائبا، فقال: أصبوت؟ قالت: ما صبوت ولكني آمنت! وجعلت تلقن أنسا: قل: لا إله إلا الله قل: أشهد أن محمدا رسول الله ففعل. فيقول لها أبوه: لا تفسدي عليّ ابني فتقول: إني لا أفسده! فخرج مالك فلقيه عدو له فقتله، فقالت: لا جرم لا أفطم أنسا حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس. فخطبها أبو طلحة، وهو يومئذ مشرك، فأبت.[2]

قال أنس بن مالك: خطب أبو طلحة أم سليم فقالت إني قد آمنت بهذا الرجل وشهدت بأنه رسول الله فإن تابعتني تزوجتك قال فأنا على ما أنت عليه فتزوجته أم سليم وكان صداقها الإسلام وبه خطب أبو طلحة أم سليم وكانت أم سليم تقول لا أتزوج حتى يبلغ أنس ويجلس في المجالس فيقول جزى الله أمي عني خيرا لقد أحسنت ولايتي فقال لها أبو طلحة فقد جلس أنس وتكلم فتزوجها . [3]

ـــ أرامل لهن أولاد مدركون:

يروي أبو محمد الذي تزوج صديقه الذي يماثله في العمر من أمه الأرملة حيث يقول: على الرغم من أن زواج أمي من صديقي تم بموافقتي، لكني حتى هذه اللحظة لست مقتنعا تماما بل أعتبره انتزع أغلي شيء في حياتي بعد أن وثقت به وكانت أمي

---

[1] المستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٦٩، حديث رقم: ٢٣٥٦/ السنن الكبرى ج ٩ ص ٢٢، حديث رقم: ١٧٥٨٨/ المعجم الكبير للطبراني، ج ٧ ص ١٧٧ــ١٧٨، حديث رقم: ٦٧٤٩، ترجمة رقم: ٦٨١/ تهذيب الكمال ج ١٢ ص ١٣٣

[2] سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٠٥

[3] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١٢٠٧٣

تعامله كابنها تماما ولكني فوجئت باتفاقهما على الزواج بل صدمت وحاولت بشتى السبل تعطيل هذه الزيجة ولكن أمي كانت صارمة في قرارها وأعلنت قبولها به زوجا مبررة ذلك بأنها أصبحت تشعر بوحدة كئيبة، وبحاجة إلى من يؤنس وحشتها خاصة في ظل انشغالي بأسرتي الصغيرة، وأمام إصرارها اضطررت للموافقة، ولكنها جعلتني موضع سخريه وتندر الآخرين نظرا لصغر سن زوجها الذي كان صديقي قبل أن يتزوج أمي!![١]

على هذه المرأة وأمثالها من سلافع النساء أن تستحي الواحدة منهن وأن تحترم نفسها ولتصبر وإن تزوجت فلتتزوج رجلا كبيرا ، ولا تتزوج زوجا في عمر ولدها ذي العشرين عاما فتصير مضحكة هي وأبناؤها وأسرتها ، فالأمر لا يتعلق بها وحدها بل يتعلق بها وبأبنائها وبأسرتها وبعشيرتها ، [٢] فلا تشمت بنفسها الآخرين.

## مظاهر كراهية زواج الأم:

لزواج الأم في المجتمع مظاهر كراهية عدة منها:

### ١ـ إطلاق أسماء خاصة على الأم المتزوجة وعلى ابنها:

من العيب لدى كثير من المجتمعات وليس من الحرام أن تتزوج المرأة وابنها كبير وفي المجتمع العربي خاصة يعتبر هذا من أعظم الأمور حتى أن العرب جعلوا للمرأة التي تتزوج وولدها كبير اسما خاصا بها وبولدها فسموها البروك وسموا ولدها الجرنبذ قال ابن منظور: والبَروك من النساء: التي تتزوج ولها ولد كبير بالغ. [٣] والجَرَنْبَذُ الذي تتزوج أُمه.قال الأزهري: وهو مأْخوذ من الجَرْبَذَة. [٤] كما سموها أيضا

---

[١] آمال رتيب ــ جدة، الأهرام العربي ١١. ٥ . ٢٠٠٢

[٢] لما قتل يزيد بن مزيد الشيباني الوليد بن طريف الشيباني لبست أخته عدة حربها وحملت على جيش يزيد، فقال يزيد: دعوها، ثم خرج فضرب بالرمح فرسها وقال: اغربي غرب الله عينك فقد فضحت العشيرة، فاستحيت وانصرفت.[الوافي بالوفيات، ج ٧ ص ٤٥٣/ وفيات الأعيان، ج ٦ ص ٣٣ ــ ٣٤]

[٣] لسان العرب، مادة: برك

[٤] لسان العرب : مادة : جربذ

اللفوت قال الأصمعي: اللفوت التي لها زوج ولها ولد من غيره ، وهي تتلفت إلى ولدها ، وهي البروك أيضا.[١]

قال الأصمعي: لما كان يوم سلى وساجر، طرد شقيق بن جزء بن رياح الباهلي، حكيم بن قبيصة بن ضرار الضبي، فقال له شقيق[٢] : أربع علي ابن البروك. فقال يا شقيق: ما بيننا أجل من السباب! فقال: معذرة إلى الله، لو علمت لها اسما غيره ما دعوتها إلا به.[٣]

وكان نصارى أوربا يعبرون عن زواج الأرملة بالزنا المهذب.[٤]

## ٢ ـ تعيير من زوج أمه والسخرية منه والاستهزاء به :

كان العرب يرغبون عن إنكاح الأمهات[٥] ويعيرون من يفعل ذلك ويسخرون منه ويستصغرونه ومن أمثلة ذلك :

. قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاصي الشام غازياً، فأتى عمته أمية بنت سعيد، وهي عند خالد بن يزيد بن معاوية، فدخل خالد فرآه، فقال: ما يقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة، فظن محمد أنه يعرض به، فقال له: وما يمنعهم من ذلك، وقد قدم قوم من أهل المدينة على النواضح ، فنكحوا أمك

---

[١] غريب الحديث لابن قتيبة ج٢ص٣٣٥

[٢] أدرك حكيم الإسلام حتى وفد إلى معاوية، فقال له معاوية: أي يوم من الزمن مر بك أشد، قال: يوم طردني شقيق، قال: فأي يوم مر بك أحب إليك، قال: يوم هداني الله للإسلام. [ غريب الحديث لابن قتيبة ج ٢ ص ٣٣٥]

[٣] غريب الحديث لابن قتيبة ج٢ص٣٣٥

[٤] الحجاب للمودودي ص ٢٣ ــ ٢٤

[٥] لا تزال هذه العادات في بعض المجتمعات العربية المعاصرة

وسلبوك ملكك، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب، وعمل الكيمياء الذي لا تقدر عليه. [١]

. قال الأسعر وهو مرثد بن حمران الجعفي وهو جاهلي :

باعوا جوادهمو لتسمن أمهم ولكي يعود على فراشهم فتى

علج إذا ما ابتز عنها ثوبها وتخامصت [٢] قالت له: ما ترى

لكن قَعِيدةَ [٣] بَيْتِنا مَجْفُوَّةٌ [٤] بادٍ جَناجِنُ [٥] صَدْرِها ولها غِنى

تقفى [٦] بعيشة أهلها وثابة أو جرشع نهد المراكل والشوى

أراد أنهم أخذوا دية أبيهم فآثروا أمهم باللبن وعيالهم على خيلهم، فإذا سمنت أمهم زوجوها [٧].

. قيل لبعضهم زوجت أمك؟ قال: نعم، حلالا طيبا، فقيل له: أما حلالا فنعم، وأما طيب فلا [٨].

. قال الصاحب بن عباد فيمن زوج أمه :

زوجت أمك يا فتى وكسوتني ثوب القلق

---

[١] الأغاني، ج ٤ ص ٤٨٤

[٢] تخامصت أدخلت يديه إلى بطنها لتريه أنها خميص .

[٣] قَعِيدَةُ الرجل وقَعِيدَةُ بيته: امرأَته؛والجمع قَعائدُ. وقَعِيدَةُ الرجلِ: امرأَته.[لسان العرب، مادة: قعد]

[٤] وقوله مجفوة : يقول : نؤثر هذه الفرس الوثابة أو الجرشع على قعيدة بيتنا فهي هزيلة باد جناجن صدرها على غناها.

[٥] الجَناجِنُ: عِظامُ الصدر، وقيل: رؤُوسُ الأَضْلاع، يكون ذلك للناس وغيرهم. [لسان العرب، مادة: جنن]

[٦] القفية : ما يؤثر به الضيف وذو الكرامة.

[٧] سمط اللآلي ج ١ ص ٩٤

[٨] نثر الدر ج٢ص٢٠٤

والحر لا يهدي اللحوم إلى الرجال على الطبق[(١)]

### ٣ ـ عدم سعي الابن لزواج الأم عند طلبها ذلك :

يرفض الأبناء زواج أمهم حتى عند طلبها ذلك بل يجاهرونها بالرفض ومن ذلك ما جاء: أن امرأة سألت ابنها أن يزوجها فكره ذلك وذهب إلى عمر فذكر ذلك له فقال اذهب فإذا كان غدا أتيتكم قال فجاء عمر فكلمها ولم يكثر ثم أخذ بيد ابنها فقال له زوجها فوالذي نفس عمر بيده لو أن حنتمة بنت هشام يعني عمر أم نفسه سألتني أن أزوجها لزوجتها فزوج الرجل أمه.[(٢)]

### ٤ ـ الاستعاذة بالله من مال أصله مهر الأم :

كان العرب يستعيذون من مال يكون أصله مهر الأم فقد روي أن أعرابيا رأى إبل رجل قد كثرت بعد قلة، فسأل عن ذلك، فقيل له: إنه زوج أمه فقال: اللهم إنا نعوذ بك من بعض الرزق.[(٣)]

وقال الجاحظ: معنى قول القائل يا ماص بظر أمه يعني آكلاً مهر أمه من غير أبيه![(٤)] وقال الشاعر :

رب حلالٍ أكله ... أقبح من نجس الدبر
من ظن مهر أمه ... جبراً لــه فلا جبر[(٥)]

---

(١) انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محـي الـدين عبـد الحميد، طبع عالم الكتب بيروت ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٧م ، ج ٤ ص ١٣٠

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج ٤ ص ٤٧، باب: ما قالوا في الرجل يزوج أمه، حديث رقم: ٢٥٦ ، وحديث رقـم: ١٧٦٥٠

(٣) الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٣٣٤

(٤) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٤١٥

(٥) محاضرات الأدباء ج ١ ص ٤١٥

## ٥ ـ إغضاب وإثارة الآخرين بطلب زواج أماتهم:

كان من يريد أن يُحنق أحدا من الناس يتقدم له بزواج إحدى أرامله كبار السن، كما ذكر أنه:

ـ أراد أناس أن يُغضبوا الأحنف بن قيس فبعثوا واحدا منهم إليه يخطب أمه فقال الأحنف: لسنا نردك انتقاصا لحسبك ولا قلة رغبة في مصاهرتك ولكن والدتي امرأة قد علا سنها وأشرفت على السبعين، وأنت شاب في ريعان الصبا تحتاج إلى امرأة ودود ولود، تأخذ من خلقك وتستمد من أدبك، ارجع إلى قومك واخبرهم أنك لم تُغضبني. [1]

. يقال: إن رجلاً سأَل معاوية أَن يزوجّه أمَّه هنداً فقال: أَمْرُها إِليها وقد قَعَدَتْ عن الولد وأَبَتْ أَن تتزوج، فقال: فولني مكان كذا، فقال معاوية متمثلاً:

طلبَ الأَبْلَقَ العَقُوقَ فَلَمّا ... لمْ يَنَلْهُ أرادَ بَيْضَ الأَنُوقِ [2]

والأَنوق: طائر يبيض في قُنَنِ الجبال فبيضه في حِرْزٍ إِلا أَنه مما لا يُطْمَع فيه، فمعناه أَنه طَلب ما لا يكون، فلما لم يجد ذلك طلب ما يطمع في الوصول إِليه، وهو مع ذلك بعيد. [3]

وقد يكون الإحناق بالتذكير بأنه أراد أن يتزوج أم أحدهم كما فعل السائب بن صيفي المخزومي مع معاوية بن أبي سفيان عندما غضب عليه فقد ذكر أن معاوية طاف في خلافته بالبيت في جنده فزحموا السائب بن صيفي بن عائذ فوقع. فقال: ما

---

[1] البيان والتبيين ج ١ ص ٥٦١

[2] الأنوق بفتح الهمزة، على مثال صبور: الرخمة، وهو طائر أسود أصلع الرأس أصفر المنقار. وهي تجعل بيضها حيث لا ينال، فتتخذ أوكارها في قنن الجبال الصعبة، فيضرب المثل ببيضها في البعد وعزة المنال. والأبلق العقوق: الذكر الحامل وهو محال. فكأنه يقول طلب أمرا محالا، فلما أعجزه طلب أمرا بعيدا لا يناله. واعترضت الحكاية بأن أم معاوية ماتت سنة أربع عشرة، فكيف يطلب تزويجها يوم الولاية؟ [ التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه ، ج ١ ص ١٣/ حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٤٢/ زهر الأكم في الأمثال والحكم ، ج ١ ص ٨٢]

[3] الإصابة في تمييز الصحابة ج ٨ ص ١٥٦/ لسان العرب مادة : عقق

هذا يا معاوية تصرعوننا حول البيت! أما والله لقد أردت أن أتزوج أمك. قال: ليتك فعلت فجاءت بمثل ولدك أبي السائب [١].

### ٦ ـ الاستحياء من قول هذا زوج أمي عند السؤال عنه:

كان أحدهم يستحي أن يقول هذا زوج أمي، قال الجاحظ: كان رجل من أهل الري يجالسنا فاحتبس عنا فأتيته فجلست معه على بابه وإذا رجل يدخل ويخرج فقلت: من هذا ؟ فسكت ثم أعدت فسكت فلما أعدت الثالثة قال: هو زوج أخت خالتي [٢]

وسأل الرشيد أبا محمد مخلد بن الحسين الأزدي المهلبي البصري نزيل المصيصة. وكان أحد أوعية العلم قائلا: ما قرابة بينك وبين هشام بن حسان؟ قال: هو والد إخوتي يعني لم يقل زوج أمي [٣].

### ٧ـ الثأر والانتقام ممن تزوج الأم:

قد يبلغ الحنق بمن قد تزوجت أمه ويكون صغيرا وقت الزواج ولا يستطيع دفعه أن يخطب أم من تزوج أمه طالبا يدها نكاية في من تزوج أمه وقد يشجعه الناس على ذلك، ومن ذلك أنه: تزوج الأسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية أم عثمان بنت سعيد بن العاص فولدت له أبا سفيان وأبا عتبة وهي أم سعيد ورملة ابني خالد بن عمرو بن عثمان فقيل لسعيد بن خالد : اخطب أمه فأتى أمه أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر يخطبها وهي بادية بظهر ذنبة [٤] عليها قبة نمور قد اشترت غشاءها بألف دينار فأتاها وهو غلام يرعد فقال أحب أن تزوجيني نفسك وهي يومئذ كبيرة قد قيدت فاها بالذهب فقالت مرحبا بابن أخي لو كنت متزوجة أحدا من قريش لتزوجتك إن أمك

---

[١] تاريخ الإسلام ج ١ ص ٥٠٢ / الروض الأنف ج ١ ص ٢٨٦/ الإصابة في تمييز الصحابة ج ٣ ص ٢٢، ترجمة رقم: ٣٠٦٧ / الاستيعاب ج ١ ص ١٧١

[٢] البيان والتبيين ج ١ ص ٥٦١

[٣] سير أعلام النبلاء ، ج ٩ ص ٢٣٦ ، ترجمة رقم : ٦٥

[٤] ذنبة : موضع بعينه من أعمال دمشق

امرأة شابة وأنا عجوز كبيرة وإن هذا شيء لا يصنعه نساء قريش أبدا قيل لك تزوج أمه كما تزوج أمك انطلق يا ابن أخي.[١]

## ٨ ـ توصية الآباء الأبناء بالتنكيل والانتقام من الأم إذا تزوجت:

قد يوصي الوالد الأبناء بالانتقام من الأم إن هي تزوجت، أنشد ابن الأعرابي لرجل له ولد اسمه غياث أوصاه بالانتقام من والدته إن هي تزوجت بعد وفاته :

غياثُ إذا متُّ وعشتَ بعدي وأشرفت أمك للتصدي

وارتقنت[٢]بالزعفران الوردي فاضرب فداك والدي وجدي

بين الرعاث ومناط العقد ضربة لا وان ولا ابن عبد[٣]

## ٩ ـ التردد بين التهنئة والتعزية لمن تزوجت أمه:

بلغ من كراهية العرب لزواج الأمهات أنهم كانوا لا يعرفون ماذا يفعلون مع من تزوجت أمه أيهنئونه أم يعزونه.

. سأل أحدهم عمرو بن مسعدة عن صديق تزوجت أمه هل تهنئه أم تعزيه ، فلم تتسن له الإجابة فقال له : تكتب إليه أما بعد فإن الأمور تجري على خلاف محاب المخلوقين والله يختار لعباده فخار الله لك في قبضها إليه فإن القبور أكرم الأكفاء والسلام.[٤]

ـ أمر سيف الدولة بن حمدان أبا الفرج الببغاء بالكتابة في معنى ذلك . زواج الأم . امتحانا له : من سلك إليك أعزك الله سبيل الانبساط لم يستوعر مسلكا من المخاطبة فيما يحسن الانقباض عن ذكر مثله واتصل بي ما كان من خبر الواجبة الحق عليك المنسوبة بعد نسبتك إليها إليك وفر الله صيانتها في اختيارها ما لولا أن

---

[١] تاريخ دمشق ، ج٧٠ ص ٢٦٠

[٢] رقنتِ الجارية ورقّنت وترقّنت إذا اختضبت بالحناء

[٣] لسان العرب، مادة: رقن

[٤] صبح الأعشى ج ١ ص ١٧٧ ــ ١٨٠، وكذلك ج ٩ ص ٨٠ ــ ٨١

الأنفس تتناكره وشرع المروءة يحظره لكنت في مثله بالرضا أولى وبالاعتداد بما جدده الله في صيانتها أحرى فلا يسخطنك من ذلك ما رضيه وجوب الشرع وحسنه أدب الديانة ومباح الله أحق أن يتبع وإياك أن تكون ممن لما عدم اختياره تسخط اختيار القدر له والسلام.[١]

وكان الأقدمون يشيدون بمن زوج أمه ويرون أنه قد فعل شيئا كبيرا وأنجز أمرا عظيما ومن ذلك: أملى أبو إسحاق، إبراهيم بن هلال الكاتب، الصابئ ، نسخة رقعة إلى رجل زوج أمه، كتبها إليه: قد جعلك الله، وله الحمد، من أهل التحصيل، والرأي الأصيل، وصحة الدين، وخلوص اليقين، كما أنك لا تتبع الشهوة في محظور تحله، فكذلك لا تطيع الأنفة في مباح تحظره، وتأدى إلينا من إيقاعك العقد، بين الوالدة ـ نفس الله لها في مدتك ـ وبين فلان، ما علمنا أنك بين طاعة للديانة توخيتها، ومشقة فيها تجشمتها، فإنك جدعت أنف الغيرة لها، وأضرعت خد الحمية فيها، وأسخطت نفسك لرضاها، وعصيت هواك لرأيها،فنحن نهنئك بعزيمة صبرك، ونعزيك عن فائت مرادك، ونسأل الله الخيرة لك، وأن يجعلها أبداً معك، فيما شئت وأبيت، وتجنبت وأتيت، والسلام.[٢]

وكتب أبو الفضل بن العميد : " الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة، وهدانا لستر العورة، وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة، ومنع من عضل الأمهات، كما منع من وأد البنات، استنزالاً للنفوس الأبية، عن الحمية حمية الجاهلية ثم عرض لجزيل الأجر من استسلم لواقع قضائه،وعوض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه، وهناك الذي شرح للتقوى صدرك، ووسع في البلوى صبرك، وألهمك من التسليم لمشيئته، والرضا بقضيته، ما وفقك له من قضاء الواجب في أحد أبويك، ومن عظم حقه عليك،وجعل تعالى جده ما تجرعته من أنف، وكظمته من أسف، معدوداً فيما

---

[١] صبح الأعشى ج ٩ ص ٨٠ ــ ٨١

[٢] ديوان المعاني للعسكري ٢١٢ ــ ٢١٣/ وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٥ ــ ٤٧٦

يعظم به أجرك ويجزل عليه ذخرك، وقرن بالحاضر من امتعاضك بفعلها، المنتظر من ارتماضك بدفنها، فتستوفى بها المصيبة، وتستكمل عنها المثوبة، فوصل الله لسيدي ما استشعره من الصبر على عرسها، ما يستكسبه من الصبر على نفسها، وعوضه من أسرة فرشها، أعواد نعشها، وجعل تعالى جده ما ينعم به عليه بعدها من نعمة، معرى من نقمة، وما يوليه من بعد قبضها من منحة، مبرأ من محنة، فأحكام الله تعالى جده وتقدست أسماؤه جارية على غير مراد المخلوقين، لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين، ما هو خيرٌ لهم في العاجلة، وأبقى لهم في الآجلة، اختار الله لك في قبضها إليه، وقدومها عليه، ما هو أنفع لها، وأولى بها، وجعل القبر كفؤاً لها، والسلام " [١].

وتعد في مناقب المرء وديانته وكرم سجاياه قيامه بتزويج أمه قال ابن كثير عن علي بن الحسين : وذكروا أنه زوج أمه من مولى له [٢] وأعتق أمة فتزوجها فأرسل إليه عبد الملك يلومه في ذلك، فكتب إليه ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [٣] وقد أعتق صفية فتزوجها، وزوج مولاه زيد بن حارثة من بنت عمه زينب بنت جحش.[٤]

وقال الراغب الأصفهاني : وممن زوج أمه عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد.[٥]

## ١٠ ـ قيام الأبناء بإفشال زواج الأم :

قد يحاول الأبناء الذين اعتزمت أمهم على الزواج بعد أبيهم إفشال هذا الأمر وذلك بعد عجزهم عن إثنائها عن رأيها ومن ذلك أنه: خطب أويس القرني العابد أم

---

[١] وفيات الأعيان ج ٣ ص ٤٧٧

[٢] قال الراغب الأصفهاني: وزوج علي بن الحسين أمه سلافة الكابلية مولى له ليحيي سنة في الإسلام. [محاضرات الأدباء ج ١ ص ٤١٥ ]

[٣] سورة الأحزاب آية ٢٢

[٤] البداية والنهاية ج ٩ ص ١٢٦

[٥] محاضرات الأدباء ج ١ ص ٤١٥

الشماخ ومزرد وجزء بن ضرار وكان أوس هذا شاعرا فلما رآه بنو ضرار بفناء أمهم للخطبة، تناول الشماخ حبل الدلو ثم متح [١] وهو يقول:

تـــــقولها ناكحة أويسا

ثم جاء مزرد فتناول الحبل وقال:

يهدي إليها أعنزاً وتيساً

وأخذ جزء الحبل وقال:

حمقاً ترى ذاك بها أم كيسا

فقال أويس: لقد أخزى الله من يكون رابعكم. [٢]

## ١١ ـ التندر وضرب الأمثال بزواج الأم:

صار زواج الأم في المجتمعات العربية مثار التندر وضرب الأمثال واختلاق القصص وائتفاك الأمور التي تزهد فيه وتخرج المرأة الراغبة في الزواج بعد وفاة زوجها بأنها عجوز مغتلمة لا هم لها إلا إشباع شهوتها وإرواء نزوتها ومن ذلك أن رجلا ذهب بأمه إلى الطبيب فرآها الطبيب متزينة متصابية فقال لولدها أرى أن تزوجوها فاحتج الابن قائلا إنها كبيرة فسارعت الأم معترضة : يا بني أأنت أعلم أم الطبيب؟

وقيل في هذا الشأن إن رجلا زوج أمه وجاءها صبيحة عرسها وقال لها كيف أصبحت يا أمي فقالت له: أسأل الله أن تصبح نبيا.

وحتى أسماء الفصول وأيام البرد ونحوها لم تنج منها المتزوجة بعد زوجها فقد سموا أيام العجوز [٣] وذكروا في سبب تسميتها أسبابا منها:

قال الكسائي: كانت امرأة من العرب قد اهترمت، وكان لها سبعة أولاد فقالت لهم: زوجوني زوجوني زوجوني وهم يضربون عنها ولا يكترثون لها فأنشأت تقول شعراً:

---

(١) المَتْحُ: جَذْبُكَ رِشاءَ الدَّلْو تَمُدُّ بيد وتأْخذ بيد على رأْس البئر. [لسان العرب، مادة: متح]

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ج ٤ ص ٤٥٩ / أنساب الأشراف ، ج ٤ ص ٢٤٣

(٣) هي سبعة أيام من أيام البرد القارس، وهي: صن وصنبر ووبر وآمر ومؤتمر ومعلل ومطفي الجمر.

أيـا بـني إننـي لناكـحة        فـإن أبيـتم إنني لجـامحة
هان عليكم ما لقيت البارحة        مـن الهياج وحكال الوامحة[١]

فقالوا لها: بيتي لنا سبع ليال على ثنية هذا الجبل لكل ابن ليلة لنزوجك بعد ذلك، فجاءوها بعد السابعة وقد انقضت.[٢]

كما أن العلاقات الناتجة عن زواج الأم والمقدرة على معرفتها من الأمور التي يطبقها القضاة لمعرفة كفاية علم الممتحن ومن ذلك:

أن يحيى بن أكثم امتحن رجلاً أراده للقضاء فقال: ما تقول في رجلين زوّج كلّ واحدٍ منهما الآخر أمّه فولد لكلّ واحدٍ ولدٌ من امرأته، ما قرابة ما بين الولدين؟ فقال: كلّ واحدٍ منهما عمّ الآخر.[٣]

ودخل رجل من أهل الشام على عبد الملك فقال له يا أمير المؤمنين إني قد تزوجت امرأة وزوجت ابني أمها ولا غنى بي عن رفدك فقال له إن أخبرتني بقرابة ما بين ولديكما فعلت ما تريد فقال يا أمير المؤمنين هذا حاجبك حميد بن بحدل قد قلدته سيفك وحجابك فسله عنه فإن أصاب كان حرماني بحجة وإن أخطأ اتسع العذر لي فدعا به فسأله عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين إنك لم تقدمني على علم الأنساب ولا لتصرف في الآداب وإنما قدمتني لضربي بالسيف وطعني بالرماح ابن الأب عم ابن الابن وابن الابن خال ابن الأب وأنا أسأل أمير المؤمنين أن يصل هذا الرجل بما أمله عنده فضحك واسترجحه ووصل الرجل.[٤]

---

(١) أرادت بالوامحة الواحمة أي المشتهية من قولهم: وحمت المرأة توحم وحما وهي امرأة وحمى.
(٢) انظر: الأزمنة والأمكنة للمرزوقي، الصفحات ص ٥٤٠ ــ ٥٥٣
(٣) بهجة المجالس ج ١ ص ٢١٢
(٤) تاريخ دمشق، ج ١٥ ص ٢٧٦ــ ٢٧٧، ترجمة رقم: ١٧٩٤/ عيون الأخبار ج ١ ص ١٧١ ــ ١٧٢

. من عدم اهتمام زوج الأم بابن زوجته وقضاء أموره الخاصة به ضرب به المثل فقيل: حاجة لا تهمك وصى عليها زوج أمك.[١]

- وحتى الرؤى والأحلام المتعلقة بزواج الأم لم تخل من تأويل يصيب صاحبه بالهم والخوف والترقب قال النابلسي : ومن زوج أمه بإنسان باع عقاره.[٢]

## ١٢ ـ السخرية بمن تزوجت وأتت بزوج أقل من زوجها المتوفى :

يا بؤس المرأة ويا شقائها إن كان زوجها الجديد على النقيض من الزوج السابق، ويا شماتة الناس بها وبه.كما حدث لفاطمة بنت عبد الملك التي تزوجت بعد موت عمر بن عبد العزيز داود بن سليمان بن مروان وكان دميما قبيحا فقال موسى شهوات :

أبعد الأغر ابن عبد العزيز قريع قريش إذا يذكر
تزوجت داود مختارة غُلا ألا ذلك الخلف الأعور

فغلب عليه ذلك في بني مروان فكان يقال له : الخلف الأعور.وكانت إذا سخطت عليه تقول صدق والله موسى إنك لأنت الخلف الأعور فيشتمه داود.[٣]

## ١٣ ـ استنكاف الابن من العيش مع زوج الأم في بيت واحد :

يستنكف الابن أن يعيش مع أمه بعد زواجها في بيت واحد بل في الغالب أنه يغادر البيت، خوفا من نظرات المجتمع وحياء منه، ذكر عن القاضي شريح أنه خرج إلى المدينة ثم إلى العراق لأن أمه تزوجت بعد أبيه فاستحيا.[٤]

قال الشربيني عن شروط الحضانة آخذين منها ما يتعلق بسكنى المحضون مع أمه وزوجها الجديد: خامسها أن تخلو الحاضنة من زوج أجنبي كما أشار إلى ذلك

---

[١] المستطرف ج١ ص ٨٣

[٢] تعطير الأنام في تفسير الأحلام، للشيخ عبد الغني النابلسي ج ٢ ص ٢٦٩

[٣] تاريخ دمشق، ج ١٧ ص ١١٣، ترجمة رقم: ٢٠٤٠ / الوافي بالوفيات، ج ١٣ ص ٤٥٩

[٤] سير أعلام النبلاء، ج ٤ ص ١٠١ / الأغاني ج ١٧ ص ١٤٦

بقوله " و"لا" ناكحة "زوج" غير أبي الطفل" وإن لم يدخل بها ورضي أن يدخل الولد داره للخبر المار أنت أحق به ما لم تنكحي ولأنها مشغولة عنه بحق الزوج قال الماوردي ولأن على الولد وعصبته عارا في مقامه مع زوج أمه.[1]

## ١٤ـ عدم مقدرة الأم على الانتصار من زوجها الأخير إذا ظلم ابنها من زوجها السابق:

ذكر الطرماح بن حكيم [2] قصيدة أبياتها أكثر من ٨٠ بيتا يصور فيها الآتي:

. يصور حبه لزوجه وطاعته لها وأنها لو أتكأت ابنه وفلذة كبده صمصام تريد ذبحه لشجعها على ذلك مع حبه له وأنه عنده أحلى من العسل الجني وأن ابنها صمصام لو شفع لها عند أبيه لقبل شفاعته بل هي لا تحتاج لشفاعة عنده.

ـ يتخيل أن زوجته تزوجت بعد موته وأن ابنه صمصمام ضربه زوج أمه ضربا شديدا فعاتبه أحد الجالسين قائلا : إنك ملكت هذه المرأة وهذا الغلام وصارت الغلبة لك عليهم فاسجح في حكمك وأن ابنه أتى متظلما لأمه فصارت تبكي ولم تستطع نصر ابنها ودفع الضيم عنه ولا الثأر به ولا الانتصار عمن ظلمه وتذكرت بعلها السابق وشجاعته، يقول الطرماح وقد اخترنا بعض أبيات القصيدة يقول:

أَصَمصامَ إن تَشفَع لِأُمِّكَ تَلقَها ... لَها شافِعٌ في الصَدرِ لَم يَتَبَرَّحِ

إِذا غِبتَ عَنّا لَم يَغِب غَيرَ أَنَّهُ ... يَعِنُّ لَنا في كُلِّ مُمسىً وَمَصبَحِ

هَلِ الحُبُّ إِلّا أَنَّها لَو تَجَرَّدَت ... لِذَبحِكَ يا صَمصامَ قُلتُ لَها اذبَحي

وَإِن كُنتَ عِندي أَنتَ أَحلى مِنَ الجَنى ... جَنى النَحلِ أَمسى واتِناً بَينَ أَجبُحِ

أُحاذِرُ يا صَمصامَ إِن مِتُّ أَن يَلي ... تُراثي [3] وَإِيّاكَ امرُؤٌ غَيرُ مُصلِحِ

---

[1] مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، للخطيب الشربيني ج ١٥ ص ١٠٤

[2] الطِّرِمَّاح بن حكيم بن الحكم، من طي.شاعر إسلامي فحل، ولد ونشأ في الشام، وانتقل إلى الكوفة فكان معلماً فيها. واعتقد مذهب الشراة من الأزارقة، كان هجاءاً، معاصراً للكميت صديقاً له، لا يكادان يفترقان.توفي سنة : ١٢٥ هـ

[3] التُّراث: ما يُخَلِّفه الرجُل لورَثَته، والتاء فيه بَدل من الواو. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {ترث}]

إذا صَكَّ وَسطَ القَومِ رَأسَكَ صَكَّةً ... يَقولُ لَهُ النادي مَلَكتَ فَأَسجِحِ[١]

وَناصِرُكَ الأَدنى عَلَيهِ ظَعينَةٌ ... تَميدُ إِذا استَعبَرتَ مَيدَ[٢] المُرَنَّحِ[٣]

مُفَجَّعَةٌ لا دَفعَ لِلضَيمِ عِندَها ... سِوى سَفَحانِ الدَمعِ من كُلِّ مَسفَحِ

إِذا جِئتَها تَبكي بَكَت وَتَذَكَّرَت ... مَعَ الحُزنِ صَولاتِ امرِئٍ غَيرَ زُمَّحِ[٤]

وَقَد أَضمَرَتهُ الأَرضُ عَنكَ وَأَسلَمَت ... أَباكَ المَوالي لِلحِمامِ المُجَلَّحِ[٥]

وقد يكون سوء المعاملة من الأم قال أحدهم مصورا ذلك:

تَقاسمَ الأَهْلُ مالي بعدما انْصَرَفُوا ... وَصَارَ وِزْرِي عَلى ظَهْرِي فَأَثْقَلَنِي

واستَبْدَلَتْ زَوجَتِي بَعْلاً لها بَدَلِي ... وَحَكَّمَتْهُ فِي الأَمْوَالِ والسَّكَنِ

وَصَيَّرَتْ وَلَدِي عَبْداً لِيَخْدُمَها ... وَصَارَ مَالِي لهم حِلاً بِلا ثَمَنِ

## ١٥ ـ سوء معاملة أزواج الأمهات لأولاد زوجاتهم :

عن يزيد بن حصين بن نمير: أن مروان بن الحكم تزوج أم خالد بنت يزيد بن معاوية، فناظر خالداً يوماً وأراد أن يضع منه في شيء جرى بينهما، فقال له: يابن الرطبة، فقال له خالد: إنك لأمي مختبر ، وأنت بهذا أعلم. ثم أتى أمه فأخبرها، وقال: أنت صنعت بي هذا، فقالت له: دعه، فإنه لا يقولها لك بعد اليوم.

---

(١) الإِسْجاحُ: حُسْنُ العفو؛ ومنه المثل السائر في العفو عند المَقْدُرَةِ: مَلَكْتَ فأَسْجِحْ: أي قدَرْت فسهّل وأحْسِن العفوَ.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {سجح}]

(٢) تَميدُ: تَحَرَّكُ. إِذَا اسْتَعْبَرْتَ: إِذَا جِئْتَهَا تَبْكِي. والتَّرَنُّحُ: المَيْدُ والتَّحَرُّكُ.

(٣) يقَولُ لأبنه صَمْصَامٍ إِنْ تَزَوَّجَتْ أُمُّكَ بَعْدِي فَآذَاكَ زَوْجُهَا فَأَتَيْتَهَا تَبْكِي وَتَشْكُو فَنَاصِرُكَ الأَدْنَى هِيَ أُمُّكَ.[انظر: غريب الحديث للحربي، ج ٢ ص ٤٤٩ ــ ٤٥٠، مادة: باب رنح/ لسان العرب، مادة: رنح/ تاج العروس، مادة: رنح]

(٤) الزُّمَّحُ، كقُبَّرٍ: اللَّئيمُ، والضَّعيفُ، والقَصيرُ الدَّميمُ، والْأَسْوَدُ القَبيحُ.[لسان العرب ، مادة : زمح]

(٥) جلحت الأرض إذا أكل ما فيها من النبات، ويقال: جلح، الشجر فهو مجلّح إذا ذهب الشتاء بغصونه وورقه كالرأس الأجلح. [أمالي القالي، ج ١ ص ٢٠٢ / لسان العرب، مادة : جلح]

فدخل مروان عليها فقال لها: هل أخبرك خالد بشيء؟ فقالت: يا أمير المؤمنين! خالد أشد تعظيماً لك من أن يذكر لي خبراً جرى بينك وبينه.

فلما أمسى وضعت مرفقة على وجهه، وقعدت عليها هي وجواريها حتى مات. وأراد عبد الملك قتلها، وبلغها ذلك، فقالت: أما إنه أشد عليك أن يعلم الناس أن أباك قتلته امرأة؛ فكف عنها [(١)].

وهناك قصص كثيرة في المجتمع عن سوء معاملة زوج الأم المتزوجة بعد وفاة زوجها لأولاد زوجته يعلمها المجتمع ومنتشرة بينه، وفي ما ذكرنا غنية.

### ١٦ ـ نهي الأب المحتضر الأم عن الزواج من بعده:

قال المدائني: احتضر رجلٌ من العرب وله ابن يدبّ بين يديه؛ وأم الصّبيّ جالسةٌ عند رأسه؛ واسم الصبيّ معمر فقال:

وإنّي لأخشى أن أموت فتنكحي ويقذف في أيدي المراضع معمر
وترخى ستورٌ دونه وقلائدٌ ويشغلكم عنه خلوقٌ ومجمر

فما لبث أن مات، ثم تزوّجت، ثم صار معمرٌ إلى ما ذكر.

## مظاهر الرغبة في زواج الأم :

ليس معنى ذلك أن أي زوج أم مرغوب عنه ولا زواج أم بعد وفاة زوجها غير محبذ فقد يقوم الابن بتزويج أمه، كما في الأمثلة الآتية:

### أ ـ قيام الابن بعقد قران أمه على زوجها:

عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي ابْنُ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ أُمَّ سَلَمَةَ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي تَعْنِي شَاهِدًا فَقَالَ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكِ شَاهِدٌ وَلَا غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ فَقَالَتْ يَا عُمَرُ زَوِّجْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(٢)].

---

(١) الأغاني، ج ٤ ص ٤٨٤

(٢) مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٥٣٢٠

. عن أنس بن مالك أن أبا طلحة خطب أم سليم يعني قبل أن يسلم فقالت يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبد نبت من الأرض قال بلى قالت أفلا تستحي أن تعبد شجرة إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقا غيره قال حتى أنظر في أمري فذهب ثم جاء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقالت يا أنس زوج أبا طلحة فزوجها [١].

## ب ـ تسمية ابن المرأة زوج أمه أبي :

قد يبلغ التوافق والرضا لزوج الأم أن يسميه ابن زوجته أبا ومن ذلك ما جاء عن أنس بن مالك قال: كان في حجر أبي يتامى قال فاشترى خمرا فلما نزل تحريم الخمر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال أجعله خلا قال لا فأهراقه قوله في حجر أبي يريد حجر أبي طلحة وكان زوج أمه. [٢]

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قال: جِئْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْماً فَوَجَدْتُهُ جَالِساً مَعَ أَصْحَابِهِ يُحَدّثُهُمْ، وَقَدْ عَصّبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: لِمَ عَصّبَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم بَطْنَهُ؟ فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ. فَذَهَبْتُ إِلَىَ أَبِي طَلْحَةَ، وَهُوَ زَوْجُ أُمّ سُلَيْمٍ بِنْتِ مِلْحَانَ. فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ [٣] قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم عَصّبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ. فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ. فَدَخَلَ أَبُو طَلْحَةَ عَلَىَ أُمّي. فَقَالَ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ. عِنْدِي كِسَرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمَرَاتٌ. فَإِنْ جَاءَنَا رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم وَحْدَهُ أَشْبَعْنَاهُ. وَإِنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ قَلّ عَنْهُمْ. [٤]

---

[١] الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١٢٠٧٣

[٢] سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٧ ، حديث رقم : ١٠٩٨١

[٣] قال النووي: قوله: (فقلت يا أبتاه) فيه استعمال المجاز لقوله يا أبتاه وإنما هو زوج أمه. وقوله: (بنت ملحان) هو بكسر الميم. [ مسلم بشرح النووي، ج ١٣ ص ٢٢٣]

[٤] صحيح مسلم ، كتاب الأشربة باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، ويتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام، باب: ..... حديث رقم: ٢٠٤٠

## ج ـ انتساب ابن الزوجة إلى زوج أمه :

قد ينتسب ابن الزوجة إلى زوج أمه تاركا أباه ، ومن ذلك ما ذكره الزبير بن بكار وغيره أن قضاعة امرأة من جرهم تزوجها مالك بن حمير فولدت له قضاعة ثم خلف عليها معد بن عدنان وابنها صغير فنسب إلى زوج أمه كما كانت عادة كثير منهم ينسبون الرجل إلى زوج أمه. [١]

وقال مَعْبَدِ بن أَخْضَرَ، وكان ينسب إِلى أَخْضَرَ، ولم يكن أَباه بل كان زوج أُمه، وإِنما هو معبد بن علقمة المازني:

سَأَحْمِي حِماءَ الأَخْضَرِيِّينَ، إِنَّهُ ... أَبى الناسُ إِلا أَن يقولوا ابن أَخْضَرا

وهل لِيَ في الحُمْرِ الأَعاجِمِ نِسْبَةٌ ... فـآنَفَ مـما يَـزْعُمُونَ وأُنْكِرا [٢]

## د ـ حب زوج الأم والثناء عليه :

قد يتحدث ابن الزوجة ويصرح بأن زوج أمه أحب الناس إليه ومن ذلك ما قاله عمير بن سعد عن زوج أمه الجلاس بن سويد وذلك أنه كانت أم عمير بن سعيد عند الجلاس بن سويد فقال الجلاس في غزوة تبوك إن كان ما يقول محمد حقا فلنحن شر من الحمير فسمعها عمير فقال والله إني لأخشى إن لم أرفعها إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل القرآن فيه وأن أخلط بخطيئته ولنعم الأب هو لي فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فدعا الجلاس فعرفه وهم يترحلون فتحالفا فجاء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا فلم يتحرك أحد وكذلك كانوا يفعلون لا يتحركون إذا نزل الوحي فرفع عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ

---

[١] البداية والنهاية ج ٢ ص ١٥٧

[٢] لسان العرب، مادة: خضر

مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ ﴾[١] فقال الجلاس استتب لي ربي فإني أتوب إلى الله وأشهد لقد صدق.[٢]

## هـ ـ أمر بعض العرب به وحضهم عليه :

كان بعض العرب يأمر بزواج الأم ولكنه قليل جدا. قال الأصمعي: كان ضرار بن عمرو يقول: إلا إن شر حائل أم، فزوجوا الأمهات، وذلك أنه صرع وأخذته الرماح، فأشبل[٣] عليه إخوته من أمه حتى أنقذوه.[٤]

والغضب من زواج الأم بعد موت الأب أو طلاقه يعتبر من الغيرة المذمومة لأنه غيرة من غير ريبة فعَنْ ابْن جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ الْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ وَالْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ الْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ.[٥]

قال في عون المعبود: (فالغيرة في الريبة): نحو أن يغتار الرجل على محارمه إذا رأى منهم فعلا محرما فإن الغيرة في ذلك ونحوه مما يحبه الله . وفي الحديث الصحيح " ما أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الزنا " (فالغيرة في غير ريبة): نحو أن يغتار الرجل على أمه أن ينكحها زوجها، وكذلك سائر محارمه، فإن هذا مما يبغضه الله تعالى، لأن ما أحله الله تعالى فالواجب علينا الرضا به. فإن لم نرض به كان ذلك من إيثار حمية الجاهلية على ما شرعه الله لنا.[٦]

---

[١] سورة التوبة آية ٧٤

[٢] مصنف عبد الرزاق ج ١٠ ص ٤٦، حديث رقم: ١٨٣٠٣

[٣] أشبلوا : عطفوا

[٤] غريب الحديث لابن قتيبة ج١ص٣٥٢

[٥] سنن النسائي، كتاب: الزكاة، باب: الاختيال في الصدقة، حديث رقم: ٢٥١١/ سنن أبي داود كتاب الجهاد باب: في الخيلاء في الحرب حديث رقم ٢٣١٦/ مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٢٦٣٢

[٦] عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الدين العظيم آبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن

**٢- التعدد:**

تكلمنا عن التعدد وأسبابه وآثاره على الزوجين والأبناء والأقارب بإسهاب في كتابنا : التعدد : أسبابه. آثاره فانظره هناك.

**٣- الطلاق:**

قد يقع خلاف بين زوجين قريبين فيحدث بينهما طلاق وهذه سنة الحياة اجتماع وافتراق وزواج وطلاق وهكذا دواليك.[1] فتشتعل الفتنة ويشتد أوارها ويذكيها وينفخ في روحها شياطين[2] الإنس والجن وأبالستها[3] بقصد إسعارها وإشعال لهيبها.

فيقف الأقارب فريقين فريق مع الزوج وأسرته الصغيرة المكونة من أمه وأبيه وإخوانه وأخواته وفريق آخر مع أسرة المرأة. وإن وجد أولاد فإنهم يقفون حائرين مع من يقفون مع أمهم أم مع أبيهم.

وجميع الأهل والأقارب والمحيطين بالزوجين من جيران وأصدقاء قد لا يعرفون أسباب الطلاق بل يقفون مع قريبهم دون روية ولا تمحيص. فعلى أهل البنت أن يفهموا هذه الأمور ولا يخلطوا الأمور ويعادوا قريبهم الزوج وأهله بسبب طلاقه ابنتهم فلعل له عذرا وهم يلومون ولعله طلقها لسبب لا يود البوح به.

وقد تكلمنا عن الطلاق وأسبابه وآثاره على الزوجين والأبناء والأقارب في كتابنا: الطلاق: أسبابه. آثاره. علاجه فانظره هنالك.

---

قيم الجوزية، طبع دار الكتب العلمية بيروت (ب.ت) توزيع دار الباز مكة المكرمة، مجلد ٤ ج ٧ ص ٢٢٩ — ٢٣٠

[1] دواليك: دولة بعد دولة.

[2] الشيطان من شطن: بَعُد والشاطن البعيد عن الحق والشيطان معروف وكل عات متمرد من الجن والأنس والدواب شيطان. قال ابن قتيبة : قال محمد بن إسحاق: إنما سمي شيطانا لأنه شطن عن أمر ربه، والشطون: البعيد النازح، ومنه قيل : نوى شطون وبئر شطون.(لسان العرب مادة: شطن/غريب الحديث لابن قتيبة ج ٢ ص ٣٦٧)

[3] إبليس من الإبلاس وبلس: يئس وندم ومنه سمي إبليس.

## ٤ - الخلع: [1]

قد تتعسر الحياة بين زوجين قريبين ويتعنت الزوج ويمسك زوجته ضرارا واعتداء ناسيا أو متناسيا قول الله تعالى ﴿ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ ﴾[2] فتريد المرأة الاختلاع منه وتذهب إلى القاضي ويفسخ نكاحها من زوجها فيتنمر لهذه الزوجة أهل الزوج ويصفونها بقلة الوفاء وانتفاء الحياء وعدم الصبر وأن عينها على شخص معين وأن اختلاعها ليس بسبب سوء زوجها وعيب فيه وإنما بسبب زيد وعمرو.

ويقف أهل الزوجة مع ابنتهم وينصرونها بالحق وبالباطل ويتهمون زوجها بالحق وبالباطل أيضا ويرمونه بكل بائقة واصفين ابنتهم بعدم التقصير وأنها تجاوزت حدود الصبر وكان الواجب عليها أن تفعل هذا وتطالب به منذ فترة من الزمان ولكنها لغفلتها وبلاهتها صبرت وصابرت ورابطت واتقت الله عز وجل. ويكون الأقارب تجاه هذا الموقف أنواعا ثلاثة:

- النوع الأول يقف مع الزوج وأهله.
- النوع الثاني يقف مع الزوجة وأهلها
- نوع ثالث يقف على الحياد وهو أعقل الأنواع وأزكاها.

---

[1] الخُلع في اللغة فراق الزوجة على مال، مأخوذ من خلع الثوب لأن المرأة لباس الرجل معنى، وضم مصدره تفرقة بين الحسي والمعنوي.(فتح الباري ج١١ص٣١٦)

[2] سورة البقرة آية ٢٣١

## ٥- عدم مشاورة القريب قريبه في زواج موليته واستبداده بذلك :

من أسباب الخلافات بين الأقارب عدم مشاورة القريب قريبه اللصيق به من أخ ونحوه عند تقدم أحد الناس لخطبة ابنته وإعطاؤه البنت وإمضاء أمر زواجها واستبداده به من غير معرفة رأي أقاربه المذكورين ومن ذلك:

- خطب أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بنت عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر إلى أخيها معمر بن عبد الله فزوجه إياها فقال الأحوص أبياتاً وقال لفتى من بني عمرو بن عوف أنشدها معمر بن عبد الله في مجلسه ولك هذه الجبة.

فقال: الفتى نعم

فجاءه وهو في مجلسه فقال:

يا معمرٌ يا ابن زيدٍ حين تَنكحها　　وتستبدُّ بأمر الغيِّ والرشَدِ

فقال: كان ذلك الرجل غائباً

فقال الفتى:

أما تذكّرْتَ صيفيَاً فتحفظه　　أو عاصماً أو قتيلَ الشِّعْب من أُحُدِ

قال : ما فعلتُ ولا تذكّرتُ.

فقال الفتى:

أكنْتَ تجهل حزماً حين تَنكِحها　　أم خفْتَ لا زلتَ فيها جائع الكبدِ

قال معمر:لم أجهل حزماً

فقال الفتى :

أَبعدَ صهرِ بني الخطّاب تجعلهُمْ　　صِهراً وبعد بني العوّامِ من أسدِ[1]

فقال معمر: قد كان ذلك

---

[1] قوله صهر بني الخطاب فإن جميلة بنت أبي الأقلح كانت عند عمر بن الخطاب فولدت له عاصم بن عمر وأما صهر بني العوام فإن نهيسة بنت النعمان بن عبد الله بن أبي عقبة كانت عند يحيى بن حمزة بن عبد الله بن الزبير فولدت له أبا بكر ومحمداً .

قال الفتى:

هَبْها سليلَة خَيلٍ غيرِ مُقْرِفةٍ    مظلومةً حُبِسَتْ للعَيْر في الجَددِ

قال: نعم أعانها الله وصبّرها

فقال الفتى :

فكلٌّ ما نالنَا من عارِ مَنكَحها    شَوىً إذا فارقَتْه وهي لم تلدِ

قال: نعم إلى الله عز وجل في ذلك الرغبة.[1]

ولا يريد الأقارب بضرورة معرفتهم وتشددهم في هذا الأمر وغضبهم من عدم مشاورتهم وإمضاء الزواج دون استشارتهم إيقاف الزواج أو تعطيله وإنما يريدون عدم الافتئات عليهم وألا يعرفوا به كما يعرف بقية المدعوين والجيران ولعل أهل البنت أو الولد لن يعدموا رأيا من هؤلاء الأقارب.

أما إذا لم يستشر هؤلاء الأقارب فيمكن ألا يأتوا فضلا عن أن يساهموا مساهمة مادية في إنجاح هذا الزواج.

وفي مثل هذه الحالات إذا فشل الزواج وأخفق الزوجان ولم يوفقا في حياتهما وحدث بينهم شقاق أو نفار أو نقار أو طلاق فقد يفرح الأقارب غير المدعوين بذلك ويشمتوا.

## ٦- التجاور بين الأهل مما ينتج عنه التداخل الشديد:

قال عمر: مروا ذوي القربات[2] أن يتزاوروا ولا يتجاوروا. وقال الغزالي: وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق، وربما يورث الوحشة، وقطيعة الرحم[3].

---

[1] الأغاني ج ١٥ ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦

[2] كتب عمر رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه: أنْ مُرْ ذَوِي القربى أن يَتزَاوَروا ولا يتجاوروا. [مجمع الأمثال، للميداني، رقم: ٢٧٢٦، ج ٢ ص ٦٨]

[3] إحياء علوم الدين، ج ٢ ص ٢١٦

والزيارة ينبغي أن تكون غبا، وجاء في الحديث: زر غبا تزدد حبا [١]. أي زر أخاك وقتا بعد وقت، ولا تلازم زيارته كل يوم، تزدد عنده حبا. فالإكثار من الزيارة ممل، والإقلال منها مخل.وهذا الحديث قد عده العسكري من الأمثال [٢].

ومن أمثال العرب: فَرِّقْ بين مَعْدٍّ تَحَابَّ. قال الأصمعي: يقول: إن ذوي القَرابَة إذا تراخت ديارهم كان أحْرَى أن يتحابوا وإذا تدانوا تحاسدوا وتباغضوا [٣].

وقال أكثم بن صيفي: تناءوا الدار وتواصلوا في المزار [٤]. وقال أكثم بن صيفي أيضا: تناءوا في الديار ولا تباغضوا فإنه من يجتمع يتقعقع عمده [٥].

وقال المعري:

بَعضُ الأَقارِبِ مَكروهٌ تُجاوِرُهُم [٦] وَإِن أَتوكَ ذَوي قُربى وَأَرحامِ
كَالعَينِ وَالحاءِ تَأبى أَن تُقارِنَها في لَفظِها فَحَماها قُربَها حامي

**- آثار سكن الأقارب المتقارب:**

- ظهور المعائب والسيئات التي يمكن أن تتوارى بالنأي عنهم والبعد عن ساحتهم. قال الحسن البصري رحمه الله: أردت الحج فسمع ثابت البناني بذلك فقال :

---

(١) البزار الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة، البزار البيهقي في شعب الإيمان عن أبي ذر الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن حبيب ابن مسلمة الفهري الطبراني في الكبير عن ابن عمرو الطبراني في الأوسط عن ابن عمر الخطيب في التاريخ عن عائشة وحسنه السيوطي [انظر: الجامع الصغير، رقم: ٤٥٥٥]

(٢) انظر: فيض القدير، ج ٤ ص ٦٢، حديث رقم: ٤٥٥٥

(٣) مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني ، رقم : ٢٧٢٦ ، ج ٢ ص ٦٨

(٤) البيان والتبيين ج ٣ ص ٥٠٨

(٥) جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١٣١

(٦) قال الأقرع بن معاذ:

فاختر لنفسك جيراناً تجاورهم لا يصلح المال حتى يصلح الجار

بلغني أنك تريد الحج فأحببت أن أصحبك فقال له الحسن ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه [١] .

- المشاجرات بين الأطفال التي يُقحم فيها الكبار أنفسهم. لأن الغالب في مشاكل الجيران أن تكون ناتجة عن مشاكل الأطفال العادية التي تنشأ بينهم.

. اجتماع النساء للغيبة والنميمة وتقطيع أعراض الآخرين، قال الشاعر:

كشقي مقص تجمعتا على    غير شــيء سوى التفرقة

. رؤية المرء الشيء يوميا يجعله عاديا عنده ومألوفا لديه.

### ٧- إفشاء الأسرار:

بعض الأقارب إذا أؤتمن على سر فإنه لا يحتفظ به بل يذيعه وينشره بين الناس مما يوغر صدر الذي استودعه السر ويظن به حب الفتنة والإفساد بين الناس وهذا سبب تنشأ به الخلافات بين الأقارب، فيا أيها القريب لا تضع الثقة والمكانة التي أولاك إياها قريبك وأفشى لك سره وألقى إليك بعجره وبجره، فلا تفش سره وبعض الناس لا يستطيع الاحتفاظ بالسر وإمساكه فهو كما قال سحيم الفقعسي:

ولا أكتم الأسرار لكن أذيعها    ولا أدع الأسرار تغلي في صدري

وإن قليل العقل من بات ليله    تقــلبه الأسرار جنبا إلى جنب [٢]

وحفظ السر مما يتمدح به العرب ويتفاخرون به، وأن أحدهم لو خير بين إفشاء ما أودع من سر وبين ضرب عنقه لاختار ضرب عنقه، قال أبو محجن الثقفي رضي الله عنه:

وأطعن الطعنة النجلاء من عُرْض    وأكتم السر فيه ضربة العنق [٣]

---

[١] إحياء علوم الدين، ج ٢ ص ٢٣٤ / ثمار القلوب للثعالبي، ج ١ ص ٣٢

[٢] بات ليله أي في ليله ومعنى البيتين أني أفشي الأسرار ولا أدعها مكتومة تفور على قلبي مثل القدر على النار وعقله قليل من كتم الأسرار حتى أرقته وأسهرته وأضجرته [ديوان الحماسة ج ٢ ص ٤٠٢ / الجليس الصالح الكافي ج ١ ص ٢٩٧/ محاضرات الأدباء ج ١ ص ٦٠]

[٣] الجليس الصالح الكافي ج ١ ص ٢٩٦ / العقد الفريد ج ١ ص ٧٨

وقال قيس بن الخطيم عن حفظ السر:

أجود بمضنون التلاد وإنني بسرك عمن سألني لضنين
وإن ضيع الإخوان سرا فإنني كتوم لأسرار الخليل أمين
يكون له عندي إذا ائتمنته مكان بسوداء الفؤاد مكين
إذا جاوز الاثنين سر فإنه بنشر وإفشاء الحديث قمين[١]

كما أن على القريب صاحب السر ألا يذيع سره وينشره بين الغادي والرائح، ثم يلوم بعد ذلك من أفشاه، فلا تكن أسير سرك بعد أن كنت آسرا له [٢] فأملك الناس لنفسه أملكهم لسره [٣] فيا صاحب السر لا تلم قريبك على إفشاء سرك بل لم نفسك التي ضاقت ذرعا به فأفشته.[٤]

### ٨- الظلم[٥] وعدم الإنصاف:

يختلف الإخوة أبناء الأم الواحدة فكيف بنو العلات [٦] بل كيف أبناء العم والأقارب فلا شك أن الخلاف عندهم أشد وأنكى ومما يزيده ويؤجج سعاره الظلم [٧] وعدم الإنصاف والإنصاف [٨]

---

[١] بهجة المجالس وأنس المُجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٤٦٠

[٢] قال علي بن أبي طالب: سرك أسيرك، فإذا تكلمت به صرت أسيره.[المستطرف ج ١ ص ٢٩٦]

[٣] انظر: مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣١٥ ويضرب المثل في مدح كتمان السر

[٤] قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أفشيت سري إلى أحد قط، فأفشاه فلمته، إذ كان صدري به أضيق.[المستطرف ج ١ ص ٢٩٧]

[٥] هذا السبب نفسي أيضا.

[٦] بنو العَلاَّتُ أولاد الرجل من نسوة شتى سُميت بذلك لأن الذي تزوج أخرى على أولى قد كان قبلها ناهلا ثم عَلَّ من هذه والعَلَلُ الشرب الثاني يُقال عَلَلٌ بعد نَهَل وعَلَّهُ أي سقاه السُقية الثانية. [مختار الصحاح، مادة : علل ]

[٧] الظلم: وضع الشيء في غير موضعه. وفي الشريعة عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل وهو الجور. وقيل: التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد. ( كتاب التعريفات للجرجاني ص ١٨٦)

[٨] الإنصاف هو العدل وهو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط. ( كتاب التعريفات للجرجاني ص ١٩١)

قليل في الناس [(١)]، وهو سبب من أسباب ترابط الصلات بين الناس عامة والأقارب خاصة[(٢)] وفقدانه سبب من أسباب الخلاف والعداء بين الأقارب، قال معن بن أوس المزني وكان له قريب قد تزوج معن بأخته فاتفق أن معنا طلقها فآلى قريبه ألا يكلمه أبدا فأنشأ معن يستعطف قلبه ويسترقه له بهذه الأبيات:

لعمـــرك ما أدري وإني لأوجل عـــلـــى أينـــا تعدو المنيـــة أول[(٣)]

وإني أخوك الدائم العهد لم أحـــن إن أبزاك خصـــم أو نبا بك منزل[(٤)]

أحارب من حاربت من ذي عداوة وأحبس مالي إن غَرِمتَ فأعقِل[(٥)]

وإن سوءتني يوما صفحت إلى غد ليعقـــب يومـــا منك آخرُ مقبل[(٦)]

كأنك تشفـــي داءً منك مساءتي وسخطي وما في ريبتي ما لم تعجّل[(٧)]

وإني على أشيـــاء منك تريبني قديما لذو صفح علـــى ذاك مجمـــل[(٨)]

---

(١) قال مالك بن أنس: ليس في الإنسان أقل من الإنصاف (بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثـــاني ص٤٤٩)

(٢) قال الشاعر [بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٤٤٩]:

آخ الكرام المنصفين وصلهم واقطع مودة كل من لا ينصف

(٣) وجل خاف والمعنى وبقائك ما أعلم أين يكون المقدم في غدو الموت عليه وانتهاء الأجل به وإني لخائف مترقب

(٤) أبزى به فلان قهره وبطش به ونبا بعد ونبا به المنزل لم توافقه الإقامة فيه

(٥) هذا تفسير لدوام عهده وثبات وده ومعنى البيتين أني لك صادق المودة دائم الوفاء ولا يظهر لك ذلك إلا عند تطاول الأعداء وتجافي المنزل فأعادي من عاداك وإن أصابك غرم حبست مالي عليك لتدفع به ما يثقلك من الدين

(٦) المعنى إن فعلت ما يسوؤني تجاوزت عنك إلى غد ليجيء يوم آخر مقبل منك بما يسرني

(٧) مساءتي يريد إساءتك إلي وكذلك سخطي يريد سخطك علي وقوله وما في ريبتي ما تعجل يريد ليس في مساءتي وما يريبني ربح ومنفعة تتعجلها والمعنى أنك تستمر في إساءتك إلي وسخطك علي حتى كأن بك داء شفاؤه بـــذلك وما في مساءتي وما يريبني ربح ومنفعة توجب أن تتعجلها

(٨) المعنى وإني مع كوني غير راض عنك لما رابني فيك من قديم الإساءة لصفوح ومهد إليك الجميل

ستقطع في الدنيـا إذا مـا قطعتني يمينك فانظر أيّ يميـن تبـدّل[١]

وفي الناس إن رثت حبالك واصل وفي الأرض عن دار القلى متحول[٢]

إذا أنت لم تنصف أخـاك وجـدته على طرف الهجران إن كان يعقل[٣]

ويركب حد السيف من أن تضيمـه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل[٤]

وكنت إذا مـا صـاحب رام ظنّتي وبدل سوء بالذي كنت أفعل[٥]

قلبت له ظهـر المجـن فلـم أدم علـى ذاك إلا ريثما أتحـول[٦]

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبـل[٧]

وقال المتنبي :

ولم تزل قلة الإنصاف قاطـعة بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم[٨]

---

(١) المعنى أنا لك في الموافقة بمنزلة يمينك وإذا قطعتني فإنما قطعت يمينك فانظر من الذي تجعله بدلي ويشفق عليـك شفقتي

(٢) رثت ضعفت والقلى البغض والمعنى إن ضعفت أسباب مودتك ففي الناس من يرغـب في مواصـلتي والأرض واسعة وفيها موضع أنتقل إليه عن قرب من يبغضني

(٣) يعقل يفرق بين الإحسان والإساءة

(٤) مزحل مبعد ومعنى البيتين أنك إذا لم تعامل أخاك بالإنصاف الذي هو شرط في الأخوة وجدته يهجرك إن كـان يفرق بين الإحسان والإساءة فإذا لم يجد له مهربا من ظلمك إلا حد السيف ركبه ولم يصبر على ظلمك إياه

(٥) ظنتي الظنة التهمة

(٦) المجن الترس والريث البطء ومعنى البيتين أني كنت إذا جاوز أحد حد وفائي إلى حد الذلة وبدل إحساني إليـه بالإساءة تحولت عن صداقته إلى عداوته وعاملته كما يعاملني ولم أدم على تحمل ضيمه إلا مدة تحولي.

(٧) المعنى أني إذا صرفت نفسي عن الشيء كراهة فيه لم ألتفت إليه أبدا.[بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص ٧١٢ / شواهد الكشاف ج ٤ ص ٤١٦ / شرح الحماسة، ص ٧ ـ ٩ / الروض الأنـف، لأبي القاسم عبد الرحمن بن الخطيب السهيلي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، (ب.ت) ج ٢ ص ٧

(٨)ديوان المتنبي دار الجيل بيروت ( ب.ت) ص ٤٩٧

وقال ابن حزم: من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه فإنه يلوح له وجه تعسفه [1].

## ٩- متعلقات بأفراح وأتراح الأقارب: [2]

هناك أمور عدة متعلقة بموضوع أفراح الأقارب وأتراحهم منها :

### أولا : نسيان أو تناسي الأقارب عند الأفراح والأتراح:

قد يحدث نسيان للأقارب في مناسبات الأفراح والأحزان، وقد يكون هذا التجاهل أو التناسي عن تعمد وقصد ونوجه كلامنا هنا إلى:

أ ـــ الأقارب أصحاب الفرح

ـ أن يتقوا الله في أقاربهم وأن يعملوا لهم ألف حساب وليعلموا أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه وأهله وعشيرته.

ـ إن يبادروا إلى دعوتهم في الأفراح وإبلاغهم بالأتراح ولا يتناسوهم.

ـ إن يعتذروا إن نسوا أقاربهم لأي ظرف طارئ محاولة لامتصاص الغضب وتنقية الأجواء وتلطيفها.

ب ـــ الأقارب المدعون:

ـ عليهم أن يلتمسوا الأعذار لأقاربهم.

ـ أن يأتوا إن سمعوا بمناسبة أقاربهم المفرحة أو المحزنة وهم بذلك يكونون أكرم وأفضل منهم.

ـ عليهم ألا يكذبوا عند السؤال عن عدم المجيء بأنهم لم يسمعوا ولا علم لديهم مستندين على عدم إخبار أقاربهم لهم.

ـ ألا يجاهروا بأنهم سمعوا ولم يأتوا لأنهم لم يدعوا.

ـ أن ينصحوا أقاربهم إن رأوا منهم تقصيرا وتهاونا في ذلك.

---

[1] الأخلاق والسير ص٨٠

[2] هذا السبب نفسي أيضا.

وقد يكون من أصحاب الفرح أو الكره أسوأ من النسيان وهو ترك إخبارا أحد الأقارب تعمدا وتناسيا ، فعلى أصحاب الفرح وغيره أن يتقوا الله ولا يقطعوا أرحامهم ، وعلى عقلاء الأقارب الإصلاح بينهم ، وعلى الأقارب الذين تجاهلهم أصحاب الفرح معرفة السبب والبحث عنه لماذا لم يقم هؤلاء بإخبارهم ؟ ألتقصير سابق منهم ؟ أم لإساءة بدرت منهم فعليهم مداركة الأمر وعلاجه قبل استفحاله.

## ثانيا: التقصير في مواساة الأقارب في الأفراح[1] والأتراح:

لا تخلو حياة البشر من فرح يفرحهم كزواج ونجاح وتحقيق مكانة عالية وغيرها من المناسبات المفرحة، كما أن الحياة لا تخلو من مكروه يصيب الناس كوفاة أو مرض أو حوادث تذهب بالمال وغيرها مما يكرهه البشر، والأقارب جزء من مجتمع الناس يصيبهم ما يصيب الناس ويفرحهم ما يفرح الناس ويحزنهم ما يحزن بني آدم.

### أ ــ التقصير في المواساة المعنوية :

عند حدوث حدث بأحد الأقارب كفرح أو مكروه فإنه يخبر أقاربه، فإن كانت وفاة فإنه ينتظر القريبين منهم بالجنازة، حتى يقوموا بتشييعها ويحضروا دفنها، وإن كان زواجا للابن فإنه يشاور بعضهم في هذا الزواج ويطلب منهم إبداء الرأي والمشورة، وإن كانت بنتا فإنه يرجي الموافقة الأخيرة للمتقدم حتى يشاور بعض الأقارب ويقول لهم: تقدم لبنتي فلانة فلان بن فلان فما رأيكم فيه؟ وهم غالبا يوافقون أو يرفضون معللين الموافقة أو الرفض.

ويأتي بعض الأقارب لأهل المناسبة وسؤالهم عن تجهيزاتهم وعن المساعدة التي بإمكانه تقديمها لهم، وفي يوم المناسبة يأتي القريب مبكرا ويشرف على المشاركة في إطعام الضيفان أو قد يرسل أبناءه مبكرين ثم يأتي هو بعد ذلك وهذه الأشياء تحسب

---

[1] الفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة، وأكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية الدنيوية، فلهذا قال تعالى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [مفردات ألفاظ القرآن للراغب، مادة : فرح، والآية ٢٣ من سورة الحديد]

حسابا دقيقا بين الأقارب وترد بمثلها أو أكثر منها وأي تقصير يرد بمثله أو أكثر منه [١].

وهذه المشاركة المعنوية تعم كل الأقارب حاضرهم وغائبهم فالمسافر، عليه الاتصال هاتفيا أو إرسال بطاقة تهنئة للمناسبة السعيدة أو تعزية ومواساة للمناسبة المحزنة، وعند مجيئه إن لم يبادر بتعزية أهل الميت بعد وصوله بيوم أو يومين على الأقل يعتبر مقصرا في حق الأقارب ويلام على ذلك فإن اعتذر قبل منه عذره، وإن سافر وأعاد الكرة مرة أخرى يكون قد تسبب في خلاف وجفوة بين الأقارب.

ب ــ التقصير في المواساة المادية:

مناسبات الفرح أو الحزن درجت بعض المجتمعات على المساهمة فيها بدفع مبلغ من المال يكتب هذا المبلغ المدفوع في دفتر ويحتفظ أصحاب الفرح أو الكره بالأسماء ورقم المبالغ الذي دفعها كل شخص وترد للأشخاص الدافعين في أقرب مناسبة تحل بهم ويكون المبلغ الذي يدفع غالبا أزيد من المبلغ المدفوع أو مساويا له ولا يكون أقل منه على أي حال ولو استدان الشخص.

وهذه المدفوعات في بعض البلدان كالسودان مثلا لا علاقة لها بيسر الحال أو رقته[٢] فالأقارب لا بد أن يساهموا في مناسبة قريبهم المفرحة أو المحزنة على السواء حتى وإن كانت الأسرة التي سيدفع لها على درجة عالية من الغنى والترف، وإن لم يأخذ أهل المناسبة شيئا فإن الأقارب لا يقبلون منهم أخذ شيء في مناسبات مستقبلا.

فبعض الأقارب يقصر في هذا الجانب وهذا مما يُحْفِظ أقاربه عليه ولا ينسون موقفه هذا وسيحاسبونه عليه في أقرب مناسبة تحل بساحته وذلك بتقصيرهم معه كما قصر معهم.

---

[١] هذه الأحوال تعكس عادات أهل السودان وقد يشاركهم فيها غيرهم من البلاد العربية

[٢] بعض الأسرة رقيقة الحال يكتب بعضها على بطاقات الدعوة إشارة إلى أن دعوته فيها دفع مبالغ سيرَد في أقرب مناسبة وتوزع هذه البطاقات على الأقارب وعلى غيرهم من الجيران والأصدقاء.

## ١٠- التحسس والتجسس وتسقط الأخبار والغيبة[١] والنميمة[٢]:

بعض الأقارب لهم ولع وغرام بتتبع أخبار أقربائهم ومعرفة دواخل أمورهم ومستور أحوالهم ومكتوم صفاتهم، وقد يرسلون غيرهم من زوجات وأبناء للتحقق من بعض الصفات المذمومة فيتتبع معايب الإخوة ويحصيها ويحتفظ بها ومن ثم يقوم بنشرها عند الحاجة إليها، وبعض هذه الأمور تتم عن قصد التحسس [٣] لمعرفة ثغرات القريب ومطاعنه وذلك لنقص في هذا المتتبع الذي يصدق عليه قول القائل:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب    على عيب الرجال أخو العيوب[٤]

كما أن بعض أخبار القريب يتتبعها بعض الأقارب بمقصد التجسس[٥] وإشاعتها بين الناس على جهة الإفساد، وقد نهى الله عز وجل عن التجسس في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ ﴾[٦] ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التجسس أيضا: فعَنْ أَبِي

---

[١] الغِيبَة : وهو أن يُذكَرَ الإنسان في غَيْبَته بسُوء وإن كان فيه، فإذا ذَكَرْتَه بما ليس فيه فهو البَهْــت والبُهْتــان.[ النهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة : {غيب}]

[٢] النميمة: هي نَقْل الحديث من قَوم إلى قَوم علــى جهــة الإفــسادِ والــشَّرّ.[ النهايــة في غريــب الحــديث والأثر،مادة:{نمم}]

[٣] تحسس الخبر: تطلبه وتبحثه، وفي التتريل﴿يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ (سورة يوسف آيــة ٨٧) وتحسس فلان من فلان تبحّث، والتحسس شبه التسمع والتبصر. والتجسس بالجيم : البحث عن العورة. [لــسان العرب، مادة: حسس]

[٤] بهجة المجالس القسم الأول ص ٣٩٩

[٥] الجس: جس الخبر وتجسسه: بحث عنه وفحص، والتجسس البحث عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، وقيل: التجسس أن يطلبه لغيره والتحسس أن يطلبه لنفسه. [لسان العرب، مادة: جسس ]

[٦] سورة الحجرات آية ١٢

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ [١] فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ [٢] وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَاجَشُوا [٣] وَلَا تَحَاسَدُوا [٤] وَلَا تَبَاغَضُوا [٥] وَلَا تَدَابَرُوا [٦] وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ [٧] إِخْوَانًا [٨].

---

[١] قوله: إياكم والظن، أي احذروا وقُوا أنفسَكم من الظنّ، أي ظَنّ السوء بالمسلم وهو تهمة يميل إليها القلب بلا دليل، ويركن إليها والمراد به عقد القلب، وحكمه على غيره بالسوء بلا دليل، وهو حرام كسوء القول، وأما الخواطر وحديث النفس فعفو.

[٢] أكذب الحديث، أي حديث النفس لأنه يكون بوسوسة الشيطان في قلب الإنسان.

[٣] (لا تناجشوا) من النجش، وهو أن يزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، ليوهم غيره بنفاستها.

[٤] قوله: ولا تحاسدوا، من الحسد وهو تمنّي زوال ما أنعم اللّه على غيره أراده لنفسه أم لم يُرد، وأما تمنّي مثله لنفسه من غير أن يزول عن غيره فهو غِبْطة بالكسرة جائزة.

[٥] قوله: ولا تباغضوا، أي لا تكسبوا أسباباً مفضية إلى البغض والعداوة، وهو مذموم إذا كان لغير اللّه، وأما إن كان في اللّه فهو مندوب، وكذا التدابر أي مهاجرة أخيه وترك السلام والكلام معه، كأنّ كلاً منهما يُوْلي دُبُره ويُعرض عن أخيه فإن لم يكن في اللّه فهو حرام، وإن كان للّه كمهاجرة أهل البدع من حيث ابتداعُهم فهو مندوب.

[٦] (تدابروا) يعط كل واحد من الناس دبره وقفاه لغيره، ويعرض عنه.

[٧] أي عبيده الخوّاص الكاملين.

[٨] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، حديث رقم: ٥٧١٨/ صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، حديث رقم: ٢٥٥٩

كما أن الغيبة [١] والنميمة [٢] من الأمراض المنتشرة في المجتمعات بين الرجال والنساء على السواء وهي من أسباب الخلاف بين الأقارب والعداوة ولذا قيل: النميمة أُرثة العداوة [٣].

وقد نهى الله عز وجل عن الغيبة فقال عز من قائل:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾[٤]

أي لا يتناول رجل رجلا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه، وإذا تناوله بما ليس فيه فهو بهت وبهتان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله لأن بعض ذلك يكون إثما محضا فليجتنب كثير منه احتياطا [٥].

---

[١] اغتاب الرجل صاحبه اغتيابا إذ وقع فيه، وهو أن يتكلم خلف إنسان مستور بسوء، أو بما يغمه لو سمعه، وإن كان فيه، فإن كان صدقا فهو غيبة، وإن كان كذبا فهو البهت والبهتان.ولا يكون ذلك إلا من ورائه.[لسان العرب، مادة: غيب]

[٢] النم: التحريش والإغراء ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل: تزيين الكلام بالكذب.ويقال للنمام: القتات يقال قت: إذا مشى بالنميمة.[لسان العرب، مادة: نمم]

[٣] الأرثة، والأراث، اسم لما تؤرّث به النار. أي النميمة وقود النار.(مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٩٨)

[٤] سورة الحجرات آية ١٢

[٥] تفسير ابن كثير (طبع دار المعرفة) ج ٤ ص ٢١٣ ــ ٢١٧

# الفصل الخامس

## أسباب نفسية

١. الحسد والغيرة

٢. الطعن بالكلام واستثارة الإحن

٣. الامتنان أو الكفران من أحد الأقارب على أقاربه

٤. الجدال والمراء

٥. التحريش وسوء الظن وقبول الوشايات والسماع لها

٦. كثرة المزاح

٧. التكشير والتجهم في وجوه الأقارب

٨. التنافس والمنازعة على الرئاسة والشرف والمحامد

٩. طاعة النساء

١٠. الانتقام والثأر

# الفصل الخامس

## أسباب نفسية

### ١- الحسد والغيرة:

### أولا: الحسد [١]:

قال ابن حجر: الحسد تمني زوال النعمة عن المنعم عليه، [٢] وخصه بعضهم بأن يتمنى ذلك لنفسه، والحق أنه أعم، وسببه أن الطباع مجبولة على حب الترفع على الجنس، فإذا رأى لغيره ما ليس له أحب أن يزول ذلك عنه له ليرتفع عليه، أو مطلقا ليساويه. وصاحبه مذموم إذا عمل بمقتضى ذلك من تصميم أو قول أو فعل. وينبغي لمن خطر له ذلك أن يكرهه كما يكره ما وضع في طبعه من حب المنهيات. واستثنوا من ذلك ما إذا كانت النعمة لكافر أو فاسق يستعين بها على معاصي الله تعالى. فهذا حكم الحسد بحسب حقيقته. [٣]

والحسد أول معصية في الأرض روى ابن القاسم عن مالك أنه قال بلغني أن أول معصية [٤] كانت الحسد والكبر، حسد إبليس آدم، وشح آدم في أكله من الشجرة. وقال قتادة: حسد إبليس آدم، على ما أعطاه الله من الكرامة فقال: أنا ناري وهذا طيني.

---

[١] قال الجاحظ: الحسد داء ينهك الجسد، ويفسد الود، علاجه عسر، وصاحبه ضجر. [رسائل الجاحظ، ج١ ص١٦٥]

[٢] الحسد: تمني زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها. [مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، كتاب الحاء، مادة حسد]

[٣] فتح الباري ج ١ ص ١٦٦

[٤] عن جنادة بن أبي أمية قال: كان أول خطيئة كانت الحسد. حسد إبليس آدم أن يسجد له حين أمر، فحمله الحسد على المعصية. [الدر المنثور، ج ١ ص ١٢٥]

**وكان بدء الذنوب الكبر، ثم الحرص حتى أكل آدم من الشجرة، ثم الحسد إذ حسد ابن آدم أخاه.** [١]

**والحسد من أهم أسباب العداء بين الأقارب وهو من الصفات المذمومة، قال الله تعالى**﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾[٢]

**قال القرطبي:** ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ﴾ **يعني اليهود.** ﴿ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴾ ﴿ ٱلنَّاسَ ﴾ **يعني النبي صلى الله عليه وسلم خاصة؛ عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. حسدوه على النبوة وأصحابه على الإيمان به. وقال قتادة:** ﴿ ٱلنَّاسَ ﴾ **العرب، حسدتهم اليهود على النبوة. وقال الضحاك: حسدت اليهود قريشا لأن النبوة فيهم. والحسد مذموم وصاحبه مغموم . وقال الحسن: ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد؛ نفس دائم، وحزن لازم، وعبرة لا تنفد. ويقال: الحسد أول ذنب عصي الله به** [٣] **في السماء، وأول ذنب عصي به في الأرض فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل.وقيل: إذا سرك أن تسلم من الحاسد فغم عليه أمرك.**[٤]

**والحسد عقيد الكفر، وحليف الباطل، وضد الحق، منه تتولد العداوة، وهو سبب كل قطعية، ومفرق كل جماعة، وقاطع كل رحم من الأقرباء، ومحدثُ للتفرق بين القرناء، وملقّح للشر بين الحلفاء وبئس الشعار للمرء الحسد لأنه يورث الكمد ويورث الحزن وهو داء لا شفاء له والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت وإن رأى به عثرة شمت**

---

[١] تفسير القرطبي ج ٥ ص ٢٥١

[٢] سورة النساء آية ٥٤

[٣] قال حاتم الأصم: « أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخزن، والرضا، والحب، وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر، والحرص، والحسد ».[شعب الإيمان للبيهقي ، ج ١٧ ص ٢٦٣ ، رقم : ٧٩٩٩]

[٤] تفسير القرطبي، (طبع دار الشعب) ج ٥ ص ٢٥٢

ودليل ما في قلبه كمين على وجهه مبين وما رأيت حاسدا سالم أحدا والحسد داعية إلى النكد ألا ترى إبليس حسد آدم فكان حسده نكدا على نفسه فصار لعينا بعدما كان مكينا ويسهل على المرء ترضِّي كل ساخط في الدنيا حتى يرضى إلا الحسود فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها. [١] والحسد مرض صعب البرء، مستعصي الشفاء، كتب عبد الله بن المبارك إلى علي بن بشر المروزي:

كل العداوات قد ترجى إماتتها     إلا عداوة من عاداك من حسد
فإن في القلب منها عقدة عقدت     وليس يفتحها راق إلى الأبد
إلا الإله فإن يرحم تُحلُّ به     وإن أباه فلا ترجوه من أحد[٢]

والحسد فاش منتشر عند بني البشر قلما يخلو منه أحد إلا من رحم الله وعصم، [٣] ولئام الناس يبدونه ويظهرونه ويجاهرون به أما أفاضلهم وأماثلهم فخلاف ذلك، عن حميد قال: قلت للحسن يا أبا سعيد هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب لا أبالك حيث حسدوا يوسف ولكن غم الحسد في صدرك فإنه لا يضرك ما لم يعد لسانك وتعمل به يدك. [٤] ويفتخر بمن نجا منه بذلك ويعد هذا من مناقبه وفضائله، فمن مناقب محمد سيرين أنه قال: ما حسدت [٥] أحدا على شيء من الدنيا

---

[١] روضة العقلاء ص ١٣٧

[٢] العقد الفريد ج٢ص٣٢١، ديوان الإمام عبد الله بن المبارك للدكتور مجاهد مصطفى بهجت ص ٧٨، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م

[٣] نسأل الله أن يجعلنا منهم.

[٤] روضة العقلاء ص ١٣٦

[٥] قال محمد بن سيرين: الحسد من أخلاق اللئام وتركه من أفعال الكرام ولكل حريق مطفئ ونار الحسد لا تطفأ. [روضة العقلاء ص ١٣٤]

لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من الدنيا وهو يصير إلى النار. [١]

**أنواع الحسد**:

قال القرطبي : الحسد نوعان: مذموم ومحمود، فالمذموم أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم، وسواء تمنيت مع ذلك أن تعود إليك أو لا، وهذا النوع الذي ذمه الله تعالى في كتابه بقوله ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[٢] وإنما كان مذموما لأن فيه تسفيه الحق سبحانه، وأنه أنعم على من لا يستحق. وأما المحمود فهو ما جاء في صحيح الحديث من قوله عليه السلام: (لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار). وهذا الحسد معناه الغبطة. وكذلك ترجم عليه البخاري "باب الاغتباط في العلم والحكمة". وحقيقتها: أن تتمنى أن يكون لك ما لأخيك المسلم من الخير والنعمة ولا يزول عنه خيره، وقد يجوز أن يسمى هذا منافسة، ومنه قوله تعالى ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٣]

**بعض أنواع الحسد المذموم**:

**الحسد أنواع منه :**

أ. حسد ولي النعمة :

بعض الأقارب قد يحسد قريبه الذي ينعم عليه ويحسن له ولكن نفسه السيئة تأبى إلا أن تقابل الإحسان بالكفران والإنعام بالجحود والنكران والإفضال بالتنمر والعدوان وهذا من الظلم البين قال المتنبي:

---

[١] روضة العقلاء ص ١٣٤

[٢] سورة النساء آية ٥٤

[٣] تفسير القرطبي ج ٢ ص ٧١

وأظلم أهل الظلم [١] من بات حاسدا    لمن بـــات في نعمائه يتقلب[٢]

ب. الحسد بالتوهم :

قد يكون الحسد بالتوهم ، قال المستهل بن الكميت :

يعدون لي مالا فـــهم يحســـدونني    وذو المـــال قد يغرى به كل معـــدم

ولو حسبي مالي طريفي وتالدي[٣]    وقرضي وفرضي لم يكن نصف درهم[٤]

ج. الحسد فيما لا يحسد عليه :

قد يكون الحسد عند بعض الناس فيما لا يحسد عليه ومن ذلك:

. قالت إحدى نساء العرب وكانت لها ضرة وكان زوجها يكثر ضرب ضرتها ، فحسدتها ضرتها على أن تضرب فقالت: على جارتي عِقَق[٥] وليس عليَّ عِقق. [٦]

. كان حضرمي[٧] بن عامر عاشر عشرة من إخوته ، فماتوا فورثهم، فقال فيه ابن عم له يقال له جزء[٨] بن مالك: يا حضرمي ورثت تسعة إخوة فأصبحت ناعما فقال حضرمي :

يزعم جـــزء ولم يقـــل جللا[٩]    أني تروحت ناعمـــا جـــذِلا

---

[١] قال ابن الأثير: هذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان: أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم، والآخر: أن المـــنعم يحسد المنعم عليه. [المثل السائر ص ج ١ ص ٦٣]

[٢]ديوان المتنبي دار الجيل بيروت (ب.ت) ص ٤٦٩

[٣] المال الطريف : المكتسب والمال التالد : الموروث

[٤]الشعر والشعراء ج ٢ ص ٥٨٤

[٥] العقة : العقيقة، وهي قطعة من الشعر، يعني الذؤابة .

[٦]مجمع الأمثال ج ١ ص ٦٦١

[٧] حضرمي بن عامر بن مجمع الأسدي يكنى أبا كدم. ذكره ابن شاهين وغيره في الصحابة.[الإصابة لابن حجـــر، ترجمة رقم: ١٧٦١]

[٨] جَزْءٌ، بالفتح: اسم رجل.[لسان العرب، مادة : جزأ]

[٩] الجلل : من كلمات الأضداد بمعنى الصغير والعظيم وهي هنا العظيم والكبير.

إنْ كنتَ أَزْنَنْتَني[١] بها كَـذِباً جَزْءُ، فلاقيتَ مِثْـلَها عَجَلا
أَفْرَحُ [٢]أَنْ أُرْزَأَ [٣]الكِـرامَ، وأَنْ أُورَثَ ذَوْداً شَـصائصاً [٤]نَبَلا[٥]
كم كان من إخوتي إذا احتضر الفرسان تحت العجاجة الأسلا
من سيد مـاجد أخـي ثقة يعطى جزيلا ويضرب البطلا
إن جـئته خـائفا أمنت وإن قـال سـأحبوك نائلا فعلا

فجلس جزء على شفير بئر هو وإخوته وهم أيضا تسعة فانخسفت بهم فلم ينج غير جزء فبلغ ذلك حضرمي بن عامر فقال: إنَّا للّه كلمة وافقت قَدَرا، يريد قوله: فلاقَيْتَ مثلها عجلاً. وأبقت حقدا.[٦]

. من الأمثلة الغريبة للحسد حقا ما ذكره عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: استقضي على مرو قاض وكان من أحسد الناس للناس، فلما كان في بعض الأيام رأيته واقفا على دابته ينظر إلى مصلوب فلما خلوت به، قلت له: أيها القاضي، رأيتك تنظر إلى ذلك المصلوب، أفحسدته؟ قال: أي والله، حسدته على كثرة اجتماع الناس عليه. قال عبد الله: وكنت في ذلك الوقت حدثا.[٧]

. قال المدائني: تذاكر قوم من ظراف البصرة الحسد، فقال رجل: إن الناس ربما حسدوا على الصلب، فأنكروا ذلك، ثم جاءهم بعد أيام فقال: إن الخليفة قد أمر أن

---

(١) أزنن : اهم

(٢) يريد: أَأَفْرَحُ، فحذَف الهمزة، وهو على طريق الإنكار: أَي لا وجْهَ للفَرَح بموت الكِـرام مـن إخـوتي لأَرِثَ شَصائصَ لا أَلبانَ لها.

(٣) أرزأ: الرزية الفقد.

(٤) الناقة الشَّصُوص: التي قد قَلَّ لبنُها جِدّاً، أو ذَهَب. وقد شَصَّت وأشَصَّت. والجمع شَصائِص وشُصُص.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة : {شصص}]

(٥) نَبَلاً: صغاراً

(٦) الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ١٧٦١/ خزانة الأدب ج ٣ ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣

(٧) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ج٢ص٢٠١

يصلب الأحنف، ومالك بن مسمع، وقيس بن الهيثم، وحجام يعرف بحمدان، فقالوا: هذا الخبيث يصلب مع هؤلاء؟! فقال: ألم أقل إن الناس يحسدون على الصلب؟! [١]

. سأل عمر بن عبد العزيز رحمه الله أبا مجلز عن رجل يوليه خراسان. فقال له: ما تقول في فلان؟ قال: مصنوع له وليس بصاحبها. قال: ففلان؟ قال: سريع الغضب بعيد الرضا، يسأل الكثير ويمنع القليل، يحسد أمه، وينافس أباه، ويحقر مولاه. قال: ففلان؟ قال: يكافئ الأكفاء، ويعادي الأعداء، ويفعل ما يشاء. قال: ما في واحد من هؤلاء خير. [٢]

## استصلاح حاسد:

قال عصام بن المصطلق: دخلت المدينة فرأيت الحسن بن علي، فأعجبني سمته وحسن روائه؛ فأثار مني الحسد ما كان يجنه صدري لأبيه من البغض؛ فقلت: أنت ابن أبي طالب! قال نعم. فبالغت في شتمه وشتم أبيه؛ فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ فقرأ إلى قوله ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [٣] ثم قال لي: خفض عليك، أستغفر الله لي ولك إنك لو استعنتنا أعناك، ولو استرفدتنا أرفدناك، ولو استرشدتنا أرشدناك. فتوسم في الندم على ما فرط مني فقال ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [٤] أمن أهل الشام أنت؟ قلت نعم. فقال: شنشنة أعرفها من أخزم

---

[١] ربيع الأبرار ج ١ ص ٢٨٦ / البصائر والذخائر ج ٥ ص ٢٢٣

[٢] العقد الفريد ج ١ ص ٥

[٣] سورة الأعراف آية ١٩٩ ــ ٢٠١

[٤] سورة يوسف آية ٩٢

حياك الله وبياك، [١] وعافاك، وآداك؛ انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك، تجدنا عند أفضل ظنك، إن شاء الله. قال عصام: فضاقت علي الأرض بما رحبت، ووددت أنها ساخت بي؛ ثم تسللت منه لواذا، وما على وجه الأرض أحب إلي منه ومن أبيه [٢].

## توقي الحاسد والاحتراز منه:

### ـ بالاستعاذة بالله من شره :

قال الله تعالى ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾ [٣] الحسد تمنى زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها. والمنافسة هي تمني مثلها وإن لم تزل. فالحسد شر مذموم. والمنافسة مباحة وهي الغبطة.

قال القرطبي: قال العلماء: الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول، وذلك بأن يحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود، فيتبع مساوئه، ويطلب عثراته [٤].

### ـ عدم إظهار النعمة وإخفاؤها عن الحاسد:

قال الله تعالى ﴿ قَالَ يَـٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ ﴾ [٥].

قال القرطبي: وفي هذه الآية دليل على أن مباحا أن يحذّر المسلم أخاه المسلم ممن يخافه عليه، ولا يكون داخلا في معنى الغيبة؛ لأن يعقوب عليه السلام قد حذر يوسف أن يقص رؤياه على إخوته فيكيدوا له كيدا، وفيها أيضا ما يدل على جواز ترك

---

[١] يقولون "حيَّاك الله وبيَّاك" حياك الله: مَلَّكك الله، والتحية: الملك، ومنه "التحيات لله" يراد: الملك لله، ويقال: بَيَّاك الله، أي: اعتمدك الله بالملك والخير. [أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٦ / إصلاح المنطق لابن السكيت ص٦٣٩]

[٢] تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٥١

[٣] سورة الفلق آية ٥

[٤] تفسر القرطبي ، ج ٢٠ ص ٢٥٩

[٥] سورة يوسف آية ٥

إظهار النعمة عند من تخشى غائلته حسدا وكيدا ؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان [١] فإن كل ذي نعمة محسود [٢]. وفيها أيضا دليل واضح على معرفة يعقوب عليه السلام بتأويل الرؤيا ؛ فإنه علم من تأويلها أنه سيظهر عليهم، ولم يبال بذلك من نفسه ؛ فإن الرجل يود أن يكون ولده خيرا منه، والأخ لا يود ذلك لأخيه. ويدل أيضا على أن يعقوب عليه السلام كان أحسّ من بنيه حسد يوسف وبغضه ؛ فنهاه عن قصص الرؤيا عليهم خوف أن تغل بذلك صدورهم، فيعملوا الحيلة في هلاكه [٣].

**بعض أسباب الحسد:**

للحسد بين البشر أسباب كثيرة منها:

---

[١] قال عمر بن الخطاب ما عظمت نعمة الله على رجل إلا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل مؤنة الناس عرض تلك النعمة لزوالها وكل ذي نعمة محسود واستعينوا على قضاء الحاجة بكتمانها.[كنز العمال، حديث رقم : ١٧٠١٨، وعزاه للشيرازي في الألقاب]

[٢] حديث موضوع انظر: فيض القدير، حديث رقم: ٩٨٠/ الجامع الصغير، حديث رقم: ٩٨٥ / تخريج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي، حديث رقم: ٢/ كشف الخفاء ، حديث رقم: ٣٤٢ / كنز العمال، حديث رقم: ١٦٨٠٠

[٣] تفسير القرطبي ج ٩ ص ١٢٧

أ ـ الجوار:

قيل: إن أحسد الناس لعالم وأنعاه عليه قرابته وجيرانه [١]. وقال رجل لسعيد بن العاص: والله إني لأحبك. فقال: ولم لا تحبني ولست بجار لي ولا ابن عم [٢]. وكان يقال: الحسد في الجيران، والعداوة في الأقارب [٣].

قال الراغب: المعاداة قد تكون بسبب الفضيلة أو الرذيلة كمعاداة الجاهل للعلم، وقد تكون بسبب تجاذب نفع دنيوي كالتجاذب في رئاسة أو جاه أو مال، وقد تكون بسبب لحمة، ومجاورة مورثة للحسد كمعاداة بني الأعمام بعضهم لبعض وذلك كثير في الناس كالطبيعي. وقال رجل لآخر: إني أحبك. قال: علمت ذلك. قال: من أين؟ قال: لأنك لست بشريك، ولا نسيب، ولا جار، ولا قريب، وأكثر المعاداة تتولد من شيء من ذلك [٤].

وقال الجاحظ عن حسد الجيران: الجيران - يرحمك الله - طلائع عليك[٥]، وعيونهم نواظر إليك، فمتى كنت بينهم معدماً فأيسرت، فبذلت وأعطيت، وكسوت وأطعمت، وكانوا في مثل حالك فاتضعوا، وسلبوا النعمة وألبستها أنت، فعظمت عليهم بلية الحسد، وصاروا منه في تنغيص آخر الأبد. ولولا أن المحسود بنصر

---

[١] بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٢٨٩

[٢] بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٢٨٩

[٣] بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٢٨٩

[٤] انظر: الجامع الصغير حديث رقم: ٥٠٠٥

[٥] قال الجاحظ: من أسباب العداوات تنافس الجيران والقرابات، وتحاسد الأشكال في الصناعات. ومن أمتن أسبابهم إلى الشر وأسرعها إلى المروءة والعقل، وأقدحها في العرض وأحبطها على الدين، التشاحُّ على المواريث، والتنازع في تخوم الأرضين. فإن اتفَّق أن يكون بين المتشاكلين في القرابة كان السبب أقوى، والداء أدوى. وعلى حساب ذلك إن جمعت هذه الخصومة مع الجوار والقرابة واستواء الحظّ في الصناعة. ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى قضاته: أن ردوا القرابات عن حرا القضاء فإن ذلك يورث التضاغن.[الرسائل (ذم الحسد ) ص ٣١٥ـ٣١٦]

الله إياه مستور، وهو بصنعه محجوب لم يأت عليه يوم إلا كان مقهوراً، ولم تأت ليلة إلا وكان عن منافعه مقصوراً. ولم يمس إلا وماله مسلوب، ودمه مسفوك، وعرضه بالضرب منهوك.[1]

ب ـ القرابة:

قال رجل لشبيب بن شيبة: أنا والله أحبك يا أبا معبد. قال: أشهد على صدقك. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك لست بجار قريب، ولا ابن عم نسيب، ولا مشاكل في صناعة.[2]

ــ الأخ وأخوه:

قال علي بن عبد العزيز: دخلت مع أخي مجلس روح بن عبادة، فبعثني أخي في حاجة إلى قطربل حسدا أن أسمع منه شيئا حتى فاتني ولم أسمع منه شيئا.[3]

قال رجل للحسن البصري: أيحسد المؤمن أخاه؟ قال: لا أبا لك أنسيت إخوة يوسف، عليه السلام.[4]

ــ الأبوان وأبناؤهما:

هذا الأمر نادر الحدوث وغريب حقا وملفت للنظر، لأن ولد الإنسان جزء منه فهو يتمنى له الزيادة، لأنه امتداد له، وما يناله من عز وفضل منسوب إليه، ولكن بعض الناس يضع أمام عينيه قول القائل: من سره بنوه ساءته نفسه وسبب هذا القول أن: ضرار بن عمرو الضبي كان قد بلغ ولده ثلاثة عشر رجلا، كلهم قد غزا ورأس، فرآهم

---

(١) رسائل الجاحظ (رسالة في ذم الحسد )

(٢) نثر الدر ج٤ص١٥٠

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ج ٢ ص ٢٠١ ــ ٢٠٢

(٤) نثر الدر ج ٥ ص ١٩٣

يوما معا وأهاليهم وأولادهم، فسره ما رأى [١] من هيأتهم ثم ذكر نفسه وعلم أنهم لم يبلغوا هذه الأسنان إلا مع كبر سنه، فقال: من سره بنوه ساءته نفسه. ثم قال:

إذا الرجال ولدت أولادها  فانتفضت من كبر أعضادها
وجعلت أوصابها تعتادها  فهي زروع قد دنا حصادها [٢]

والذي بين الأب وابنه أو بين الأم وابنتها ليس حسدا إنما هو غيرة ومن ذلك:

ـــ أب يغار من ابنه لأنه ساد في حياته:

قال محمد بن حبيب : من شرب الخمر صرفا حتى مات غضبا وأنفا عمرو بن كلثوم التغلبي وكانت الملوك تبعث إليه بحبائه وهو في منزله من غير أن يفد إليها، فلما ساد ابنه الأسود بن عمرو، بعث إليه بعض الملوك بحبائه كما بعث إلى أبيه، فغضب عمرو وقال: ساواني بولدي. ومحلوفه لا يذوق دسما حتى يموت، وجعل يشرب الخمر صرفا على غير طعام، فلما طال ذلك قامت امرأته بنت الثوير فقتّرت له بشحم ليقرم إلى اللحم فيأكله، فقام يضربها ويقول:

معاذ الله يدعوني لحنث  ولو أقفرت أيمـا قتار

فلم يزل يشرب حتى مات [٣].

ـــ أب يغار من ابنه في طلب العلم:

قال أبو اليمان: جاءني أحمد بن شبّوبة بأحاديث ومعه ابنه فقال: يا أبا اليمان إن لي إليك حاجة. قلت: وما هي؟ قال: لا تسمع ابني هذه الأحاديث. قال أبو اليمان: يا

---

(١) كان لضرار بن عمرو الضبي ثلاثة عشر ولداً، فرآهم يوماً يثبون على الخيل، وقد فزع الحي وهو قائمٌ يعجبه ما يرى منهم، فذهب ليثب على فرسه فثقل، فقال: من سره بنوه ساءته نفسه.[جمهرة الأمثال للعسكري ج ١ ص ١٨٨/ أمالي القالي، ص ١٣٨]

(٢) مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٣٣ / الأمثال للمفضل الضبي ص ٢١٥ / نثر الدر ج ٤ ص ٢٢٤

(٣) المحبر ص ٤٧٠ ـــ ٤٧١

عجبي هل رأيت أبا يحسد ابنه.[١]

ـــ الخنساء تغار من ابنتها يوم زفافها :

عن ابن أبي أنيس الأسلمي عن علقمة بن جرير السلمي قال جئت معاوية بن أبي سفيان فوجدت نباتة بن وثيمة البصري وابن عارض الجشمي فانتظرنا إذنه أياما ثم خرج علينا يوما راكبا فاعترضناه فقال لم يخف علي مكانكم فإذا أصبحتم فاغدوا علي قال فغدونا عليه فتحدث وتحدثنا ثم أقبل عليه فقال يا علقمة هل كانت عندكم طريفة خبر أو أعجوبة قال قلت قد كان أفأحدثك قال ذاك أردت فقلت له أقبلت قبل مخرجي إليك أسوق شارفا [٢] لي أريد أن أنحرها عند الحي فأدركني الليل بين أبيات بني الشريد فإذا عمرة بنت مرداس بن أبي عامر عروسا وأمها الخنساء ابنة عمرو بن الشريد فقلت لهم انحروا هذه الجزور فاستعينوا بها على بعض ما أنتم به وجلست معهم فلما هيئت أذن لنا فدخلنا عليها فإذا جارية وضيئة على الأدمة [٣] وإذا أمها الخنساء جالسة متلفعة بكساء أحمر قد هرمت وإذا هي تلحظ الجارية لحظا شديدا فقال القوم [٤] بالله يا عمرة ألا تحرشت بها فإنها الآن تعرف بعض ما أنت فيه فقامت الجارية كأنها تريد شيئا فوطئت على قدمها وطأة أوجعتها فقالت وهي مغيظة حس [٥] إليك يا حمقاء والله كأنما تطئين أمة ورهاء [٦] أنا والله كنت أكرم منك عرسا وأطيب ورسا ، وأرق منك نعلا، وأكرم منك بعلا. وذلك زماني إذ كنت فتاة

---

[١] الجامع للخطيب ج ٢ ص ٢٠٠

[٢] الشارف : الناقة المسنة.

[٣] الأدمة : السمرة

[٤] القوم: جماعة الرجال دون النساء

[٥] حس: بفتح الحاء وكسر السين وترك التنوين: كلمة تقال عنه الألم

[٦] الوَرَهُ: الحُمْقُ والخُرْقُ في العمل، وقد وَرِهَ وَرَهاً. وامرأَة وَرْهاءُ: خَرْقاءُ بالعمل.[لسان العرب، مادة: وره]

أعجب الفتيان أشرب اللبن غضا قارصا [١] ومحضا خالصا لا أنهش اللحم ولا أذيب الشحم ولا أرعى البهم كالمهرة الصنيع لا مضاعة ولا عند مضيع عقيلة الجواري الحسان الحور وذلك في شبيبتي قبل شيبي وعلي درع من ثوب فعجب معاوية من الحديث [٢].

ج ـ المشاكلة والتشابه في الحال والوضع :

من أسباب الغيرة المشابهة والمشاكلة في الوضع وفي الصنعة كما رأينا في قول سعيد بن العاص وشبيب بن شيبة السابق [٣] وقال الجاحظ: أسباب عداوات النَّاس ضروبٌ: منها المشاكلة في الصناعة، ومنها التقارُب في الجِوار، ومنها التقارب في النَّسب، والكثرة مِن أسباب التّقاطع في العشيرة والقبيلة، والسَّاكن عدو للمُسْكِن، والفقير عدوٌّ للغني وكذلك الماشي والراكب، وكذلك الفحل والخصيّ [٤].

فنجد الحسد يكون في المجتمعات المتقاربة المتداخلة المتشابهة المتنافسة فيحسد الرجال الرجال كما أن النساء يحسدن لداتهن من النساء ولا نجد رجلا يحسد امرأة كما أننا لا نجد امرأة تحسد رجلا ولا يحسد مدير خفيرا ولا خفير مديرا بل يكون بينهما الإكبار والإعجاب أو الحنق والغضب من الخفير لإحساسه بظلم المدير كما نجد من المدير نحو الخفير الرحمة أو التسلط.

ويندر وجود الحسد بين الرجال من أجل الجمال إلا إذا تفوق هذا الجمال بالفوز بربات الخدور أو الحسان التي كان يأمل فيهن الآخر ويكون الحسد من أجل

---

[١] القارص: لبن يحذي اللسان أو حامض يحلب عليه حليب كثير حتى تذهب الحموضة

[٢] تاريخ دمشق، ج ٤١ ص ١٣١ ـــ ١٣٢، ترجمة رقم: ٤٧٤٩/ نثر الدر ج٤ ص ١٠٠ / المحاسن والمساوئ للجاحظ ص١٧٢

[٣] انظر : ص (٢٠٨ ، ٢٠٩) من هذا الكتاب

[٤] الحيوان ج ٢ ص ١٧٢

التفرد بهذه المزية لا لأصل الجمال. مما يعني أنه حسد من أجل المنافسة لا من أجل التباهي بالجمال.

فالمجتمعات المتجانسة يكون فيها الحسد فاشيا فنجد الحسد في أوساط الطلاب فالطالب البليد يحسد الطالب المتفوق بل أذكر أننا في المرحلة الابتدائية كان الطلاب يضربون الطالب الأول كما أنهم كانوا يضربون الطالب الذي يكون في ذيل القائمة[1]. مع ملاحظة أننا لا نجد طالبا يحسد طالبة.

فالتباين في الجنس والصفات سبب لانتفاء الحسد أو تقليله[2] إلا لمن كان في مثل حالة من يحسده كأن يكون أحد المتشاكلين كان فقيرا فاغتنى أو غنيا فافتقر ومشاكله في حاله لم يتزحزح عنها فيحسد منهما من افتقر من اغتنى ومن ذلك ما جاء عن عبد الله بن عباس، قال: « جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم التميميون، ففخر الزبرقان، فقال: يا رسول الله، أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب، أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم ، وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الأهتم، فقال عمرو بن الأهتم: إنه لشديد العارضة مانع لجانبه، مطاع في أذنيه، فقال الزبرقان بن بدر: والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال، وما منعه أن يتكلم إلا الحسد، فقال عمرو بن الأهتم: أنا أحسدك فوالله إنك لئيم الخال، حديث المال، أحمق الولد، مضيع في العشيرة، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولا، وما كذبت فيما قلت آخرا، ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت وإذا

---

(١) يقوم الطلاب الذين في وسط القائمة بضرب المتقدم (الأول) كما أنهم يسيرون خلف الذي يأتي في آخر الركب. رافعين أصواتهم بعبارات تستهجن مجيئه في ذيل القائمة وقد بدأت هذه الأمور في الانتهاء.

(٢) قال النابغة للنعمان بن المنذر: أيفاخركَ ابن جفنة واللات، لأمسك خيرٌ من يومه، ولقذالك أحسنُ من وجهه، وليساركَ أسمح من يمينه، ولعبيدك أكثر من قومه، ولنفسك أكبر من جنده، وليومك أشرف من دهره، ولوعدك أنجز من رفده، ولهزلك أصوب من جدّه، ولكرسيّك أرفع من سريره، ولفترك أبسطُ من شبره، ولأمك خيرٌ من أبيه. [كتاب الصناعتين ، ج ١ ص ٧١/ الأغاني ج ٤ ص ١٧٨]

غضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إن من البيان سحرا، إن من البيان سحرا »[(١)]

كما أننا نجد العانس تحسد المتزوجة وتحسد العاقر الولود والقبيحة تحسد الجميلة وهكذا قس على التشاكل والمشابهة في الحال والوضع.

ومن أسباب الغيرة الحسن الباهر والجمال الظاهر عند النساء دون الرجال وذلك لعدم اهتمام الرجل بالجمال وتركيزه على الصفات الحسية والمعنوية المتعلقة بالرجال كالكرم والشجاعة ونحوها، ومن ذلك ما ذكره الزبير بن بكار أنه قال: قال الرشيد يوما لجلسائه أنشدوني شعرا حسنا في امرأة خفرة كريمة فأنشدوا فأكثروا وأنا ساكت فقال لي إيه يا بن مصعب أما إنك لو شئت لكفيتنا سائر اليوم فقلت نعم يا أمير المؤمنين لقد أحسن محمد بن بشير الخارجي حيث يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها  قمر توسط جنح ليل مبرد[(٢)]
موسومة بالحسن ذات حواسد  إن الحسان مظنة للحسد[(٣)]
وترى مدامعها ترقرق مقلة  حوراء ترغب عن سواد الإثمد[(٤)]

---

[(١)] دلائل النبوة للبيهقي، ج ٥ ص ٤٠٢، رقم: ٢٠٦١ / الطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٧ ص ٣٨/ تاريخ الإسلام للذهبي، ج ١ ص ٣٥١

[(٢)] شبهها بقمر توسط السماء في جنح ليل كان فيه غيم وبرد والقمر إذا خرج من خلل الغمام في ليلة مطيرة كان أضوء وأحسن يصفها بإشراق اللون وأنس الحديث ويشبهها بقمر توسط في السماء في جنح ليل فيه غيم وبرد

[(٣)] موسومة بالحسن يريد أن الحسن سيماء لها فهي ممسوحة به وموسومة وذات حواسد أي من يراها من النساء يحسدها لأن الحسان عرضة للحسد والمعنى أنها مشهورة في الحسن يحسدها من يراها من النساء وقوله إن الحسان الخ مثل

[(٤)] المدامع مسايل الدمع من قبائل الرأس ورقرق الدمع في العين إذا جاء وذهب من غير أن يسيل والإثمد حجر الكحل والمعنى أنها إذا بكت ترى مسايل الدمع تحرك مقلة سوداء غير راغبة في سواد الإثمد

خود إذا كثر الكلام تعوذت بحمى الحياء وإن تكلم تقصد[١]

لم يطغها شرف الشباب ولم تضع منها معاهدة النصيح المرشد

وتبرجت لك فاستبتك بواضح صلت وأسود في النصيف معقد

وكأن طعم سلافة مشمولة بالريق في أثر السواك الأغيد

فقال الرشيد هذا والله الشعر لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم ثم أمر مؤدب ابنيه محمد الأمين وعبد الله المأمون فرواهما الأبيات[٢].

وصور لنا عمر بن أبي ربيعة فتاة جميلة سألت جاراتها عند ابترادها بالماء هل ما لهج به عمر وما نوه به من ذكري أنا أهل له أم هو مشتط فيما قال فأجبنها هو محب لك يراك كما وصفك يقول:

ولقد قالت لجارات لها وتعرّت ذات يوم تبترد

أكما ينعتنني تبصرنني عمركن الله أم لا يقتصد

فتهاتفن من قولها وقد قلن لها حسنا في كل عين من تود

حسدا حملنه من أجلها وقديما كان في الناس الحسد[٣]

والحسن والقبح بين الفتيات له تعلق وثيق بالمشاكلة والتشابه فالبنت تلتقي مع لدتها في الجنس والميول والرغبات فكلهن بنات يرغبن في الجمال ويتنافسن في إظهاره وتشويف أنفسهن وذلك باستخدام الحناء والأصباغ والعطور والتلحيم وغيره مما ذكرناه مفصلا في كتابنا العنوسة.

د ـ الأقران:

الأقران والأشباه في العلم لا يخلو بعضهم من حسد لآخر وخاصة إذا لقي أحدهما قبولا ومنزلة بين الناس ووجد صاحبه خمولا وعدم ذكر فيقوم مبادرا

---

[١] الخود الناعمة والقصد الاعتدال والمعنى أنها ناعمة البدن تتحصن بالحياء إذا كثر الكلام وإن تكلمت تعتدل في الكلام للطافته منها

[٢] الأغاني ج ١٦ ص ١٢٣ / الحماسة ج ٢ ص ١٣٤ ـ ١٣٥

[٣] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ٢ ص ١٦

بالانتقاص من قرنه مزهدا فيه بل محذرا منه منفرا عنه، فعلى مستمع مثل هذا القول أن يدرك أن هؤلاء الناس أقران وهذه سمة غالبة على الأقران قال الذهبي رحمه الله تعالى: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ولا سيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد لا ينجو منه إلا من عصم الله وما علمت أن عصرا من الأعصار سلم أهله من ذلك سوى النبيين والصديقين ولو شئت لسردت من ذلك كراريس اللهم فلا ﴿ تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [1]

قال مالك بن دينار: يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض. وقال آخر: فهم أشد الناس تحاسدا وتباغيا [2].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايرا من التيوس في زربها [3].

وعلل الزمخشري جعل نساء الجنة أترابا، أن الأتراب أقران والأقران بينهم التواد والتحاب وهو أثبت فيهم من غيرهم وذلك في قوله: كأن اللدات سمين أترابا لأن التراب مسهن في وقت واحد وإنما جعلن على سن واحدة لأن التحاب بين الأقران أثبت[4].

ولكن الواقع يشهد بخلاف ذلك فالملاحظ التنافر والتباعد والتباغض بين الأقران أكثر من غيرهم.

فعلي المرء أن يتحرز من إهدار وقته وجهده في أمثال هذه الأمور قال ابن العربي: كان شيخنا الطرطوشي الأكبر يقول : لا تذهب بكم الأزمان في مصاولة

---

(١) لسان الميزان ، ج ١ ص ٢٠١ ، ترجمة رقم : ٦٣٧ ، والآية ١٠ من سورة الحشر

(٢) طبقات الشافعية للسبكي ج ٩ ص ٩

(٣) عن مالك بن دينار قال تجوز شهادة القراء في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم أشد تحاسدا من التيوس في الزرب.[حلية الأولياء ج ٢ ص ٢٧٨]

(٤) الكشاف ص ١٠٩٤

الأقران ومواصلة الإخوان. [١]

هـ- قبول أحد أفراد الأسرة عند الناس ورفض الآخر:

قال محمد بن إبراهيم الفاري :

وترى الكريم محسدا ولم يجترم     شتم الــرجال وعرضه مشتوم

حسدوا الفتى إذا لم ينالوا سعيه     فــالــقوم أعــداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها     حســدا وبــغــيا إنــه لذميم[٢]

ومن الأمثلة لذلك ما كان يحدث بين أحمد بن المعذل بن غيلان وأخيه عبد الصمد كما مر بنا.

و- حب الوالدين لأحد الأبناء :

قص الله تعالى لنا عن يوسف عليه السلام وإخوته وأن سبب بغضهم له وكيده هو حب أبيهم له فأبغضوه وألقوه في الجب[٣].

ز- غنى أحد الأقارب وتتابع نعم الله عليه :

الغنى من نعم الله عز وجل على عباده فبعض الناس لا يهيج عداوته إلا غنى أخيه فعن الأصمعي عن يونس: أن قوما من الأعراب قدموا على ابن الزبير يسألون الفرض فقال: ما أصنع بكم؟ والله إن سلاحكم لرث، وإن حديثكم لغث، وإنكم لأعداء في الخصب، عيال في الجدب[٤].

وكلما كثر الخصب والنماء زاد الحسد بين بني العم قال الشاعر:

قوم إذا نبت الربيع لهم     نبتت عداوتهم مع البقل[٥]

---

[١] تفسير القرطبي ، ج ١١ ص ٦٦

[٢] روضة العقلاء ص ١٣٤

[٣] انظر : سورة يوسف آيات ١ــ١٨

[٤] سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ص ٢٥

[٥] سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ص ٢٥

وقال الشاعر :

وفي البقل إن لم يدفع الله شره    شياطين يترو بعضهن إلى بعض[1]

ويزداد هذا العداء إلى أن يؤدي إلى قتال بين الأهل وبني العم قال الشاعر :

يا ابن هشام أهلك الناس اللبن    فكلهـــم يسعى بسيف وقـــرن

يقول لما كثر الخصب سعى بعضهم لبعض في السلاح[2] فالقلة معها التعاضد والتناصر والتظاهر ومن أمثال العرب: أَدْهَى مِنْ قَيْسِ بْنِ زُهَيْرٍ.هو سيد عبس، وذكر من دهائه أشياء كثيرة: منها أنه مر ببلاد غطفان فرأى ثروة وعديدا، فكره ذلك، فقال له الربيع بن زياد العبسي: إنه يسوءك ما يسر الناس فقال له: يا ابن أخي إنك لا تدري أن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل [3]، وأن مع القلة التعاضد والتآزر والتناصر[4].

وبصفة عامة فالنعم التي تظهر على المرء سبب في حسد الآخرين له وغضبهم منه وغمزهم فيه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت له حاسدا ولو كان المرء أقوم من القدح لوجدت له غامزا [5].

ولا يكاد يوجد الحسد إلا لمن عظمت نعمة الله عليه فكلما أتحفه الله بترداد النعم ازداد الحاسدون له بالمكروه والنقم وقد كان داود بن علي رحمة الله عليه ينشد كثيرا:

---

(1) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ص ٢٥

(2) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ص ٢٤

(3) قال حاتم الطائي:

شربنا بكأس الــفـــقر يوما وبالغنى    وما منهما إلا سقانا به الدهر

فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا    ولا أزرى بأحسابنا الــفـــقر

(4) مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٧٤ / العقد الفريد ج ٢ ص ١٧١ تحقيق مفيد محمد قميحة

(5) روضة العقلاء ج ١ ص ١٣٣ ــ ١٣٤

إني نشأت وحـــسادي ذوو عـــدد ياذا المعـــارج لا تنقص لهم عددا

إن يحسدوني على ما كان من حسن فمثل خلقي فيهـــم جر لي حسدا[١]

المحسود من الناس يظن به الحاسدون الكمال ويعتقدون في أنفسهم النقص ولذا فهم يخشون منافسته وأن يبزهم ويتفوق عليهم وكثرة الحساد دليل عافية المحسود قيل لامرأة من آل المهلب: ما أكثر حسادكم؟ فأنشدت:

إن العرانين [٢] تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا[٣]

والمعنى: إنما يحسد السادة الكبراء لعلو همتهم وشرفهم، ولا ترى أحدا يحسد لئيما خسيسا. [٤]

والذي ليس له حاسد في الناس يعد من نخالة المجتمع وحثالته قال بعضهم يمدح أقواما:

محسدون وشر الناس مترلة من عاش في الناس يوما غير محسود[٥]

ويتحسر المحبون للعشيرة من موت كبيرهم وزعيمهم لأنهم يكونون في هذه اللحظات محتاجين للرحمة بينما كانوا في الأمس يخشى بأسهم ويرجى نوالهم ولذا لما مات الحجاج خرجت عجوز من داره وهي تقول:

---

(١) روضة العقلاء ص ١٣٤ ــ ١٣٥

(٢) عرانين الناس سادتهم

(٣) قائله : نهار بن توسعة اليشكري

(٤) شواهد الكشاف ج٤ص٣٦٩

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٨٨

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا [١]     واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا [٢]

ويتمنى المحسدون من الأهل والعشيرة أن يدوم لهم الحسد وأن يدوم لهم ما يحسده عليه الآخرون قال أحدهم:

أعذر حسودك فيما قد خصصت به     إن العلي حسن في مثله الحسد

إن يحسدوني فإني غير لائمهم     قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا [٣]

فدام لي ولهم ما بي وما بهم     ومات أكثرنا غيظا بما يجد [٤]

أنا الذي يجدوني في صدورهم     لا أرتقي صدرا منها ولا نرد [٥]

## مظاهر الحسد:

للحسد مظاهر وعلامات منها:

### أ ـ تمني موت المحسود :

من مظاهر الحسد أن يتمنى الحاسد موت المحسود، قال أحدهم مصورا حاله مع إخوته وأنهم يتمنون له الموت علما بأن الموت نازل بكل أحد:

---

[١] قالت الحُرَقة بنت النعمان بن المنذر:

فبَيْنا نَسُوسُ الناسَ، والأَمْرُ أَمْرُنا     إذا نحنُ فيهم سُوقةٌ نَتَنَصَّفُ

فأُفٍّ لدُنيا لا يدُوم نَعيمُها     تقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ

أَي نَخْدُم الناس ونَصَفه ينْصِفه نَصْفاً خدَمه. وتنصَّف : خَدَم.[لسان العرب، مادة : نصف ، ومادة : سوق]

[٢] البيان والتبيين ج ١ ص ٤٧٥

[٣] فإني غير لائمهم معناه أنه لا يلوم حواسده على ما حازه من المجد وعلو الهمة حيث إن العادة جرت بحسد أهل الفضل وأن الخامل لا حاسد له.

[٤] ومات أكثرنا الأكثر هم الحسدة لأنهم كثيرون وهو واحد يقول فدام لي فضلي ومجدي ولم يذهب ذلك عني بحسدهم ودام لهم ذلك الحسد الذي تغلغل في صدورهم وأكل من قلوبهم حتى ماتوا بغيظهم مما يجدوه من ألم الحقد وداء الحسد

[٥] لا أرتقي صدرا الصدر الرجوع عن الماء ضد الورود ومعنى البيت أنا الذي صرت غصة في صدورهم قد نشبت بالحلوق فلا تصدر ولا ترد بل استحكمت فيها فلا تنصرف عنها بحال.[الحماسة ج ١ ص ١٥٣ـ ١٥٤ / روضة العقلاء ج ١ ص ١٣٣]

لشتان ما أنوي وينـــوي بنو أبي جميعا ما هذان مستويان

تمنوا لي الموت الذي يشعب الفتى وكل فتى والموت يلتقيان(١)

وقال محمد بن عبد الحكم: سمعت أشهب بن عبد العزيز يدعو على محمد بن إدريس الشافعي بالموت في السجود، فذكرت ذلك للشافعي رحمه الله فتمثل:

تمـــنى رجال أن أموت وإن أمـــت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى تـــهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

قال محمد: فمات الشافعي رحمه الله تعالى واشترى أشهب من تركته مملوكا، ثم مات أشهب بعده بنحو شهر أو قال خمسة عشر يوما أو ثمانية عشر يوما واشتريت أنا ذلك المملوك من تركة أشهب والبيتان الذي تمثل بها الشافعي لطرفة.(٢)

وقال أبي بن حمام بن قراد العبسي وهو شاعر فارس:

تمنى لي الموت المعـــجل خالد ولا خير فيمن ليس يعرف حاسده(٣)

فخل مقاما لم تـــكن لتـــسده عـــزيزا على عبس وذبيان ذائده

أعـــاذلتي كم مـــن أخ لي أوده كـــريم لي لم يـــلدنـــي والـــده

إذا ما التقينا لم تـــرني أكـــده ولـــكنـــني مثـــنٍ عليه وزائده

وآخر أصلي في التناسب أصله يـــباعـــدني في رأيه وأبـــاعـــده

يـــود لـــو أني فـــقد أول فاقد وأيـــضاً أود الـــود أني فاقده(٤)

---

(١) تفسير الطبري ج ٧ ص ١٩٨

(٢)بهجة المجالس القسم الأول المجلد الثاني ص٧٤٦ــ٧٤٧ / شواهد الكشاف ج٤ص٤٧١

(٣) معناه حسدني خالد فتمنى لي الموت وإذا لم يكن للرجل حاسد فهو ساقط من بين الرجال وإنما تكون الحـــساد حيث يكون الفضل

(٤) اللام في لتسده لام الجحود يريد من سد ذلك المقام وذاد ما بدا من الشر عز على قومه وعظم في أعينهم يقول لخالد دع السيادة فلست بأهل لها إنما يستحق السيادة من يذود عن قومه أي يدفع عنهم فيكون عزيـــزا علـــيهم وأنت لست بقادر على ذلك. [شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ١ ص ٢٨٨ / بهجة المجالس لابن عبد الـــبر المجلد الأول من القسم الأول ص ٤١٥ / المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٢١٦]

## ب ـ دفن الحسنات وإشاعة السيئات:

قال قعنب بن أم الصاحب[1]:

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا[2]
فطانة فطنوها لو تكون لهم ... مروءة أو تقى لله ما فطنوا
إن يسمعوا سيئا طاروا به فرحا ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا[3]
جهلا علينا وجبنا على عدوهم ... لبئس الخلتان الجهل والجبن[4]
فلن يراجع ودي ودهم أبدا ... وكنت من بغضهم مثل الذي زكنوا[5]

وقال طريح بن إسماعيل الثقفي :

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا ... شرا أذيع وإن لم يسمعوا كذبوا[6]

## ج ـ كراهية النعمة على الآخرين :

قال ابن الوردي :

وارحمتا للحاسدين فنارُهُمْ ... قَدْ سعِّرَتْ بُعْداً لها منْ نارِ
وإذا جرى ذِكري تكادُ قلوبُهمْ ... تنشقُّ أو تغتالني بشرارِ
كرهوا عطاءَ اللهِ لي يا ويحَهم ... لشقائِهم كرهوا صنيعَ الباري[7]

---

[1] أبو ضمرة أحد بني عبد الله بن غطفان وهو شاعر إسلامي كان في أيام الوليد بن عبد الملك.

[2] أي هم صم وأذنوا آخر البيت بمعنى استمعوا والمعنى أنهم يميلون إلى ما يصل إلى آذانهم من الهجو فيه ويرتاحون إليه وينحرفون عما يصل إليها من المدح له وينفرون منه.

[3] معناه أن له أعادي كلما سمعوا بحسنة تذكر عنه طووها وكتموها مغتمين لها وكلما سمعوا بسيئة تفترى عليه نشروها وأذاعوها فرحين بها وهذا من شدة عداوتهم له.

[4] المعنى أيجمعون الجهل علينا والجبن عن أعدائهم لعمرك بئس جهلهم علينا وجبنهم عن أعاديهم.

[5] بهجة المجالس القسم الأول المجلد الثاني ص٧١٤ / شرح شواهد الكشاف ج٤ص٣١٥، وص ٥٤٧

[6] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ٢ ص ٥١

[7] عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين بن الوردي المعري الكندي. (٦٩١ – ٧٤٩ هـ) شاعر أديب مؤرخ، ولد في معرة النعمان وولي القضاء بمنبج وتوفي بحلب.

## د ـ تذكر النعمة على الآخرين ونسيانها على النفس :

بعض الناس له ولع بتعداد نعم الله على الآخرين ونسيانها على نفسه فشخص مثل هذا الصنف على أولي النهى أن ينبهوه، ومن ذلك أنه: تقدّم الأشعث بن قيس إلى شريحٍ قاضي الكوفة فقال: يا أبا أميّة، لعهدي بك وإنّ شانك لشوين، فقال شريح: يا أبا محمد، أنت تعرف نعمة الله تعالى على غيرك، وتجهلها من نفسك وأينا لم يكن شأنه شوينا ثم من الله [١].

## هـ ـ التنافس إلا في الخير:

عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم أَنّهُ قَالَ: "إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرّومُ، أَيّ قَوْمٍ، أَنْتُمْ؟" قَالَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللّهُ [٢]. قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ. تَتَنَافَسُونَ. ثُمّ تَتَحَاسَدُونَ. ثُمّ تَتَدَابَرُونَ. ثُمّ تَتَبَاغَضُونَ [٣].

قال النووي: قال العلماء: التنافس إلى الشيء المسابقة إليه وكراهة أخذ غيرك إياه وهو أول درجات الحسد، وأما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن صاحبها [٤].

## و ـ تمني زوال نعمة المحسود :

الحسد: هو تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد [٥]. أو تمني زوال نعمة عن صاحبها سواء كانت نعمة دين أو دنيا [٦].

فكل من يتمنى زوال نعمة عن شخص أو يكرهها فهو حاسد.

---

(١) العقد الفريد ج ١ ص ١٤٢/ ربيع الأبرار ج ١ ص ٦٤٣

(٢) معناه نحمده ونشكره ونسأله المزيد من فضله.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب: .... حديث رقم : ٢٩٦٢

(٤) مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٩٦

(٥) كتاب التعريفات للجرجاني ص١١٧

(٦) رياض الصالحين، كتاب الأمور المنهي عنها، باب تحريم الحسد

## ز ـ الفرح بأخطاء المحسود وتضخيمها:

قال ابن المغري في لامية العجم:

لا تفرحن بسقطات الرجال     ولا تهزأ بغيرك واحذر صولة الدول

وقال الفضيل بن عياض: إن من علامة المنافق أن يفرح إذا سمع بعيب أحد أقرانه.

قال الشاعر:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب     على عيب الرجال أخو العيوب[(١)]

وقال سعيد بن المسيب: بلغ عثمان رضي الله عنه أن قوما على فاحشة ، فأتاهم وقد تفرقوا، فحمد الله وأعتق رقبة.[(٢)]

## ح ـ انتقاص الحسنات وتحويلها إلى سيئات :

من علامات الحسد انتقاص الحسنات بل تحويلها إلى سيئات.

ـــ تحويل الحسنات إلى سيئات:

قال الفرزدق :

ولو أسـقيتهم عسلا مصفى     بـماء النيل أو ماء الفرات

لقالوا إنـه مـلح أجـاج     أراد لنا به إحدى الهنات[(٣)]

ـــ انتقاص وتقليل الحسنات:

قال عمارة بن عقيل ونسبت إلى غيره كما سيرد لاحقا:

كضرائر الحسناء قلن لوجهها     حسدا وبغيا إنه لذميم

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ليت هندا أنجزتنـا مـا تـعـد     وشـفت أنـفسنا مما نجـد

---

(١) بهجة المجالس القسم الأول ص ٣٩٩

(٢) نثر الدر ج٢ص٦٣

(٣) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ٢ ص ٣٦

واستبـــدت مـــــرة واحــــــدة  إنـــما الـــعاجز من لا يستبـــد
ولقد قــالـــت لجــارات لهــا  وتـــعرّت ذات يـــوم تبـــترد
أكمـــا ينعتنـــي تـــبصـــرنـــي  عـــمركـــن الله أم لا يـــقتصد
فتهاتفن من قولها وقـــد قلن لها  حسنا في كل عـــين مـــن تـــود
حســـدا حملنـــه مـــن أجلهـــا  وقـــديما كان في الناس الحسد[1]

## إجماع العقلاء على ذم الحسد :

العقلاء مجمعون على ذم الحسد وانتقاص المتلبس به وادعاء البعد عنه والازورار عن مقارفته قال الغزالي: الحسد هو المفسد للطاعات الباعث علي الخطيئات وهو الداء العضال الذي ابتلي به كثير من العلماء فضلا عن العامة حتى أهلكهم وأوردهم النار وحسبك أن اللّه أمر بالاستعاذة من شر الحاسد فقال ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾[2] كما أمر بالاستعاذة من شر الشيطان فانظر كم له من شر وفتنه حتى أنزله منزلة الشيطان والساحر وينشأ عن الحسد إفساد الطاعات وفعل المعاصي والشرور والتعب والهم بلا فائدة وعي القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من أحكام اللّه والحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد نفس دائم وعقل هائم وغم لازم.

وزعم بعضهم أنه لا حيلة للمحسود في إزالة حسد الحاسد فإن سعى فيه ضاع سعيه كما قال:

كل العداوة قد ترجى إزالتها  إلا عداوة من عادك في الحسد

ويكفي في قبح الحسد أنه أول ذنب عصي اللّه به لأن إبليس لم يحمله على ترك السجود إلا الحسد كما أن قابيل لم يحمله على قتل هابيل إلا الحسد وقد عم وقوعه وطم.

---

[1] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ٢ ص ١٦
[2] سورة الفلق آية ٥

وكلما عظمت النعمة علي العبد كثر حساده وعظمت الشماتة فيه. ولترك الحسد فوائد عدة منها: ما قاله الأصمعي: رأيت أعرابيا قد أتت عليه مائة وعشرون سنة فقلت له: ما أطول عمرك. قال: تركت الحسد فاسترحت.

قال ابن المقفع: ليكن مما تصرفُ به الأذى والعذابَ عن نفسكَ ألا تكونَ حسوداً. فإن الحسد خلقٌ لئيمٌ. ومن لؤمهِ أنهُ موكلٌ بالأدنى فالأدنى من الأقاربِ والأكفاء والمعارفِ والخُلطاء والإخوانِ. فليكن ما تُعاملُ به الحسد أن تعلم أن خير ما تكونُ حينَ تكونُ مع من هو خيرٌ منكَ، وأن غنماً حسناً لكَ أن يكونَ عشيرُكَ وخليطُكَ أفضل منكَ في العلمِ، فتقتبسَ من علمهِ، وأفضلَ منكَ في القوة، فيدفع عنكَ بقوتهِ، وأفضلَ منكَ في المالِ، فتفيد من مالهِ، وأفضل منكَ في الجاهِ، فتصيبَ حاجتكَ بجاهِهِ، وأفضلَ منكَ في الدينِ، فتزداد صلاحاً بصلاحهِ. [1]

## ثانيا: الغيرة:-

الغيرة مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين، وقيل الغيرة في الأصل الأنفة، وهو تفسير يلازم التنفير فيرجع إلى الغضب. [2]

### أسباب الغيرة:-

للغيرة بين الأقارب أسباب كثيرة منها:

### أ - التفرقة بين الإخوة في العطايا والهبات:-

الأب مأمور بالتسوية بين أبنائه في العطاء وذلك لما جاء من حديث الشَّعْبِيِّ قال : حَدَّثَنِي النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ [3] مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا فَالْتَوَى بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَا لَهُ فَقَالَتْ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

[1] الأدب الكبير والأدب الصغير ج ١ ص ٢٢ ــ ٢٣

[2] فتح الباري ج ١١ص ٣٣١ــ٣٣٢

[3] ( الموهبة ) الهبة .

وَسَلَّمَ عَلَى مَا وَهَبْتَ لِابْنِي فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا قَالَ لَا قَالَ فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى [(١)] جَوْرٍ [(٢)].

وينتج من التفرقة في العطايا تقصير الابن في بر الوالدين والتحاسد بين الأبناء بل قد يبلغ الحنق والغيظ ببعض الأبناء الذين فضل عليهم إخوتهم بإلحاق الأذى بوالديه كما فعل شن مع أمه، وشَنٌّ ولُكَيْزٌ، [(٣)] ابْنَا أفْصَى بنِ عبدِ القَيْسِ، كانا مع أُمِّهِمَا لَيْلَى بنْتِ قُرَّانَ في سَفَرٍ، حتى نَزَلَتْ ذا طُوَى. فلما أرادَتِ الرَّحيلَ، فَدَّتْ لُكَيْزاً، ودَعَتْ شَنّاً لِيَحْمِلَها، فَحَمَلَهَا وهو غَضْبَانُ، حتى إذا كانا في الثَّنِيَّةِ، رَمَى بها عن بعِيرِها، فماتتْ، فقال: "يَحْمِلُ شَنٌّ ويُفَدَّى لُكَيْزٌ" [(٤)].

ويعاني الابن الذي فضل عليه أخوه معاناة تختلج في نفسه ينفثها شعرا ونثرا ومن ذلك قول هُنَيّ بن أَحمر الكناني:

| | |
|---|---|
| يا جندب أخبرني ولست بمُخبري | وأخوك ناصحُك الذي لا يكذبُ |
| هل في القضيَّةِ أَنْ إذا استَغْنَيتُمُ | وأَمِنْتُمُ، فأَنا البَعيدُ الأَجْنَبُ |
| وإذا الكتائبُ بالشدائد مَرَّةً | جَحَرَتْكُمُ، فأَنا الحبيبُ الأَقربُ |
| ولِجُنْدَبٍ سَهْلُ البلادِ وعَذْبُها | وَلِيَ المِلاحُ وحَزْنُهُنَّ المُجْدِبُ |

---

(١) ( جور ) الجور هو الميل عن الاستواء والاعتدال وكل ما خرج عن الاعتدال فهو جور سواء كان حراما أم مكروها

(٢) صحيح البخاري، كِتَاب الْهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، باب الْهِبَةِ لِلْوَلَدِ وَإِذَا أَعْطَى بَعْضَ وَلَدِه شَيْئًا لَمْ يَجُزْ حَتَّى يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ وَيُعْطِيَ الْآخَرِينَ مِثْلَهُ وَلَا يُشْهَدُ عَلَيْهِ، حديث رقم: ٢٥٠٧/ صحيح مسلم، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، حديث رقم: ١٦٢٣

(٣) لُكَيْزٌ كزُبَيْرٍ

(٤) زهر الأكم في الأمثال والحكم ج ١ ص ٢٠٠/ المستقصى في أمثال العرب ج ١ ص ١٥٧/ مجمع الأمثال ج ١ ص ٣٧٦

وإذا تكونُ كَـــرِيهَةٌ أُدْعَى لها     وإذا يُحاسُ الحَيْسُ[١] يُدْعَى جُنْدَبُ
عَجَباً لتِلْكَ قَضِـــيَّةً، وإقامَتِي     فيـــكمْ على تلك القَضِيَّة أَعْجَبُ
هذا لعَـــمْرُكُمُ الصَّـــغارُ بعينهِ     لا أُمَّ لي، إن كان ذاكَ، ولا أَبُ[٢]

**ب ـ التعدد:**

تزوج الرجل بامرأة أو نساء على امرأته، من الأسباب التي تسبب الغيرة وتهيجها، قال أَبو ذؤيب الهذلي يصِف قُدوراً وشدة غليانها وأنها كالنساء الضرائر:

لَهُنَّ نَشِيجٌ [٣] بالنَّشِيلِ كأَنَّها   ضَرائِرُ حِرْمِيٍّ، تَفاحَشَ [٤] غارُها

النشيل أصله ما أخرجت بيدك من اللحم ولم يرد ذلك بعينه وإنما أراد اللحم، وشبه غليان القدور باصطخاب ضرائر ثم نسبهن إلى رجل من أهل الحرم لأن قريشاً أول من اتخذ الضرائر وغارها غيرتها، حرمي منسوب إلى الحرم على غير قياس والقياس حَرَمي. قال الأصمعي: أظنه عنى به قريشا، وذلك لأن أهل الحرم أول من اتخذ الضرائر [٥].

وقد تكلمنا عن التعدد وأسبابه وآثاره على الزوج والزوجة القديمة والزوجة الجديدة والأبناء والأصهار والأختان في كتابنا التعدد: أسبابه . آثاره فانظره هنالك.

**ج ـ نجاح أحد الأقارب وفشل الآخر:ـ**

قد يحالف أحد الأقارب النجاح في حياته ويوفقه الله تعالى فينال مكانة رفيعة في المجتمع وينال قسطا وافرا من التعليم وآخر من الأقارب قد يفشل في دراسته كما أن أحد الأفراد قد يوفق في حياته الزوجية ويهيئ الله له زوجة صالحة مواتية ويكون قريبه له زوجة كالغُل في عنقه ، أو ينجح أحد الأقارب في تجارته ويفشل الآخر ونجاح القريب يسر قريبه أمام الغرباء لا شك في ذلك ولا مرية فيه ومرد ذلك إلى الفخر بعائلته

---

[١] الحَيْس: الخلط، ومنه سمي الحَيْسُ. والحَيسُ: الأَقِطُ يخلط بالتمر والسمن

[٢] بهجة المجالس القسم الأول المجلد الثاني ص٧١٧ / لسان العرب، مادة: حيس / مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤١٣

[٣] نشيج غليان

[٤] تفاحش غارها: أي أفرطت غيرتها

[٥] أبيات المعاني الكبير ٥٧٦ ــ ٥٧٧ / لسان العرب، مادة: حرم / شواهد الكشاف ج ٤ ص ٤١٣

وأقاربه، ولكن إذا قارن الأمر بنفسه فهو مما يسبب له الحزن والغضب والحنق والغيظ إلا من عصم الله تعالى. كما يتضح لنا في هذه الواقعة فقد قيل لعمرو بن العاص: أنت أفضل أم هشام؟ فقال: أقول فاحكموا: أمه أم حرملة بنت هشام بن المغيرة وهي خالة عمر بن الخطاب وأمي عنزية، وكان أحب إلى أبي مني، وبصر الوالد بولده ما قد علمتم، وأسلم قبلي، واستبقنا إلى الله فاستشهد يوم اليرموك وبقيت بعده [١].

## د ـ المفاخرة والمنافرة بين الأقارب:

المنافرة هي المحاكمة في الحسب والشرف[٢] والمساجلة : أن يستقي ساقيان فيُخرج كل واحد منهما في سَجْله مثل ما يُخرج الآخر فأيهما نكل فقد غُلب فضربته العرب مثلا للمفاخرة والمساماة قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب:

من يساجلني يساجل ماجدا    يملأ الدلو إلى عقد الكرب[٣]

وحدثت أمثلة وشواهد كثيرة للمنافرات [٤] نكتفي بشاهد واحد من العصر الجاهلي وهو: منافرة عبد المطلب بن هاشم وحرب بن أمية فقد كان عبد المطلب من حلماء قريش وحكامها. وكان نديمه حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان في جوار عبد المطلب يهودي يقال له أدينة، وكان اليهودي يتسوق في أسواق تهامة بماله فغاظ ذلك حربا، فألب عليه فتيانا من قريش، وقال هذا العلج [٥] الذي يقطع إليكم ويخوض بلادكم بمال جم كثير من غير جوار ولا خيل، والله لو قتلتموه وأخذتم ماله

---

[١] المعارف لابن قتيبة ص ٢٨٥ ــ ٢٨٦

[٢] خزانة الأدب ج ٣ ص ٣٦٤

[٣] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ٩١

[٤] انظر منافرة بين : جرير بن عبد الله البجلي والفَرافصة بن الأحوص الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي: كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ١ ص ٢٩ ــ ٣٠

[٥] العَلَج: التمرس والمزاولة في جفاء وغلظة وبه يشبه الرجل الأعجمي والعِلج سمي علجا لاستعلاج خلقه. (معجم المقاييس في اللغة ص ٦٩٤)

ما خفتم تبعة ولا عرض لكم أحد يطلب بدمه. فشد عليه عامر بن عبد مناف بن قصي، وصخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، فقتلاه، فجعل عبد المطلب لا يعرف له قاتلا. فلم يزل يبحث عن أمره، حتى علم خبره بعد.

فأتى حرب بن أمية، فأنبه بصنيعه وطلب بدم جاره، فأجار حرب قاتليه ولم يسلمهما وأخفاهما، وطالبه عبد المطلب بهما، فتغالظا في القول حتى دعاهما المحك واللجاج إلى المنافرة، فجعلا بينهما النجاشي صاحب الحبشة، فأبى أن يدخل بينهما فجعلا بينهما نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب. فقال لحرب: يا أبا عمرو أتنافر رجلا هو أطول منك قامة، وأوسم منك وسامة، وأعظم منك هامة، وأقل منك لامة، وأكثر منك ولدا وأجزل منك صلة وأطول منك مذودا وإني لأقول هذا وإنك لبعيد الغضب رفيع الصيت في العرب، جلد النزيرة تحبك العشيرة ولكنك نافرت منفّرا فنفّر عبد المطلب [1].

وكان من يطلب منه أن يحكم بين متنافرين يقوم بالآتي:

. يرفض الدخول بين المتنافرين.

. يساوي بينهما في الحكم ولا يفضل واحدا على الآخر.

. يحاول أن يصلح بينهما ويثنيهما عن تنافرهما.

ومن ذلك أنه تنافر علقمة بن علاثة مع عامر بن الطفيل فخرج مع عامر لبيد والأعشى ومع علقمة الحطيئة فحكما أبا سفيان بن حرب فأبى أن يحكم بينهما فأتيا عيينة بن حصن فأبى فأتيا غيلان بن سلمة الثقفي فردهما إلى حرملة بن الأشعر المري فردهما إلى هرم بن قطبة الفزاري فلما نزلا به قال لأقضين بينكما ولكن في العام المقبل فانصرفا ثم قدما فبعث إلى عامر سرا فقال أتنافر رجلا لا تفخر أنت وقومك إلا بآبائه فكيف تكون أنت خيرا منه فقال أنشدك الله أن تفضله علي وهذه ناصيتي جزها واحكم في مالي بما شئت أو فسو بيني وبينه ثم بعث إلى علقمة سرا فقال كيف تفاخر رجلا

---

[1] كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ١ ص ٨١ ــ ٨٢

هو ابن عمك وأبوه أبوك وهو أعظم قومك غناء فقال له كما قال له عامر فأرسل هرم إلى بنيه إني قائل مقالة فإذا فرغت منها فلينحر أحدكم عن علقمة عشرا ولينحر آخر عن عامر عشرا وفرقوا بين الناس فلما أصبح قال لهما جهارا لقد تحاكمتما إلي وأنتما كركبتي البعير يقعان معا وكلاكما سيد كريم ولم يفضل فانصرفا على ذلك وقال عمر لهرم بن قطبة من كنت تفضل لو فضلت فقال لو قلت ذلك لعادت جذعة فقال عمر نعم مستودع أنت مثل هذا فلتسوده العشيرة [١].

وفي رأي أن الذي بين الأقارب ليس حسدا يتمنى صاحبه زوال نعمة القريب وخلوها منه وإنما يريد القريب ألا يكون أحد أقاربه أعلى منه مكانة ومنزلة وعلما وحالا وجاها ومالا فإذا كان القريب مصليا[٢] فلا يضيره أن يكون قريبه مجليا[٣] بل يفرح بذلك ويعجب به لأنه يتزيد بذلك ويتكثر به وينسب الفضل إلى الأسرة كلها أما أن يكون قريبه سكيتا[٤] فهذا ما لا يريده قريبه ولا يرغب فيه فالقريب يريد قريبا لا يتقدم عليه ولا يساويه بل يكون دونه وأقل منه.

أما الحاسد فيتمنى زوال نعمة المحسود ولو لم تصر إليه أما القريب فإنه يفرح بنعمة قريبه وتفوقه وتقدمه بشرط أن يكون كل ذلك دونه فالقريب لا يريد قريبا فوقه وأعلى منه كما أنه لا يريد قريبا كلا على مولاه أينما يوجه لا يأتي بخير بل يريد قريبا نافعا ولكن نفعه دون نفعه هو ويريد قريبا له أثره وغناؤه ونفعه وضرره في المجتمع ولكن كل ذلك دونه كما أن القريب يريد أن يكون قريبه غنيا ليأمن مد يده إليه وإرهاقه بكثرة متطلباته ورأينا في مظاهر الحسد أن الحاسد يتمنى موت محسوده ولكن القريب لا يتمنى ذلك لقريبه لأنه يتقوى به ويتزيد به في المجتمع.

---

(١) الإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم: ٥٦٧٩

(٢) المصلي: الذي يأتي أولاً

(٣) المجلي: الذي يأتي ثانياً

(٤) السكيت: الذي يأتي آخراً

## ٢- الطعن بالكلام واستثارة الإحن:

كثير من الأقارب يسلقون أقاربهم بألسنة حداد مع شح في الخير وقبض لليد وبسط للسان فيطعنون أقاربهم بالكلام ويذكرون سوءاتهم ويرون الناس عوراتهم ويدفنون حسناتهم ناسين أو متناسين قول النبي صلى الله عليه وسلم: لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا بِاللَّعَّانِ وَلَا الْفَاحِشِ الْبَذِيءِ[١].

ولما للمطاعنة بالكلام من أثر سيئ، قيل في التحذير منها أقوال عدة نجتزئ بالقليل منها مثل: قال ابن أبي حازم:

أوجع من وقعة السنان    لذي الحجا وخزة اللسان[٢]

وغالبا ما يحتقر الأقارب هذه المطاعنات ولا يلقون لها بالا ولكن لها تأثيرها الأليم على العلاقات بينهم مستقبلا فقد تكون عليها وبالا. قال الفرزدق:

قوارص [٣] تأتيني منكم وتحقرونها    وقد يملأ القطر السقاء فيفعم [٤]

والمطاعنة بين الأقارب لا تُنسى ويمكنك أن تجرح إنسانا في معركة فتلتئم جراحه وتبرأ وإذا طعنته بكلمة فإنها لا تنسى أبدا. قال الشاعر:

وجرح السيف تأسو فيبرأ    وجرح الدهر ما جرح اللسان

جراحات الطعان لها التئام    ولا يلتام ما جرح اللسان[٥]

فعلى القريب أن لا يُحفظ قريبه بكلام يبقى ولا يُنسى ولا يستثير الأحقاد الدفينة. قال أبو الطمحان القيني:

---

[١] سنن الترمذي، أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في اللعنة، حديث رقم: ٢٠٤٣ / مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم: ٣٨٣٩ (عن عبد الله بن مسعود)

[٢] بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٥٩

[٣] القرص باللسان والإصبع.

[٤] لسان العرب، مادة: قرص

[٥] ثمار القلوب ص ٣٣٤ / المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٢٧

إذا كان في صدر ابن عمك إحنة فلا تستثرها سوف يبدو دفينها[١]

قال شبيب بن البرصاء [٢]وكان قد خطب إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المري ابنته فقال هي صغيرة فقال شبيب لا ولكنك تريد أن تردني فقال له يزيد ما أردت ذاك ولكن انظرني هذا العام فرحل شبيب مغضبا فكلم يزيد بعض أهله وقال له ما أفلحت خطب إليك شبيب سيد قومك فرددته فبعث إليه يزيد ارجع فقد زوجتك فإني أكره أن ترجع إلي أهلك وقد رددتك فأبى شبيب أن يرجع وقال:

تَبَيَّنُ أدبارُ الأمورِ إذا مضت وتُقبِلُ أشباهاً عليك صدورُها[٣]

وإني لتَّراكُ الضغينةِ قد بدا ثَراها من المَولَى فلا أستثيرها[٤]

مخافةَ أن تجني عليّ وإنما يَهِيج كبيراتِ الأمور صغيرُها[٥]

إذا قِيلت العَوراءُ وليَّتُ سمعَها سواي ولم أسمع بها ما دَبِيرُها

وحاجةِ نفسٍ قد بلغتُ وحاجةٍ تركتُ إذا ما النفس شحَّ ضميرها

حياءً وصبراً في المواطن إنني حييٌّ لَدَى أمثالِ تلك سَتِيرها

وأحبس في الحق الكريمةَ إنما يقوم بحق النائبات صَبورها

أُحابي بها الحيَّ الذي لا تُهِمُّه وأحسابَ أمواتٍ تُعَدّ قبورها

---

[١]شواهد الكشاف ج٤ص٣٨٧

[٢] هو شبيب بن زيد بن جمرة والبرصاء أمه ولم تكن برصاء قالوا إن البرصاء هذه خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن بها برص فقال أبوها لا أرضاها لك يا رسول الله فإنها برصاء فرجع أبوها إليها فإذا هي قد برصت. وشبيب شاعر فصيح بدوي إسلامي من شعراء بني أمية

[٣] تبين أي تتبين وأعقاب الأمور أواخرها والمراد بالأشباه المتشابهة وصدورها أوائلها والمعنى أن الأمور إذا مضت لا تشتبه نتائجها وإنما المشتبه عليك منها أوائلها

[٤] الضغينة الحقد وأصل الثرى الندوة في التراب واستثاره أثاره والمولى ابن العم هنا يقول إني أعفو وأتغاضى وأعرض عن الشر إذا بدا لي من ابن عمي.

[٥] ضمير تجني راجع إلى الضغينة والمعنى مخافة أن تجر الضغينة علي أمرا لا يمكن تداركه فقد يكون الأمر صغيرا في المبدأ ثم يزداد عظما حتى يعم شره.

ألم تــر أنّــا نــورُ قــوم وإنــما يُبَيِّن في الظلماء للناس نــورُها[١]

### ٣- الامتنان أو الكفران من أحد الأقارب على أقاربه:

بعض الأقارب قد يكون منفقا على أقاربه ولكنه يحب المحامد ويحرص عليها ويمتن بما قدم لأقاربه مذكرا ما بذل معددا ما أنفق وقد يكون قريبه متلقيا لهذا المعروف من غير شكر ولا قبول منه لما ينعم به قريبه عليه ولنر النوعين :

### أ ـ امتنان أحد الأقارب على قريبه:

بعض الأقارب لسان حاله إن لم يكن مقاله يقول: لو لم أمد يدي إليك بالمساعدة لكنت الآن في بداية الطريق فاحمد الله ربك الذي هيأني لك فلو لم أطعمك لبت جائعا ولو لم أكسك لظللت عاريا ولو لم أساعدك في زواجك لبقيت أعزب إلى هذه اللحظة ولو لم أمد يدي إليك في تعليم أولادك لظلوا أميين إلى اليوم، وقريب يُحصي معروفه على أقاربه لا شك أنه غير محبوب. كما أن الناس لا يثبتون فضل الممتن بمعروفه على الناس ويستغنون عنه[٢].

ومن أمثلة امتنان أحد الأقارب على قريبه: قال الأصمعي: كان صخر والمغيرة أبناء حبناء التميمان من بني ربيعة بن حنظلة، فأيسر أحدهما فامتن على الآخر، فقال لأخيه:

رأيتك لــما نلت مالا وعضّنا زمان نرى في حدِّ أنيابه شغبا
تجنَّى عليّ الدهر أني مذنب فأمسك ولا تجعل يسارا لي ذنبا

فأجابه أخوه:

---

[١] جعل نفسه وقومه نورا لبلادهم لأنه ينتفع بهم كما ينتفع بالنور والعرب تقول في المدح فلان نجم البلد ونوره إلا أنهم إذا قالوا فلان شمس أرادوا الغلبة والظهور وإذا قالوا نور أرادوا الرفعة والشرف والمعنى ألم تر أنا للقوم بمنزلــة النور للأبصار فلا يهتدون إلا بحسن تدبيرنا. [ شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ٢ ص ٦١٨ / الأغــاني ، ج ١٢ ص ٣٢٠ ــ ٣٢١]

[٢] سمع محمد بن سيرين رجلا يقول لرجل: فعلتُ إليك وفعلتُ. فقال ابن سيرين: اسكت، فلا خير في المعــروف إذا أحصي. [أدب الدين والدنيا ص ٣٢٧ ]

لحى الله أنآنا عن الضيف بالقرى وأقصرنا عن عــرض والده ذبًّا

وأجد أن يدخــل الـباب باسته إذا القف أبدى [١]من مخارمه ركْبا[٢]

## ب ـ كفران أحد الأقارب نعمة قريبه وعدم اعترافه بها:

بعض الأقارب لهم كفران لنعم أقاربهم عليهم مع حاجتهم لمعروفهم فتجد أحدهم فقيرا معدما ومع ذلك يكون له حسد واستكثار لنعم الله على الآخرين وإذا أعطاه قريبه شيئا فبدلا من أن يشكره فإنه يذمه ويبخس ما أعطى القريب بأن هذه الهدية قد ذهبت لزيد كما أن عمرا رفضها من علية الأقارب وأغنيائهم ثم حارت إليه لأنها لم تجد غيره كما أن هذه الهدية قليلة وأنها ردئية النوع.

وقد يكون في الأقارب من هم ممسكون لا يواسون أقاربهم ولا يلومهم أحد، بينما المنفقون ملامون مذمومون، قال عبد الله بن جدعان:

ألام وأعطــي واللئيم مجاوري له مثل مالي لا يلام ولا يعطي[٣]

ومن أمثلة عدم حمد المعطي ما ذكر في هذه القصة وإن كان الآخذ مولى ومولى القوم منهم فله حكم الأقارب : كان الجعد المحاربي أبو صخر بن الجعد قد عمر حتى خرف وكان يكنى أبا الصموت وكانت له وليدة يقال لها سمحاء فقالت له يوما يا أبا الصموت زعم بنوك أنك إن مت قتلوني قال ولم قالت مالي إليهم ذنب غير حبي لك فأعتقها على أن تكون معه فمكثت يسيرا ثم قالت له يا أبا الصموت هذا عرابة من أهل المعدن يخطبني قال أين هذا مما قلت لي قالت إنه ذو مال وإنما أردت ماله لك قال فأتني به فأتته فزوجه إياها فولدت له أولادا وقوته بما كانت تصيبه من الجعد وكانت تأتي الجعد في أيام فتخضب رأسه ثم قطعته فأنشأ الجعد يقول:

أبلغ لديك بني عمرو مغلغلة عمرا وعــوفا وما قولي بمردود

---

[١] يريد أن إذا رأى ركبا قد نجَد من القفِّ زحف إلى بيته باسته لئلا يُرى فيستضاف.

[٢] أمالي ابن دريد ص١١٣ـــ١١٤ ، الشعر والشعراء ص٢٤٠

[٣] جمهرة الأمثال ج ٢ ص ٤٢٥

بأن بيتي أمسى وفق داهـــية سوداء قـــد وعدتني شر موعود
أمسى عرابة ذا مال وذا ولد من مال جـــعد وجعد غير محمود
تظل تنشقه الكافور متـــكئا على السرير وتعطيني على العود[١]

وعدم شكر القريب أو المنعمين من الناس دليل على عدم شكر الله عز وذلك لما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ.[٢]

## ٤- الجدال والمراء:[٣]

بعض الناس همه المخالفة وحب الظهور فلو أشرت إلى القمر وقلت ما أجمل هذا القمر لقال لك هذا ليس القمر إنما هي الشمس أو هذا نجم كبير. والجدال سجية [٤] في الإنسان إن لم يهذبها فإنها تؤدي به إلى عواقب وخيمة[٥] من إهاجة العداوة بين الإخوان ، قال الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ قَالَ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام لِابْنِهِ دَعِ الْمِرَاءَ فَإِنَّ نَفْعَهُ قَلِيلٌ وَهُوَ يُهَيِّجُ الْعَدَاوَةَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ [٦]. والمراء مرتع

---

[١] الأغاني ج ٢٢ ص ٤٤ ــ٤٥ / مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٠٨

[٢] رواه الإمام أحمد في المسند ج ٥ ص ٢١١ ــ ٢١٢، والبخاري في الأدب المفرد ص ٣٣ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٤١٦

[٣] المراء طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه، من غير أن يرتبط به هدف سوى تحقير الغير. (كتـــاب التعريفـــات للجرجاني ص ٢٦٦)

[٤] قال الله تعالى ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ أي جدالا ومجـــادلة.[تفسير القرطبي (طبـــع دار الشعب) ج ١١ ص ٥ ، والآية رقم : ٥٤ من سورة الكهف]

[٥] قال الشاعر (العقد الفريد تحقيق محمد مفيد قميحة ج ٢ ص ٣٢١) :

فإياك إياك المراء فإنه إلى السب دعاء وللصرم جالب

[٦] سنن الدارمي، ج ١ ص ١٠٢، حديث رقم: ٣٠٣، قال حسين سليم أسد: إسناده معضل

خصب للشيطان فعن مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ قَالَ كَانَ مُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَالْمِرَاءَ فَإِنَّهَا سَاعَةُ جَهْلِ الْعَالِمِ وَبِهَا يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتَهُ (١).

ومما لا ريب إن الذين يجادلهم المرء أنواعا وأصنافا منهم الحليم الذي يقلي مجادله أو السفيه الذي يؤذيه ، قيل: لا تمار حليما ولا سفيها ، فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك (٢).

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المراء ووعد تاركيه بأعظم الأجر والمثوبة فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا (٣).

وقال عبد الله بن عباس: كفى بك ظلما ألا تزال مخاصما وكفى بك إثما ألا تزال مماريا (٤). وقال ابن مسعود: لا أماري أخي أبدا لأني أرى أني إما أن أكذبه وإما أن أغضبه (٥).

والمراء يفسد الود والإخاء بين المتحابين قيل : المراء يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة وأقل ما فيه أن يكون دريئة للمغالبة والمغالبة أمتن أسباب القطيعة (٦).

والمراء والملاحاة تقلل كرامة المرء قال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول: من لاحى الرجال وماراهم قلت كرامته (٧).

---

(١) سنن الدارمي، ج ١ ص ١٢٠، حديث رقم: ٣٩٦، قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص ٤٢٩

(٣) سنن أبي داود: كتاب الأدب، ج ٢ ص ٦٦٨، حديث رقم: ٤٨٠٠، وحسنه الألباني.

(٤) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص ٤٢٩

(٥) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص ٤٢٩

(٦) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص ٤٢٩

(٧) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص ٤٣٠

وقال مسعر بن كدام يوصي ابنه كداما وصايا عديدة نجتزئ منها بالجانب المتعلق بالجدال:

أما المزاحة والمراء فدعهما    خلقان لا أرضاهما لصديق(١)

## ٥- التحريش وسوء الظن والوشايات والسماع لها:

### أ ـ التحريش: (٢)

**الإغراء بين الناس والتحريش بينهم من الأمراض التي يولع بها البعض، فتجده يغري بين الخلق ويتمتع بمشاهدة اللطام وسماع السباب والشتائم مع أن التحريش بين الديوك والحيوانات كالخراف والإبل والكلاب وغيرها حرام، (٣) فما ظنك بمن يفعل ذلك بين بني آدم الذي هو أكرم مخلوقات الله عليه، قال الله تعالى:**

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾(٤)

**قال الحافظ ابن كثير : يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى** ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٥) **أن يمشي قائما منتصبا على رجليه ويأكل بيديه وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه وجعل له سمعا وبصرا وفؤادا يفقه بذلك كله وينتفع**

---

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص ٤٣٠

(٢) التحريش : الإغراء بين القوم وكذلك الكلاب وحرّش بينهم : أفسد وأغرى بعضهم ببعض. [لسان العرب ، مادة : حرش]

(٣) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ.(سنن أبي داود، كتاب الجهاد، بَاب فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ، حديث رقم: ٢١٩٩/ الترمذي، كتاب الجهاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بَاب مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ وَالضَّرْبِ وَالْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ، حديث رقم: ١٦٣٠)

(٤) سورة الإسراء آية ٧٠

(٥) سورة التين آية ٤

به ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية ﴿ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ ﴾ أي على الدواب من الأنعام والخيل والبغال وفي البحر أيضا على السفن الكبار والصغار ﴿ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ أي من زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والألوان المشتهاة اللذيذة والمناظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الأنواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة [١].

والإنسان أعظم حرمة عند الله من الكعبة، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ وَيَقُولُ مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ حُرْمَةً مِنْكِ مَالِهِ وَدَمِهِ وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا [٢].

فيا أيها القريب المقصر في الخير لا تسرع في الشر فيقول لك قريبك كما قال أبو فرعون العدوي:

كَفانِي اللَهُ شَرَّكَ يا اِبنَ عَمّي　　　فَأَمّا الخَيرُ مِنكَ فَقَد كَفاني

نظرت فلم أجد أشفى لغيظي　　　مـــن أني لا أراك ولا تراني [٣]

---

[١] تفسير القرآن العظيم (طبع دار الفكر) ج ٣ ص ٥٢

[٢] سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب، حرمة دم المؤمن وماله، حديث رقم: ٣٩٢٢

[٣] كتاب الأذكياء لابن الجوزي ص ٢٤٥ /ربيع الأبرار ، ج ١ ص ٧٩

## ب ـ سوء الظن: [١]

**سوء الظن مرض عند بعض الناس فإنه يستريب في كل تصرف يقوم به الآخرون ويفسره تفسيرا سيئا، وقد نهى الله عز وجل عن الظن فقال تعالى** ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[٢] **وقال الله تعالى**﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾[٣] **وقال تعالى** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ ﴾[٤] **وحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن الظن بقوله: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا.** [٥]

**فبعض الأقارب ظنان عياب يبني حقائق لا أصل لها على أوهام يتخيلها وتخيلات يتوهمها، والظن السيئ إسقاط لما في دواخل النفس من صراعات وعلل كما قال المتنبي:**

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه     وصـــدق ما يـــعتاده من توهم
وعـــادى محبيه بقـــول عـــداته     وأصبح في ليل من الشك مظلم[٦]

---

[١] الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ويستعمل في اليقين والشك. وقيل : الظن أحد طرفي الـــشك بصفة الرجحان. (كتاب التعريفات للجرجاني ص١٨٧)

[٢]سورة يونس آية ٣٦

[٣]سورة النجم آية ٢٨

[٤]سورة الحجرات آية ١٢

[٥] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب قولـــه تعـــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ ﴾ ، حديث رقم: ٥٦٠٦ / صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، حديث رقم : ٤٦٤١ (عن أبي هريرة)

[٦]ديوان المتنبي دار الجيل بيروت (ب.ت) ص ٤٥٩ ـــ ٤٦٠

والظن السيئ يستعدي المظنون به ، قال يحيى بن زياد:

وسوء ظنك بالأدنين داعية     لأن يخونك من قد كان مؤتمنا[١]

وقال أيضا :

إذا أنت خوّنت الأمين بظنة     فتحت له بابا إلى الخون مغلقا

فإياك وإياك الظنون ، فإنها     أو أكثرها كالآل لما ترقرقا[٢]

وليس معنى هذا أن يقول القريب أقوالا ويعمل أعمالا تُريب قريبه وتشككه فيه، فيوالي أعداء قريبه، ويعادي أحباب قريبه كذلك، بل عليه أن يبعد نفسه عن الشكوك، وينأى بنفسه عن حمى الشبه، والريب، قال الشاعر يصف حال بعض تعامل الناس :

تود عدوي ثم تزعم أنني     صديقك ليس النوك عنك بعازب

فليس أخي من ودني رأي عينه     ولكن أخي من ودني في المغايب[٣]

## ج ـ الوشايات[٤] والسماع لها:

على المرء أن لا يسمع وشاية ولا قولا من أحد دون التأكد من حقيقة القول ، بل عليه أن يزن الكلام الذي يرد عليه ويقبل صوابه ويدع الخطأ منه فليكن قاضيا إذا جاءه خصم فقئت عينه لم يحكم له حتى النظر إلى خصمه لعله قد فقئت عيناه[٥]

ومن أمثلة الوشايات ما ذكر أنه كان لطرفة بن العبد ابن عم اسمه عمرو بن بشر، وكان صهره زوج أخته الخرنق، وكان يخدم عمرو بن هند، وكان طرفة قد هجاه

---

[١] مجموعة المعاني ج ١ ص ٦٦٤

[٢] مجموعة المعاني ج ١ ص ٦٦٤

[٣] شواهد الكشاف ج٤ص٣٢٩

[٤] وشى الكذب والحديث رَقَمه وصوره. ووشى به وشيا ووشاية: نم به ووشى به إلى السلطان وشاية أي سعى وهو واش وجمعه وشاة، وأصله استخراج الحديث باللطف والسؤال.(لسان العرب، مادة: وشى)

[٥] انظر : مجمع الأمثال ج ١ ص ٨٦

**لأن أخته شكت إليه شيئا منه فخرج ذات يوم عمرو بن هند إلى الصيد وخرج معه عبد عمرو، فلما توغلوا في الفلاة رأوا صيدا فقال الملك لعبد عمرو بن بشر: أنزل فبارزه، فنزل فعالجه فلم يقدر عليه، وكان عبد عمرو سمينا بادنا، فقال الملك عمرو: كأن ابن عمك طرفة رآك حين قال:**

ولا خير فيه غير أن له غنى    وأن له كشحا إذ قام أهضما

**فقال له عبد عمرو: وما هجاك به فهو أشد من هذا. قال: وما هو؟ قال: قوله:**

فليت لنا مكان الملك عمرو    رغوثا حول قبتنا تخور[١]

**فقال طرفة يهجو عبد عمرو:**

ألا أبـلغا عبد الضـلال رسـالـة    وقـد يُبلغ الأنباء عنك رسـول
دببت بسري بعدما قـد عـلمتـه    وأنـت بأسرار الكرام نسـول[٢]
وكيف تضل القصد والحق واضـح    وللـحق بين الصالحين سـبيـل
وفرّق عـن بيتك سـعد بن مـالك    وعوفا وعمرا ما تشي وتقـول[٣]
فأنت علـى الأدنـى شـمال عرية    شآمـية تزوي الـوجوه بلـيل[٤]
وأنت على الأقصى صـبا غير قـرة    تذاءب مـنها مُرزِع ومُسـيل[٥]
وأنـت امـرؤ مـنا ولست بخيرنـا    جوادا على الأقصى وأنت بخيـل

---

[١] ديوان طرفة ص ٤٨

[٢] نسول: سريع المشي

[٣] عن بيتيك أي بيت أعمامك وبيت أخوالك ما تشي وتقول ما مصدرية معناه أن وشيك وقولـك وسـعايتك بالنميمة فرق عن بيتي أعمامك وأخوالك.

[٤] شمال عرية أي ريح باردة وشآمية أي تأتي من ناحية الشام وتزوي الوجوه أي تقبضها والبليل ريح باردة معهـا ندى والمعنى أنه على أقاربه في الأذى كالريح الباردة التي تتغير منها الوجوه وتتقلص منها الشفاه.

[٥] الصبا ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش وهي طيبة النسيم لا يكون منها ضرر وغير قرة أي غير بـاردة وتذاءب منها من التذاؤب وهو مجيء الريح من كل جانب ومرزع أي مطر يأتي بالرزعة وهي الوحل القليل ومسيل أي مطر يأتي بالسيل والمعنى أنه على الأباعد كريح الصبا الطيبة النسيم التي ينشأ عنها كل خير

فأصبـــحت فـــقعا نـــابتا بقـــرارة تصـــوّح عـــنه والـــذليل ذليل[(١)]

وأعـــلمُ عـــلما لـــيس بالظن أنه إذا ذل مـــولى الـــعبد فهو ذليل[(٢)]

وتضمن قول طرفة السابق عدة أشياء يقصد بها صهره عبد عمرو الذي أسماه عبد الضلال: كإفشاء أسرار الأقارب والوشايات ونفع الأباعد دون الأقربين.

ونتج من وشاية عبد عمرو بطرفة أن قتل عمرو بن هند طرفة فهجت الخرنق أخت طرفة وزوجة عبد عمرو زوجها فقالت :

أَلا ثَكِلَتكَ أُمُّكَ عَبـــدَ عَمرٍو أَباِلخزيـــات آخَيـــتَ الُملوكا

هُـــمُ دَحُّـــوكَ لِلوَرِكَين دَماً وَلَو سَأَلوا لأَعـــطَيت البُروكا

فيومك عند زانية هـــلـــوك تظل لرجع مزهرها ضحوكا[(٣)]

كما نتج عن ذلك كراهية هذه المرأة لزوجها وفركها له ، ومن ثم صارت تعدد مساويه وتنبش مخابيه ، قال ابن المرزبان : كانت أخت طرفة بن العبد تحت عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد، ففركته فقالت تهجوه وتعيره بأنه لا يثأر بأبيه وتذكر سعايته بطرفة إلى عمرو بن هند حتى قتله:

أَلْمْ تَرَ مَوْروكاً وَشى بابـــن عمِّه لِيَطرَحَهُ في حَمى قدرٍ وما يدري

فهلاَّ ابنَ حَسحاسٍ ثأرتَ وخالداً هنـــالك لم تثأرْ ببشرٍ ولم تَسْرِ[(٤)]

---

[(١)] الفقع : الكمأة البيضاء . القرارة : المطمئن من الأرض ، وأراد بقوله : فقعا بقرارة : أنه أصبح ذليلا . خـــاملا. تصوح : تتشقق : أي الأرض.

[(٢)] أي وأعلم علما باليقين أن الإنسان تابع لمولاه فإن كان مولاه عزيزا كان عزيزا مثله وإن كان ذليلا كان مثلـــه أيضا.ومولى المرء : أراد ابن عمه.[شرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء المعري، دراسة وتحقيق الدكتور حسين محمد نقشة دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩١م ـــ ١٤١١هـــ ج٢ص٩٥٢ /ديوان طرفـــة ص ٨٠ ـــ ٨١]

[(٣)] أشعار الشعراء الستة الجاهليين اختيار يوسف بن سليمان بن عيسى الأندلسي المعروف بالأعلم الـــشنتمري دار الفكر الطبعة الأولى ١٤٠٢هـــ ـــ ١٩٨٢م، ص ٣٧١

[(٤)] أشعار النساء للمرزباني ١٠٥ ـــ ١٠٦

## ٦ ـ كثرة المزاح:

بعض الأقارب يتخذ المزاح ديدنا في حياته فهو يمزح في كل شيء وبأي شيء وأمام كل أحد وليست هذه دعوة إلى الصرامة والحدة والجفاف وأن تكون العلاقات بين الأقارب خالية من الروح ولكنها دعوة إلى التوسط في الأمر ، فلا تذهبن في الأمور شططا فكلا طرفي قصد الأمور ذميم. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم: يمزح ولا يقول إلا حقا. قال ابن عباس رضي الله عنه: المزاح[1] بما يحسن مباح، وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يقل إلا حقا [2]. ومزح أصحابه رضوان الله عليهم: فعن أبي رافع قال: كان مروان ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب حمارا قد شد عليه برذعة، وفي رأسه خلبة من ليف فيسير فيلقى الرجل، فيقول: الطريق الطريق قد جاء الأمير، وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب، فلا يشعرون بشيء حتى يلقي نفسه بينهم، ويضرب برجليه، فيفزع الصبيان ، فيفرون، وربما دعاني إلى عشائه بالليل، فيقول: دع العُراق للأمير، فأنظر فإذا هو ثريد بزيت.[3]

قال النووي: المزاحُ المنهيُّ عنه، هو الذي فيه إفراط ويُداوم عليه، فإنه يُورث الضحك وقسوةَ القلب، ويُشغل عن ذكر اللّه تعالى والفكر في مهمات الدين، ويؤولُ في كثير من الأوقات إلى الإِيذاء، ويُورث الأحقاد، ويُسقطُ المهابةَ والوقارَ. فأما ما سَلِمَ من هذه الأمور فهو المباحُ الذي كان رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم يفعله، فإنه صلى اللّه عليه وسلم إنما كان يفعله في نادر من الأحوال لمصلحة وتطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهذا لا منعَ قطعاً، بل هو سنّةٌ مستحبةٌ إذا كان بهذه الصفة[4].

---

[1] قيل: خير المزاح لا يُنال، وشره لا يُقال. وإنما سمي مزاحا لأنه أزيح عن الحق. (نثر الدر ج٤ص١٥٥)

[2] بهجة المجالس القسم الأول ص٥٦٥

[3] المعارف لابن قتيبة ص٢٧٨ ، وانظر فيه قصة سويبط ومزاحه ص٣٢٨ــ٣٢٩ وأيضا ص ٢٦٥

[4] الأذْكَارُ النَّوَوِيَّة، ج ١ ص ٧٦٣

وقال ابن عبد البر: وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح لما فيه من ذميم العاقبة ، ومن التوصل إلى الأعراض ، واستجلاب الضغائن ، وإفساد الإخاء. قال سعيد بن العاصي: لا تمازح الشريف فيحقد ، ولا الدنيء فيجترئ عليك [١].

## ٧- التكشير [٢] والتجهم [٣] في وجوه الأقارب:

قيل: شاهد البغض اللحظ، ومثله في الحب: جلّى محبا نظرُه. ومنه قول زهير:

متى تك في صديق أو عدو   تخبرك الوجوه عن القلوب [٤]

قال أبو رمح الخزاعي:

لسانك لي حلو ونفسك مرة   وخيرك كالمرعاة في الجبل الوعر

تُبيِّن لي عيناك ما أنت كاتمي   ولا جِنَّ بالبغضاء والنظر الشزر [٥]

فلا تتوقع أيها القريب من قريبك الذي تتجهم في وجهه، وتكشر عند لقائه، أن يقابلك مبتسما، وأن يصافحك ضاحكا، فهو يزيدك في معاملتك له بمثلها، فإن قابلته منطلق الوجه منبسط الأسارير، قابلك مبتسما، وإن لقيته مبتسما صافحك ضاحكا، وإن سلمت عليه ضاحكا رد عليك السلام مقهقها ، وإن قابلت قريبك مكفهر الوجه، قابلك عابسا مقضب الجبين وهكذا، فعليك أيها القريب البشاشة في وجه قريبك والابتسام له حتى وإن تكلفت ذلك ولم يكن ذلك منك على حقيقته.

وانظر المداراة والمسايسة في العلاج الدوائي من هذا الكتاب.

---

[١] بهجة المجالس القسم الأول ص٥٦٧

[٢] كشر السبع عن نابه إذا هرّ للخراش، وكشر فلان لفلان إذا تنمر له وأوعده كأنه سبع.(لسان العرب، مادة: كشر )

[٣] تجهمه وتجهم له : استقبله بوجه كريه (لسان العرب ، مادة : جهم )

[٤] مجمع الأمثال ج ١ص ٥٠٦

[٥] أي لا يخفى نظر المبغض، ولا جن، معناه لا خفاء. والبغضاء البغض. والنظر الشزر: نظر الغضبان بمؤخر العينين. [ديوان المعاني ج١ص٦٩٦/ مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٤٨]

## ٨- التنافس والمنازعة على الرئاسة والشرف والمحامد:

بعض الأقارب تكون له أريحية في فعل الخير ومساعدة الآخرين. ولكن يكدر هذه الخصلة الطيبة حبه للثناء والذكر والمحمدة والشرف بصفة عامة ويتأصل هذا التكدير ويزداد بصفة خاصة إذا وجد من إخوانه وبني عمه وأقاربه منافسين له في هذا المضمار. فتجد هذا القريب يكون كل همه فعل الخير وحب الشكر والذكر ويقوم أحيانا بسؤال الآخرين ما مدى ما أفعله بين الناس وما أثره بينهم ؟ وما مقدار ما يثنون به من حمد أنا أهله وثناء أنا صاحبه أم أنهم جاحدون لمعروفي كافرون لنعمتي والكفر مخبثة لنفس المنعم كما قال عنترة :

نبئت عمرا غير شاكر نعمتي     والكفر مخبثة لنفس المنعم [1]

وينفخ في هذه النار ويذكيها آخرون من الأقارب، من زوجة تحب الخير لزوجها، وأبناء يعجبهم فعل والدهم ، وآخرون حسدة همهم إيقاد العداوات بين الآخرين.

ونجد عند تمكن هذا الداء من بعض الأقارب أن القريب يغضب ويغار من قريبه إذا كثر بره للناس وإحسانه لهم عامة وبين الأقارب خاصة فيتخذ هذا القريب قريبه منافسا وغريما ومن ثم عدوا له وسبب هذه المنافسة والغيرة الحصول على المحامد والشرف.

وهذا السبب من أهم الأسباب التي أدت إلى كفر أبي جهل لعنه الله تعالى فأبو جهل كان على علم ويقين بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه كان يرى أن ما أتى

---

[1] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري، ص ٣٥٥

به النبي صلى الله عليه وسلم يُحدث له[١] ولبني هاشم ذكرا وشرفا[٢] في الدنيا ومجدا وثناء فبنو عبد مناف رهط النبي وبنو مخزوم رهط أبي جهل أبناء عم. فالعائلتان تنافستا في الجاهلية على إطعام الحجيج وسقيهم وكسوتهم وصاروا في مرتبة واحدة من الشرف فمع مجيء نبي من بني هاشم فإنهم ينتقلون نقلة ويرتفعون منزلة لا يدركها بنو مخزوم ولذا قال أبو جهل : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبدا ولا نصدقه[٣].

وقد يبلغ التنافس بين الأقارب مدى بحيث لا يخبر أحد قريبه إذا علم بحالة وفاة قريب أو ذهب لزيارة أحد المرضى الأقارب في المستشفى أو في البيت متمنيا ألا يجد قريبه وكل هذا بسبب أن يظهر هو بمظهر المدح ويُظهر قريبه المنافس له بمظهر الذم والتقصير واللؤم.

---

[١] قال الله تعالى ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝٤﴾ قال القرطبي: روي عن الضحاك عن ابن عباس، قال: يقول لـــه لا ذُكِرتُ إلا ذُكِرتَ معي في الأذان، والإقامة والتشهد، ويوم الجمعة على المنابر، ويوم الفطر، ويوم الأضحى: وأيام التشريق، ويوم عرفة، وعند الجمار، وعلى الصفا والمروة، وفي خطبة النكاح، وفي مشارق الأرض ومغاربها. ولو أن رجلا عبد اللّه جل ثناؤه، وصدق بالجنة والنار وكل شيء، ولم يشهد أن محمدا رسول اللّه، لم ينتفع بشيء وكـــان كافرا. [تفسير القرطبي (طبع دار الشعب) ج ٢٠ ص ١٠٧]

[٢] قال الله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ۝٤٤﴾ أي لشرف لك ولقومك.(تفسير القرآن الكريم ج ٤ ص ١٦٣، والآية : ٤٤ من سورة الزخرف)

[٣] انظر: البداية والنهاية لابن كثير مجلد ٢ ج ٣ ص ٦٢

## ٩- طاعة النساء: [١]

لطاعة النساء دور كبير في إفساد العلاقات بين الأقارب بل بين الإخوة بني الأم الواحدة دعك من بني العلات فبعض النساء تدعو زوجها لعدم مواصلة أقاربه وزيارتهم إلا إذا واصلوه وزاروه وتدعوه إلى عدم تقديم هدية لهم إلا إذا أهدوا إليه وإلى عدم برهم ونفعهم بشيء إلا إذا بروه ونفعوه بشيء ولسان حالها يقول: لا أحد أفضل من أحد ونحن لسنا محتاجين لأحد. فمن يدن منا تدن منه مودتنا ومن ينأ عنا يجدنا نائين عنه. فتجتمع شياطين الجن التي يمكن أن يُصرف كيدها بالاستعاذة بالله منها وشياطين الإنس التي إذا استعذت منها لا تنصرف بل تُثير مشكلة أكبر بأنك شبهتها بالشيطان.

وللنساء تأثير عجيب على الرجال رغم ضعفهن فهن يأمرنهم ويتوصلن إلى ما يردن بخبث ودهاء [٢].

والمرأة غالبا لا تحسن تفسير إكرام زوجها لها تفسيرا صحيحا وتظنه ضعفا منه ويمكنها أن تتنمر عليه إن رأت منه ضعفا قال الشافعي: ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك: المرأة [٣]، والعبد، والفلاح [٤].

وبالتجارب علم أن التسلط وفرض الرأي طبيعة وسجية في المرأة. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهن على مال، ولا تذروهن يدبرن العيال ، فإنهن إن تركن أوردن المهالك، وأزلن الممالك، لا دين لهن

---

[١] قيل: ما أمر العذراء في نوى القوم، ويضرب المثل في ترك مشاورة النساء في الأمور.(مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٩٦)

[٢] قيل عن النساء [محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢١٧ ]:

ويجمعن ضعفا واقتدار على الفتى     أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

[٣] أراد الشافعي رحمه الله : إن محضت لهم الإكرام ولم تخلطه بغلظة وفظاظة في بعض الأوقات. [تحفة العروس ص١٤٧]

[٤] كشف الخفاء، للعجلوني، حديث رقم: ١٠٣٨، قال النجم هو من كلام الشافعي، وليس في المرفوع.

عند لذاتهن، ولا ورع لهن عند شهواتهن، ينسين الخير، ويحفظن الشر، ويتهافتن في البهتان، ويتمادين في الطغيان، ويتصدين للشيطان[1].

وقال ابن المقفع: إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن، واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب خير لك من الارتياب، وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن، فإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل، ولا تُملِّكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها، فإن ذلك أنعم لحالها وأرخى لبالها، وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة، فلا تعْدُ بكرامتها نفسها، ولا تعطها أن تشفع لغيرها، فيميل من شفعت له عليك معها، ولا تطل الخلوة مع النساء فيمللنك وتملهن، واستبق من نفسك بقية، فإن إمساكك عنهن وهن يردنك خير من أن يهجمن منك على انكسار، وإياك والتغاير في غير موضع غيرة، فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم[2].

كما أن على المرأة أن تعرف حدود مسئوليتها داخل بيتها، فلا تتعداها إكراما لنفسها.

## ١٠ - الانتقام والثأر:

إذا أصاب أحد الأقارب دما في أقاربه فطبيعي أن يفكر أحد الأقارب كأخ القتيل أو ابن عمه في أخذ الثأر لقريبه القتيل ويحضه ويشجعه على ذلك أم القتيل وأخواته وعماته وخالاته واصفات حالهن بأنهن لا يرقأ لهن دمع ولا يهنأ لهن مرقد ولا يكتحلن بنوم إلا إذا رأين قاتل ابنهن مقتولا.

### - العوامل التي تؤثر في الثأر:

أمور الثأر تتأثر بعدة عوامل منها:

. اختلاف المجتمع في التعامل مع الثأر فنجد التشدد في أخذ الثأر في القرية

---

[1] محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢١٨

[2] نثر الدر ج ٤ ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨

أكثر منه في المدينة وفي البادية أكثر منه في الحضر وفي البيئة المتدين أصحابها أقل منها في البيئة الجاهل أصحابها.

. التأثر بالتماسك والتفكك القبلي فبعض البلاد تكتنفها العصبية والقبلية وبعضها تكون القبلية والعصبية فيها خفيفة.

. ضعف أسرة القتيل وقوتها أو أسرة القاتل وقوتها مما يؤثر سلبا في التحريض على الأخذ بالثأر أو عدمه.

. يتأثر الثأر بعالم النساء فمن خلال تتبع التاريخ والواقع نلاحظ أن النساء أكثر حبا للانتقام ورغبة في الأخذ بالثأر وزهدا في العفو بل حرصا وتحريضا للرجل على عدم التفريط في الثأر والعفو عن من وتر العائلة وإن جنح الرجل للعفو وقبول الدية تأتي المرأة بعبارات توغر صدرالرجل ضد واتره وتدفعه للانتقام والاتئار دفعا وعدم الركون للعفو ومن ذلك:

أ . كان عبد الله بن معد كرب أخا كبشة لأبيها وأمها دون عمرو وكان عبد الله مر براع للمحزم بن سلمة من بني مالك بن مازن بن زبيد فاستسقاه لبنا فأبى واعتل عليه فشتمه فقتله عبد الله فثأرت بنو مازن بعبد الله فقتلوه وجاءوا إلى عمرو فقالوا: إن أخاك قتله رجل منا سفيه ونحن يدك وعضدك فنسألك الرحم إلا أخذت الدية ما أحببت وهم عمرو بذلك فغضبت كبشة وقالت معيرة عمرا على قبوله الدية:

أرسل عبـــد الله إذ حـــان يـــومه   إلى قـــومه لا تـــعقلوا لهم دمي[1]

ولا تأخذوا مـــنهم إفـــالا وأبكرا   وأتـــرك في بيت بصعدة مظلم[2]

---

[1] إنما تكلمت بهذا الكلام وجعلته على لسان أخيها تحضيضا لهم على إدراك الثأر ويقال عقلت فلانا إذا أعطيت ديته وإنما جعل الدم هو المعقول لأن المراد مفهوم كأنه قال لا تأخذوا بدل دمي عقلا

[2] الأفال جمع أفيل وهو من أولاد الإبل ما بلغ سبعة أشهر وإنما ذكر الأفال والأبكر والدية لا تكون منهما تحقيرا لشأن الدية وقولها وأترك في بيت أي قبر وصعدة مخلاف باليمن وكانوا يزعمون أن القتيل إذا هدر دمه ولم يثأر يبقى قبره مظلما

ودع عنك عمرا إن عمرا مسالم وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم(١)

فإن أنتم لم تـــثأروا واتـــديتم فـــمشوا بآذان النعام المصلم(٢)

ولا تردوا إلا فـــضول نسائكم إذا ارتملت أعـــقابهن من الدم(٣)

ب . ذكر عن أرملة زيادة بن زيد العذري، الذي قتله ابن عمه هدبة خشرم العذري وكان عرض على مسور بن زيادة عشر ديات فأراد مسور أن يختار العفو ويرضى بقبول الدية، فقالت له أمه: والله لئن لم تقتل هدبة لأنكحنه فيكون قد قتل أباك، ثم ينكح أمك فتسب بذلك يد المسند(٤) فلفته ذلك عن مذهبه، ومضى على الاتئار من هدبة وقتله.

ج . حكى ابن الكلبي عن أبي سهل عن أبيه، أن عقيبة(٥) كانت له بنية أو ربيبة، وكان له ابن عم يقال له: تميم بن الأخثم، وكانت له بنية ولعبت هي وابنة عقيبة، فكسرت ابنة تميم ثنية بنت عقيبة، فذهب تميم وجمع أشراف بني أسد، فأتى عقيبة فقال: يا ابن عم إنه قد كان ما ترى فدونك ابنتي فاكسر ثنيتها، وإن شئت فثنيتي، وإن شئت فالعفو، وهي جارية بعد لم تثغر، (٦) وهو ينبت، فقال القوم: أنصفك الرجل.

---

(١) ودع عنك عمرا تريد خالف عمرا إن مال إلى الصلح وأخذ الدية وقولها وهل بطن عمرو الخ تزهيد في الدية

(٢) اتديتم معناه قبلتم الدية وقولها فمشوا إما بفتح الميم ومعناه امشوا وضعف للتكثير أو بضمها ومعناه امـــسحوا بالمشوش وهو منديل يمسح به الدسم وكنت بهذا وما بعده عن الذل والمصلم المجدع الأذنين وقيل الأصم والمعنى إن لم تقتلوا قاتلي وقبلتم ديتي فامشوا أذلاء بآذان مجدعة كآذان النعام لا تسمعون ما يقال فيكم من العار قيل إن النعام كلها صم لا تسمع وليس لها آذان وإنما تعرف ما تحتاج إليه بالشم

(٣) يقال ترمل وارتمل إذا تلطخ بالدم وجعلت النساء متلطخات بدم الحيض تفظيعا للأمر وكان مـــن عـــادتهم إذا وردوا المياه أن تتأخر النساء حتى تصدر كل فرقة عنه فكن يغسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرن آمنات مما يـــزعجهن فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية في الذل ومعنى هذا الكلام أنه لا شرف لكم بعد أخذكم الدية

(٤) المسند: الدهر

(٥) عقيبة بن هبيرة كان جريئا ماضيا وكانت له فتكات واستخفاف بالسلطان.

(٦) ثُغِرَ الغلامُ ثَغْراً: سقطت أَسنانه الرواضع، فهو مثغور. [لسان العرب ، مادة : ثغر ]

فقال: والله لأقتلنه، فأعادوا عليه، فأعاد عليهم مثل ذلك. فقالوا لتميم: قم. وظنوا أنه يلعب. وعرف تميم أنه فاعل، لفتكه وخبثه، فمكث تميم سنة يتحرز منه، فأمسى ذات يوم وهو صائم، فصلى في مسجد قومه ودخل داره، وأغفل الباب أن يغلقه، ودخل عليه عقيبة بالسيف، فضربه حتى قتله، وتصايح الناس وأخذ عقيبة، ورفع إلى مصعب بن الزبير، فسأله فلم يجحد قتله، وكان لتميم ابن يقال له عنبسة، فتى شاب فأعطى فيه منظور دية، وأعطى محمد بن عمير دية، وأعطى قومه دية، وأعطى أبو سمال مائة ألف درهم، فطمع عنبسة في أخذ الدية، فخرجت بنت لتميم حاسرا وهي تقول:

إن يقتل عقيبة يـــال قوم    نسر معاشرا ونسل داءا

وإن يسلم عقيبة يال قوم    نكن خدما لعقبة أو إماءا

لحى الله الـــتي تجتاب منا    وعـــقبة سالم أبدا رداءا

فلما سمع القوم قولها وقد كانوا ركنوا إلى الصلح أحفظهم قولها، ورجعوا عن الصلح فدفعه مصعب إليهم، وجلس مصعب يومئذ في صحن المسجد، واجتمع الناس فقال عقيبة لبنت تميم حين أيقن بالقتل: والله لقد ضربت أباك ضربة نظرت إلى الثريا في سلحه [1]، فقالت: والله لتضربن ضربة أنظر إلى بنات نعش في سلحك، ثم قتل [2].

## ـ وقفات مع الثأر :

**ـ وصية الآباء الأبناء بعدم الاعتداء والظلم لأن الثأر لا ينسى والدم لا يترك:**

في المجتمع العربي القديم لو أخذناه مثلا ويمكن لكل فرد مقارنة مجتمعه الكبير أو الصغير به ، نجد الثأر من الأمور التي لا يتهاون فيها أحد بل يحض عقلاء المجتمع أبناءهم وذويهم لعدم وتر الناس في أقاربهم وذويهم لعدم تفريطهم في ذلك لأن

---

[1] السَّلْحُ: اسم لذي البَطْنِ، وقيل: لما رَقَّ منه من كل ذي بطن، وجمعه سُلُوح وسُلْحانٌ . [لسان العرب ، مادة : سلح]

[2] المحبر ص ٢١٨ ــ ٢٢١

الثأر دين والديون تقضى وإن مطلها صاحبها فترة من الزمان يقول يزيد بن الحكم الثقفي في وصيته لابنه بدر وأنه ينبغي له أن لا يوتر إنسانا في أحد لأن أصحاب الثأر لن يدعونه مهما طال زمنه أو قصر:

والتبل مثل الدين تُقــ ضاه وقد يلوي الغــريم[١]

**ـ سخرية المجتمع من الزواج بين الواتر والموتور :**

يسخر المجتمع من المرأة إن تزوجت قاتل أحد أقاربها كأبيها أو زوجها أو أخيها ومن ذلك ما قاله عمارة بن عقيل معيرا بني منقذ مشبها لهم بامرأة سماها باسمها تزوجت واترها:

بني منقذ لا آمن الله خوفكم وزادكم ذلا ورقــة جــانب[٢]

فمن يرتجيكم بعد نائلة التي دعت ويلها لما رأت ثار غالب[٣]

دعته وفي أثوابه من دمائها خليطا دم من ثوبه غير ذاهب[٤]

وقال المخبل السعدي يهجو الزبرقان بن بدر حين زوج أخته خليدة:

---

[١] التبل الثأر ويلوي يمطل والغريم من له الدين والمعنى أن طلب الثأر كالدين الذي لا بد من قضائه وقبــضه ممــن عليه وقد يبطئ أخذ الثأر كما يمطل الغريم بدينه.[ديوان الحماسة ج ٢ ص ٤٥ ــ ٥٠]

[٢] ورقة جانب أي ضعف جانب يهجوهم ويدعو عليهم بما يزيدهم خوفا وذلا

[٣] نائلة اسم امرأة زوجت قاتل أبيها أو أخيها فعيرهم عمارة ذلك ودعت ويلها أي صاحت بالويل وغالب هــو أخوها أو أبوها أي صاحت لما رأت ثأر غالب أبيها أو أخيها والمعنى كيف يرجى منكم الخير وتكونون مــن أهلــه ومنكم نائلة التي زوجت قاتل أبيها أو أخيها فأورثتكم بذلك عارا لا يفارقكم.

[٤] دعته أي دعت الويل وفي أثوابه أي أثواب زوجها لها خليطا دم تثنية خليط أي دمان مختلطان الأول دم أخيهــا أو أبيها والثاني دم عذرتها والمعنى أنها صاحت بالويل لما رأت ثأر غالب وفي أثواب زوجها من دم غالب ودم بكارتها ما لا يذهب ذكره ويبقى عاره إلى الأبد. [الحماسة ج ٢ ص ١٨١ ]

وأنكحت هزالا خليدة بعدما زعمت برأس العين أنك قاتلــه
أنكحته رهوا كــأن عجانها مَشَقٌّ إهاب أوسع الشق ناجله

وكان هزال قتل ابن أمية في جوار الزبرقان وارتحل إلى رأس العين فحلف الزبرقان ليقتلنه، ثم أنه إنه بعد ذلك زوجه أخته، فقالت امرأة المقتول تهجو الزبرقان:

تحلل خزيها عوف بن كعب فليس لخُلفِها منــه اعتذار
بــرأس العين قاتل من أجرتم من الخابور مرتعــه السِّرار (١)

## ـ زواج المرأة من واترها رغبة في الاتئار منه:

قد تلجأ المرأة للزواج ممن قتل حميمها رغبة في الانتقام منه قال ابن كثير : اتفق في أيام المعتمد والي دمشق أن رجلا حائكا كان له ولد صغير في آذانه حلق فعدا عليه رجل من جيرانهم فقتله غيلة وأخذ ما عليه من الحلي ودفنه في بعض المقابر فاشتكوا عليه فلم يقر فبكت والدته من ذلك وسألت زوجها أن يطلقها فطلقها فذهبت إلى ذلك الرجل وسألته أن يتزوجها وأظهرت له أنها أحبته فتزوجها ومكثت عنده حينا ثم سألته في بعض الأوقات عن ولدها الذي اشتكوا عليه بسببه فقال نعم أنا قتلته فقالت أشتهي أن تريني قبره حتى أنظر إليه فذهب بها إلى قبر خشنكاشه ففتحه فنظرت إلى ولدها فاستعبرت وقد أخذت معها سكينا أعدتها لهذا اليوم فضربته حتى قتلته ودفنته مع ولدها في ذلك القبر فجاء أهل المقبرة فحملوها إلى الوالي المعتمد هذا فسألها فذكرت له خبرها فاستحسن ذلك منها وأطلقها وأحسن إليها (٢).

## ـ اعتقاد العرب خروج طائر من رأس القتيل الذي لم يؤخذ بثأره:

في اعتقاد العرب أن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة فيصيح على قبره: اسقوني اسقوني فإن قتل قاتله كف ذلك الطائر قال ذو الإصبع العدواني:

---

(١) لسان العرب، مادة: رأس / الشعر والشعراء ج ١ ص ٤٢٠

(٢) البداية والنهاية ج ١٣ ص ١١٥

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي   أضربك حتى تقول الهامة اسقوني[١]

وقد أبطل الإسلام هذه العقيدة وذلك في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ[٢].

## ـ نسيان نعمة المنعم في طلب الأوتار:

أخذ الثأر يعمي المرء عن إحسان الآخرين إليه فيكون ذهن الثائر منصبا في أخذ ثأره وشفاء نفسه والاتئار ممن وتره، وإعادة شرف القبيلة الضائع ورد الاعتبار للشخص المقتول، قال أبو عبيدة: إن آخر من قتل في حرب بكر وتغلب جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان وهو قاتل كليب بن ربيعة وكانت أخته تحت كليب فقتله جساس وهي حامل فرجعت إلى أهلها ووقعت الحرب فكان من الفريقين ما كان ثم صاروا إلى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت أخت جساس غلاما فسمته الهجرس ورباه جساس فكان لا يعرف أبا غيره وزوجه ابنته فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام فقال له البكري ما أنت بمنته حتى نلحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيبا فسألته عما به فأخبرها الخبر فلما أوى إلى فراشه ونام إلى جنب امرأته وضع أنفه بين ثدييها فتنفس تنفسة تنفط ما بين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فزعة قد أقلتها رعدة حتى دخلت على أبيها فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس ثائر ورب الكعبة وبات جساس على مثل الرضف حتى أصبح فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له إنما أنت ولدي ومني بالمكان الذي قد علمت وقد زوجتك ابنتي وأنت معي وقد كانت الحرب في أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وأن تنطلق حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا فقال الهجرس أنا فاعل ولكن مثلي لا يأتي قومه إلا بلأمته وفرسه فحمله

---

[١] الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ١٧٨ / انظر: المخالفات الشرعية في الأشعار العربية

[٢] صحيح البخاري، كتاب الطب، بَاب: لَا هَامَةَ، حديث رقم: ٥٤٣٧/ صحيح مسلم: كتاب السلام، باب: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، ولا نوء ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح، حديث رقم: ٢٢٢٠

جساس على فرس وأعطاه لأمة ودرعا فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ثم قال وهذا الفتى ابن أختي قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال وفرسي وأذنيه ورمحي ونصليه وسيفي وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه ثم طعن جساسا فقتله ثم لحق بقومه فكان آخر قتيل في بكر بن وائل [(١)].

## ـ إيذاء النفس والتمثيل بها طلبا للثأر:

قد يلجأ الآخذ بالثأر إلى الحيلة وإيذاء نفسه حتى ينال ما يريد ويحقق ما يرغب فيه في شفاء نفسه واشتفائها وأصدق مثال قصة قصير وجدع أنفه وقطع أذنيه حتى يثأر من الزباء [(٢)] التي قتلت جذيمة، ومن أمثالهم في هذا الشأن: خَطْبٌ يَسِيرٌ في خَطْب كَبِيرٍ : قاله قَصير بن سَعْد اللَّخْمي لِجَذِيمة بن مالك بن نَصْر الذي يقال له: جَذِيمة الأبرش وجذيمة الوَضَّاح والعرب تقول للذي به البَرَصُ: به وَضَح تفادياً من ذكر البرص وكان جذيمة مَلِكَ ما على شاطئ الفرات وكانت الزبَّاء ملكةَ الجزيرة وكانت من أهل باجرمى [(٣)] وتتكلم بالعربية وكان جَذِيمة قد وتَرها بقتل أبيها فلما استجمع أمرُها وانتظم شمل ملكها أحَبَّتْ أن تغزو جَذيمة ثم رأت أن تكتب إليه أنها لم تجد مُلْكَ النساء إلا قُبْحاً في السَّمَاع وضَعْفا في السلطان وأنها لم تجد لملكها موضعا ولا لنفسها كفؤا غيرك فأقْبِلْ إليَّ لأجْمَعَ ملكي إلى ملكك وأصِلَ بلادي ببلادك وتقلد أمري مع أمرك تريد بذلك الغَدْر . فلما أتى كتابُهَا جذيمةَ وقدم عليه رسُلُها استخفَه ما دَعَتْه إليه ورَغِبَ فيما أطمعته فيه فجمع أهلَ الحِجا والرأي من ثقاته وهو يومئذ ببَقَّةَ من شاطئ الفرات فعرض عليهم ما دعته إليه وعرضت عليه فاجتمع رأيهم على أن

---

(١) الأغاني ج ٥ ص ٦٥ ــ ٦٩

(٢) الزَّبَبُ في الناس كَثرَةُ الشَّعَرِ في الأُذنين والحاجبين، وفي الإبل: كَثرةُ شَعَرِ الأُذنين والعينين.

(٣) توجد منطقة بتشاد أو إقليم يسمى شارلي باقرمي فلعلها أن تكون هي

يسير إليها فيستولي على ملكها وكان فيهم قَصير وكان أرِيبا حازما أثيراً عند جَذيمة فخالفهم فيما أشاروا به وقال: رأي فاتر وغَدْر حاضر فذهبت كلمته مثلا ثم قال لجذيمة: الرأيُ أن تكتب إليها فإن كانت صادقةً في قولها فَلْتُقْبِل إليك وإلا لم تمكنها من نفسك ولم تَقَعْ في حبالتها وقد وَتَرْتَها وقتلتَ أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به ودعا جَذيمة عمرو بن عَدِيٍّ ابنَ أخته فاستشاره فشجَّعه على المسير وقال: إن قومي مع الزباء ولو قد رَأَوْكَ صاروا معك فأحَبَّ جذيمةُ ما قاله وعصى قصيرا فقال قصير: لا يُطَاع لقَصِير أمرٌ فذهبت مثلا واستخلف جذيمةُ عمرَو بن عديٍّ على ملكه وسلطانه وجعل عمرو بن عبد الجن معه على جنوده وخيوله وسار جذيمةُ في وُجُوه أصحابه فأخذ على شاطئ الفُرَات من الجانب الغربي فلما نزل دعا قصيرا فقال: ما الرأيُ يا قصير؟ فقال قصير: " ببقَّةَ خَلَّفْتُ الرأي فذهبت مثلا قال: وما ظَنُّكَ بالزباء؟ قال: القول رادف والحزم عثَرَاتُه تُخَاف فذهبت مثلا واستقبله رسُلُ الزباء بالهَدَايا والألطاف فقال: يا قصير كيف ترى؟ قال: خَطْبٌ يسير في خَطْب كبير فذهبت مثلا وسَتَلْقَاكَ الجيوشُ فإن سارت أمامك فالمرأة صادقة وإن أخَذَتْ جنبتيك وأحاطت بك من خلفك فالقومُ غادرون بك فارْكَبِ العصا فإنه لا يُشَقُّ غُبَاره فذهبت مثلا وكانت العصا فَرَساً لجذيمة لا تُجَارى وإني راكبُها ومُسَايرك عليها فلقيته الخيولُ والكتائب فحالت بينَهُ وبين العصا فركبها قصير ونظر إليه جذيمة على مَتْن العصا مُوَلِّيا فقال: وَيْلُ أمه حَزْماً على متن الْعَصَا فذهبت مثلا وجرت به إلى غروب الشمس ثم نَفَقَتْ وقد قطعت أرضا بعيدة فبنى عليها بُرْجاً يقال له: بُرْجُ العصا وقالت العرب: خَيْرٌ ما جاءت به العصا فذهبت مثلا وسار جَذيمة وقد أحاطت به الخيلُ حتى دخل على الزباء فلما رأته تكشفت فإذا هي مَضْفُورة الإسب فقالت: يا جذيمة أدأب عروس ترى؟ فذهبت مثلا فقال جذيمة: بَلَغ المَدَى وجفَّ الثَّرَى وأمْرَ غَدْرٍ أرى فذهبت مثلا. ودعت بالسيف والنِّطْع ثم قالت: إن دماء الملوك شِفَاء من الكَلَب فأمرت بطَسْت من ذهب قد أعَدَّته له وسَقَتْه الخمر حتى سَكِر وأخذت الخمر منه مأخذها فأمرت بِرَاهِشَيْه فقُطِعا وقَدَّمت إليه الطستَ وقد قيل

لها: إنْ قَطَر من دمه شيء في غير الطَّسْت طُلِب بدمه وكانت الملوك لا تُقْتَل بضرب الأعناق إلا في القتال تَكْرِمةً للملك فلما ضعفت يَدَاه سقطَتَا فقَطَر من دَمه في غير الطست فقالت: لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة: دَعُوا دَماً ضيعه أهله فذهبت مثلا فهلَكَ جَذيمة وجعلت الزباء دمه في ربعة لها وخرج قصير من الحي الذي هلكت العصا بين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عَدِيٍّ وهو بالحِيرَة فقال له قصير: أثائر أنت؟ قال: بل ثائر سائر فذهبت مثلا ووافق قصير الناس وقد اختلفوا فصارت طائفة مع عمرو بن عدي اللَّخْمي وجماعة منهم مع عمرو بن عبد الجن الجَرْمي فاختلف بينهما قصير حتى اصطلحا وانْقَاد عمرو بن عبد الجن لعمرو بن عدي فقال قصير لعمرو بن عدي: تَهَيَّأْ واستعدَّ ولا تُطِلَّنَّ دم خالك قال: وكيف لي بها وهي أمْنَعُ من عُقَاب الجو؟ فذهبت مثلا وكانت الزباء سألت كاهنةً لها عن هلاكها فقالت: أرى هلاكك بسبب غلام مَهِين غير أمينٍ وهو عمرو بن عدي ولن تموتي بيده ولكن حَتْفك بيدك ومن قِبَله ما يكون ذلك فحذِرَتْ عمرا واتخذت لها نَفَقاً من مجلسها الذي كانت تجلس فيه إلى حصن لها في داخل مدينتها وقالت: إن فَجَأني أمرٌ دخلت النفق إلى حصني ودعت رجلا مُصَوِّرا من أجْوَد أهل بلاده تصويراً وأحسنهم عملا فجَهّزَتْه وأحسنت إليه وقالت: سِرْ حتى تُقْدم على عمرو بن عدي متنظرا فتخلوا بحَشَمه وتنضمّ إليهم وتُخَالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ثم أثبِتْ لي عمرَو بن عدي معرفة فصَوِّرْهُ جالساً وقائما وراكبا ومتفضلا ومتسلحاً بهيئته ولبسته ولونه فإذا أحكمت ذلك فأقبِلْ إلي فانطَلَقَ المصور حتى قدم على عمرو بن عدي وصنع الذي أمرته به الزباء وبلغ من ذلك ما أوْصَتْه به ثم رجع إلى الزباء بعلم ما وجَّهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدي فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرته وعلمت علمه فقال قصير لعمرو بن عدي: اجْدَعْ أنْفِي واضرب ظَهْرِي ودعني وإياها فقال عمرو: ما أنا بفاعلٍ وما أنت لذلك مُسْتَحِقا عندي فقال قصير: خَلِّ عني إذن وخَلاَك ذم فذهبت مثلا فقال له

عمرو: فأنت أبْصَرُ فجَدَعَ قصير أنفه وأثر آثارا بظهره فقالت العرب: لِمَكْرٍ ما جَدَعَ قصير أنفه وفي ذلك يقول المتلمس:

وفِي طَلَبِ الأَوْتَارِ ما حَزَّ أنْفَهُ قَصِير ورَام الموتَ بالسيف بَيْهَسُ

ثم خرج قصير كأنه هارب وأظهر أن عمراً فعل ذلك به وأنه زعَم أنه مَكَر بخاله جَذيمة وغَرَّه من الزباء فسار قصير حتى قدم على الزباء فقيل لها: إنَّ قصيراً بالباب فأمرت به فأدخل عليها فإذا أنفُه قد جُدِع وظهره قد ضرب فقالت: ما الذي أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو أني قد غررت خاله وزينت له المَصِيرَ إليك وغَشَشته ومالأتُكِ ففعل بي ما تَرَيْن فأقبلت إليك وعرفْتُ أني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فأكرمَتْه وأصابَتْ عنده من الحزم والرأي ما أرادت فلما عرف أنها استرسلت إليه ووثِقْت به قال: إن لي بالعراق أموالا كثيرة وطَرَائِفَ وثياباً وعِطْراً فابعثيني إلى العراق لأحملَ مالي وأحملَ إليك من بُزُوزها وطَرَائفها وثيابها وطِيبها وتُصِيبِينَ في ذلك أرباحا عِظاما. وبعضَ ما لا غنى بالملوك عنه وكان أكثر ما يطرفها من التمر الصَّرَفان وكان يُعْجبها فلم يزل يُزَيِّنُ ذلك حتى أذنت له ودفعت إليه أموالا وجَهَّزتْ معه عَبيدا فسار قصير بما دفعت إليه حتى قَدِمَ العراق وأتى الحِيرَة متنكرا فدخل على عمرو فأخبره الخبَرَ وقال: جهزني بصنوف البز والأمتعة لعل اللّه يمكن من الزباء فتصيبَ ثأرك وتقتلَ عدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك إلى الزباء فأعجبها ما رأت وسَرَّها وازدادت به ثِقَةً وجَهّزته ثانية فسار حتى قدم على عمرو فجَهّزه وعاد إليها ثم عاد الثالثة وقال لعمرو: اجْمَعْ لي ثقات أصحابك وهَيِّئْ الغَرَائر والمُسُوح واحْمِلْ كلَّ رجلين على بعير في غرارتين فإذا دخلوا مدينة الزباء أقَمْتُكَ على باب نَفَقِها وخرجَتِ الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه وإن أقبلت الزباء تُرِيدُ النفَق جَلَّلْتَهَا بالسيف ففعل عمرو ذلك وحمل الرجالَ في الغرائر بالسلاح وسار يَكْمُنُ النهارَ ويسير الليل فلما صار قريباً من مدينتها تقدَّمَ قصير فبشَّرَها وأعلمها بما جاء من المتاع والطرائف وقال لها: آخِرُ البَزِّ على القَلُوص فأرسلها مثلا وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جاء به وقال

لها: جئْتُ بما صَاءَ وصَمَت فذهبت مثلا ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبلَ تكاد قوائمُهَا تَسُوخ في الأرض من ثقل أحمالها فقالت: يا قصير

ما لِلْجِمَالِ مَشْيُهَا وَئِيدَا أَجَنْدَلاً يَحْمِلْنَ أَمْ حَدِيدا

أَمْ صَرَفَاناً تَارِزاً شَدِيدا

فقال قصير في نفسه:

بل الرِّجَالَ قُبَّضاً قُعُودا

فدخلت الإبلُ المدينةَ حتى كان آخرها بعيراً مَرَّ على بواب المدينة وكان بيده مِنْخَسَة فنَخَس بها الغَرَارة فأصابت خاصِرَةَ الرجل الذي فيها فَأحدث فقال البواب: شَرٌّ في الْجُوالِق فأرسلها مثلا فلما توسَّطت الإبل المدينة أُنِيخَتْ ودل قصير عمرا على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله وأرته إياه قَبْلَ ذلك وخرجت الرجالُ من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفَق وأقبلت الزباء تريد النفق فأبصرت عمراً فعرفته بالصورة التي صُوِّرت لها فمصَّتْ خاتمها وكان فيه السم وقالت: بِيَدِي لا بِيَدِ ابنِ عَدِيٍّ فذهبت كلمتها مثلا وتلقاها عمرو فجلَّلها بالسيف وقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها وانكفأ راجعاً إلى العراق [1].

## ـ تعلق الجميع بأخذ الثأر حتى الحمقى والمغرورين:

الحمقى والمغفلون والمغرورون رغم ما بهم من علل وآفات لا يغفلون عن الاتئار ممن وترهم، ومن أمثالهم: ثُكْلٌ أَرْأَمَهَا وَلَدًا، قاله بَيْهس الملقب بِنَعَامة لأمه حين رجع إليها بعد إخوته الذين قُتِلوا وكان من حديثه: أنه كان رجُلاً من بني فَزَارة بن ذُبْيَان بن بَغيض وكان سابعَ إخْوَةٍ. فأغار عليهم ناسٌ من أَشْجَع بينهم وبينهم حرب وهو في إبلهم فَقتَلوا منهم ستة وبقي بَيْهَسٌ وكان يُحَمَّقُ وكان أَصْغَرَهم فأرادوا قتله ثم قالوا: وما تريدون من قتل هذا؟ يُحْسَبُ عليكم برجل ولا خير فيه فتركوه فقال: دعوني أتوصَّلُ معكم إلى الحي فإنكم إن تركتموني وَحْدِي أكلتني السباع وقَتَلَنِي العطش

---

[1] مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٣٣ ـــ ٢٣٦رقم : ١٢٥٠

ففعلوا فأقبل معهم فلما كان من الغدِ نزلوا فَنَحَروا جَزُوراً في يومٍ شديدِ الحر فقالوا: ظلِّلُوا لَحْمكم لا يفسد. فقال بيهس: لكنَّ بالأثَلاَت لحماً لا يُظَلَّل فذهبت مثلا فلما قال ذلك قالوا: إنه لمُنْكَر وَهَمُّوا أن يَقْتلوه ثم تركوه وظلُّوا يَشْوُون من لحم الجزور ويأكلون فقال أحدهم: ما أَطْيَبَ يومَنَا وأَخْصَبَه فقال بيهس: لكنْ على بَلْدَح قومٌ عَجْفَى فأرسلها مثلا ثم انْشَعَبَ طريقَهم فأتى أُمَّه فأخبرها الخبر. قالت: فما جاءَني بك من بين إخوتك؟ فقال بيهس: لو خُيِّرْتِ لاخْتَرْتِ فذهبت مثلا ثم إن أمه عَطَفَت عليه ورقَّتْ له فقال الناس: لقد أحبَّتْ أم بيهسٍ بيهساً. فقال بيهس: ثكلٌ أَرْأَمَهَا ولدا أي عَطَفَها على ولد فأرسلها مثلا ثم إن أمه جَعَلَت تُعطيه بعد ذلك ثيابَ إخوته فيَلْبَسُها ويقول: يا حَبَّذَا التراثُ لولا الذلَّة فأرسلها مثلاً ثم إنه أتى على ذلك ما شاء الله فمر بنسوة من قومه يُصْلِحْنَ امرأةً منهن يُرِدْنَ أن يُهْدِينَهَا لبعض القوم الذين قَتَلُوا إخوته فكشَفَ ثوبه عن اسْتِهِ وغطى به رأسه فقلن له: ويحك ما تصنع يا بيهس؟ فقال:

أَلْبَسْ لكلِّ حَالَةٍ لَبُوسَها        إمَّا نعيمَهَا وإما بُوسَهَا

فأرسلها مثلا ثم أمر النساء من كنانة وغيرها فصنَعْنَ له طعاماً فجعل يأكل ويقول: حَبَّذَا كثرةُ الأيْدِي في غير طعام فأرسلها مثلاً فقالت أمه: لا يطلبُ هذا بثأرٍ أبداً فقالت الكنانية: لا تأْمَنِي الأحْمَقَ وفي يَدِهِ سكين فأرسلتها مثلا ثم إنه أخبر أن ناساً من أَشْجَعَ في غارٍ يشربون فيه فانطلق بخالٍ له يقال له: أبو حَنَش فقال له: هل لك في غارٍ فيه ظِباء لعلنا نصيبُ منها ثم انطلق بَيْهَس بخاله حتى أَقَامَهُ على فَمِ الغار ثم دفع أبا حنَشٍ في الغار فقال: ضَرْباً أبا حَنَشٍ فقال بعضهم: إن أبا حَنَشٍ لَبَطَل فقال: أبو حنش: مُكْرَهٌ أَخُوكَ لا بَطَل فأرسلها مثلا قال المتَلمِّسُ في ذلك:

وَمِنْ طَلَبِ الأوْتَارِ مَـا حَزَّ أَنْفَهُ        قَصِيْر وَخَاضَ المَوْتَ بالسَّيْفِ بَيْهَسُ

نَـعَامةُ لمـا صَرَّعَ القومُ رَهْطَهُ        تـبيَّنَ فِـي أَثْـوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ[1]

---

[1] مجمع الأمثال ، ج ١ ص ١٥٢ ، رقم : ٧٧١

## ـ أخذ قتيل ثأره ممن قتله :

ومن الغرائب أن أحد القاتلين أخذ بثأره ممن قتله وهو : أنه لما أراد شيرويه قتل أبيه إبرويز قال إبرويز للداخل عليه ليقتله إني لأدلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك علي قال وما هو؟ قال: الصندوق الفلاني فلما قتله وذهب إلى شيرويه وأخبره الخبر فأخرج الصندوق فإذا فيه حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة أبكار وكان لشيرويه غرام في الباءة فتناول منه حبة فهلك من ساعته فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثأره من قاتله [١].

## ـ بعض قواعد الثأر عند العرب :

للثأر عند العرب نظام وقواعد متبعة منها:

. وجوب الأخذ به وعدم تركه والتساهل به.

وأن الثأر الذي لم يأخذ به صاحبه فعليه أن:

. يمتنع عن شرب الخمر وأنها تحل له بعد أخذ ثأره.

. يترك رأسه شعثا وجسمه وسخا فلا يغتسل من احتلام ولا يقرب امرأته حتى يأخذ بثأره.

قال امرؤ القيس يذكر أن الخمر حلت له بعد أخذه بثأر أبيه :

حلت لي الخمر وكنت امرأ   عن شربها في شغل شاغل[٢]

فاليوم أشرب غير مستحقب   إثما من الله ولا واغل[٣]

وقال رجل من كندة في ذلك :

---

[١] المستطرف ج ٢ ص ٢٠١

[٢] وذلك أنه حلف ألا يشرب الخمر حتى يدرك بثأر أبيه.

[٣] غير مستحقب: غير مستوجب. الواغل : الداخل في قوم وليس منهم والواغل في الخمر والوارش في الطعام، وهو مثل الطفيلي والطفيلي مولد في كلام العرب. [شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري ، ص ١٠]

سائل بـــني أسد بمقتل ربـــهم ... حجر بن أم قطام عزّ قتيلا[١]

إذا سار ذو التاج الهمام بجحفل ... لجب يجاوب حجرتيه قتيلا[٢]

حتى أبال الخـــيل في عرصاهم ... فشفى وزاد على الشفاء غليلا

أحمى الدروع لهم فسربلهم بها ... والنار كـــحّلهم بها تـــكحيلا

والبيض ألبسهم شديدا حرها ... فـــكفى ذلك بالعداء تنكيلا

وأقام يسقى الخمر في عرصاهم ... مـــلك يـــعل شـــرابه تعليلا

حلت له من بعد تـــحريم لها ... أو أن يمس الرأس منه غسيلا[٣]

**. أقوياء القبائل لا يرضون بغير سفك دم القاتل ويأبون الصلح مؤثرين القتل والاثئار عليه، قال أحدهم يصف رفض أقوام للدية وتصميمهم للاثئار من قاتل قتيلهم :**

لو كان حـــيا يقبل المال فدية ... لســـقنا لهم ســـيلا من المال مفعما [٤]

ولكن أبى قوم أصيب أخوهم ... رضا العار فاختاروا على اللبن الدما [٥]

**وقد يقبل أقوياء القبيلة العقل ويرضون بالدية لاستضعافهم أمام اجتماع مجموعة القبائل عليهم فيرون عدم مقدرتهم على قتال جميع القبائل فيرضون مكرهين ويقبلون مرغمين وكان هذا ما يفكر فيه أهل مكة عندما اجتمعوا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وذلك بأخذ أربعين شابا جلدا يضربون النبي**

---

(١) الرب: السيد. عز قتيلا : معناه عظم شأنه وغلب حزنه.

(٢) ذو التاج: يعني امرأ القيس . والهمام: السيد. والجحفل: الجيش. واللجب : الكثير الصوت. وحجرتاه : ناحيتاه وجانباه.

(٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري ص ١٠

(٤) المال يراد به هنا الإبل ونكر الحي وهو يقصد حيا بعينه لأن المراد كان مفهوما عند من عرف قصته وقوله سيلا من المال مفعما كنى به عن الكثرة ومعنى البيت لو كانت معاملتنا مع حي يرى قبول المال فداء لأرضـــيناه بالمـــال الكثير

(٥) اللبن كناية عن الإبل التي تؤدى في الدية لأنه منها والمعنى امتنع قوم أصبنا صاحبهم من الرضا بالديـــة وآثـــروا طلب الدم على قبول الدية

صلى الله عليه وسلم ضربة رجل واحد معللين ذلك بأنه لا يستطيع بنو عبد المطلب قتال جميع القبائل فيرضون منا بالعقل فنعقله لهم.[١]

وقد يكون القاتلون من الأقوياء ولكن كثرت جرياتهم وتعددت جناياتاهم وسفكهم للدماء على أقوامهم وعقلت عنهم أقوامهم عدة مرات ولكنهم لم يرعووا وزجرتهم فلم ينزجروا فتأتي أقوامهم في الموسم فتتبرأ منهم وتخلعهم ويجتمع هؤلاء الخلعاء مكونين ما عرف في المجتمع العربي باسم الصعاليك.

. ضعاف القبائل وهي تؤثر الصلح وترضى بأخذ الدية ولكنها لا تفعل ذلك علانية بل تحتال لذلك ، مما يتضح لنا في قول الشاعر :

عقوا بسهم فلم يشعر به أحد    ثم استفاءوا وقالوا حبذا الوضح [٢]

والتعقية: أن يرموا بالسهم في الهواء إشعارا أنهم قبلوا الدية، قالت الأعراب: إن أصل هذا أن يقتل رجل من القبيلة فيطالب القاتل بدمه، فتجتمع جماعة من الرؤساء إلى أولياء القتيل ويعرضون عليهم الدية ويسألونهم العفو عن الدم، فإن كان وليه قويا حميا أبى أخذ الدية، وإن كان ضعيفا شاور قبيلته، فيقول للطالبين: إن بيننا وبين خالقنا علامة للأمر والنهي، فيقول الآخرون: وما علامتكم؟ فيقولون نأخذ سهما فنركبه على قوس ثم نرمي به نحو السماء، فإن رجع إلينا ملطخا بالدم فقد نهينا عن أخذ الدية، وإن رجع نقيا كما صعد فقد أمرنا بأخذ الدية، يخيلون بذلك على الجهال ، فلم يرجع هذا السهم قط إلا نقيا.[٣]

وهناك من أقوياء الأفراد من تكون ديته مضاعفة [٤]وذلك لعزه [١]وقوته [٢].

---

[١] انظر : تفسير الطبري ج ٩ ص ٢٣٠

[٢] أي حبذا اللبن نشربه ولا نقاتل.

[٣] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري ص ٣٠٧

[٤] قال أبو عبيدة: اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حجر بن عمرو والد امرئ القيس إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه أو يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد أو يمهلهم حولا فقال أما الدية فما ظننت أنكم

ويفتخرون بأن مكانتهم لم تقل بين الناس ولذا لم تنقص ديتهم [٣]، كما أن بعضهم كان يدي بالغنم دون الإبل [٤].

أو كان بعضهم يجاهر ويستنكف عن مساواته بالآخرين في القصاص ومن ذلك أن جبلة[٥] بن الأيهم كان يطوف بالبيت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ وطئ على إزاره رجل من بني فزارة فحلّه فالتفت إليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب فبعث إليه فقال: ما دعاك إلى أن لطمت أخاك هذا الفزاري فهشمت أنفه؟

فقال: إنه وطئ إزاري فحله ولولا حرمة هذا البيت لأخذت الذي فيه عيناه فقال له عمر: أما أنتَ فقد أقررتَ إما أن تُرْضِيَه وإلا أقَدّتُه منك قال :أتقيده مني وأنا ملك وهو سُوقة؟ قال: يا جبلة إنه قد جمعك وإياه الإسلام فما تفضله بشيء إلا بالتقى قال:

---

تعرضوها على مثلي وأما القود فلو قيد إلي ألف من بني أسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤا لحجر وأما النظرة فلكم ثم ستعرفونني في فرسان قحطان أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة حتى أشفي نفسي وأنال ثأري.[ الأغاني ج ٢٢ ص ٨٧]

[١] قال ابن إسحاق : كان بنو الأسود بن رزن يودون في الجاهلية ديتين ديتين ونودى دية دية لفضلهم فينا. [السيرة النبوية ج ٥ ص ٤٣ ]

[٢] قال هشام بن عقبة أخو ذو الرمة : شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم في دم فتكلم فيه وقال احتكموا قالوا نحتكم ديتين. قال : ذاك لكم فلما سكتوا قال أنا أعطيكم ما سألتم فاسمعوا إن الله قضى بدية واحدة وإن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بدية واحدة وإن العرب تعاطى بينها دية واحدة وأنتم اليوم تطالبون وأخشى أن تكونوا غدا مطلوبين فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم قالوا ردها إلى دية. [سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٩٣]

[٣] قيل : هم على مَعاقِلِهِم الأولَى، أي: الدِّيات التي كانت في الجاهلِيَّة، أو على مَراتِبِ آبائِهِم. وعِقالُ المِئينَ، ككتابٍ: الشريفُ الذي إذا أُسِرَ، فُدِيَ بمِئينَ من الإِبِلِ. [القاموس المحيط ، باب اللام فَصْلُ العَيْن]

[٤] قال أبو الفرج المثلم بن رياح هو الذي قتل رجلا كان في جوار الحارث بن ظالم المري فطلبه الحارث فلحق بالحصين بن الحمام فأجاره فبلغ ذلك الحارث فطلب الحصين بدم حباشة الذي قتله المثلم فسأل في قومه وجيرانه فقالوا إنا لا نعقل بالإبل ولكن إن شئت أعطيناك الغنم.

[٥] جبلة بن الأيهم الغساني ملك نصارى العرب، كنيته أبو المنذر الغساني الجفني آخر ملوك غسان.

والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعزّ مني في الجاهلية. قال عمر: دع عنك ذلك قال: إذن أتنصر قال: إن تنصرتَ ضربتُ عنقك قال: واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنة فقال جبلة: أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين قال: ذلك لك.

فلما كان جُنْحَ الليل خرج جبلة وأصحابه فلم يَئِن حتى دخل القسطنطينية على هِرَقْل فتنصّر وأقام عنده وأعظم هرقل قدوم جبلة وسر بذلك وأقطعه الأموال والأرضين والرباع.[١]

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير مجلد ٤ ج ٨ ص ٦٦ / العقد الفريد لابن عبد ربه ج١ص ٣١٠ ــ ٣١٥

# الباب الثاني

## آثار الخلافات بين الأقارب

١ . اتخاذ القريب العداوة مبدأ

٢ . قطع الأرحام

٣ . القطيعة والهجر بين الأقارب

٤ . تشتت شمل الأقارب والإصابة بالذل والهوان

٥ . السب والشتم ودفن الحسنات وإشاعة السيئات

٦ . المكايدات والانتقام

٧ . عدم الاكتراث لمصاب الأقارب

٨ . الدعاء على الأقارب

٩ . إلقاء تبعة العقوق والخلاف على الأم إن كانت غريبة

١٠. عدم المقدرة على إخفاء الخلاف والعداوة

١١ . تحير القريب اللصيق مع من يقف عند نشوب خلاف

١٢ . إلصاق التهم الباطلة بالقريب بغية إسقاطه

١٣ . الاحتراب والاقتتال

# الباب الثاني

## آثار الخلاف بين الأقارب

لا شك أن للخلاف والضغائن بين الأقارب آثارا سلبية ليس عليهم فقط بل على أبنائهم وأحفادهم. قال سابق البربري:

جَنَى الضَّغَائِنَ آباءٌ لنا سَلَفوا       فلن تَبِيدَ وللآباءِ أبناءُ(١)

ومن هذه الآثار:

### ١ ـ اتخاذ العداوة مبدأ:

قد يلاحظ بعض الأقارب اشتداد أوار العداوة والخلاف بينه وبين أقاربه أو بين والده والأقارب فيصاب بفرط تعميم فيظن أن كل الأقارب في الدنيا سيئون وأنهم شر يمكنه الاستغناء عنه بعداوتهم والبعد عنهم أو على الأقل عدم نفعهم. فيتخذ هذا مبدأ ومنهجا يحتذيه في حياته ويدعو إليه ويورثه أبناءه بعد وفاته ويحاول نصرة مذهبه هذا بالاستدلال عليه بأمثلة من قصص التاريخ وشواهد الأشعار من الأدب العربي ونماذج من الواقع ويصبح هجيراه التغني بمساوئ الأقارب واليأس من وفائهم. فالأب متسلط لا رحمة له، والإخوة عالة عليك، ويفصل لكل قريب من الأقارب ثوبا يلبسه له وقميصا يخلعه عليه، قال أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي: الأب رب، والولد كمد، والأخ فخ، والعم غم، والخال وبال، والأقارب عقارب. (٢)

ومن ثم ينصح نفسه وغيره بمؤاخاة الأبعدين ومصاحبتهم واتخاذ الأقارب أعداء أو على الأقل عدم نفعهم بخير وممن كان يدعو إلى هذا ابن العميد الذي قال:

آخ الرجال من الأباعد       والأقــارب لا تقارب

إن الأقارب كالــعقارب       أو أشد من العقارب(٣)

---

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٤٠٩ / المستطرف ج١ص٢٥٠

(٢) أدب الدين والدنيا ص ٢٤٦

(٣) بهجة المجالس القسم الأول ص ٧٧٩

**وقال ابن المعتز :**

لحومهم لحمي وهم يأكلونه[١] وما داهيات المرء إلا أقاربه[٢]

**بل يزهد بعضهم الآخرين بتجارب عملية قام بها مع أقاربه وذوي رحمه لم يجن منها سوى الشر ومن ذلك أنه: كان لبشار أخوان بشر وبشيرٌ وكانا قصَّابين، وكان بشَّار بهما باراً وكانا يستعيران ثيابه فيوسخانها، فيبرز بشَّار للناس في ثياب سخام، فيقال له: ما هذا، يا أبا معاذ؟ فيقول: هذه ثمرة صلة الرحم.[٣]**

**وقال ابن الهبارية يصف الأقارب وعداواتهم ويشرح كيفية التعامل معهم وبيان خفايا أمورهم حتى ينجو المرء من حبائلهم ويسلم من غوائلهم ويأمن مكرهم ودسائسهم:**

شَوائل العَقارب خَيـر مِن الأَقـارب
فدارِهم باللطف وَخـذهم بِالعُنـف
مبـرة في جفوة وَقـربـة مِن قَسوة
إِياكَ أَن تطمعهم فيكَ وَأن تشبـعهم
إِنكَ إِن بسطهم في المال أَو سلطتهم
تَبسطوا عَلَيـكا وَأصـفروا يَديـكا
وَذكروا الأَرحاما وَأكثـروا المـلامـا
فَاستعمل البَعيدا الـناصح الـوَدودا
وَمن إِذا عاقبته ظَنـكَ قَـد راقَبته

---

(١) قال بشار (بهجة المجالس القسم الأول ص٧٧٧):

ولا خير في قـربى لـغيرك نفعها ولا في صديق لا تزال تعـاتبه
يخونك ذو القربى مرارا وربما وفَى لك عنـد الجهد من لا تناسبه

(٢) نور القبس للحافظ اليغموري ص ٢٤٣

(٣) أدب الدين والدنيا للماوردي ص ٢٤٦

ويتولد عن هذه الفكرة نتائج حتمية لها من البغض والكراهية والحقد[(١)] ولا شك أن هذه الفكرة خاطئة خطأ واضحا وبينا فالله عز وجل ذكر الأقارب وأولي الأرحام وأوضح أنهم أولى بأرحامهم من غيرهم، قال الله تعالى﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[(٢)] كما أنه يجب أن لا يفوت متخذ هذا المبدأ ومحتذي هذا المنهج أن يعلم أن قناعات الناس لا تتغير وأن من قناعاتهم أن من لا ينفع أقاربه وينسى فضلهم لا ينفع غيرهم من الأبعدين فلا تجر وراء السراب ولا تستمطر الجهام ولا تستنبت الصحراء ولا تستدر الجداء.

## ٢ ـ قطع الأرحام:

الرحم مشتقة من اسم الرحمن فمن وصلها وصله الرحمن ومن قطعها قطعه: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ [(٣)]فَقَالَ مَهْ قَالَتْ هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ [(٤)]بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ فَقَالَ

---

[(١)] الحقد: هو طلب الانتقام وتحقيقه أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه صار حقدا. وسوء الظن في القلب على الخلائق لأجل العداوة. ( كتاب التعريفات للجرجاني ص١٢١)

[(٢)] سورة الأنفال آية ٧٥

[(٣)] قال القاضي عياض: الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم. وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض، فسمي ذلك الاتصال رحما. والمعنى لا يأتي منه القيام ولا الكلام. فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة، على عادة العرب في استعمال ذلك. والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم ولهذا سمي العقوق قطعا. والعق الشق. كأنه قطع ذلك السبب المتصل.

[(٤)] (العائذ) المستعيذ. وهو المعتصم بالشيء الملتجئ إليه، المستجير به.

أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ [١]وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ قَالَتْ بَلَى يَا رَبِّ قَالَ فَذَلِكِ لَكِ ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾[٢]

قال الحافظ ابن كثير: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ أي عن الجهاد ونكلتم عنه ﴿ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام [٣].

وليس الواصل بالمكافئ الذي يزور من زاره ويجفو من جفاه ويقطع من لم يزره ولكنه العكس، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ [٤]وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ مَنْ إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ [٥] وَصَلَهَا [٦].

وزيارة القاطعين من الأقارب من أقرب القربات وأفضل الفضائل فعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ أَفْضَلُ الْفَضَائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِيَ مَنْ مَنَعَكَ وَتَصْفَحَ عَمَّنْ شَتَمَكَ [٧].

---

[١] (أن أصل من وصلك) قال العلماء: حقيقة الصلة العطف والرحمة. فصلة الله سبحانه وتعالى عبارة عن لطفه بهم ورحمته إياهم وعطفه بإحسانه ونعمه. أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته.

[٢] صحيح البخاري، كتاب التفسير باب: ﴿ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ حديث رقم: ٤٥٥٢ / صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطعها، حديث رقم: ٢٥٥٤

[٣] تفسير القرآن العظيم (طبع دار الفكر) ج ٤ ص ١٧٩

[٤] (ليس الواصل بالمكافئ) أي إن الذي يصل غيره مكافأة له على ما قدم من صلة، مقابلة له بمثل ما فعل، ليس بواصل حقيقة، لأن صلته نوع معاوضة ومبادلة.

[٥] (إذا قطعت رحمه وصلها) إذا قاطعه غيره قابله بالصلة.

[٦] صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافئ، حديث رقم: ٥٦٤٥/ سنن الترمذي، كتاب: أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في صلة الرحم، حديث رقم: ١٩٧٣

[٧] مسند الإمام أحمد، ج ٣ ص ٤٣٨ / المستدرك على الصحيحين، ج ٤ ص ١٧٨، حديث رقم: ٧٢٨٣

وقطيعة الأرحام سبب لضعف قوة الأهل والأقارب وذهابها كما قال رجل من بني ضبة بن أد لبني تميم بن مرة بن أُد :

أبــني تميم إني عــمــكم لا تحرمن وصيــة الأعمــام
إني أرى سبب الفناء وإنمــا سبب الفناء قطيعة الأرحــام
فتداركــوا بأبي وأمي أنتم أرحامكم برواجح الأحلام[١]

قال ابن الأعرابي: تذاكروا صلة الرحم وأعرابي حاضر فقال: منسأة للعمر مرضاة للرب محبة في الأهل [٢].

## ٣ ـ القطيعة والهجر: [٣]

قيل لأعرابي: لم قطعت أخاك؟ فقال: إني لأقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب إلي من أبي وأمي وأعز فقدا [٤]. وقال الأصمعي: كان أخوان متجاورين لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي فيقول أحدهما لصاحبه: ألا تا؟ فيقول: الآخر: بلى فا. يريد: ألا تنهض؟ فيقول: الآخر: بلى فانهض [٥]. ومن أنواع القطيعة والهجر بين الأقارب الآتي :

---

[١] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ١٤٣

[٢] سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ص ٧

[٣] قد يكون سبب الهجر شرعيا، انظر الهجر الشرعي في: التفلت والتساقط في الدعوة للمؤلف

[٤] بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٧١٤

[٥] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ١٩٩

## ـ ترك ابتداء السلام وعدم رد التحية:

السلام تحية الإسلام[١] وتحية أهل الجنة، قال الله تعالى ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[٢] وقال تعالى ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾[٣]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبْدَلَنَا خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ السَّلَامَ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ [٤].

والسلام مشتق من السلامة وهي التخلص من الآفات فكانوا في الجاهلية يحيي أحدهم صاحبه بقوله أنعم صباحا وعم صباحا وبأبيت اللعن[٥] ويقول سلام عليكم فكأنه علامة للمسالمة وأنه لا حرب ثم جاء الإسلام بالقصر على السلام وإفشائه [٦].

والسلام سبب من أسباب الأنس وإزالة الوحشة، وخاصة للداخلين، قال أبو بكر بن عياش: بلغني أن ابن عباس كان يقول: إن لكل داخل دهشة فآنسوه بالتحية[٧].

قد يحدث سوء تفاهم بين قريبين يسبب انقباضا وصدودا، ويتطور سوء

---

[١] قَالَ أبو ذر : إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ قَالَ قُلْتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَعَلَيْكَ السَّلَامُ. (صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي ذر، رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٤٧٣)

[٢] سورة إبراهيم آية ٢٣

[٣] سورة الأحزاب آية ٤٤

[٤] مسند الإمام أحمد ، ج ٤ ص ٣٨١ ، حديث رقم : ١٩٤٢٣

[٥] أبيت اللعن : قال ابن الأنباري : هذه تحية ملوك لخم وجذام . ومعناه: أبيت أن تأتي من الأفعال ما تلعن عليه.(المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هرون الطبعة السابعة دار المعارف ، مصر ، ص ٣٩٣)

[٦] فيض القدير، ج ٤ ص ١٤٩ ــ ١٥٠، حديث رقم: ٤٨٤٢ / لسان العرب، مادة: سلم

[٧] كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج٤ ص ٦٣

التفاهم إلى خلاف، ثم يلتقي هذان القريبان ولم ينته ما ﴾ نفسيهما ولم ينشرح صدراهما فيزوي هذا بأنفه ويعرض ذاك بوجهه وينأ ويشيح بجانبه رغبة عن النظر ﴾ وجه قريبه، وإن حدث سلام من أحدهما فإنه يحدث غالبا من غير تصافح ويكون بصورة فاترة، تفقد السلام معناه ومضمونه، وتزيد ﴾ تؤجج العداوة وإذكائها ﴾ الصدور.

ورد السلام فرض فعلى المسلم رد التحية بمثلها أو أفضل منها امتثالا لقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾[1] ولكن إذا بلغ الأمر بين اثنين متهاجرين . قريبين أو غيرهما . أن يبدأ أحدهما بالسلام وهو خيرهما [2] ولا يرد الآخر ، فقد بلغت سيل عداوتهما الزبى وجاوز حزامها الطبيين، ويعيش القريب الذي ينتهج هذا النهج مع أقاربه أو يعامله أقاربه محتذين عدم رد السلام صراعا نفسيا كبيرا، يجعله يصور هذا الموقف كما صوره لنا أرطاة بن سهية المري الذي قال:

ونحن بنو عـــم عـــلى ذات بيننا زرابي فـــيها بغضة وتنافـــس[3]

---

[1]سورة النساء آية ٨٦

[2]عن أبي أيوب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثـــلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.[صحيح البخـــاري، كتـــاب الأدب، بـــاب: الهجرة، حديث رقم: ٥٧٢٧ / صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الهجر فوق ثلاث بـــلا عذر شرعي، حديث رقم: ٢٥٦٠ ]

[3]يقول: نحن أبناء عمٍ، وعلى ما بيننا من القربى والقرابة فرشت بيننا بسط شرٍ تشتمل على تباغضٍ وتحاسدٍ. فأمـــا قوله "على ذات بيننا"، فإنما أشار بذلك إلى ما جمعهم من سبب العمومة ونسبها. كأنه أراد بذات بينهم خالـــصة النسب والقرابة، ثم جعل فوقها ما قد غمرها وسترها من زرابي الفساد. والمعنى: وعلى ما يجمعنا من الرحم ينـــأى بعضنا عن البعض، ومع ذلك بيننا تدابرٌ وتباغضٌ، وتهاجر وتقاطع. كأنهم جعلوا التنائي مداواةً في إزالة ما بينهم فلم ينفع.

ونحن كصدع العس إن يعط شاعبا يدعه وفيه عُيُبه متشاخس[١]

كفى بيننا ألا ترد تحية على جانب ولا يشمت عاطس[٢]

ولنأخذ مثالا واحدا للهجر بين الأقارب وهو ما حدث بين أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي وأخوه زياد بن أبيه، [٣] فقد ذكر أنه: استأذن زياد معاوية في الحج، فأذن له وبلغ ذلك أبا بكرة، وكان أخاه من أمة اسمها سمية، وكان حلف ألا يكلم زيادا حيث رجع عن الشهادة على المغيرة، [٤] وألا يظله وإياه سقف بيت أبدا، فدخل أبو بكرة دار الإمارة على زياد، فأمر زياد بكرسيين فوضعا في صحن القصر ليمينه، فجلس أبو بكرة على أحدهما وزياد على الآخر، ومع زياد بني له حيث مشى، فقال أبو بكرة لابنه: تعال يا بني فجاء الصبي فجلس في حجره، فقال له: كيف هو أنت؟ كيف أهلك؟ اسمع مني يا ابن أخي . وإنما يريد أن يسمع زيادا . إن أباك هذا أحمق، قد فجر في الإسلام ثلاث فجرات ما سمعنا بمثلهن، أما أولاهن[٥] فجحوده الشهادة على المغيرة، والله يعلم أنه قد

---

(١) العس القدح الضخم والشاعب هنا مصلح الأقداح والمتشاخس المتفاوت المتباين وهذا الكلام كناية عن استحكام الفساد بينهم فلا يقبلون الصلح بوجه، وتفاقم الانصداع حتى لا يلتحم تبايناً وتدافعاً، فلن تعود الحال إلى ما كانت وإن أمسكنا عن إثارة الشر والزيادة فيه زماناً، وتصنعنا في الاحتمال والمقاربة إبقاء على الحظ من المراجعة وإدناءً، بل يكون ما بيننا كالشق في القدح، إن أعطى شاعباً تركه والعيب ظاهر فيه، غير منكتم ولا خافٍ.

(٢) يقول قد تناهت بيننا العداوات والأحقاد حتى لا ترد بيننا تحية ولا يقال لعاطس منا يرحمك الله. [شرح ديوان حماسة ج ٢ ص ١٥٠ ــ ١٥١]

(٣) عن الزهري قال شهد على المغيرة ثلاثة بالزنى منهم زياد وأبو بكرة فنكل زياد فحدهم عمر واستتابهم فتاب رجلان منهم ولم يتب أبو بكرة فكان لا يقبل شهادته قال وأبو بكرة أخو زياد لأمه فلما كان من أمر زياد ما كان حلف أبو بكرة ألا يكلم زيادا فلم يكلمه حتى مات [مصنف عبد الرزاق، ج ٧ ص ٣٨٤، حديث رقم: ١٣٥٦٤/ ج ٨ ص ٣٦٢، حديث رقم: ١٥٥٤٩]

(٤) انظر: كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٣٤ ــ ١٣٦

(٥) قال ابن حجر رحمه الله تعالى : محصلها أن المغيرة بن شعبة كان أمير البصرة لعمر، فاتهمه أبو بكرة – وهو نفيع – الثقفي الصحابي المشهور، وكان أبو بكرة ونافع بن الحارث بن كلدة الثقفي وهو معدود في الصحابة وشبل

رأى ما رأينا فكتم، وقد قال الله ﴿ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾ (١)

فحلفت ألا أكلمه أبدا، وأما الأخرى فانتفاؤه من عبيد ، وادعاؤه إلى أبي سفيان، وأقسم لك بالله . يا بن أخي . صادقا ما رأى أبو سفيان سمية قط، في ليل ولا نهار، ولا في جاهلية ولا إسلام، وأما الثالثة فأعظمهن، أنه يريد أن يوافي العام الموسم ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم، تأتي الموسم كل عام، فإن أتاها فأذنت له كما تأذن الأخت لأخيها، فأعظم بها مصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن هي حجبته وتسترت منه، فأعظم بها حجة عليه، ثم نهض، فقام زياد في إثره وأخذ بقميصه، وقال: جزاك الله من أخ خيرا، فما تركت النصيحة لأخيك على حال، وترك الحج. (٢)

## ٤ ـ تشتت الشمل والإصابة بالذل والهوان:

من آثار الخلاف إصابة المبتلين به بتشتت شملهم وهوانهم على الناس وذلهم أمام الآخرين ولنر النوعين:

---

بكسر المعجمة وسكون الموحدة ابن معبد بن عتيبة بن الحارث البجلي وهو معدود في المخضرمين وزياد بن عبيد الذي كان بعد ذلك يقال له زياد بن أبي سفيان إخوة من أم أمهم سمية مولاة الحارث بن كلدة، فاجتمعوا جميعا فرأوا المغيرة متبطن المرأة وكان يقال لها الرقطاء أم جميل بنت عمرو بن الأفقم الهلالية وزوجها الحجاج بن عتيك بن الحارث بن عوف الجشمي، فرحلوا إلى عمر فشكوه، فعزله وولى أبا موسى الأشعري، وأحضر المغيرة فشهد عليه الثلاثة بالزنا، وأما زياد فلم يبت الشهادة وقال: رأيت منظرا قبيحا، وما أدري أخالطها أم لا، فأمر عمر بجلد الثلاثة حد القذف وقال ما قال. وأخرج القصة الطبراني في ترجمة شبل بن معبد والبيهقي من رواية أبي عثمان النهدي أنه شاهد ذلك عند عمر وإسناده صحيح. ورواه الحاكم في " المستدرك " من طريق عبد العزيز بن أبي بكرة مطولا وفيها " فقال زياد رأيتهما في لحاف وسمعت نفسا عاليا ولا أدري ما وراء ذلك " [فتح الباري (طبع دار المعرفة) ج ٥ ص ٢٥٦/ وانظر كذلك : البداية والنهاية لابن كثير (مكتبة المعارف بيروت) ج ٧ ص ٨٢]

(١) سورة البقرة آية ٢٨٣

(٢) كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٣٨ ــ ١٣٩ / نثر الدر ج ٤ ص ١٤٦ــ١٤٧

**أ- تشتت الشمل :**

**من نتائج الخلاف بين الأقارب تشتت شملهم وتفرقهم شذر مذر إن تطور هذا الخلاف إلى عداوة وحروب ، قال أبو عمرو بن العلاء عن بني عدوان رهط ذي الإصبع العدواني: كانوا ذوي عدد فتقاتلوا وتفانوا .وقيل: نزلت عدوان على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل سوى من كان مختونا لكثرة عددهم، ثم وقع بأسهم بينهم فتفانوا، فقال ذو الإصبع:**

عَذِيرَ الحَيِّ مِنْ عَـدْوا نَ، كـانُوا حَيَّةَ الأَرض [١]

بغى بعضهم بـعضـا فـلم يبقـوا على بعض

فقد صـاروا أحاديث يرفع القول[٢] والخفض

ومنهم كانت السادات والمـوفون بالـقـرض

ومنهم من يجيز الـناس بالـسنة والـفرض [٣]

ومنهم حكـم يقضي فلا ينقض ما يقضـي[٤]

---

[١] يقول: هات عذرا فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل بعدما كانوا حية الأرض التي يحـذرها كل أحد والعرب تقول للرجل الصعب المنيع الجانب حية الأرض.

[٢] يعني أنه صاروا أحاديث الناس يرفعونها ويخفضونها أي يسرونها

[٣] قوله ومنهم من يجيز الناس فإن إجازة الحج كانت لخزاعة فأخذها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سيارة أحد بني وابش بن زيد بن عدوان وله يقول الراجز:

خلوا السبيل عن أبي سياره وعـن مـوالـيه بني فزاره

حـتى يـجيز سـالما حماره مستقبل الكعبة يدعوا جاره

قال وكان أبو سيارة يجيز الناس في الحج بأن يتقدمهم على حمار ثم يخطبهم فيقول : اللهم أصلح بين نسائنا وعاد بين رعائنا واجعل المال في سمحائنا أوفوا بعهدكم وأكرموا جاركم وأقروا ضيفكم ثم يقول أشرق ثبير كيما نغير وكانت هذه إجازته ثم ينفر ويتبعه الناس.

[٤] يعني عامر بن الظرب العدواني كان حكما للعرب تحتكم إليه وهو الذي كانت العصا تقرع له وكان قد كـبر فقال له الثاني من ولده إنك ربما أخطأت في الحكم فيحمل عنك قال فاجعلوا لي أمارة أعرفها فإذا زغت فـسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه العصا فإذا زاغ أو هفا قرع له الجفنة

وهم من ولدوا أشبوا [١] بسر الحسب المحض

وممن ولدوا عامر ذو الطول وذو العرض [٢]

قال أبو عمرو: كان السبب في تفرق عدوان وقتال بعضهم بعضا حتى تفانوا أن بني ناج بن يشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ونذرت بهم بنو عوف فاقتتلوا فقتل بنو ناج ثمانية نفر فيهم عمير بن مالك سيد بني عوف وقتلت بنو عوف رجلا منهم يقال له سنان بن جابر وتفرقوا على حرب وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو ابن عباد وكان سيدا فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك وأبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر دية واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومن والاهم وتبعه على ذلك كرب بن خالد أحد بني عبس بن ناج فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال قد قتل منا ثمانية نفر فقبلنا الدية وقتل منكم رجل فاقبلوا ديته فأبيا ذلك وأقاما على الحرب فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضا حتى تفانوا وتقطعوا فقال ذو الإصبع في ذلك:

ويا بؤس للأيام والدهر هالكا ... وصرف الليالي يختلفن كذلكا

أبعد بني ناج وسعيك فيهم ... فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا

إذا قلت معروفا لأصلح بينهم ... يقول مرير لا أحاول ذلكا

فأضحوا كظهر العود جب سنامه ... تحوم عليه الطير أحدب باركا

فإن تك عدوان بن عمرو تفرقت ... فقد غنيت دهرا ملوكا هنالكا [٣]

---

فرجع إلى الصواب وفي ذلك يقول المتلمس :

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

[١] رجلٌ مُشْبِئٌ إذا وُلِدَ له وَلَدٌ ذكِيٌّ؛ وأَشْبى إذا جاءَ بوَلَدٍ مثل شَبا الحدِيد. وأَشْبى فُلاناً وَلدهُ أَي أَشْبَهُوه.[لسان العرب ، مادة : شبا]

[٢] انظر الأغاني، (طبعة الشعب) ج ٣ ص ٩٢٥

[٣] انظر الأغاني، (طبعة الشعب) ج ٣ ص ٩٢٥

ولما للترابط والتماسك بين الأقارب وغيرهم من قوة، ولما للتفرق من إضعاف للقوة وتفريق للكلمة وتشتيت للجهود قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[1]

ولما حضرت قيس بن عاصم الوفاة أحضر بنيه فقال لهم ليأتني كل واحد منكم بعود فاجتمع عنده عيدان فجمعها وشدها وقال اكسروها فلم يطيقوا ذلك ثم فرقها فكسروها فقال هذا مثلكم في اجتماعكم وتفرقكم ثم أنشدهم لنفسه:

بصلاح ذات البين طول بقائكم　　　إن مد في عمري وإن لم يمدد
حتى تـــلين جـــلودكم وقلوبكم　　　لمسود منكم وغير مـــسود
إن القداح إذا اجتمعن قرامهـــا　　　بالكسر ذو حنق وبطش أيَّد
عزتْ فلم تكسر وإن هي بدّدت　　　فالوهن والتكسير للمتبدد[2]

وقال معن بن زائدة:

كونوا جميعاً يا بـــنيَّ إذا اعترى　　　خطـــبٌ ولا تتفرقوا آحادا
تأبى الرماحُ إذا اجتمعْنَ تكسراً　　　وإذا افترقْنَ تكسرتْ أفرادا

كما أنه ينتج عن تشتت الشمل استهانة الآخرين وشماتتهم بالأسر ذات المشاكل والعداوات، فالناس رغم أن المشاكل بينهم وبين أهلهم وأقاربهم تكاد تكون عادية إلا أنهم يشمتون من الأسر ذات المشاكل، ويسخرون منها ويزورون عنها ويستهزئون بها ويتندرون، ويجعلونها مضرب الأمثال وأفكوهة المجالس ومتندَّر الصعدات.

## ب- الإصابة بالذل والهوان أمام الآخرين :

من آثار الخلافات بين الأقارب إصابة المتعادين منهم بالذل والهوان والصغار في الأعين والاستضعاف من قبل الآخرين بسبب عدوانهم وخلافاتهم فتجد المتعادين من

(١) سورة الأنفال آية ٤٦

(٢) جمهرة الأمثال ج ٧٠ ــ ٧١ / أدب الدين والدنيا ص ٢٣٨

الأقارب يستطيل عليهم رويبضة [(١)] لم يكن يطمع في الاستطالة عليهم من قبل وتستأسد عليهم قطط لم تكن ترفع أعينها في وجوههم ويستنسر عليهم بغاث هم أضعف ناصرا وأقل عددا منهم بل كانت تطيح من حركة طيرانهم، ويتنمر عليهم آخرون كانوا خالصي الود لهم ولكنهم أهانوا أنفسهم بعداوتهم واختلافهم فأضعفوا قوتهم وأذهبوا هيبتهم قال تعالى ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [(٢)]

وليعلم القريب أنه سيؤكل إن هوى قريبه أو ذل كما أكل الثور الأبيض. [(٣)]

قال عمير بن زودى : سمعت عليا يقول: هل تدرون ما مثلي ومثلكم ومثل عثمان؟ كمثل ثلاثة أثوار كن في أجمة [(٤)] ثور أبيض وثور أحمر وثور أسود، ومعهن فيها أسد وكان الأسد لا يقدر منهن على شيء لاجتماعهن عليه، فقال للثور الأسود وللثور الأحمر: لا يدل علينا في أجمتنا هذه إلا هذا الثور الأبيض فإنه مشهور اللون، فلو تركتماني فأكلته صفت لي ولكما الأجمة وعشنا فيها، فقالا له: دونك، فأكله، ثم لبث غير كثير فقال للثور الأحمر: إنه لا يدل علينا في أجمتنا هذه إلا هذا الثور الأسود فإنه مشهور اللون وإن لوني ولونك لا يشهران، فلو تركتني فأكلته صفت لي ولك الأجمة وعشنا فيها: فقال له: دونك، فأكله، ثم لبث غير كثير فقال للثور الأحمر:

---

(١) الرُّوَيبضة، تصغير الرَّابضة وهو العاجز الذي رَبَضَ عن مَعَالي الأمُور وقعَد عن طَلَبها، وزيادة التَّاء للمبالغَة. والتَّافه: الخَسِيس الحَقِير.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {ربض}]

(٢) سورة الأنفال ٤٦

(٣) قولهم أكلت يوم أكل الثور الأسود يضرب مثلا للرجل فقد ناصره فلحقه الضيم من عدوه وهو من أمثال كليلة وتمثل به علي رضي الله عنه حين اختلف عليه وعني قتل عثمان رضي الله عنه وأصله فيما ذكر صاحب كليلة أن ثورين أسود وأبيض كانا في بعض المروج فكان الأسد إذا قصدهما تعاونا عليه فرداه فخلا يوما بالأبيض وقال له : إن خليتني فأكلت الأسود خلا لك مرعاك وأعطيك عهدا ألا أطور بك فخلاه والأسود فأكله ثم عطف عليه فافترسه فقال إنما أكلت يوم أكل الثور الأسود وتخاذل القوم فيما بينهم من إمارات شؤمهم ودلائل شقائهم.[جمهرة الأمثال ج ١ ص ٧٠ ]

(٤) الأجمة: الشجر الملتف والجمع أجم مثل قصبة وقصب.

إني آكلك، قال: فدعني حتى أنادي ثلاثة أصوات، قال: فناد، فقال: ألا إني إنما أكلت يوم أكل الأبيض، ألا إني أنما أكلت يوم أكل الأبيض، قال علي: ألا إني وهنت يوم قتل عثمان [١].

## ٥ ـ السب والشتم[٢] ودفن الحسنات ونشر السيئات:

قد تبلغ العداوة بين الأقارب مدى يسعى كل قريب لنشر معائب قريبه والبحث عنها واستقصائها بغية بثها ونشرها بين الناس، وقد يشكو القريب قريبه مصورا وصول درجة التعامل التي وصلت بينهما، مسطرا ذلك في شعر يسهر الليالي ذوات العدد في قرضه وتقويم سناده حتى يخرج في ثوب قشيب، يؤدي الغرض الذي قيل من أجله وهو تصوير كل خلال السوء والشر في هذا القريب، وأن قارض هذا الشعر حاول المستحيل مع قريبه وأحسن إليه مرات ومرات فكان يقابل إحسانه بإساءة ، وقربه منه بنأي منه وابتعاد عن ساحته، والقارئ لشعر هؤلاء الشعراء الذين أوتوا حظا من جزالة الشعر ومتانته، يرى الشاعر قد وضع نفسه في موضع ملك كريم وصور قريبه في صورة شيطان رجيم ومارد أثيم على بني البشر طرا الابتعاد منه والاستعاذة من شره بل تحذير الناس منه.

ولا يعني هذا أن كل عداوة بين قريبين تعالج بذكر معايب القريب ونشر مثالبه، فقد يتذمم أحد الأقارب من عداوة قريبه فيريد معالجة ذلك بالبعد عنه لعل البعد يعقب تحننا وعطفا من القريب.

---

[١] مصنف ابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٦٢ ــ ٥٦٣، حديث رقم: ٣٧٩٣٣ / مجمع الزوائد، حديث رقم: ١١٦٠٤، وحديث رقم: ١٤٠٠٧/ كنز العمال، حديث رقم: ٣٦٣٠٨

[٢] الشتم: هو وصف الغير بما فيه نقص وازدراء. (كتاب التعريفات للجرجاني ص ١٦٥)

## ٦ ـ المكايدات[١] والانتقام:

عند احتدام العداوات بين الأقارب واستشرائها، يضع القريب نصب عينيه قول الأضبط بن قريع:

فصل حبال البعيد إن وصل الحبل وأقص القريب إن قطعه[٢]

ويكون شعار القريب قول أوس بن حبناء التميمي :

إذا المرء أولاك الهــوان فأوله هوانا وإن كانت قريبا أواصره

فإن أنت لم تقدر على أن تهينه فذره إلى اليوم الذي أنت قادره

وقارب إذا ما لم تكن لك قدرة وصمم إذا أيقنت أنك عاقره[٣]

ومن أصدق الأمثلة للمكايدات ما حدث بين عمة وابنة أخيها كما في هذه القصة: قال عبد الله البلتاجي دخل ابن أبي ليلى على أبي جعفر المنصور وكان ابن أبي ليلى قاضيا، فقال أبو جعفر: إن القاضي يرد عليه من طرائف الناس ونوادرهم أمور فإن ورد عليك شيء فحدثنيه، فقد طال عليّ يومي، قال: والله يا أمير المؤمنين قد ورد عليّ منذ ثلاثة أيام أمر ما ورد عليّ مثله أتتني عجوز تكاد أن تنال الأرض بوجهها أو تسقط من انحنائها، فقالت: أنا بالله وبالقاضي أن يأخذ لي بحقي وأن يعينني على خصمي. قلت: ومن خصمك؟ قالت: ابنة أخ لي. فدعوت بها فجاءت امرأة ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم، فقالت الشابة: أصلح الله القاضي مرها فلتسكت حتى أتكلم بحجتي وحجتها، فإن لحنت بشيء فلترد عليّ وإن أذنت لي أسفرت. فقالت العجوز : إن أسفرت قضيت لها. فقلت لها: أسفري فأسفرت عن وجه والله ما ظننت أن يكون مثله إلا في الجنة فقالت: أصلح الله القاضي: هذه عمتي مات والدي وتركني يتيمة في حجرها فربتني فأحسنت التربية، حتى إذا بلغت مبلغ النساء قالت:

---

[١] الكيد : إرادة مضرة الغير خفية ( كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢٤١ )

[٢] بهجة المجالس القسم الأول ص٧٧٨

[٣] جواهر الأدب ج ٢ ص ٥١٨

يا بنت أخي، هل لك في التزويج؟ قلت: ما أكره ذلك يا عمة. قالت العجوز: نعم فخطبني وجوه أهل الكوفة فلم ترض إلا رجلا صيرفيا فتزوجني فكنا كأنا ريحانتان ما أظن الله خلق غيرنا يغدو على سوقه ويروح عليّ بما رزقه الله تعالى، فلما رأت العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك وكانت لها ابنة فشوفتها وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها، فقال: يا عمة هل لك أن تزوجيني ابنتك؟ قالت: نعم بشرط. قال لها: وما الشرط؟ قالت: تصير أمر ابنة أخي إليّ. قال: قد صيرت أمرها إليك. قالت: فإني قد طلقتها ثلاثا بتة. وزوجت ابنتها زوجي فكان يغدو عليها ويروح فقلت: يا عمتي أتأذنين لي أن أنتقل عنك. قالت: نعم فانتقلت عنها وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال: ما لي لا أرى ربيبتنا؟ قالت: طلقها زوجها فانتقلت عنا. فقال: إن لها من الحق علينا أن نعزيها بمصيبتها فلما بلغني مجيئه إليّ تهيأت له وتشوفت فلما دخل عليّ عزاني بمصيبتي وقال: إن فيك بقية شباب فهل لك أن أتزوج بك؟ قلت: ما أكره ذلك ولكن على شرط قال لي: وما الشرط؟ قلت تصير أمر عمتي بيدي. قال: فإني قد فعلت وصيرت أمرها بيدك. قلت: فإني قد طلقتها ثلاثا بتة. قالت: فقدم عليّ بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم فأقام عندي ما أقام ثم إنه اعتل وتوفي فلما أن انقضت عدتي جاء زوجي الأول الصيرفي يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تشوفت له فلما دخل عليّ قال: يا فلانة تعلمين أنك كنت أعز الناس عليّ وأحبهم إليّ وقد حلت المراجعة فهل لك في ذلك؟ قلت: ما أكره ذلك ولكن اجعل أمر ابنة عمتي بيدي. قال: فإني قد فعلت قلت: فإني قد طلقتها ثلاثا بتة. أصلح الله القاضي. فرجع إليّ زوجي فما اعتدائي عليها. فقالت العجوز: أنا فعلت مرة وفعلت مرة بعد أخرى [1]

---

[1] قال القاضي الجريري: إن زوج العمة لم يكن له أن يتزوج ابنة أخيها وهي في حباله، وأرى أن الجارية أرادت أن يتولى التفريق بينه وبينها، استيفاء منها ومجازاة لها على فعلها، وقد رويت لنا هذه القصة عن طريق آخر وفيها مخالفة لهذه الرواية في السند والمتن معاً، ... إلى أن قال: وقصة هذا الخبر كقصة المقدم له في أنه لا يحل الجمع بين المـــرأة وعمتها في النكاح، وأن التماس هذه الجارية من خاطبها تمليكها طلاق عمتها وبنتها من حباله لما وصفنا أنها أرادت

**فقالت: إن الله لم يؤقت في هذا وقتا وقد قال تعالى** ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ [١] ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾[٢] **فواحدة بواحدة والبادي أظلم**[٣].

## ٧ ـ عدم الاكتراث بمصابهم :

**قد يصل عدم الاكتراث إلى درجة الفرح بمصاب الأقارب حقيقة كما في هذه الأمثلة:**

**. فرح عبد الملك بن مروان لوفاة أخيه عبد العزيز بن مروان وكان أبوه مروان بن الحكم قد عقد له على ولاية العهد بعد عبد الملك فأراد عبد الملك خلعه وتولية أبنائه الوليد وسليمان ويزيد وهشام فمات عبد العزيز ففرح عبد الملك لذلك فرحا شديدا** [٤].

**. تزوج الوليد بن عبد الملك آمنة بنت سعيد بن العاص بن أمية فلما هلك عبد الملك بن مروان سعت بها إحدى ضراتها إلى الوليد فقالت: إنها لم تبك على عبد الملك كما بكى نظائرها فقال لها الوليد في ذلك. فقالت: صدق القائل أكنت قائلة**

---

أن تشفي غيظها وتتولى التفريق بينها وبين زوجها بنفسها مقابلة لها على ما ابتدأها به من إساءها.[الجليس الصالح للجريري، ص ٤٧٤]

[١] قال الحافظ ابن كثير: قوله ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ﴾ الآية ذكر مقاتل بن حيان وابن جرير أنها نزلت في سرية من الصحابة لقوا جمعًا من المشركين في شهر محرم فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم . [تفسير القرآن العظيم، (طبع دار الفكر) ج ٣ ص ٢٣٣]

[٢] سورة الحج آية ٦٠

[٣] جمع الجواهر في الملح والنوادر ، للحصري القيراوني ص ٥٠٦ ــ ٥٠٩/ ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار، لإسماعيل بن نصر بن عبد المحسن المعروف بابن قطعة، تحقيق: رياض مصطفى العبد الله، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م، ص ١٦٤ ــ ١٦٥

[٤] تاريخ الإسلام للذهبي حوادث ووفيات ٨١ ــ ١٠٠ ص ٢٤

ماذا أقول يا ليته كان بقي حتى يقتل أخا لي آخر كعمرو بن سعيد. قال: إي والله لقد كسرنا ثناياه وقتلناه فقالت: قد علمت من شق استه بالسيف قال: الحقي بأهلك قالت: ألذ من الرفاء والبنين [١].

. قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لرجل من جرهم معمر: أخبرني بأعجب ما رأيت من عمرك؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين كنت في حي من أحياء العرب وقد مات لهم ميت يقال له: جبلة بن الحويرث [٢]، فمشيت في جنازته وأنست بجماعته، فلما دلي في قبره وأعول النساء في أثره، أدركتني عليه عبرة لم أستطع ردها ، وتمثلت بأبيات كنت سمعتها.

قال معاوية: قل يا أخا جرهم، فأنشد:

| | |
|---|---|
| يا قلب إنك في أسماء معرور | فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير |
| قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد | حتى جرت بك أخلاق محاضير |
| تريد أمرا فما تدري أعاجله | خير لنفسك أم ما فيه تأخير |
| فاسْتَقْدِرِ[٣] اللهَ خَيْراً وارْضَيَنَّ بهِ | فَبَيْنَما العُسْرُ[٤]إذا دَارَتْ مَيَاسِيرُ[٥] |
| وبينما المَرْءُ في الأَحياءِ مُغْتَبَطٌ | إذا هُوَ الرَّمْسُ [٦]تَعْفُوهُ الأَعاصِيرُ[٧] |
| يَبْكِي عليه غَرِيبٌ ليس يَعْرِفُهُ | وذُو قَرَابَتِه في الحَيِّ مَسْرُورُ |

---

[١] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ١٦٦/بلاغات النساء ص ٢٧١

[٢] قال أبو عمرو بن العلاء هو : حُرَيْث بن جَبَلَةَ العُذْري

[٣] استقدر الله خيراً أي اطلب منه أن يقدر لك خيراً.

[٤] العسر مبتدأٌ وخبره محذوف تقديره فبينما العسر كائن أَو حاضر. إِذ دارت مياسير أَي حدثت وحلت

[٥] المياسير: جمع ميسور.

[٦] الرَّمْسُ: القبر.

[٧] الأَعاصير: جمع إِعصار، وهي الريح تهب بشدّة.

حتى كـأَن لم يـكن إِلاَّ تَذَكُّرُهُ [١]  والدَّهْـرُ أَيَّمـَا حـِين دَهارِيـرُ[٢]

فبينما أنا أردد هذه الأبيات وعيناي تنسكبان انسكابا لا أملك رد دمعهما إذ قال لي رجل إلى جنبي من بني عذرة : يا عبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر؟ قلت: لا والله . قال: هذا الميت الذي دفناه وأنت الغريب الذي يبكي عليه ولا يعرفه ولا تعلم أنه قائل هذا الشعر وذو قرابته الذي ذكر أنه مسرور هو ذاك وأشار إلى رجل في الجماعة. والله ما يستطيع كتمان ما هو عليه من السرور بفقده [٣] .

بل قد يكون الفرح متوهما من صاحب المصيبة كما حدث بين عبد الملك بن مروان وابنه الوليد فقد ذكر أنه: دخل الوليد بن عبد الملك على أبيه وهو محتضر فقال : كيف أصبح أمير المؤمنين قيل له: يرجى له العافية.فسمعه عبد الملك فقال:

وكم سائل عنا يريد لنا الردى  وكم سائلات والدموع ذوارف[٤]

## ٨ ـ الدعاء على الأقارب:

عند احتدام الخلاف بين الأقارب نجد أحدهما أو كليهما يستبيح عرض الآخر سبا وشتما وانتقاصا له وغمزا فيه ولمزا له مع عدم إغفال الدعاء عليه والإكثار منه ومن دعاء الأقارب على أقاربهم:

### أ ـ دعاء القريب باتساع الهوة وتباعد الرأي بينه وبين قريبه المعادي له:

عند رؤية بعض الأقارب عداوة أقاربهم لهم وبعدهم عنهم ونأيهم عن الاقتراب منهم ورفضهم مساعي الصلح التي يقوم بها الآخرون يكون شعار أحدهم إذا لم تستطع

---

[١] كأَن لم يكن إِلاَّ تذكره، يكن تامة وإِلا تذكره فاعل بها، واسم كأَن مضمر تقديره كأَنه لم يكن إِلاَّ تذكره، والهاء في تذكره عائدة على الهاء المقدّرة؛ والدهر مبتدأٌ ودهارير خبره.

[٢] دَهْرٌ دَهارِيرٌ أَي شديد وواحدُ الدَّهارِيرَ دَهْرٌ، على غير قياس.

[٣] لسان العرب، مادة: دهر / مجالس ثعلب ٢٩٧

[٤] الأخبار الطوال ، لأبي حنيفة الدينوري ، ص ٣٢٥

سدها فأوسع قدها، وإذا لم ترتقها فافتقها وإذا لم ترقعها فاخرقها ويكون نصب عينيه وأمام ناظريه قول عمارة اليمني :

إِذا لم يسالمكَ الزمانُ فحاربِ     وباعدْ إِذا لم تنفعْ بالأقــاربِ

ومن ثم يؤثر القريب البعد عن قريبه والنأي عنه داعيا الله سبحانه وتعالى أن يوسع الهوة بينه وبين قريبه وأن يزيد في الشقة وأن يوسع في الخلاف شقاقا وأن يشعل النار بينه وبين قريبه اشتعالا ويكون لسان حاله عند نأي الأقارب عنه قول القائل:

تَبَاعَد مني فَطْحَلٌ إِذْ رأَيتُه     أَمينَ، فزاد الله ما بيننا بُعْدَا [١]

بل قد يسعى القريب إلى انتهاج هذه الأقوال وتطبيق الأفعال وإلحاق الأذى بقريبه متمثلا قول القائل:

إِذا أنتَ لم تنفعْ فــضرَّ فــإِنما     يُرْجى الفتى كيما يضرَّ وينفعا [٢]

## ب ـ دعاء القريب على قريبه الذي ظلمه:

إذا اختلف قريبان في أمر من الأمور وأحس أحدهما أن قريبه ظلمه وهضمه فإنه يحاول أخذ حقه منه بكل السبل فإن عجز عن ذلك فإنه قد يلجأ إلى دعاء الله عز وجل عليه فيدعو الله تعالى أن ينتقم له من قريبه الظالم له وأن يأخذ له بحقه منه ويجاهر القريب المظلوم بأنه غير عاف عن حقه ولا متسامح فيه فيتسامع بعض العقلاء من الأقارب بذلك فيذهبون لإخبار القريب الظالم وينصحونه بأن عليه أن يسعى لاستسماح قريبه المظلوم وأن يذعن له بحقه منه وأن ينصفه قبل أن يموت فالحقوق متعلقة بأصحابها لا تسقط إلا بالتحلل وعفو أصحابها عنها ومن أمثلة دعاء الأقارب على بعضهم ما فعله عروة بن حزام مع عمه الذي وعده ومناه بأن يزوجه ابنته عفراء وانتشر هذا الأمر في كل مكان وعرفه القاصي والداني ثم غدر العم بعد ذلك وأخلف

---

[١] لسان العرب ، مادة : فطحل

[٢] أخبار النحويين لأبي بكر المقرئ ص ٢٦

وعده ولم يزوج عروة عفراء وإنما زوجها شخصا آخر ومن ثم كان عروة يدعو على عمه بأن يصيبه البلاء وأن يلازمه الهوان يقول :

فيا عم يا ذا الغدر لا زلت مبتلى حليفا لهم لازم وهوان
غدرت وكان الغدر منك سجية فألزمت قلبي دائم الخفقان
وألبستني غما وكربا وحسرة وأورثت عيني دائم الهملان
فيا عم لا أسقيت من ذي قرابة بلالا [1] فقد زلت بك القدمان
ومنيتني عفراء حتى رجوتها وشاع الذي منيت كل مكان
فولا الله لولا حب عفراء ما التقى علي رواقا بيتك الخلقان [2]

وقال عروة داعيا على عمه أيضا:

فَيا ليتَ عَمِّي يومَ فرَّقَ بيننا سُقيْ السُّمَّ ممزوجاً بِشَبٍّ يَمانِ
بُنَيَّةُ عَمِّي حيلَ بيني وبينَها وضَجَّ لِوَشْكِ الفُرْقَةِ الصُّرَدانِ

وقال عنترة داعيا على عمه بالموت وأن يصاب بالشلل التام لأنه حرمه من زواجه من ابنته :

سقى الله عمي من يد الموت جرعة وشلت يداه بعد قطع الأصابع
كما قاد مثلي بالمحال إلى الردى وعلق آمالي بذيل المطامع [3]

## ٩ ـ إلقاء تبعة العقوق والخلاف على الأم إن كانت غريبة:

عند نشوب خلاف بين أقارب لصيقين كأعمام وأبناء أخ يلقي كثير من الأقارب وخاصة الأعمام عقوق الأبناء وبعدهم عن أهلهم وافتعال المشاكل معهم. حتى وإن كان الأبناء على حق كحدوث خلاف في الميراث ونحوه. يعزون هذا إلى الأم والأم لا

---

[1] البلال جمع بلة مثل برمة وبرام يقال ما في سقائك بلال أي ماء .

[2] خزانة الأدب ج٣ص٣٤٦ـ٣٤٧ الطبعة السلفية ، تزيين الأسواق ص ٧٤ ـ ٧٥

[3] ديوان عنترة بن شداد ، اعتنى به وشرحه، حمدو طمّاس، طبع دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣ م ، ص ١٣٠

تخرج من كونها قريبة زوجها والد أولادها أو غريبة عنه فإن كانت غريبة عن الأب المتوفى فإنهم يرون أن هذا العقوق الذي أصاب الأولاد تسببت فيه أمهم فهي غريبة عن عائلة زوجها وأن اللؤم والحمق والشر متأصل في أسرتها ولذا أرضعت هذا اللؤم لأبنائها وغذتهم بهذا اللبان [١] الفاسد فجاء الأبناء مسخا إذا قورنت أخلاقهم مع أخلاق أبيهم وأعمامهم فالأب كان رجلا فاضلا والأعمام كذلك رجال أفاضل عاقلون والأبناء لئام غير عاقلين وهؤلاء الأبناء عاجزون عن الاستئساد على غير أعمامهم وذلك لجبنهم وخورهم وخوفهم عن غيرهم من لداتهم وأترابهم ولأن أعمامهم أفاضل لا يودون إيذاءهم والانتصار عليهم لأنهم ينظرون إلى أرحامهم ويحفظون أباهم فيهم ولكنهم أبناء عققة لئام لا يرعون عهدا ولا يرقبون إلا ولا ذمة في أعمامهم ومن الأمثلة لذلك ما قاله رافع بن هُرَيْم:

فَهَلاَّ غَيْرَ عَمِّكُمُ ظَلَمْتُمْ ... إذا ما كنتُمُ مُتَظَلِّمينا؟
عَفاريتاً علَيَّ وأَكْل مالي ... وجُبْناً عن رِجالٍ آخَرينا
فلو كنتم لُمكْيِسَة أكاسَتْ [٢] ... وكَيْسُ الأُم يُعْرَف في البَنِينا
ولكن أُمُّكُمْ حَمُقَتْ [٣] فَجِئتُمْ ... غِثاثاً، [٤] ما نَرَى فيكم سَمِينا
وكان لنا فزارة [٥] عم سوء [٦] ... وكنت له كشر بني الأخينا [٧]

---

[١] قال الصقلي وابن الجوزي يجعلون اللبن لبنات آدم كالبهائم ويقولون تداويت بلبن النساء وذلك غلط. إنما يقال لبن الشاة ولبان المرأة.[خير الكلام في التقصي عن أخطاء العوام، ص ٤٨]

[٢] أَكْيَسَ الرجل وأَكاسَ إِذا وُلِدَ له أَولاد أَكياسٌ وامرأَة مكْياسٌ: تَلِدَ الأَكْياسَ.

[٣] قوله: "ولكنّ أمّكم حمقت"، بضم الميم، أي: صارت حمقاء.

[٤] "الغثاث": بكسر المعجمة بعدها مثلّثة: جمع غثيث بمعنى المهزول، ككرام جمع كريم.

[٥] "فزارة"، بفتح الفاء والزاي المعجمة: أبو حيّ من غطفان.

[٦] "السّوء"، بالفتح، هو المؤذي. وهو رجل سوء، بالفتح والإضافة، وعمل سوء، فإن عرّفت الأول قلت: الرجل السّوء والعمل السّوء، على النعت.

[٧] لسان العرب، مادة: كيس/ البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٨/ إصلاح المنطق ج ١ ص ٢٦٩

أما إذا كانت الأم قريبة لصيقة للزوج كابنة العم ونحوها من القرابة القريبة والصلة الوشيجة وخالف أبناؤها أعمامهم فإن الأعمام يرمون اللوم على الأبناء ويرون أن اللؤم أتاهم من قبل أنفسهم وهم كما قال القائل في أحد العاقين:

غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه ولم يأته من شطر أم ولا أب[١]

وقال حسان بن ثابت لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وذلك قبل إسلام أبي سفيان ؓ:

أبوكَ أبٌ حُرٌّ وأمُّكَ حُرّةٌ وهل يلِدُ الحُرّانِ غيرَ نجيبِ

فلا يعجبنَّ النَّاسُ منكَ ومنهما فما خبَثٌ من فضة بعجيبِ[٢]

وإذا كان بعض الأبناء على اتفاق مع أعمامهم وأقاربهم وآخرون ضدهم، فإنهم يثنون على المتفقين معهم ويذمون مخالفيهم واصفيهم بالتعجب من تباين حالهم مع وحدة أصلهم واتحاد أسرتهم، ومن ذلك أنه قصد ابن عيينة قبيصة المهلبي واستماحه فلم يسمح له بشيء فانصرف مغضبا فوجه إليه داود بن يزيد بن حاتم فترضاه وأحسن إليه فقال في ذلك:

داود محمود وأنت مذمم عجبا لذاك وأنتما من عود

ولرب عود قد يشق لمسجد نصفا وباقيه لحش يهودي

فالحش أنت له وذاك بمسجد كم بين موضع مسلح وسجود

هذا جزاؤك يا قبيص لأنه جادت يداه وأنت قبل حديد

ولابن عيينة هجاء في خالد:

أبوك لنا غيث يغيث بوبله وأنت جراد لست تبقي ولا تذر[٣]

---

[١] المستطرف ج ١ ص ٧٦

[٢] أخبار أولاد الخلفاء للصولي ص ١٥

[٣] قال المبرد في حقه لم يجتمع لأحد من المحدثين في بيت واحد هجاء رجل ومدح أبيه إلا له.

له أثر في المكرمات يسرنا    وأنــت تــعفي دائما ذلك الأثر[١]

## ١٠ ـ عدم المقدرة على إخفاء الخلاف والعداوة :

وجه المرء وعيناه وفلتات لسانه [٢] دليل على ما يجن في صدره ومؤشر على ما يخفي بين جنبيه من خبيئة نفس واستتار فعل وكوامن سلوك لا يحب إظهاره [٣]فصفحة الوجه تعكس ما يخفي المرء من خير أو شر وما يكتنفه من سرور وحزن كما أن عين الإنسان تنبئ عن شعوره تجاه زيد أو عمرو من حب أو بغض ومن صداقة ومن عداوة قال عمير بن الحباب السلمي مبينا هذا النوع من البشر وأن عداوتهم تظهر في أعينهم :

أَلا رُبَّ مَن تدعُو صَدِيقاً، ولو تَرى    مَقالتَه في الــغَيب، ساءَك ما يَفْرِي
مَقالتُه كالشَّحْم، ما دام شــاهِــداً    وبالــغيب مَأْثُور عــلى ثَغرة النَّحْرِ
يَسرُّك بــادِيه، وتــحت أَدِيــمِه    نَــمِيَّةُ شَرٍّ تَبْتَرِي عَــصَب الظَّهر
تُبِينُ لك العَيْنان مــا هــو كاتِمٌ    من الضِّغْن، والشَّحْناء بالنَّظَر الشَّزْر
وفِينا، وإِن قيل اصطلحنا، تَضاغُنٌ    كــما طَرَّ أَوْبارُ الجِرابِ على النَّشْر
فَرِشْني بخير طالَما قــد بَــرَيْتَني    فــخيرُ الموالي من يَرِيشُ ولا يَبرِي

يقول: ظاهرُنا في الصُّلح حسَن في مَرْآة العين وباطننا فاسد كما تحسُن أَوبار الجَرْبى عن أَكل النَّشْر، وتحتها داءٌ منه في أَجوافها [٤].

---

[١] المستطرف ج ١ ص ٧٤، وكذلك ج ٢ ص ٥/ الأغاني ج ٢٠ ص ١١٦ ــ ١١٧

[٢] قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر في صفحات وجهه وفلتات لــسانه. (ربيــع الأبرار للزمخشري ج ٢ ص ٨٠٧)

[٣] خطب أبو جعفر المنصور مرة فقال: أيها الناس لا تنفروا أطراف النعمة بقلة الشكر، فتَحُلَّ بكم النقمــة، ولا تُسِروا غش الأئمة، فإن أحدا لا يسر منكم شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه، وطوالع نظره. (نثــر الدر ج ٣ ص ٨٢)

[٤] لسان العرب، مادة: نشر

والعداوة مهما حاول الإنسان أن يخفيها فإنها تظهر وينم عليها ويفضحها مكنونات النفس وطوالع النظر، وعبوس الوجه وتقطيب الجبين ، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : من أسر سريرة ألبسه الله رداءها[(١)] علانية[(٢)]. وقال المتنبي:

يخفي العداوة وهي غير خفية　　　نظر العدو بما أسر يبوح [(٣)]

كما أن فلتات اللسان تعكس ما يجيش في النفس وما يعتمل في الصدر من خير ومن شر فالمرء مخبوء تحت لسانه.

فإذا كان القريب مبغضا لقريبه معاديا له فإن ذلك يظهر في نظراته تجاهه وبسور وجهه عند مقابلته إياه.

### ١١ـ تحير القريب اللصيق مع من يقف عند نشوب خلاف:

قد ينشب خلاف بين رجل وبعض قرابته ويزيد هذا الخلاف ويصل إلى المشاتمة والسباب ويتطور إلى التناول بالأيدي فيحاول كل قريب من المتخاصمين الانتصار على خصمه والتغلب على غريمه بكل الوسائل المتاحة من تناول باليد واللسان.

ومن بين وسائل الانتصار على الخصم حشد الدعم وكسب التأييد من بقية الأقارب فتجد القريب يتناول مشكلته مع قريبه موضحا ما دار بينه وبين فلان قريبه

---

(١) ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه اللّه رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر . يعني أن ما أضمره يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه وقد أخبر اللّه في التتريل بأن ذلك قد يظهر في الوجه فقال ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ وظهور ما في الباطن على اللسان أعظم من ظهوره في الوجه لكنه يبدو بدواً خفياً فإذا صار خلقاً ظهر لأهل الفراسة والنهى. [انظر: فيض القدير، حديث رقم : ٧٨١٣]

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص عن عثمان بلفظ ما من عبد يسر سريرة إلا رداه الله رداءها علانية إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ورواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني وأبو نعيم عن أبي سعيد بلفظ لو أن أحدكم عمل في صخرة صماء لا باب لها ولا كوة لأخرج الله عمله كائنا ما كان، قال النجم وسنده حسن. [كشف الخفاء، حديث رقم : ٢٣٧٥]

(٣) ديوان المتنبي دار الجيل بيروت (ب.ت) ص ٦٨

محاولا في تناوله تبرئة نفسه وإلقاء كل اللوم على قريبه وأنه دفعه لما فعل دفعا وقسره على ما قام به قسرا وأنه حاول التنصل منه والانفلات من شره ولكنه لم يستطع فكان ما كان فلا تعاتبوني وعاتبوه ولا تلوموني ولوموه ولا تعنفوني وعنفوه ويكون الأقارب حيال هذه المشكلة على أنواع :

. نوع يسعى للصلح بينهم ورأب الصدع ولم الشعث وإصلاح ذات البين.

. صنف يقف مع أحدهم ضد الآخر علانية وهم غالبا من النساء وضعاف العقول وسفهاء العشيرة وذوي العرامة والتفلت نحو الشر.

. صنف يقف متحيرا لا يدري مع من يقف مع فلان ؟ أو مع فلان؟ وهم اللصيقون بالأقارب أصحاب المشكلة كأن تكون زوجة لزوجها مشكلة مع أخيها فتتحير مع من تقف مع زوجها ؟ أو مع أخيها؟

ومن القصص الواقعية لتحير القريب مع من يقف قصة امرأة قتل أخوها زوجها وكانت جالسة في مأتم زوجها ويبدو عليها أثر الحسرة والحيرة فأتتها نساء من أقارب زوجها وقلن لها اخرجي عن مأتمنا [1]وذلك أنه: لما قتل جساس بن مرة كليب بن ربيعة وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب اجتمع نساء الحي للمأتم فقلن لأخت كليب رحلي جليلة عن مأتمك فإن قيامها فيه شماتة وعار علينا عند العرب فقالت لها يا هذه اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت واترنا وشقيقة قاتلنا فخرجت وهي تجر أعطافها فلقيها أبوها مرة فقال لها ما وراءك يا جليلة فقالت ثكل العدد وحزن الأبد وفقد حليل وقتل أخ عن قليل وبين ذين غرس الأحقاد وتفتت الأكباد.

---

[1] المأتَمُ: يذهب الناس إلى أنه المصيبة، ويقولون: كنا في مأتمٍ، وليس كذلك، إنما المأتم النساء يجتمعن في الخير والشر، والجمع مآتم، والصواب أن يقولوا : كنا في مَنَاحة، وإنما قيل لها مَنَاحة من النَّوائح لتاقبلهن عند البكاء، يقال: الجبَلان يتنَاوحان، إذا تَقَابلا، وكذلك الشَّجرُ، وقال الشاعر:

عشيَّةَ قامَ النَّائحاتُ وشُقِّقتْ          جيوبٌ بأيدِي مَأْتَمٍ وخدود

أي: بأيدي نساء. [أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٣ ــ ٢٤]

فقال لها أو يكف ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات ؟ فقالت جليلة أمنية مخدوع ورب الكعبة أبالبدن تدع لك تغلب دم ربها.

ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب رحلة المعتدي وفراق الشامت ويل غدا لآل مرة من الكرة بعد الكرة فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها أسعد الله جد أختي أفلا قالت : نفرة الحياء وخوف الاعتداء ثم أنشأت تقول :

يا بــنةَ الأقــوامِ إنْ شئتِ فلا تَعْجَلِي باللَّوْمِ حتى تسـأَلِي
فـإذا أنـتِ تَبيَّنـتِ الـذي يُوجِبُ اللَّومَ فلَـومِي واعذُلِي
إن تكن أُختُ امرئ لِيمتْ على شَـفَقٍ منـها عـليه فافعلي
جَلَّ عنـدي فـعلُ جَسّاسٍ فيا حَسْرتي عما انجلتْ أو تنجلي
فعلُ جَسّاسٍ عـلى وَجْـدِي به قـاطعٌ ظَـهْرِي ومُدْنٍ أجَلِي
يا قتيلاً قَـوّض الـدهرُ بـه سَقـفَ بيتّي جـميعاً من عَلِ
هدمَ البيتَ الـذي استحدثُته وانـثَنى في هـدمِ بيتي الأوّلِ
يا نِسائي دونـكنّ اليـومَ قد خَـصَّني الـدهرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ
ليس من يَبكِي ليـومين كمن إنـما يـبكِي ليـومٍ ينجلي
يشتفِي المـدرِكُ بالثأر وفـي دَرَكـي ثـأرِيَ ثُكْلُ المُثكلِ
إننـي قـاتـلةٌ مـقتولـةٌ ولـعلّ الله أن يـرتاحَ لـي [1]

ومن خلال تتبع تاريخ العرب واستقراء واقع الأسر، نجد أن الأغلب الأعم وقوف القريب مع أهل أبيه وعدم احتفاله بأهل أمه وأخواله ، والأمثلة على ذلك كثيرة نجتزئ منها بالآتي:

. قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير : وقع بين أعمامى وأخوالى لحاء فى أرضٍ، فتراضوا عند حاكم لهم بشيخ منهم ورضوا بيمينه مع الشهادة، فكان إذا

[1] الأغاني ج ٥ ص ٦٥ ــ ٦٩

استحلف بالمشي إلى مكة حلف بالمشي إلى جدة، وإذا استحلف بطلاق امرأة حلف بطلاق أربع، وإذا استحلف بعتاق عبد حلف بعتق مائة، وكنت أحب أن يظهر أعمامي على أخوالي فظهروا عليهم، فقلت:

لا شيء يدفع حق خصيمٍ شاغبٍ إلا كحلف عبيدة بن سميدع
يمضى اليمين على اليمين لحاجة عض الجموح على اللجام المقدع
وإذا يذكر حلفةً أصغى لها وإذا يذكر بالتقى لم يسمع
سهل اليمين إذا أردت يمينه بخدائع السفراء غير مخدع
يهتز حين تمر حجة خصمه خوف الهضيمة كاهتزاز الأشجع
يغشى مضرته لنفع صديقه ما خير ذي حسب إذا لم ينفع[١]

. قصة لبيد بن ربيعة والربيع بن زياد ووقوف لبيد مع أعمامه ضد خاله الربيع[٢].

وليس معنى ذلك أن يغفل المرء أخواله؟ بل هو يفخر بهم، وينصرهم ويقف بجانبهم وينتصر لهم مقارنة بالآخرين عدا الأعمام، قال الفرزدق:

وَضَبَّةُ أَخوالي هُمُ الهامَةُ الَّتي بِها مُضَرٌ دَمّاغَةٌ لِلجَماجِمِ

كما أنه ينتقم ممن أساء إليهم وإن كان أقرب قريب كما طلق حسان بن ثابت امرأته لتعرضها لأخواله [٣] بل نجد المرء يعفو عن أخواله إن أساءوا إليه في شخصه قال المتلمس الضبعي:

فلَوْ غيْرُ أخْوالي أرادوا نقيصَتي جعَلْتُ لهُمْ فُوْقَ العرَانينِ مِيسَمَا
وما كنْتُ إلَّا مثْلَ قاطعِ كفِّهِ بكفٍّ لَهُ أخْرَى فأصبَحَ أجْذَما
فلمّا استَقادَ الكفَّ بالكفِّ لَمْ يجِدْ لهُ دَرَكاً في أنْ تَبينَا فأحْجَما

---

[١] الأمالي لأبي على القالي ص ١١٠ ــ ١١

[٢] انظر ص من هذا الكتاب.

[٣] انظر: الطلاق أسبابه آثاره

فأَطْرقَ إطْراقَ الشُجاعِ ولوْ يرَى    مُساغاً لنابيْهِ الشُجاعُ لَصَمَّمَا(١)

ولكن إن حدث خلاف بين أعمامه وأخواله فإنه يقف مع أعمامه. قال أعرابيّ يلقَّب بالمُفَرِّق:

ونُبِّئتُ أخوالي أرادوا عمومتي    بشَنَـــعاء فيها ثامل الشرّ منقَعا

سأركبها فيكم وأدعى مفرِّقاً    فإن شئتمُ من بعدُ كنتُ مُجمِّعا

بهذا البيت سمِّيَ مُفرِّقاً. (٢)

والزوجة عند حدوث خلاف بين زوجها وإخوتها فإنها تقف غالبا مع إخوتها، لأنها لا تريد أن تسبح عكس التيار ولا أن تصارع الأمواج ولا أن تعير في المجتمع ومن ذلك:

. قال عيسى بن إسماعيل: كان أول ما هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن ذبيان وبين بني رقاش، وهم بنو قرة بن حفش بن عمرو بن عبد الله بن ثعلبة بن ذبيان، وهم رهط زيادة بن زيد، وبنو عامر رهط هدبة، أن حوط بن خشرم أخا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما، وكان مطلقهما من الغاية على يوم وليلة، وذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الراويا والقرب، وكانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت زيادة بن زيد، فمالت مع أخيها على زوجها، (٣)فوهن أوعية زيادة، ففني ماؤه قبل ماء صاحبه، فقال زيادة:

قد جعلت نفسي في أديم    محرم الدباغ ذي هزوم(٤)

ثم رمت بي عرض الديموم    في بارح من وهج السموم

---

(١) الأصمعيات ص ١٥٩

(٢) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين للخالديين، ص ١٧٢ ـــ ١٧٣

(٣) قيل لامرأة اسر الحجاج زوجها وابنها وأخاها: اختاري واحداً منهم. فقالت: الزوج موجود، والابن مولـــود، والأخ مفقود، أختار الأخ! فقال الحجاج: عفوت عن جماعتهم لحسن كلامها!

(٤) المحرم: الذي لم يدبغ، والهزوم: الشقوق.

عند اطلاع وعرة النجوم[١]

. ذكر سليمان بن عياش قال: كانت عند الخارجي بنت عم له فهجاه بعض قرابتها فأجابه الخارجي فغضبت زوجته وقالت هجوت قرابتي فقال الخارجي في ذلك:

أما ما أقول لهم فعابت علي ... وقد هجيت فما تعيب

فرمت وقد بدا لي ذاك منها ... لأهجوها فيمنعني النسيب

فلا قلب يبصر كل ذنب ... ولا راض بغير رضا غضوب[٢]

وليس معنى ذلك أنه لا يوجد نساء يقفن مع أزواجهن بل يوجد ولكن أكثر وقفوهن مع أهليهن وإخوانهن ومن ذلك:

. قال ابن حجر: وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك - الوأد - كراهة فيهن، ويقال: إن أول من فعل ذلك قيس بن عاصم التميمي وكان بعض أعدائه أغار عليه فأسر بنته فاتخذها لنفسه ثم حصل بينهم صلح فخير ابنته فاختارت زوجها، فآلى قيس على نفسه أن لا تولد له بنت إلا دفنها حية فتبعه العرب في ذلك[٣].

وفي رأي أن سبب وقوف المرأة مع زوجها يعود للآتي :

. في ظن كثير من النساء أن المكان والمنزلة التي يسدها لها الزوج لا يقوم بها الأب ولا غيره من الأقارب.

ولذا قال زيادة مبينا لزوجته عندما وقفت مع أخيها حوط بن خشرم أن غيره لا يسد مسده فقال:

قد علمت سلمى بالعميس[٤] ... ليلة مرمار ومرمريس[٥]

---

[١] الأغاني ج ٥ ص ٤٠٨

[٢] الأغاني ج ١٦ ص ١٣٤

[٣] فتح الباري ج١٠ص٤٢٠ـ٤٢١

[٤] العميس: موضع.

[٥] المرمار والمرمريس: الشدة والاختلاط.

أن أبا المسور [(١)] ذو شريس    يشفي صداع الأبلج الدلعيس[(٢)]

كما أن المرأة عند زوجها تكون لها كينونتها ومملكتها الخاصة بها (بيتها) ورعيتها (أولادها) وتفقد كل ذلك بوقوفها مع أهلها.

## ١٢ ـ إلصاق التهم الباطلة بالقريب بغية إسقاطه:

قد يقوم أحد الأقارب عند احتدام الصراع واشتداد العداء بينه وبين قريبه بإلصاق التهم الباطلة بقريبه وائتفاك الكذب واختلاق الأباطيل بقصد إسقاطه وتحطيمه اجتماعيا وإذهاب منزلته ومكانته بين الناس ولنمثل لذلك بالآتي:

. قَالَ الأشعر الزَّفَيَان راداً على ابن عمه رضوان الذي ألصق بالزفيان تهمة البخل بانتحاله اسمه مما يتضح لنا في هذه القصة:

تجانَفَ [(٣)] رِضْوَانُ عَنْ ضَيْفِهِ    ألم يأتِ رِضْوَانَ عَنِّي النُّـذُرْ

بِحَسْبِكَ فِي الْقَوْمِ أن يَعْلَموا    بأَنَّكَ فِيـهِمْ غَنِـيٌّ مُضِرْ [(٤)]

وَقَدْ عَلِمَ المَعْشرُ الـطَّارِقُونَ    بأَنَّكَ للضيف جُوعٌ وَقُـرْ

مَسِخ مَلِيخ [(٥)] كَلَحْمِ الحَـوارِ    فَلاَ أنْتَ حُلْو وَلاَ أنتَ مُرْ

كَأَنك ذَاك الـذِي فِي الضُّرُو    عِ [(٦)] قُدَّامَ ضَرَّتِهَا الْمُنْتَشِـرْ

إذا مَا انْتَدَى الـقومُ لم تأتِهِمْ    كـأَنَّكَ قد وَلَدَتْكَ الْحُمُرْ

كان من حديث رضوان أنه كان مُكْثِراً بخيلاً فنزل به ضيف فأساء قِرَاه فسأله الضيفُ عن اسمه فَقَالَ: أنا أسمى الأشعر الزَّفَيَان فغدا الضيفُ من عند ذاماًّ له فنزل

---

(١) أبا المسور يعني زيادة نفسه، وكانت كنيته أبا المسور.

(٢) الأغاني ٥ ص ٤٠٨

(٣) " تجانف " أي انحرف وتَنَحَّى

(٤) المُضِر: الذي تروح عليه ضرة من المال وهو المال الكثير الذي تولده من ضرة الضَّرْع

(٥) المسيخ والمليخ : الذي لاَ طَعْم له

(٦) وقوله " كأنك ذاك الذي في الضروع " يعني ثقلاً يكون زائدا في أخلاَف الناقة والشاة.

على الأشعر الزفيان فأحسن قِرَاه فَقَالَ الضيف: إذا أحسن الله جزاك فلاَ أحْسَنَ جزاء الأشعر فإني بتّ به البارحة فأساء قِرَاي فَقَالَ: أنا الأشعر الزفيان فَبِمَنْ بِتَّ؟ فوصف له الرجل وكان ابن عمه فهجاه وكلاَهما من بنى أسد [١].

. كان الأقيشر شريبا للخمر، متهتكا به ، ولا يدخل في يده شيء إلا أنفقه فيه، وكان له ابن عم موسر، فكان يسأله فيعطيه، حتى كثر ذلك، فمنعه، وقال له: إلى كم أعطيك مالي وأنت تنفقه في شرب الخمر؟ والله لا أعطيك شيئا أبدا، فتركه حتى اجتمع قومه في ناديهم، وهو فيهم، ثم جاء فوقف عليهم، فشكاه إليهم وذمه، فوثب إليه ابن عمه فلطمه فقال الأقيشر:

سريع إلى ابن العم يلطـم خده  وليس إلى داعي الندى بسريع
حريص على الدنيا مضيع لدينه  وليس لما في بيته بمضيع [٢]

## ١٣ ـ الاحتراب والاقتتال:

قد يتطور العداء بين الأقارب إلى الاقتتال والاحتراب فيعود القريب سهما مفوقا في نحر قريبه بعد أن كان مجنا يتقي به الآخرين وعدوا بعد أن كان عدة وحربا بعد أن كان سلما قال البحتري يصف عداوة أقارب وأحقاد كامنة في الصدر أفضت إلى الاقتتال والاحتراب:

أَسِيتُ لأخْوَالِي ربيعةَ أنْ عَفَتْ  مَصَايفُهَا منها، وأقْوَتْ رُبُوعها
بِكُرْهِيَ أنْ بَانَتْ خَلاءً ديارُهَا  ووَحْشاً مَغَانيها، وشَتَّى جميعُهَا
إذا افترقوا من وَقعَة جَمَعَتْهُمُ  دِماء لأُخْرَى ما يُطَلُّ نَجيعُها
تَذُمُّ الفتاةُ الرُود شِيمةَ بَعْلِهَا  إذا باتَ دون الثأْرِ وَهْوَ ضَجيعُها
حَمِيَّةُ شَعْبٍ جاهلي وعِزَّة  كلابية أعْيا الرجالَ خُضُوعُها

---

[١] مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، دار المعرفة، بيروت تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ج ٢ ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥، رقم: ٤١٧٤

[٢] معاهد التنصيص ج ٣ ص ٢٤٢

وفرسان هيجاء تَجيشُ صدورُهم بأحَـــقَادِها حتى تَضيقَ دروعها
تُقتِّلُ مـــن وِتْـــرٍ أعَزَّ نـــفوسِها عـــليها بأيـــد ما تكادُ تُطيعُها
إذا احْتَرَبَتْ يوماً ففاضَت دماؤُها تذكَّرَتِ القُرْبَى ففاضتْ دموعُهَا
شـــواجِرُ أَرْمـــاحٍ تقطَع بينهـــا شـــواجرَ أَرْحامٍ مَلوم قَطوعها[١]

وعند احتدام العداوة نجد بعضهم يفتخر بنتيجة الهوان الذي أولاه لقريبه رغم أنها أدت إلى تفليق رؤوس وقطعها بالسيوف وهشمها بالفؤوس يقول الحصين بن الحمام المري [٢] مصورا ما دار بينه وبين قومه في وصف جميل مؤلم وكيف آل الأمر بينه وبين قومه من تقتيل وتنكيل وكان السبب في هذا الشعر ما حدث به أبو عبيدة قال كان ناس من بني قضاعة يقال لهم بنو سلامان بن سعد حلفاء لبني صرمة بن مرة ونزولا فيهم وكان بنو حميس ابن عامر حلفاء لبني سهم بن مرة وكان في بني صرمة يهودي من أهل تيماء يقال له جهينة وكان في بني سهم يهودي من أهل وادي القرى وكان تاجرا في الخمر وكان بنو جوشن أهل بيت من عبد الله بن غطفان جيرانا لبني صرمة وكان يتشاءم بهم ففقدوا منهم رجلا يقال له حصين كان يقطع الطريق وحده فكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه وينشدونه في كل مجلس وموسم فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود في بيت ذلك اليهودي المجاور لبني سهم يبتاع خمرا إذ مرت أخت المفقود تسأل عن أخيها فقالت لليهودي نشدتك الله ودينك هل تعلم لأخي علما فقال لا وديني لا أعلم فلما مضى أخو المفقود تمثل ذلك اليهودي:

لعمرك ما ضلت ضلال ابن جوشن حصاة بليل ألقيت وسط جندل

أراد أن الحصاة يمكن أن ترجع وأن هذا لا يرجع أبدا فلما سمع أخوه ذلك تركه حتى إذا أمسى قتله فأتى الحصين وقيل له إن جارك اليهودي قد قتله أبو جوشن

---

(١) ديوان البحتري ج ١ ص ٦ / زهر الآداب وثمر الألباب، ج ١ ص ٣٠

(٢) الحصين بن الحمام بن ربيعة ينتهي نسبه إلى سهم بن مرة من غطفان وهو شاعر جاهلي فارس مذكور يعد من أوفياء العرب.

جار بني صرمة فقال اقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة فأتوه فقتلوه فوقع الشر بينهم وصافهم الحصين الحرب وقاتلهم وهزمهم وكف يده بعد ما أكثر فيهم القتل وأبى بنو سلامان أن يكفوا عن القوم حتى أثخنوا فيهم وأجلبت بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة وأجلبت بنو محارب ابن خصفة معهم أيضا فأقاموا على الحرب وغاظهم بنو ذبيان ومحارب فالتقوا بدارة فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر في ذلك حيث يقول هذه الأبيات:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما[(١)]

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما[(٢)]

نفلق هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما[(٣)]

ولما رأينا الصبر قد حيل دونه وإن كان يوما ذا كواكب مظلما[(٤)]

صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما[(٥)]

---

(١) معناه أنه لما تأخر طمع فيه العدو وظنه جبانا فاجترأ عليه فلم يجد لنفسه حياة مثل التقدم لأن الجبان يطمع فيه كل أحد فيكون سريع العطب

(٢) الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر القدم والكلوم الجراح يقول نحن لا نولي فنجرح في ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا ولكن نستقبل السيوف بوجوهنا فإن أصابنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا

(٣) نفلق: أي نشق والهام جمع هامة وهي الرأس يقول نشقق هامات من رجال يكرمون علينا لأنهم منا وهم كانوا أسبق إلى العقوق. والعقوق ضد البر وأغلب ما يستعمل في الولد مع والده يقول نشق رؤوس رجال أعزة علينا ولكنهم ركبوا الظلم والعسف والعقوق والعدوان يريد أن الذي حملهم على قتالهم إنما هو بغيهم وظلمهم وإن كانوا أعزاء عليهم

(٤) وإن كان يوما اسم كان يعود إلى اليوم أي وإن كان ذلك اليوم يوما ذا كواكب مأخوذ من قولهم أراه الكواكب نهارا وهو شيء نطقوا به في الدهر الأول يريدون بذلك شدة الأمر وعظم الخطب

(٥) السجية الطبيعة والمعصم موضع السوار من الساعد

ولما رأيت الود ليس بنافعي عمدت إلى الأمر الذي كان أحزما[١]

فلست بمبتاع الحياة بذلة ولا مرتق من خشية الموت سلما[٢]

**وقال رجل من بني عقيل وحاربه بنو عمه فقتل منهم وأسر :**

بُكُرْه منا يا أم عمرو نعاديكم بمرهفة صقال[٣]

نعديهن يوم الروع عنكم وإن كانت مثلمة النصال[٤]

لها لون من الهامات كاب وإن كانت تحادث بالصقال[٥]

ونبكي حين نقتلكم عليكم ونقتلكم كأنا لا نبالي[٦]

**وقال القتال الكلابي [٧] وكان من حديثه أنه كان يتحدث ذات يوم مع ابنة عم له يقال لها العالية بنت عبد الله وكان لها أخ غائب يسمى زياد فلما قدم رأى القتال**

---

[١] جعل الحزم للأمر كما جعل له العزم في قوله تعالى﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾ ومعنى البيت لما رأيتهم لا يرتدعون عن ركوب الرأس قصدت إلى ما كان أجمع للحزم معهم من مكاشفتهم وترك الإبقاء عليهم

[٢] بمبتاع الحياة أي بمشتريها ولا مرتق أي لست بمرتق في الأسباب خوفا من الموت بل الميتة الحسنة على ما يتعقبها من الأحدوثة الجميلة آثر عندنا من العيشة الذميمة على ما يخالطها من الدنية.[الحماسة ج ٢ ص ٦٠ ـــ ٦١، وأيضا: ج ٢ ص ١٤٦ ــ ١٤٨]

[٣] المرهفة السيوف والصقال جمع صقيل يقول بمشقة رؤسائنا وكراهتهم نباكركم بسيوف مرققة الحد مصقولة وإنما قال بكره سراتنا لأن الرؤساء يحبون إصلاح ذات البين لأن عز الرئيس بأصحابه

[٤] نعديهن أي نصرفهن والمعنى نصرف عنكم السيوف إبقاء عليكم وكراهية لاستئصالكم وإن كانت نصالها قد تفللت من كثرة ما نقارع بها الأعداء

[٥] واللون الكابي من قولهم كبا وجهه إذا أربد ومن الهامات أي من دماء الهامات ومحادثة السيوف صقلها وجلاؤها يقول إن السيوف قد تغير لونها لكثرة إغمادها في الرؤوس ولا تزال صدئة وإن كنا نتعهدها بالصقل كنى بذلك عن كثرة العمل بها

[٦] ونبكي إلى آخر معناها أننا نبكي قتلاكم لما يجمعنا وإياكم من الرحم الماسة ونقتلكم إذا أحوجتمونا إليه فنحن نأتيه كأنا لا نكرهه.(شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ١ ص ١٤٥)

[٧] هو عبد الله بن مجيب المضرجي شاعر إسلامي أموي يعد في المقلين من الشعر

يتحدث إلى أخته فنهاه وحلف لئن رآه ثانية ليقتلنه فلما كان بعد ذلك بأيام رآه عندها فأخذ السيف وبصر به القتال فخرج هاربا وخرج زياد في أثره فلما دنا منه ناشده القتال بالله والرحم فلم يلتفت إليه فبينا هو يسعى وقد كاد يلحقه وجد رمحا مركوزا فأخذه وعطف على زياد فقتله فقال هذه الأبيات:

نشـــدت زيادا والمقامــة بيننا وذكــرته أرحــام سِــعْر وهيثــم[١]

فلمــا رأيت أنــه غــير منتــه أمــلتُ لــه بــلــدن مــقــوم[٢]

فلــمــا رأيت أنــي قتلتـــه ندمت عليه أيُّ ســاعة منـــدم[٣]

وقال شبيل الفزاري وكان حاربه بنو أخيه فقتلهم :

أيا لهفي على من كنت أدعو فــيكفيني وســاعــده شديد[٤]

وما عن ذلة غلبوا ولكــن كذاك الأسد تفترسها الأسود[٥]

فلولا أنهم سبــقت إليــهم ســوابق نبــلنا وهــم بعيد[٦]

---

[١] يقال نشدتك الله والرحم وناشدتك الله والرحم أي سألتك بهما والمقامة القوم والأرحام جمع رحم وهي القرابة وسعر وهيثم أسما رجلين ومعنى البيت أنه يقول أقسمت على زياد بالله تعالى أن يكف عني والقوم بيننا حاضــرون وذكرته من أرحام هذين الرجلين ما يجمعني وإياه طلبا للصلح فلم ينته

[٢] بلدن مقوم أي برمح لين مثقف يقول لما رأيته لا ينتهي بالقول ولا يرعوي بالزجر أملت له كفي بــرمح لــين مثقف فطعنته به

[٣] ولما رأيت أنني قد قتلته ندمت عليه أي ساعة مندم ندمت عليه لما قتلته أي ندمت عليه حين لم تنفــع الندامــة. (شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ١ ص ١٤٦ ــ ١٤٧)

[٤] فيكفيني الخ أي يدافع عني بقوة وشدة بأس والمعنى أنه يتلهف على قتله أولاد أخيه الذين كانوا ينفعونه عنــد الملمات إذا دعاهم لها

[٥] وما من ذلة الخ معناه نحن ما قتلناهم لضعفهم ولكنهم كالأسود التي تفترسها الأسود.

[٦] لفظ بعيد مثل ظهير يقع على المفرد والجمع أي وهم متباعدون والمعنى نحن رميناهم بسهامنا السابقة إليهم وهم على بعد فقتلناهم ولو كانوا على قرب منا لنالوا منا كما نلنا منهم بدليل البيت بعده

لحاسونا حياض الموت حتى تـــطاير مـــن جوانبنا شريد[١]

**وقد تطال نتيجة العداء بين الأقارب المقحم فيه ومن ذلك أنه قامت حروب بين بني عدي فذهب زيد بن عمر بن الخطاب للصلح بينهم فأصابته شجاج فكان سبب موته رحمه الله تعالى [٢].**

[١] لحاسونا حياض الموت فيه توسع لأن المعنى على ما في الحياض والمحاساة المساقاة والشريد المطر أو المتفرق وكنى به عن الكثرة وإن كان واحدا والمعنى لولا سهامنا سبقت إليهم فمنعتهم من تقدمهم إلينا لكانوا سقونا من حيـــاض الموت كما سقيناهم حتى كان يتطاير منا كل شريد من أعضائنا يريد أنهم كانوا مثلنا في القوة ولكنا احتلنا علـــيهم برمينا فيهم بالسهام على بعدهم منا.(شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ١ ص ٤٤٢)

[٢] كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ص ٤١٢

# الباب الثالث

## علاج العداوة وإذهاب وحر الصدور بين الأقارب

## الفصل الأول

### العلاج الوقائي للخلافات بين الأقارب

## الفصل الثاني

### العلاج الدوائي للخلافات بين الأقارب

# الفصل الأول

## العلاج الوقائي للخلافات بين الأقارب

١. معرفة أهمية الأهل والعشيرة

٢ . الأقارب جزء منك

٣ . عدم المقدرة على الانتصار والتشفي من الأقارب

٤ . معرفة أمثلة لعداوات أقارب استصلحت بحسن التعامل

٥ . الصفح عن الأقارب من شيم الكرم والإساءة إليهم من صفات الذم

٦ . المشاكل والخلافات بين الأقارب أمر عادي فلا داعي لتضخيمها

٧ . عند الشدائد تذهب الأحقاد

٨ . عتاب ابن العم والقريب خير من الحقد عليه

٩ . لا يكن نفعك للأبعدين دون الأقربين فالعبرة بالمنفعة لا بالرحم

١٠. معرفة أمثلة لعداوات أقارب أخفق أصحابها في استصلاحها

١١ . معرفة أنساب العشيرة حتى يتعلمها الصغار وترسخ عند الكبار

١٢ . وصية الآباء الأبناء بالاهتمام بالأقارب ومراعاة حقهم

١٣. افتخار القريب بقريبه ووقوفه معه وانتشائه عند مساعدته لقريبه وتقديمه شيئا له

١٤ . إصابة من يقوم بقتل أحد أقاربه بعكس ما يريد

١٥ . صلة الأرحام سبب للوقاية من مكايد الزمان

١٦ . عدم التدخل في خصومات النساء والأطفال

١٧ . معرفة بعض أسباب السيادة عند العرب ليستفاد منها

# الفصل الأول

## العلاج الوقائي للخلافات بين الأقارب

**المرض نوعان مرض عضوي ومرض معنوي تفصيله كالآتي:**

**. مرض في الجسم: قال الله تعالى**﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (١)

**. مرض في القلب: وهو نوعان أيضا:**

**. الكفر والشرك والنفاق: قال الله تعالى**﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ (٢)

**. حب الزنا والفواحش والفجور: قال الله تعالى**﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ (٣)

**قال نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما: أخبرني عن قوله** ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ **قال: الفجور والزنا. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الأعشى وهو يقول:**

**حافظ للفرج راض بالتقى　　　ليس ممن قلبه فيه مرض** (٤)

**وهذه الأمراض الحسية والمعنوية لها علاج وذلك لما جاء : عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ**

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٤

(٢) سورة البقرة آية ١٠

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٢

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ج ٥ ص ٣٧٣ / أضواء البيان ج ٥ ص ٧٣٤ ـــ ٧٣٥ ولم أجده في ديــوان الأعشى

وَجَلَّ [١] .

فالأمراض الحسية تعالج بالدعاء والرقى الشرعية والأدوية التي لا تحوي محرما والأمراض المعنوية تعالج بتجريد التوحيد وتصحيح الإيمان والعلم.

ومرضنا هذا الخلافات بين الأقارب يدخل تحت النوع الأول من أمراض القلوب في المقام الأول، وفي أمراض الأبدان لما يترتب عليه من آثار على الأقارب في المقام الثاني.

وبعد أن شخصنا الداء ولمسنا العلة وعرفنا الأسباب نريد أن نستعرض العلاج ونصف الدواء ونعرف طريقة تناوله خاصين به:

. من يعاني من هذه المشاكل والخلافات في أسرته.

. من يريد حل الخلافات للآخرين فهو يراها في أهله وجيرانه وأصدقائه ومجتمعه.

وهذه العلل لها علاج كما أسلفنا وعلاج هذه الأمراض نوعان هما:

. العلاج الوقائي الاحترازي وهو الذي يبحث عن التدابير المانعة للداء قبل وقوعه فتعد للأمور أقرانها وللنوازل أشباهها وكما قيل: الوقاية خير من العلاج ودرهم تنفقه في وقاية خير من قنطار تنفقه في العلاج. والوَاقِيةُ [٢] خَيْرٌ مِنَ الرَّاقِيَّةِ [٣].

. العلاج الدوائي وهو الذي يصف تناول العلاج للقضاء على المرض الذي نزل والداء العضال الذي ألم.

والعلاج الوقائي أنواع منه:

---

[١] صحيح مسلم، كتاب السلام: بَاب لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ وَاسْتِحْبَابِ التَّدَاوِي، حديث رقم: ٤٠٤٨

[٢] يعنى حفظ اللّه إياكَ خيرٌ لك من أن تُبْتَلَى فترقى.

[٣] مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني ج ٢ ص ٣٧١

## ١ ـ معرفة أهمية الأهل والعشيرة [١]:

للأهل والعشيرة أهمية قصوى منها :

### أ ـ مترادفات الأقارب وما يتعلق بها واشتقاقاتها تدل على أهميتهم عند العرب:

كثرة مترادفات الاسم عند العرب تدل على اهتمامهم به وعظيم مكانته عندهم ومنزلته لديهم فالأسد له عدد من الأسماء تبلغ خمسمائة [٢] والحجر [٣] له عدة أسماء تبلغ عددا مهولا وغيرها من ذوات الأخطار.

واسم الأقارب وما يتعلق به له عدة مترادفات مما يدل على عظيم خطره عند العرب فالقريب عليه المستند والملجأ والمعتمد واشتقاق الكلمات المتعلقة بذلك تدل على ذلك ومن ذلك:

**. العترة:**

وتعني العويد الذي في نصاب المسحاة يعتمد عليه العامل بها ومن ثم سمي أقارب الرجل عترته لأن معتمده عليهم [٤].

**ـ الأقارب:**

من الدنو والقرب الروحي حتى وإن بعدت الديار، وشط المزار، ونأت البلاد.

---

[١] العشيرة: أهل الرجل الذين يتكثر بهم. أي: يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أن العشرة هو العدد الكامل.[مفردات غريب القرآن، كتاب العين مادة: عشر]

[٢] قال السيوطي: مما لا يمكن نقله البتة أوصاف السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الأسماء المترادفة ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد اسما غير واحد فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم. وحدثني أحمد بن محمد بن بندار قال: سمعت أبا عبد الله بن خالويه الهمذاني يقول: جمعت للأسد خمسمائة اسم وللحية مائتين. [المزهر ج ١ ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧]

[٣] سأل الرشيد الأصمعي عن شعر لابن حزام العكلي ففسره فقال: يا أصمعي إن الغريب عندك لغير غريب قال : يا أمير المؤمنين ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما.[المزهر ج ١ ص ٢٥٧]

[٤] جمهرة الأمثال ج ١ ص ٥٠/ معجم المقاييس في اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م، ص ٨٣٣

قال ابن فارس: القاف والراء والباء أصل صحيح يدل على خلاف البعد يقال: قرب يقرب قربا، وفلان ذو قرابتي وهو من يقرب منك رحما وفلان قريبي وذو قرابتي [١].

**. العشيرة :**

العشرة: المخالطة؛ عاشَرْتُه مُعَاشَرَةً، واعْتَشَرُوا وتَعاشَرُوا: تخالطوا؛ وعَشِيرَة الرجل[٢]: بنو أَبيه الأَدْنَوْنَ [٣]، والجمع عَشَائر [٤].

**. الرهط :**

الرَّهْط: عَشِيرةُ الرجُل وأهْله. والرهط من الرجال ما دُون العَشرة. وقيل إلى الأرْبعين ولا تكونُ فيهم امرأةٌ، ولا واحدَ لَه من لَفظِه، ويُجمع على أرْهاط، وأرَاهِطُ جْمعُ الجمْع [٥].

---

[١] معجم المقاييس في اللغة، ص ٨٨٥

[٢] قال الثعالبي : تدريج القبيلة من الكثرة إلى القلة : الشَّعْبُ ثُمَّ القَبِيلَةُ ثُمَّ الفَصِيلَةُ ثُمَّ العَشِيرَةُ ، ثُمَّ الذُّرِّيَّةُ ، ثُمَّ العِتْرَةُ ثُمَّ الأسْرَة. [فقه اللغة ص ٤٦]

[٣] قال أبو عبد الله محمد بن أحمد الغساني في ذكر أنساب طبقات العرب[الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين الخطيب ج ١ ص ٤٠٦]

| | |
|---|---|
| الشعب ثم قبيلة وعمارة | بطن وفخذ الفصيلة تابعة |
| فالشعب يجمع للقبائل كلها | ثم القبيلة للعمارة جامعة |
| والبطن يجمعه العمار فاعلمن | والفخذ يجمعه البطون الواسعة |
| والفخذ يجمع للفصايل كلها | جاءت على نسق لها متتابعة |
| فخزيمة شعب وإن كنانة | لقبيلة عنها الفصائل شاسعة |
| وقريشها تسمو العبارة يا فتى | وقصي بطن الأعادي قامعة |
| ذا ما ثم فخذ وذا عباسها | إلا الفصيلة لا تناط بسابعة |

[٤] لسان العرب، مادة: عشر

[٥] النهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة :{رهط}

**- الأسرة:**

تتكون العشيرة من أسر وهو مشتق من الترابط والتقوي ونحوه، وكل اسم له نصيب منه، وأسرة الرجل رهطه لأنه يتقوى بهم.وأُسْرَةُ الرجل: عشيرة الرجل، وأَهل بيته ورهطُه الأَدْنَوْنَ لأَنه يتقوى بهم [١].

**. الأهل:**

أَهْلُ الرجُلِ: عَشيرَتُه، وذَوُو قُرْباهُ، ج: أَهْلونَ وأَهالٍ وآهالٌ وأَهْلاتٌ، ويُحَرَّكُ. وأهل الرجل: من يجمعه وإياهم نسب أو دين، أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، وأهل الرجل في الأصل: من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوز به فقيل: أهل الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب وعبر بأهل الرجل عن امرأته [٢].

**. العصبة:**

العَصَبَةُ، مُحَرَّكَةً: قومُ الرَّجُلِ الذين يَتَعَصَّبونَ له [٣]. والعُصْبَةُ، بالضم، من الرِّجال والخَيْلِ والطَّيْرِ: ما بَيْنَ العَشَرَةِ إلى الْأَرْبعين، كالعِصابَةِ، بالكسر [٤].

**- الفخذ:**

لَمَّا نَزَلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ بَات يُفَخِّذ عَشيرتَهَ. أي يُناديهم فَخِذاً فَخِذاً، وهُم أقْرَب العَشِيرة إليه [٥]. وعن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا فدعا قريشا فجعل يفخذهم فخذا فخذا يا بني فلان يا

---

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {أسر}

[٢] مفردات القرآن للراغب، كتاب الألف، مادة: أهل / القاموس المحيط، باب الراء فَصْل الهَمْزة، وباب اللام فَصْل الهَمْزة / المقاييس في اللغة، ص ٧٨ ــ ٧٩

[٣] العَصَبة: الأقَارِب من جهة الأَبِ، لأنَّهم يُعَصِّبُونه ويَعْتَصبُ بهم: أي يُحِيطُون به ويَشتدّ بهم.[النهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة : {عصب}]

[٤] القاموس المحيط ، باب الباء ، فَصْلُ العَيْن

[٥] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {فخذ}

بني فلان فحذرهم بأس الله ووقائع الله فقال قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت حتى أصبح فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [١].

**ـ الفصيلة**:

الفَصِيلَة: مِن أقْرَب عَشِيرة الإنسان. وأصْل الفَصِيلَةِ: قِطْعَة من لَحْم الفَخِذ [٢].

**ـ حامة الرجل** :

قال القرطبي: الحميم القريب والخاص؛ ومنه حامة الرجل أي أقرباؤه. وأصل هذا من الحميم وهو الماء الحار؛ ومنه الحمام والحمى؛ فحامة الرجل الذين يحرقهم ما أحرقه؛ يقال: وهم حزانته أي يحزنهم ما يحزنه. ويقال: حم الشيء وأحم إذا قرب، ومنه الحمى؛ لأنها تقرب من الأجل. وقال علي بن عيسى: إنما سمي القريب حميما؛ لأنه يحمى لغضب صاحبه، فجعله مأخوذا من الحمية [٣].

**ـ الرحم[٤] والأرحام** :

عن أَبي سَلَمَةَ [٥]قالَ: اشْتَكَى أَبو الردّاد الليثي فَعادَهُ عَبْدُالرحمنِ بنُ عَوْفٍ فقالَ: خَيْرُهُمْ وَأَوْصَلُهُمْ ما عَلِمْتُ أَبو محمدٍ [٦]، فقالَ عَبْدُ الرحمنِ: "سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى

---

[١] تفسير الطبري ج ٩ ص ١٣٦، والآية ١٨٤ من سورة الأعراف

[٢] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {فصل}

[٣] تفسير القرطبي (طبع دار الشعب)ج ١٧ ص ١١٧

[٤] الرحم: رحم المرأة، ومنه استعير الرحم للقرابة؛ لكونهم خارجين من رحم واحدة، يقال: رحم ورحم قال تعالى ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾ [مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني، مادة: رحم]

[٥] قوله (عن أبي سلمة) هو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري.

[٦] (أبو محمد) كنية عبد الرحمن بن عوف. والمعنى خير الناس وأوصلهم في علمي أبو محمد عبد الرحمن بن عوف.

الله عليه وسلم يقول: قال الله تَبارَكَ وتَعالى: أَنَا الله وَأَنَا الرّحْمنُ،[١] خَلَقْتُ الرّحِم [٢]وَشَقَقْتُ [٣]لَهَا مِنْ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا [٤]وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا [٥]بَتَتّهُ [٦].

هذا الحديث يقتضي رعاية الاتفاق في الأسماء وأن ذلك النوع من الإخاء وقد قالوا في المثل: اتفاق الكنى إخاء ثان فإنه تعالى راعى في الرحم اتفاق اسمها مع اسمه في وجه انتظام الحروف الأصلية إذ النون زائدة والرحم مخلوقة محدثة وهو تعالى خالق غير محدث.[٧]

والرحم ضربان رحم قرابة وولادة ورحم إيمان وإسلام ورحم القرابة نوعان رحم يرث ورحم لا يرث ورحم تجب نفقته بالحكم كالأصول والفروع ورحم لا تجب نفقته بالحكم كالحواشي بل بالصلة والإحسان والصلة تكون بالمال وتكون بالزيارة والإحسان وبالصفح في الأقوال وبالعون في الأفعال وبالإلفة بالمحبة والاجتماع وغير ذلك من معاني التواصل هذا في الدنيا وأما فيما بعد الموت فبالاستغفار لهم والدعاء ونحو ذلك ومن الصلة للرحمن تعليمهم ما يجهلون وتنبيههم على ما ينفعهم ويضرهم [٨].

. ولا شك أن كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى ولم يكتف العرب بهذه الاشتقاقات لمترادفات الرحم بل اشتقوا أسماء وثيقة الصلة سموا بها أعلاما وذلك مثل:

---

[١] (أنا الله) كان هذا توطئه للكلام حيث ذكر العلم الخاص، ثم ذكر الوصف المشتق من مادة الرحم فقال (وأنا الرحمن) أي المتصف بهذه الصفة.

[٢] (خلقت الرحم) أي قدرتها أو صورتها مجسدة .

[٣] (وشققت) أي أخرجت وأخذت اسماً

[٤] (فمن وصلها وصلته) أي إلى رحمتي أو محل كرامتي.

[٥](ومن قطعها بتته) بتشديد الفوقية الثانية أي قطعته من رحمتي الخاصة من البت وهو القطع

[٦] سنن الترمذي ،كتاب البر والصلة ، باب ماَ جاءَ في قَطِيعَةِ الرّحِم، حديث رقم : ١٩١٣

[٧] فيض القدير ، للمناوي ، حديث رقم: ٦٠٣٢

[٨] فيض القدير، للمناوي ، حديث رقم: ١٧٦٥

. اسم بلال وواصل ورحام وغيرها من الأسماء ذات العلاقة الوشيجة بالأرحام وصلتها ولنأخذ من ذلك اسم بلال[(١)] فقد قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئاً. غَيْرَ أَنّ لَكُمْ رَحِماً [(٢)]سَأَبُلّهَا بِبِلاَلِهَا [(٣)].

قال النووي: قوله صلى الله عليه وسلم: (فإني لا أملك لكم من الله شيئاً) معناه لا تتكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم. قوله صلى الله عليه وسلم: (غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها) من بله يبله والبلال الماء، ومعنى الحديث: سأصلها شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه: بلوا أرحامكم أي صلوها [(٤)].

والبلال بمعنى البلل وهو النداوة، وأطلق ذلك على الصلة كما أطلق اليبس على القطيعة، لأن النداوة من شأنها تجميع ما يحصل فيها وتأليفه، بخلاف اليبس فمن شأنه التفريق وقال الخطابي وغيره: بللت الرحم بلا وبللا وبلالا أي نديتها بالصلة وقد أطلقوا على الإعطاء الندى وقالوا في البخيل ما تندي كفه بخير، فشبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بالماء الذي يطفئ ببرده الحرارة، ومنه الحديث " بلوا

---

(١) البلال: ما يبل به الحلق ويندى من ماء وغيره.

(٢) فإنّ لكم رَحِماً سأبُلُّها ببلاَلِها: أي أصِلكم في الدنيا ولا أُغْني عنكم من اللّه شيئاً. والبِلاَل جمع بَلَل. وقيل هو كلّ ما بلَّ الحلْق من ماءٍ أو لبن أو غيره. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {بلل}]

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، حديث رقم: ٣٤٨ / سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، عن رسول الله صلى اللّه عليه وسلم، باب: سُورَة الشُّعراء، حديث رقم : ٣٢٣٧

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٣ ص ٨٠ (بتصرف)

أرحامكم[١] ولو بالسلام " [٢].

**ب ـ إرسال الرسل من ذوي الأهل والعشيرة :**

عَن عَبْدِاللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ[٣] أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ [٤] أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ [٥] مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ[٦] الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ [٧]فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ

[١] بُلُّوا أرحامكم ولوْ بالسَّلام: أي نَدُّوها بصِلَتِها. وهم يُطْلقُون النَّدَاوة على الصِّلة كما يُطْلقُون اليُبْس على القَطِيعة، لأنهم لما رأوْا بعضَ الأشياء يَتَّصِل ويختلط بالنَّداوة، ويحصُل بينهما التَّجافي والتَّفرُّق باليُبْس استعاروا البَلَلَ لمعْنَى الوصل، واليبس لمعنى القطيعة.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {بلل} / [تحفة الأحوذي ج ٩ ص ٣١]

[٢] الجامع الصغير، للسيوطي، حديث رقم: ٣١٦٠ / كنز العمال، حديث رقم: ٦٩١٤ / كشف الخفاء، للعجلوني ، حديث رقم : ٩٢١ بلوا أرحامكم ولو بالسلام. وقال : رواه البزار والعسكري عن أنس رفعه، وعند الطبراني وابن لال عن أبي الطفيل وعن سويد بن عامر، وله طرق بعضها يقوي بعضا./ فتح الباري لابن حجر ج ١٠ ص ٤٢٢

[٣] أبو سفيان : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

[٤] هرقل : ملك الروم، وهرقل: اسمه، وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف، ولقبه قيصر، كما يلقب ملك الفرس: كسرى ونحوه.

[٥] (في ركب) جمع راكب كصحب وصاحب، وهم: أولو الإبل، العشرة فما فوقها. والمعنى: أرسل إلى أبي سفيان حال كونه في جملة الركب، وذاك لأنه كان كبيرهم فلهذا خصه، وكان عدد الركب ثلاثين رجلا، رواه الحاكم في الإكليل.

[٦] (في المدة) يعني مدة الصلح بالحديبية، وكانت في سنة ست، وكانت مدتها عشر سنين كما في السيرة، وأخرجه أبو داود من حديث ابن عمر، ولأبي نعيم في مسند عبد الله بن دينار: كانت أربع سنين، وكذا أخرجه الحاكم في البيوع من المستدرك، والأول أشهر.لكنهم نقضوا، فغزاهم سنة ثمان وفتح مكة.

[٧] (بإيلياء) بهمزة مكسورة بعدها ياء أخيرة ساكنة، ثم لام مكسورة ثم ياء أخيرة ثم ألف مهموزة، وحكى البكري فيها القصر، قيل : معناه بيت الله.

وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ [١] فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا [٢]فَقَالَ أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ[٣] .......ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي [٤] فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ[٥] ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ [٦] مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ[٧] قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ ...........فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا [٨].

---

[١] الترجمان بفتح التاء المثناة وضم الجيم ورجحه النووي في شرح مسلم، والترجمان المعبر عن لغة بلغة، وهو معرب وقيل: عربي.

[٢] (قلت أنا أقربهم نسبا) لم يكن في الركب من بني عبد مناف غير أبي سفيان وعبد مناف الأب الرابع للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا لأبي سفيان.

[٣] (فاجعلوهم عند ظهره) أي: لئلا يستحيوا أن يواجهوه بالتكذيب إن كذب، وقد صرح بذلك الواقدي.

[٤] " إن كذبني " بتخفيف الذال أي: إن نقل إلي الكذب.

[٥] قوله: (فوالله لولا الحياء من أن يأثروا) أي: ينقلوا علي الكذب لكذبت عليه. وفيه دليل على أنهم كانوا يستقبحون الكذب إما بالأخذ عن الشرع السابق، أو بالعرف. وفي قوله: يأثروا دون قوله يكذبوا، دليل على أنه كان واثقا منهم بعدم التكذيب أن لو كذب لاشتراكهم معه في عداوة النبي –صلى الله عليه وسلم–، لكنه ترك ذلك استحياء وأنفة من أن يتحدثوا بذلك بعد أن يرجعوا فيصير عند سامعي ذلك كذابا.

[٦] (كان أول) هو بالنصب على الخبر، وبه جاءت الرواية، ويجوز رفعه على الاسمية.

[٧] (كيف نسبه فيكم؟) أي: ما حال نسبه فيكم، أهو من أشرافكم أم لا؟ فقال: هو فينا ذو نسب. فالتنوين فيه للتعظيم.

[٨] (فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها) الظاهر أن إخبار هرقل بذلك بالجزم كان عن العلم المقرر عنده في الكتب السالفة. [انظر الحديث كاملا : صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٧ / صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث رقم: ١٧٧٣]

### ج ـ منع العشيرة أفرادها من أن ينالهم أحد بأذى :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلَالٌ وَالْمِقْدَادُ فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ [١] بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ [٢] فَمَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَاتَاهُمْ [٣] عَلَى مَا أَرَادُوا إِلَّا بِلَالًا فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ [٤] فِي اللَّهِ وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ. [٥]

قال الله تعالى ﴿ وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [٦]

قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في أبي طالب كان ينهى الناس عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعهم وينأى عن الإيمان به، أي: يبعد، حتى رُوي أنه اجتمع إليه رؤوس المشركين وقالوا: خذ شابا من أصبحنا وجها، وادفع إلينا محمدا، فقال أبو طالب: ما أنصفتموني أدفع إليكم ولدي لتقتلوه وأربي ولدكم؟ وروي أن النبي صلى

---

[١] (فمنعه اللَّه) أَي عصمه من أذَاهم.

[٢] يقال صهرته الشمس كَأَنَّهُا أَذَابته. يقال ذَلِكَ للحرباء، إِذَا تلألأ ظهره من شدة الحر. و"صهروهم" أَي ألقوهم فِي الشمس ليذوب شحمهم.

[٣] (واتاهم) آتاه عَلَى ذَلِكَ الأمر مؤاتاة، إِذَا وافقه وطاوعه. والعامة تقول: واتاه. (شرح السندي على سنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٣)

[٤](هانت عَلَيْهِ نفسه) أَي صغرت وحقرت عِنْدَه، لأجله تعالَى، وَفِي شأنَّهُ.

[٥] مسند الإمام أحمد ، حديث رقم : ٣٨٣٢ / سنن ابن ماجة كتاب: الإيمان، وفضائل الصحابة، والعلم (بَاب فِيْ فضائل أصحاب رَسُول اللَّه صَلَى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَمْ) فَضْلُ سلمان وأبي ذر والمقْدَاد، حديث رقم: ١٥٠

[٦] سورة الأنعام آية ٢٦

الله عليه وسلم دعاه إلى الإيمان، فقال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت بها عينك، ولكن أذب عنك ما حييت. وقال فيه أبياتا:

وَاللَهِ لَن يَصِلوا إِلَيكَ بِجَمعِهِم ... حَتّى أُوَسَّدَ في التُرابِ دَفينا[1]
فَاصدَع بِأَمرِكَ [2] ما عَلَيكَ غَضاضَةٌ[3] ... وَابشِر بِذاكَ [4]وَقَرَّ مِنهُ عُيونا[5]
وَدَعَوتَني وَزَعَمتَ أَنَّكَ ناصِحٌ ... وَلَقَد صَدَقتَ وَكُنتَ ثَمَّ أَمينا[6]
وَعَرَضتَ ديناً قَد عَلِمتُ بِأَنَّهُ ... مِن خَيرِ أَديانِ البَرِيَّةِ دينا
لَولا المَلامَةُ أَو حِذاري سُبَّةً ... لَوَجَدتَني سَمحاً بِذاكَ [7]مُبينا[8]

---

[1] أوسد، بالبناء للمفعول: من وسدته الشيء: إذا جعلته تحت رأسه وسادة. ودفينا: حال من ضمير أوسد بمعنى مدفون.

[2] يقال: صدعت بالحق تكلمت به جهاراً. وقيل في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ أي: شق جماعاتهم بالتوحيد، وقيل: افرق بذلك بين الحق والباطل، وقيل: أظهر ذلك. وهو مأخوذ من قولهم: صدعت القوم صدعاً فتصدعوا، أي: فرقتهم فتفرقوا. وأصل الصدع الشق.

[3] يقال ليس عليك في هذا الأمر غضاضة، أي: ذلة ومنقصة.

[4] وابشر بذاك، أي: بعدم وصولهم إليك، أو بظهور أمرك، أو بانتفاء الغضاضة عنك، أو بالمجموع.

[5] وقر منه عيوناً، أي: من أجله.

[6] قوله: ودعوتني، أي: إلى الإيمان. وزعمت، أي: قلت.

[7] لولا الملامة، أي: لولا ملامة الكفار لي. والحذار، بالكسر: المحاذرة. وسمحاً: منقاداً. ومبيناً: مظهراً، من الإبانة وهي ضد الإخفاء.

[8] معالم التنزيل تفسير البغوي، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م، ج ٣ ص ١٣٦ ــ ١٣٧/ البداية والنهاية لابن كثير مجلد٢ ج٣ص٤١/ تفسير القرطبي، ج ٦ ص ٤٠٥ ــ ٤٠٦

وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِ لُوطٍ ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ [١] شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا بُعِثَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ إِلَّا فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الثَّرْوَةُ الْكَثْرَةُ وَالْمَنَعَةُ. [٢]

**د ـ البدء بهم في النذارة والبشارة :**

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا [٣] لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ أَرَأَيْتَكُمْ [٤] لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا [٥] بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ [٦] عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ [٧] عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا [٨] لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ [٩] أَلِهَذَا

---

[١] رُكْنُ الإنسانِ: قوّته وشدّته، ورُكْنُ الرَّجُل: قومه وعَدَدُه ومادّته.[النهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة {ركن} / لسان العرب ، مادة : ركن]

[٢] سنن الترمذي، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٥١٢٠

[٣] (رسولا) من يستطلع له الخبر.

[٤] (أرأيتكم) أخبروني.

[٥] (خيلا) عليها فرسان يركبونها.

[٦] (تغير) تهجم وتوقع بكم.

[٧] (بين يدي) قدام.

[٨] (تبا) هلاكا.

[٩] (سائر اليوم) بقية اليوم.

جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ(١) ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ ﴾(٢).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عشيرة الرجل خير للرجل من الرجل للعشيرة، إن كف عنهم يدا واحدة كفوا عنه أيدي كثيرة، مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم، إن الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه إلا بنسبه، وسأتلو عليكم في ذلك آيات من كتاب الله ، قال الله عز وجل فيما حكاه عن لوط ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ ﴾ (٣) يعني العشيرة ، ولم يكن للوط عشيرة، فوالذي نفسي بيده ما بعث الله نبيا من بعده إلا في ثروة من قومه ومنعة من عشيرته، (٤) ثم ذكر شعيبا إذ قال له قومه ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ (٥) وكان مكفوفا، والله ما هابوا إلا عشيرته (٦).

قال الحافظ ابن كثير: يقولون ﴿ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ ما نفهم ﴿ كَثِيرًا ﴾ من قولك ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ قال سعيد بن جبير والثوري: وكان ضرير البصر. وقال الثوري: كان يقال له خطيب الأنبياء. قال السدي ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ قال أنت واحد وقال أبو روق يعنون ذليلا لأن عشيرتك ليسوا علي دينك

---

(١) (وتب) خسر. وكان له الهلاك المخلد

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝﴾، حديث رقم: ٤٤٩٢ / صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝﴾، حديث رقم: ٢٠٨

(٣) سورة هود آية ٨٠

(٤) الثَّرْوَة: العَدد الكثير وإنما خَصّ لوطا، لقوله تعالى﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ ﴾[النهاية في غريب الحديث والأثر. مادة: {ثرا}]

(٥) سورة هود آية ٩١

(٦) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٠٨ تحقيق محمد مفيد قميحة طبع دار الكتب العلمية بيروت (ب.ت).

﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ﴾ أي قومك لولا معزتهم علينا لرجمناك قيل بالحجارة وقيل لسبناك ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ﴾ أي ليس عندنا لك معزة [١].

وسئل أعرابي عن ابن العم، فقال: عدوك وعدو عدوك [٢]. وقال مسكين الدارمي:

أخـــاك أخـــاك إن مـــن لا أخـــا له كســـاع إلى الهيجا بغير سلاح

وإن ابن عم المـــرء فاعـــلم جناحه وهل ينهض البـــازي بغير جناح[٣]

وقال الهذيل بن مشْجعة البولاني :

إني وإن كـــان ابـــن عمي غائبا لـــمقاذف من دونه وورائه[٤]

ومفيده نصري وإن كان امرأ متـــزحزحا في أرضه وسمائه [٥]

ومتى أجئه في الشدائد مـــرملا ألق الذي في مزودي لوعائه [٦]

وإذا تتبعتِ الجـــلائـــف مـــاله خُلطتُ صحيحتنا إلى جربائه[٧]

---

[١] تفسير القرآن العظيم، (طبع دار الفكر)ج ٢ ص ٤٥٨

[٢] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٦٩٠

[٣]خزانة الأدب ج ٣ ص ٥٩ (الطبعة السلفية)، بهجة المجالس القسم الأول ص٧٨٤، الأغاني ج٢٠ص٢١

[٤] المقاذف المرامي ووراء هنا بمعنى قدام لأنه قد ذكر معه خلف معناه أنه يدافع عن ابن عمه من قدامه ومن خلفه وإن كان غائبا.

[٥] المتزحزح المتباعد ويعني أنه قائم بشأن ابن عمه وإن تباعد عنه في أي موضع كان.

[٦] المرمل الذي قد نفد زاده والمزود وعاء الزاد معناه أني أنفعه في كل شدة يقع فيها.

[٧] الجلائف جمع جليفة وهي السنة الشديدة التي تذهب بالأموال وقوله خلطت صحيحتنا إلى جربائه من الأمثـــال يعني نخلط فقره بغنانا وغثه بسميننا والمعنى إذا افتقر ابن عمنا ساعدناه بأموالنا

وإذا أتـــى من وجهه بطريفة لـــم أطّلـــع مما وراء خبائه [١]

وإذا اكتـــسى ثوبا جميلا لم أقل يا ليت أن عليّ حسن ردائه[٢]

وإن غـــدا يوما ليركب مركبا صعبا قعدتُ له على سيسائه[٣]

## هـ - معرفة المرء بمآثر عشيرته سبب لرفعته في الدنيا وجهله بذلك سبب لانحطاط منزلته:

للعشيرة مكارم ومآثر يعلّمها الكبار الصغار ويفتخر بها أفراد العشيرة جميعا ويرتقي المرء كلما عرف من هذه المآثر ويكبر في عين عشيرته وفي عين غيرهم أيضا ويصغر إن كان جاهلا بمناقب عشيرته ومكارمها.

وكان الخلفاء يعقدون المسابقات بين الشعراء لرواية مآثر العشيرة من غير تزيد ولا مبالغة ومن ذلك أنه: اجتمع شعراء العرب عند سليمان بن عبد الملك فأمرهم أن يقول كل رجل منهم قصيدة يذكر فيها مآثر قومه ولا يكذب ثم جعل لمن برز عليهم جارية مولدة فأنشدوه وأنشد أبو النجم حتى أتى على قوله:

عدوا كمن ربَّع الجيوش لصلبه عشرون وهو يعـــــــد في الأحياء

فقال سليمان أشهد إن كنت صادقا إنك لصاحب الجارية فقال أبو النجم سل الملأ عن ذلك يا أمير المؤمنين قال الفرزدق أما أنا فأعرف منهم ستة عشر ومن ولد ولده أربعة كلهم قد ربع فقال سليمان ولد ولده هم ولده ادفع إليه الجارية[٤].

والجهل بمآثر العشيرة وعدم معرفتها سبب لاحتقار الشخص المنتمي لهذه العشيرة المعتزي إليها كما أنه قد يكون سببا للآتي:

---

[١] من وجهة أي من سفر والطريفة ما يستطرفه الإنسان من المال ويستحدثه والخباء من الأبنية يكون من صوف أو وبر أو شعر منصوبا على عمودين أو ثلاثة وما فوق ذلك فهو بيت يشير بهذا البيت إلى تتريه نفسه عن الطمع فيما ليس له.

[٢] ليت أن على رداءه الحسن وهذا البيت يدل على قلة المنافسة وترك الحسد

[٣] الحماسة ج ٢ ص ٢٤٩ ــ ٢٥٠ / ج ٢ ص ٣١٥ ــ ٣١٦

[٤] الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٥١

. إنقاص عطاء الجاهل بأمور العشيرة وزيادة العالم بها، ومن ذلك أنه لما: قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس لعرض أحياء العرب فقام إليه معبد بن خالد الجدلي وكان قصيرا دميما فتقدمه إليه رجل حسن الهيئة فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال: ممن أنت؟ فسكت ولم يقل شيئا. قال خالد: فقلت من خلفه: نحن يا أمير المؤمنين من جديلة فأقبل على الرجل وتركني فقال: من أيكم ذو الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري قلت: كان عدوانيا فأقبل على الرجل وتركني وقال: لم سمي ذا الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري فقلت: نهشته حية في إصبعه فيبست. فأقبل على الرجل وتركني فقال: وبما كان يسمى قبل ذلك؟ قال الرجل: لا أدري قلت: كان يسمى حرثان. فأقبل على الرجل وتركني فقال: من أي عدوان كان؟ فقلت من خلفه: من بني ناج الذين يقول فيهم الشاعر:

وأما بنو ناج فــلا تذكرنـــهــم ولا تتبعن عينيك ما كان هالكا

إذا قلت معروفا لأصلح بيــنهم يــقول وهـــيب لا أسالم ذلكا

فأضحى كظهر الفحل جب سنامه يدب إلى الأعداء أحدب باركا

فأقبل على الرجل وتركني وقال أنشدني قوله:

عذير الحي من عدوان

قال الرجل لست أرويها قلت يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتك قال: ادن مني فإني أراك بقومك عالما فأنشدته:

وليس المرء في شيء من الإبرام والنقض

إذا أبرم أمرا خاله يقضي وما يقضي

يقول اليوم أمضيه ولا يملك ما يمضي

إلى آخرها.. فأقبل على الرجل وتركني وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان فأقبل علي فقال: كم عطاؤك؟ فقلت: خمسمائة فأقبل على كاتبه وقال: اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا فانصرفت بها [(١)].

. التوقف في شهادة من لا يروي مآثر العشيرة حتى يتم التثبت والسؤال عنه ومعرفة تغفيله من قوة عقله لإيقاع نفسه في دائرة إسقاط الشهادة قال الأصمعي تقدم رجل من أهل البصرة من بني دارم إلى سوار بن عبد الله ليقيم عنده شهادة فصادفه يتمثل بقول الأسود بن يعفر:

ولقد علمت لو أن علمي نافعي ... أن السبيل سبيل ذي الأعواد
إن المنية والحتوف كلاهما ... يوفي المخارم يرميان سوادي
ماذا أؤمل بعد آل محرق ... تركوا منازلهم وبعد إياد
أهل الخورنق والسدير وبارق ... والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرة يفيض عليهم ... ماء الفرات يفيض من أطواد
جرت الرياح على محل ديارهم ... فكأنما كانوا على ميعاد

ثم أقبل على الدارمي فقال له: أتروي هذا الشعر؟ قال: لا قال: أفتعرف من يقوله؟ قال: لا قال: رجل من قومك له هذه النباهة وقد قال مثل هذه الحكمة لا ترويها ولا تعرفه يا مزاحم أثبت شهادته عندك فإني متوقف عن قبوله حتى أسأل عنه فإني أظنه ضعيفا [(٢)].

## و- خدمة العشيرة من الأمور التي يمدح بها الرجل والإساءة إليها من الأمور التي يذم بها:

على المرء أن يعلم تمام العلم أنه يمدح بحب الخير لعشيرته وخدمتها وأنه يسب بعكس ذلك، قالت مية بنت ضرار الضبي ترثي أخاها وتبين نفعه لعشيرته:

---

(١) الأغاني ج ٣ ص ٨٨ ــ ٩٠

(٢) الأغاني ج ١٣ ص ١٨ ــ ٢٠

لِتَجْرِ الحَوادِثُ، بَعْدَ امْرِئٍ بِـوادي أَشـائِنَ، إِذْلالَهـا[١]
كَـريمٍ نَـشاهُ وآلـاؤُه، وكـافي الـعـشيرَةِ ما غالَها
تَراه عـلى الخَيْلِ ذا قُدْمَةٍ إِذا سَـرْبَلَ الـدَّمُ أَكْفـالَها
وخَلَّتْ وُعُولاً أُشارى بها [٢] وقدْ أَزْهَفَ [٣]الطَّعْنُ أَبْطالَها[٤]

ومن حب نفع العشيرة الذي جر إلى ما يسيء إلى صاحبه وأدخله في مذموم الأخلاق ما جاء عن زهير بن جناب بن هبل الكلبي أنه وفد عاشر عشرة من مضر وربيعة إلى امرئ القيس بن عمرو بن المنذر ابن ماء السماء فأكرمهم ونادمهم وأحسن إليهم، وأعطى لكل واحد منهم مائة من الإبل، فغضب زهير فقال: قد تخرج الخمر من الضنين.[٥]

فغضب امرؤ القيس فقال: أو مني يا زهير؟ قال: ومنك، فغضب الملك فأقسم لا يعطي رجلاً منهم بعيراً، فلامه أصحابه فقالوا: ما حملك على ما قلت؟ قال: حسدتكم أن ترجعوا إلى هذا الحي من نزار بتسعمائة بعير وأرجع إلى قضاعة بمائة من الإبل ليس غيرها [٦].

## ٢ـ الأقارب جزء منك:

عليك أيها القريب استحضار أن الأقارب قطعة وجزء منك فلا تستهن بعدائهم وحاول إصلاحه مهما كلفك ذلك، فالأهل والأقارب إحسانك إحسان لك وإساءتك لهم مردودة عليك وعلو مكانتهم علو لك ودنو منزلتك دنو لك فأقاربك

---

[١] إِذْلالها: مصدرُ مقدَّرٍ كأَنه قال تُذِلُّ إِذْلالها.

[٢] الأَشَرُ: البَطَرُ

[٣] أَزْهَفَ الطَّعْنُ أَبْطالَها أي صَرَعَها، وهو بالزاي.

[٤] لسان العرب، مادة: أشر

[٥] أي أنه كان ثملا ولو كان صاحيا لما أعطاهم، قال عمرو بن كلثوم :
تَرى اللَحِزَ الشَحيحَ إِذا أُمِرَّت عَلَيهِ لِمالِهِ فيها مُهينا

[٦] الأمثال للمفضل الضبي ص ٢٢٩

منك وأنت منهم فلا تستهن بعدائهم فعداؤهم ليس بالأمر السهل، وهنالك أمثلة كثيرة على ذلك منها :

. شبه بعض العرب العلاقة بين الأخوين برجلي النعامة وذلك أن كل ذي رجلين إذا انكسرت إحدى رجليه نهض على الأخرى، والظليم [(١)] إذا انكسرت إحدى رجليه جثم، قال الشاعر في نفسه وأخيه:

إذا انكسرت رجل النعامة لم تجد ... على أختها نهضا ولا دونها صبرا

وعلة ذلك أنه لا مخ في عظمه. وكل عظم كسر يجبر إلا عظما لا مخ فيه.

. قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يعاتب حسينا، وكان له صديقا ثم تنكر ما بينهما:

إن ابن عمـك وابن أمـ ... ـك مُعْلَم شاكي السلاح
لا تحسـبن أذى ابن عمـ ... ـك شرب ألبان اللقـاح
بل كالشجـا وراء اللهـ ... ـاة إذا جرعت من القراح
يُقْصِ العدو وليس يرضـ ... ـى حين يبطش بالجـراح
فاحتـل لنفسك من يجيبـ ... ـك تحت أطراف الرمـاح
من لا يزال يسـوءه بالغيـ ... ـب أن يلحـاك لاح[(٢)]

فالأقارب منك وأنت منهم فزيادتهم زيادة لك ونقصهم محسوب عليك قيل: أنفك منك وإن كان أجدع، وأول من قال ذلك قنفذ بن جعونة المازني للربيع بن كعب المازني، وذلك أن الربيع دفع فرسا كان قد أبر على الخيل كرما وجودة إلى أخيه كميش ليأتي به أهله، وكان كميش أنوك مشهورا بالحمق، وكان رجل من بني مالك يقال له: قراد بن جرم، قدم على أصحاب الفرس ليصيب منهم غرة فيأخذها، وكان داهية فمكث فيهم مقيما، لا يعرفون نسبه ولا يظهره هو، فلما نظر إلى كميش

---

(١) الظليم وهو ذكر النعام يغتذي المدر والصخر، فتذيبه قانصته بطبعها حتى يصير كالماء.

(٢) كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ٨٣

راكبا الفرس ركب ناقته، ثم عارضه، فقال: يا كميش هل لك في عانة لم أر مثلها سمنا ولا عظما وعير من ذهب؟ فأما الأتن فتروح بها إلى أهلك، فتملأ قدورهم وتفرح صدورهم، وأما العير فلا افتقار بعده. قال له كميش: وكيف لنا به؟ قال: أنا لك به، وليس يدرك إلا على فرسك هذا، ولا يرى إلا بليل ولا يراه غيري، قال كميش: فدونكه. قال: نعم وأمسك أنت راحلتي، وركب قراد الفرس وقال انتظرني في هذا المكان إلى هذه الساعة من غد، قال: نعم، ومضى قراد فلما توارى أنشأ يقول:

ضيعت في العير ضلالا مهركا    لتطـعم الحي جميعا عيركا

فسوف تأتـي باهوان أهلكا    وقبل هذا خدعت الأنوكا

فلم يزل كميش ينتظره حتى أمسى من غده وجاع، فلما لم ير له أثرا انصرف إلى أهله، وقال في نفسه: إن سألني أخي عن الفرس قلت: تحول ناقة. فلما رآه أخوه الربيع عرف أنه خدع عن الفرس، فقال: أين الفرس؟ قال: تحول ناقة. قال: فما فعل السرج؟ قال: لم أذكر السرج، فاطلب له علة. فصرعه الربيع ليقتله، فقال له قنفذ بن جعونة: أُلْه عما فاتك، فإن أنفك منك، وإن كان [1]أجدع[2].

ولا تغترن بكثير من المودات والصداقات التي لا تقوم على أساس الدين والإخوة في الله عز وجل، فأكثرها غرور ومبنية على سراب، والمودة الحقيقية إذا أضيف إليها الدين هي بالرحم والقرابة، قالت جارية من العرب ماتت أمها فأضرت بها امرأة أبيها:

فلو يأتي رسولي أم سعد أتى    أمي ومـن يعنيه حاجي[3]

---

[1] يضرب المثل لمن يلزمك خيره وشره.

[2] مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٣٠ ــ ٣٣١

[3] أم سعد أمها ويعنيه أي يهمه والرسول الرسالة والحاج جمع حاجة تقول لو أن رسالتي وصلت أم سعد لوصلت إلى أمي ومن همه حاجاتي.

ولكن قد أتى مـــن بين ودي وبـــين فؤاده غلق الرتاج [١]

ومن لم يـــؤذه ألم برأســـي ومـــا الرئمان إلا بالنتاج [٢]

ولذا قال أبو طالب حين سأله المشركون أن يأخذ عمارة بن الوليد بدلا عن محمد صلى الله عليه وسلم: أرأيتم ناقة تحن إلى غير فصليها وترأمه. [٣]

### ٣ ـ عدم المقدرة على الانتصار والتشفي من الأقارب :

ليس بمقدور المرء التشفي من أقاربه وأرحامه وإن ظلموه فعليه باليأس والسلوان من الانتقام منهم والذي يريد التشفي من أقاربه يصدق عليه قول القائل: شفيت نفسي وجدعت أنفي. [٤] وقال عمير بن جعيل التغلبي وكان قد هجا عشيرته فندم:

ندمت علـــى شتمي العشيرة بعدمـــا مضت واســـتتبت للرواة مـــذاهبه

فأصبحت لا أستطيع دفعا لـــما مضى كما لا يرد الدر في الضرع حالبه[٥]

وكان العرب يستعيذون من الأسباب التي تؤدي إلى لوم العشيرة دعك من شتمها قال ابن حبناء التميمي:

أعوذ بالله مـــن حـــال يزين لي لـــوم العشيرة أو تدني من النار

لا أقرب البيت أدنو من مؤخره ولا أكسر في ابن العم أظفاري[٦]

---

[١] ولكن قد أتى فيه ضمير يعود إلى الرسول بمعنى الرسالة ومن تعني به امرأة أبيها والغلق محركا ما يغلق به الباب والرتاج الباب العظيم والمعنى ولكن رسولي أتى امرأة أبي التي انغلق باب المودة بيني وبينها فلا يهمها أمري.

[٢] الرئمان العطف والود والمعنى وأتى من لا يهمه أمري ولا يجزع لسقمي ثم قالت وما الرئمان إلا بالنتاج تريد أن العطف والحنان لا يكون إلا من الولادة. [شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ١ ص ٥٦٢]

[٣] الروض الأنف ج ٢ ص ٩

[٤] يضرب المثل لمن يضر بنفسه من وجه ويشتفي من وجه.[مجمع الأمثال ج ١ ص ٥٠٦]

[٥] خزانة الأدب ج٣ص٤٤، المطبعة السلفية

[٦] ولا أكسر في ابن العم أظفاري : لا أغتابه. (انظر : الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ٥١)

## ٤ ـ معرفة أمثلة لعداوات أقارب استصلحت بحسن التعامل:

هنالك عداوات وبغضاء نشبت بين أقارب فبعضهم بالغ فيها ورد على قريبه الصاع صاعين والكلمة عشر كلمات وبعضهم جعل ما سمع وما وصل إليه من أذى قريبه دبر أذنه وخلف ظهره ومر به ما سمعه وما أصابه كأنه لا يعنيه فحفظ لهم التاريخ جميل فعلهم وطيب ذكرهم وصارت قصصهم من القصص التي تحتذى وأشعارهم من الأشعار التي تحفظ وبها يحتفى وتنشد في المجامع ويتمثل بها ويحث على التمسك بها والالتزام بها والاقتداء بها ومن ذلك ما جاء في السنة من مدح مثل هذا الصنف: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ [(١)] فَقَالَ لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ [(٢)] وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ [(٣)] عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ [(٤)].

قال النووي: " المل بفتح الميم الرماد الحار، وتسفهم بضم التاء وكسر السين وتشديد الفاء والظهير المعين والدافع لأذاهم، وقوله أحلم عنهم بضم اللام ويجهلون أي يسيئون والجهل هنا القبيح من القول ومعناه كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه، وقيل معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة

---

(١) (ويجهلون علي) أي يسيئون والجهل، هنا، القبيح من القول. وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم، بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم.

(٢) (تسفهم الملّ) المل هو الرماد الحار. أي كأنما تطعمهموه.أو تَجعل وجوههم كلَون الرّماد. وقيل هو من سفَفْت الدَّواء أسَفُّه، وأسفُفَتْه غيري، وهو السَّفوف بالفتح. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {سفف}]

(٣) (ظهير) الظهير المعين والدافع لأذاهم.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٢٥٥٨

عند أنفسهم كمن يسف المل، وقيل ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم والله أعلم [١].

والإحسان إلى الناس من الأمور التي تقلب البغض محبة والسوء حسنا، وتحول القبح إلى جمال قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢]

قال القرطبي: قيل: الحسنة المداراة، والسيئة الغلظة. وقيل: الحسنة العفو، والسيئة الانتصار. وقال الضحاك: الحسنة العلم، والسيئة الفحش.

قال ابن عباس: أي ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك. وعنه أيضا: هو الرجل يسب الرجل فيقول الآخر إن كنت صادقا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك. [٣]

والعقلاء يتمدحون بأنهم يستصلحون الآخرين، قال سالم بن وابصة[٤]:

ونيرب من موالي السوء ذي حسـد ... يقتات لحمي وما يشفيه من قـرم[٥]

داويت صـدرا طويلا غِمره حقـِدا ... مـنـه وقـلّمت أظفارا بلا جلم[٦]

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام النووي، طبع دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ج ١٦ ص ١١٥

[٢] سورة فصلت آية ٣٤

[٣] تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥٨

[٤] سالم بن وابصة تابعي جليل رحمه الله

[٥] النيرب النميمة والعداوة وهو مضاف إلى محذوف أي ذي نيرب ويقتات من القوت والقرم شهوة اللحم يقول ورب ذي نيرب حسود من موالي السوء يغتابني ويأكل لحمي ولا يشفيه ذلك من قرم

[٦] داويت صدرا الخ أي صابرته وداجيته مع انطوائه على حقدي ومعنى داويت صدرا أي مكنون صدره والغمر الحقد والجلم ما يقطع به صوف الغنم يقول وعالجت داء حقده بدواء الإحسان إليه والإعراض عن إساءته

بالحـــزم والـــخير أســـديه وأحمـــه تقوى الإله ومـــا لم يَرْعَ من رحم[١]

فأصـــبحتْ قـــوسُه دوني مـــوتّـــرة ترمي عـــدوي جهارا غير مكتتم[٢]

وإن من الحـــلم ذلا أنـــت عـــارفه والحلم عن درةٍ فضلٌ من الكرم[٣]

**وقال عَدِيٌّ بن خُزاعِيٍّ:**

ولستُ بذي نَيْرَبٍ في الكَلامِ [٤] ومَنَّاعَ قَوْمِـــي، وسَبَّابَـــها

ولا مَنْ إِذا كـــانَ في مَعْشَرٍ أَضاعَ العَشِـــيرةَ، واغْتابَها

ولـــكِنْ أُطـــاوِعُ ســـاداتِها، ولا أُعْـــلِمُ الناسَ أَلْقابَها [٥]

**وقال بعض بني فقعس** [٦]

وذوي ضباب مظهرين عداوة قرحى القلوب معاودي الأفناد [٧]

---

[١] باحزم متعلق بقلمت أو داويت وقوله أسديه وأحمه كنى به عن الملاطفة والملاينة وقوله تقوى الإله يرجـــع إلى أسديه وما لم يرع من رحم يرجع إلى أحمه والإسداء مد الثوب للنسج والإلحام النسج والمعـــنى أعالجـــه بـــالحزم وإسداء المعروف إليه والمنوي به تقوى الله وردع ما أتاه من قلة الرعاية في الرحم

[٢] دوني أي قدامي يقول ما زلت أتلطف وأصلح الفاسد بالرفق قليلا قليلا حتى صار يقاتل عني عـــدوي مجـــاهرة بعدما كان يعاديني مكاشرة

[٣] المعنى أن الحلم في غير موضعه ذل وذلك عند عدم القدرة ولكنه عند القدرة شعبة من الكرم كما كان حلمـــي عليه ونبه بهذا الكلام على أن حلمه عنهم كان عن قدرة لا عن عجز. [الحماسة ج ٢ ص ٢٣ ــ ٢٤]

[٤] النَّيْرَبُ: الشَّرُّ والنميمة.ونَيْرَبَ الرجلُ: سَعَى ونَمَّ. ونَيْرَبَ الكلامَ: خَلَطه. ونَيْرَبَ، فهو يُنَيْرِبُ: وهـــو خَلْـــطُ القَوْل، كما تُنَيْربُ الريحُ الترابَ على الأَرض فَتَنْسُجُه.

[٥] لسان العرب، مادة: نرب

[٦] نسبه أبو محمد الأعرابي لمرادس بن جشيش أخي بني سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة.

[٧] وذوي ضباب أي رب قوم ذوي أحقاد والضب الحقد الخفي وإنما سمي ضبا لأن الضب يختفي في جحره طـــول الشتاء والأفناد جمع فند وهو الفحش والخطأ في الرأي يقول هم أعداء قرحت قلوبهم من الغيظ عليَّ فهم يعاودون في قول الخنى.

نـــاسيتهم بغضاءهم وتركتهم　　　وهم إذا ذكر الصديق أعادي [١]

كيما أعدهم لأبعـــد مـــنهم　　　ولـــقد يجاء إلى ذوي الأحقاد[٢]

والأمثلة لتحول العداوة إلى حب والبغضاء إلى ود بسبب حسن المعاملة والاستصلاح كثيرة نجتزئ منها بالآتي:

**أ ـ أوس بن معن وابن عمه**[٣]:

قال معن بن أوس المزني في قريب له يستعطفه، وكان معن متزوجا بأخت قريبه هذا فطلقها، فأقسم القريب أن لا يكلم معناً فقال معن:

وذي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أظـــفارِ ضِـــغْنه　　　بـــحلمي عنـــه وهو ليسَ له حِلْمَ

صبرتُ على ما كان بيـــني وبينـــهُ　　　وما تستوي حَرْبُ الأقارب والسلمُ

ويشتمُ عِرضي في المغيبِ جـــاهداً　　　وليـــس له عنـــدي هَوَانٌ ولا شَتْمُ

وإن أدْعُهُ للنصفِ يأبَ ويعـــصِني　　　ويدعو لحـــكمٍ جـــائرٍ غيرُه الحكمُ

إذا سِمتهُ وصـــلَ القرابةِ ســـامني　　　قـــطيعتها تلـــكَ الســـفاهةُ والإثمُ

فأسعى لكي أبني ويهدم صالحـــي　　　وليس الذي يبني كمن شأنه الهـــدم

---

(١) ناسيتهم أي رب قوم هكذا ناسيت بغضهم لي حتى نسوا يقول لم أكاشفهم ولا أظهرت لهم علمـــي بعـــداوتهم لأعدهم لمن هو أبعد منهم وأشد عداوة ويوضحه البيت الذي بعده

(٢) قيل لبعض حكماء العرب ما تقول في ابن العم فقال عدوك وعدو عدوك المعنى أن الإنسان قد يضطر إلى نصرة بني الأعمام وإن كانوا منطوين على ضغائن. [الحماسة ج ١ ص ٧٧ ــ ٧٨]

(٣) هو معن بن أوس بن نصر بن زيادة بن أسحم، ينتهي نسبه إلى مزينة وهي امرأة، وأبوها كعب بن مرة، وهـــو شاعر مجيد فحل، محسن متين الكلام حسن الديباجة فخم المعاني من مخضرمي الجاهلية والإسلام وله مدائح كثيرة في أصحاب رسول الله ووفد إلى عمر بن الخطاب مستعينا به على بعض أمره وخاطبه بقصيدته التي أولها:

تأوبه طيف بذات الجرائم　　　فنام رفيقاه وليس بنائم

وعمر بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وكان معاوية بن أبي سفيان يفضل مزينـــة في الشعر ويقول كان أشعر أهل الجاهلية منهم وهو زهير وكان أشعر أهل الإسلام منهم وهو ابنه كعب ومعـــن بـــن أوس .[معاهد التنصيص ج ٤ ص ١٧ ــ ١٨]

يحـــاول رغمي لا يحـــاول غيـــره     وكالمـــوت عندي أن ينال له رغم

فـــما زلتُ في ليني لـــه وتـــعطفي     عليه كـــما تحنُو عـــلى الولدِ الأمُ

وخـــفضٍ لـــه مني الجـــناحَ تألفاً     لتـــدنيهُ منـــي الـــقرابةُ والـــرحمُ

وصبري على أشياءَ مـــنه تـــريبني     وكَظْمي على غيظي وقد ينفعُ الكَظْمُ

لأستلَّ منه الضـــغنَ حتى استللتهُ     وقـــد كانَ ذا ضِغْنٍ يضيقُ به الجرمُ

رأيـــت انثلامـــاً بيننا فـــرقـــعتُه     بـــرفقي وإحـــيائي وقد يرقعُ الثلمُ

وأبرأْتُ غِلَّ الصدرِ مـــنه توسعاً     بحـــلمي كـــما يشفى بالأدويةِ الكَلْمُ

فـــداويتهُ حـــتى ارفـــأنَّ نِفـــارُهُ     فـــعدْنا كـــأنا لم يـــكنْ بينَنا صـــَرْمُ

وأطفأَ نارَ الحـــربِ بـــيني وبينهُ     فـــأصبحَ بعدَ الحربِ وهو لنا سلمُ[١]

**ب ـ المقنع الكندي وأبناء عمه**:

المقنع لقب غلب عليه واسمه محمد بن ظفر بن عمير بن أبي شمر ينتهي نسبه إلى كندة بن عفير وإنما لقب بالمقنع لأنه كان أجمل الناس وجها وكان له محل وشرف ومروءة وسؤدد في عشيرته وكان متخرقا في عطاياه سمح اليد بماله لا يرد سائلا عن شيء يقول المقنع الكندي واصفا العلاقة بينه وبين إخوانه وأبناء عمه وكيف أنه يبني لهم أمجادا وهم يهدمونها ذاكرا خلالا كثيرة وصفات ذكرها في قوله:

يُعاتِبُني في الـــدينِ قَومي وَإِنَّمـــا     دُيونِيَ في أَشيـــــاءَ تُكسِبُهُم حَمـــدا[٢]

أَلَم يَرَ قَومي كَيفَ أوسر مَـــرَّة     وَأُعسِرُ حَتّى تَبلُغَ العُســـرَةُ الجَهـــــدا

فَما زادَنِي الإِقتـــارُ مِنهُم تَقـــَرُّباً     وَلا زادَني فَضلُ الغِـــنى مِنهُم بُعـــــدا

---

[١] الروض الأنف ، ج ٢ ص ٧ / بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص ٧١٢

[٢] المعنى عاتبني قومي في كثرة ديوني ولم يعلموا أنها تكسبهم حمدا لبذلي لها في أمور الخير

أَسُدُّ بِهِ ما قَــد أَخَلّوا وَضَيَّعــوا ثُغورَ حُقوقٍ ما أَطاقوا لَها سَـــدّا[١]

وَإِن الَّذي بَيــني وَبَين بَــني أَبي وَبَينَ بَني عَمّي لَمُختَلِف جِـــدّا [٢]

أَراهُم إِلى نَصري بِطاءً وَإِن هُــمُ دَعَــوني إِلى نَــصرٍ أَتيتُهُم شَـــدّا

وَإِن يَأكُلوا لَحمي وَفَرتُ لُحومَهُم وَإِن يَهدِموا مَجدي بَنيتُ لَهُم مَجدا[٣]

وَإِن ضَيَّعوا غَيبي حَفِظتُ غُيوبَهُم وَإِن هُم هَوَوا غَيِّي هَوَيتُ لَهُم رُشدا[٤]

وَإِن بادَهوني بِالعَداوَةِ لَم أَكُــن أَبــادُهُم إِلّا بِــما يَنعَت الرُشـــدا

وَلا أَحمِلُ الحِقدَ القَــديمَ عَلَيهِم وَلَيسَ كَريمُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحِقدا[٥]

فَذلِكَ دَأبي في الحَيــاةِ وَدَأبُهُــم سَجيسَ اللَيالي أَو يُزيرونَني اللَحــدا

لَهُم جُلُّ مالي إِن تَتــابَعَ لي غِنًى وَإِن قَلَّ مــالي لَم أُكَلِّفهُم رِفــدا[٦]

---

[١] الثغر في الأصل موضع المخافة والمراد مواضع الحق والمعنى أنا صنت ببذل هذه الأموال أعراضهم

[٢] وإن الذي الخ كان بنو عمه عاتبوه في الاستدانة فبين لهم صواب ما أتى وخطأ ما أتوه من العتاب واللوم وجدا نصب على الحال أي جادا والمعنى أن لي خليقة تحملني على فعل الخيرات فهي تباين خلائق أقاربي مباينة شديدة

[٣] الوفر الزيادة

[٤] هووا أي مالوا يريد إن تمنوا لي الشر تمنيت لهم الخير

[٥] المعنى أني أنسى قديم حقدهم وليس من الرؤساء من يحقد وأني أداريهم وأواصلهم وإن حسدوني وهدموا شرفي سعيت في بناء شرفهم وإن فعلوا في غيبي خلاف رضاي فلا أفعل معهم سوى ما يرضيهم وإن مالوا إلى تحريفي عن الصواب ملت إلى إرشادهم إليه وإذا أرادوا بي شرا أردت بهم خيرا

[٦] الرفد العطاء والصلة والمعنى أني إذا ازددت مالا ازددت لهم بذلا وإن قل مالي لم أطلب منهم عطاء ولا صلة

وَإِنِّي لَعَبدُ الضَيفِ [(١)] ما دامَ نازِلاً وَما شيمَةٌ لي غَيرُها تُشبهُ العَبـــدا [(٢)]

فعلى الأقارب معرفة أمثلة ونماذج وشواهد لأقارب كانت بينهم خلافات فأفلحوا في إصلاحها أو حاول بعضهم إصلاحها فأقر له الآخرون بعد جهد ولأي.

## ٥ ـ الصفح عن الأقارب من شيم الكرم والإساءة إليهم من صفات الذم:

على القريب أن يعلم أن الصفح والعفو من شيم الكرم عند العرب قال ابن عبد البر عن قيس بن عاصم: كان عاقلا حليما مشهورا بالحلم قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم المنقري رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أتي برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قتل ابنك قال فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه فقال: يا بن أخي بئس ما فعلت أثمت ربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ونقصت عددك وأوهنت ركنك وفتت في عضدك وأشمت عدوك وأسأت ثم قال لابن له آخر قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة. ثم اتكأ على شقه الأيسر وأنشأ يقول:

وإني امرؤ لا يعتري خلقي دنـــس يـــفـــنده ولا أفـــن [(٣)]
من منقر من بيت حـــكمة والغصن ينبت حوله الغصن [(٤)]

---

(١) أَنشَدَ الأَصمعي للمُقَنَّع الكِنْديّ:

واذا رُزِقْتَ مـــن النَّوافل ثَرْوَةً فامْنَحْ عَشيرَتَكَ الأَدَاني فَضْلَها
واسْتَبْـــقِها لِـــدِفاعِ كُلِّ مُلمَّة وارفُقْ بنَاشيها وطَاوِعْ كَهْلَها
واحْلم إذا جَهلتْ عَليكَ غُواتُها حتـــى تَرُدَّ بفضلِ حِلْمٍ جَهلهَا
واعلَـــم بأنَّك لا تكُونُ فَتاهُمُ حتى تُرَى دَمِثَ الخَلائقِ سَهْلَها

(٢) شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج٢ص٣٢ــ٣٤ / الأمالي لأبي علي القالي ج١ص٢٨٢ــ٢٨١

(٣) لا يعتري خلقي أي لا يصيبه والدنس ما يشين الإنسان ويعيبه ويفنده أي يفحشه والأفن ضعف العقل معناه أنه شريف الخصال نقي العرض ثابت العقل.

(٤) منقر أبو بطن من تميم والمكرمة فعل الكرم وقوله والغصن ينبت الخ مثل في أن الطيب ينشأ عنه الطيب والمعـــنى

خطباء حين يــقوم قائلهم بيض الوجوه مــصاقع لسن(١)

لا يفطنون لــعيب جارهم وهــم لحسن جوار فطــن(٢)

وقال أعرابي قتل أخوه ابنا له فقدِّم ليُقاد منه فألقى السيف من يده وأنشأ يقول:

أقول للنفس تأساء وتعزيــة إحدى يدي أصابت يدي ولم ترد(٣)

كلاهما خَلَف من فقد صاحبه ذا أخي حين أدعوه وذا ولــدي(٤)

وقال الحارث بن وعلة الذهلي(٥) :

قومي قتــلوا أمــيم أخــي فإذا رميت يصيبني سهمي(٦)

---

أن أصله من قوم كرام فيكون كريما مثل الغصن يخرج منه غصن آخر فيكون مثله

(١) مصاقع جمع مصقع وهو البليغ العالي الصوت واللسن جمع لسن وهو المتناهي في الفصاحة والبلاغة ومعناه أنهــم أدباء سادات إذا تكلموا جاءوا بفصيح الكلام وبليغه.

(٢) الفطن جمع فطن وهو الحاذق الذكي يقول إنهم لكرم أخلاقهم لا يتفحصون عما خفي من أمر الجار بل يلابسونه على ظاهر أمره وإذا اتفق له ما يوجب عليهم حفظه بعقد الجوار فطنوا لذلك وحاموا عليه وبذلوا نفوسهم دونه.[ تهذيب الكمال ج ٢٤ ص ٦٣، ترجمة رقم: ٤٩١١ / مجمع الأمثال للميداني، ج ١ ص ٣٠٦ / شرح الحماسة ج ٢ ص ٤٦٣ ــ ٤٦٤]

(٣) التأساء هي الأسوة وما يؤتسى به من الحزن والتعزية حسن الصبر وقوله إحدى يدي أصابتني على المثل والمجــاز يريد أني أناجي نفسي بهذا القول لأجل السلوة وحسن الصبر.

(٤) كلاهما أي أخوه وولده والمعنى أن كل واحد من الأخ الواتر والابن المفقود يصلح لأن يرضى به عوضــا مــن فقدان الآخر. [شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ١ ص ١٥١ ــ ١٥٢]

(٥) الحارث بن وعلة بن عبد الله بن الحارث ينتهي نسبه إلى جرم بن الريان وهو شاعر جاهلي وكان هــو وأبــوه وعلة من فرسان قضاعة وأماجدها وأعلامها وشعرائها وهو غير الحارث بن وعلة الشيباني

(٦) أميم مرخم أميمة يقول قومي يا أميمة هم الذين فجعوني بأخي ووتروني فيه فإذا انتقمت منهم عاد ضرر ذلك علي لأن عز الرجل بعشيرته

فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأهونن عظمي[١]

وقال محمد بن عبد الله الأزدي:

لا أدفع ابن العم يمشي على شفا وإن بلغتني من أذاه الجنادع[٢]

ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه لترجعه يوما إليّ الرواجع[٣]

وحسبك من ذل وسوء صنيعة مناوأة ذوي القربى وإن قيل قاطع[٤]

كما أن الإساءة إلى الأقارب من صفات الذم عند العرب، قال أبو براء ملاعب الأسنة عامر بن الطفيل:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ويأمن مني صولة المتهدد

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي[٥]

وقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تكلمن عرض ابن عمك ظالما فإذا فعلت فعرضك المكلوم

وحريمه أيضا حريمك فاحمه كيلا يباح لديك منه حريم

---

[١] السطو القهر بالبطش والوهن الضعف وكذلك الوهي والجلل من الأضداد يكون للصغير وللعظيم وهو المراد هنا والمعنى إن تركت الانتقام منهم صفحت عن أمر عظيم وإن انتقمت منهم أوهنت عظمي. [الحماسة ج ٢ ص ٦٤ ــ ٦٦]

[٢] الشفا حرف الشيء والجنادع الدواهي والمعنى إذا انحرف عني مهاجرا لي ومشى على جانب من المؤانسة لي لا أنفره ولا أتمم استيحاشه وإن بلغتني الدواهي عنه.

[٣] ولكن أواسيه أي أجعله أسوة نفسي فأقاسمه مالي وملكي يقول ولكن أعينه وأعطيه من مالي ما يرضيه وأعرض عن ذلاته وهفواته حتى ترده إليَّ الأسباب التي تبعث عليَّ تجدد المودة وتدعو إلى المحبة

[٤] المناواة المعاداة يقول كافيك من سوء الفعل واكتساب الذل أن تناوي أقاربك وإن كانوا قاطعين لك. [شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ١ ص ٢٨٣ ــ ٢٨٤ / أدب الدين والدنيا ص١٥٣]

[٥] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٤٩٥ ، العقد الفريد ج ١ ص ٢٠٥

وإذا اقتصصت من ابن عمك كلمة فكلومه لك إن عقلت كلـــوم[١]

## ٦ـ المشاكل والخلافات بين الأقارب أمر عادي فلا داعي لتضخيمها:

لا يخلو مجتمع أقارب من تنافس وتحاسد بين أفراده، ففي كل واد بنو سعد،[٢] وبنو سعد رهط الأضبط بن قريع السعدي وكان قد خرج منهم متسخطا فجاور ناسا فلما رأى مذهبهم وظلمهم لم يحمدهم فجاور غيرهم فآذوه فرجع إلى قومه، وقال: بكل واد بنو سعد، فأرسلها مثلا، أي: أفر من الأذى إلى مثله.[٣]

فيأيها القريب رب قريب فارقته سخطة من قربه وتذمرا من جواره ومعاشرته وعاشرت غيره فساءك مَنْ عاشرته اليوم أكثر من الذي فارقته بالأمس وصار لسان حالك يقول:

عتبت على سلم فلما فقدته وجربت أقواما بكيت على سلم[٤]

ورب قريب تبكي منه متحسرا على الأيام التي أسلفتها معه، والليالي التي أمضيتها معه رحلت عنه وجاورت غيره وعاشرت بدلا عنه صرت تبكي عليه ولسان حالك يقول:

---

(١) جواهر الأدب ج ٢ ص ٦٦٤

(٢) كان الأَضْبَطُ بن قُرَيْع سيدَ قومه، فرأى منهم جفوة، فرحل عنهم إلى آخرين، فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك، فقال هذا القول.[ مجمع الأمثال، ج ١ ص ٥٣ ]

(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٣٦٤ / الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ٨٣

(٤) كان ابن عرادة السعدي مع سلم بن زياد بخراسان، وكان له مكرماً، وابن عرادة يتجنّى عليه، إلى أن تركه وصحب غيره فلم يحمد أمره، فرجع إليه وقال [بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٦٥٨ / المستطرف ٩٢٢]:

عتبت على سلم فلما فقدته وصاحبت أقواماً بكيتُ على سلم

رجعت إليه بعد تجريب غيره فكـــان كبرءٍ بعد طولٍ من السقم

رب يوم بكيت منه فلما     صرت في غيره بكيت عليه[(١)]

فلا تكثر العتاب على قريبك فلو مضى كنت على غيره أعتب، قال الشاعر:

ونعتب أحيانا عليه ولو مضى     لكنا على الباقي من الناس أعتبا [(٢)]

## ٧ـ عند الشدائد تذهب الأحقاد:

غالب الخلافات والعداوة بين الأقارب ليست حقيقية لأنها تقوم على أسباب عارضة كالتنافس والحسد، ويتضح ذلك جليا أن ابن عمك المنافس لك يقف معك ويقاتل في سبيلك إذا أرادك أحد الناس بسوء، قال المثلّم بن رياح بن ظالم المري:

لففنا البيوت بالبيوت فأصبحوا     بني عمنا من يرمهم يرمنا معا[(٣)]

وقال القُطامِيُّ:

أَخُوكَ الذي تَملِكُ الحِسَّ نَفْسُه     وتَرْفَضُّ، عند المُحْفظات، الكتائفُ[(٤)]

ومعنى هذا البيت معنى المثل السائر: الحَفائِظُ تُحَلِّلُ الأَحْقادَ، يقول: إِذا رأَيتُ قريبي يُضام وأَنا عليه واجدٌ أَخرجت ما في قلبي من السَّخِيمة له ولم أَدَعْ نُصْرَته ومعونته [(٥)].

قال الميداني: الحَفِيظَةُ تَّحَلِّلُ الأَحْقَادَ. الحَفِيظَة والحِفْظَةُ: الغضب والحميَّةُ، والحفائظ: جمع حفيظة. ومعنى المثل: إذا رأيت حميمك يظلم حميت له، وإن كان في

---

(١) شواهد الكشاف ج٤ص٣١٩

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٦٥٨

(٣) اللف الجمع والبيوت بالبيوت أي بيوت أشجع ببيوتنا فأصبحوا بني عمنا الضمير لبني أشجع وبني عمنا منصوب على النداء وقوله من يرمهم يرمنا معا أي صاروا منا بمنزلة أنفسنا من آذاهم فقد آذانا [الحماسة ج ١ ص ١٤٤ ــ ١٤٥]

(٤) الكتائف الأَحقاد، واحدها كَتِيفَة يقول: هو الذي إِذا رآكَ مظلوماً رَقّ لك وذهب حِقْده.[لسان العرب، مادة: رفض]

(٥) لسان العرب، مادة: حسس

قلبك عليه حقد [(١)].

وقيل: تَرْفَضُّ عِنْدَ المُحْفِظَاتِ الكَتَائِفُ. تَرْفَضُّ: أي تتفرق، والمحفظات: المغضبات، والحفيظة والحفظة: الغضب، والكتائف: السخائم والأحقاد. يقول: إذا رأيت حميمك يظلم أغضبك ذلك فتنسى حقدك عليه وتنصره [(٢)].

وقال عويف القوافي وهو عويف بن معاوية بن عقبة بن حصن بن حذيفة الفزاري وكانت أخته عند عيينة بن أسماء بن خارجة فطلقها فكان عويف مراغماً لعيينة وقال الحرة لا تطلق بغير ما بأس فلما حبس الحجاج عيينة قال عويف:

ذهـــب الرقاد فما يحس رقـــاد ... مما شـــجاك ونامت العواد [(٣)]

خبر أتـــاني عن عيينة موجـــع ... كادت عليه تصدع الأكباد [(٤)]

بلغ النـــفوس بـــلاؤه فـــكأننا ... موتى وفينا الروح والأجساد [(٥)]

ساءَ الأقاربَ يوم ذاك فأصْبَحُوا ... بهجـــينَ قد سُرّوا به الحُسّادُ

يرجـــون عثرة جدنا ولو أنهم ... لا يدفعون بنا المكاره بادوا [(٦)]

---

(١) مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني، ج ١ ص ٢٠٧ / [جمهرة الأمثال لأبي هـــلال العـــسكري ص ٥٧٠ ــ ٥٧١

(٢) مجمع الأمثال ، ج ١ ص ١٢٥

(٣) الرقاد والرقود النوم بالليل وقوله فما يحس أي فما أحس به ولا أشعر وشجاك أحزنك والعواد جمع عائد مـــن العيادة يقول إن العين لم تذق النوم ولم تكتحل به مما أحزنك وألم بك والعواد قد امتلأت عيونهم بالنوم لخلو بـــالهم وفراغ قلوبهم من الهم والحزن

(٤) الخبر الذي أتاه هو حبس عيينة يقول إن ذلك الحزن وهذا الألم من الخبر الذي أتاني عن عيينة وذلـــك الخـــبر موجع مؤلم لا أستطيع تحمله حتى كادت الأكباد تنفطر منه وتنصدع

(٥) بلاؤه أي بلاء الخبر والأجساد هنا جمع جسد وهو الدم يقول إن هول ذلك الخطب وصل أثره إلى النفوس وأثر فيها أثرا سيئا حتى صرنا كالأموات مع بقاء الروح والدم فينا

(٦) يقال عثر جد فلان إذا ذهب أمره وهلك وبادوا هلكوا أي يرجون هلاكنا ولولا مكاننا لهلكوا

لما أتـــاني عـــن عـــيينة أنـــه ... أمـــسى عليه تظاهر الأقياد[١]

نخلت له نـــفسي النصيحة إنه ... عند الشدائد تذهب الأحقاد[٢]

وذكرت أي فتى يسد مكانه ... بالـــرفد حين تقاصر الأرفاد[٣]

أم من يهين لنا كرائم مـــاله ... ولنا إذا عـــدنا إليه معـــاد [٤]

## ٨ ـ عتاب القريب خير من الحقد عليه:

إذا حدث خلاف بينك وبين قريبك فعاتبه واستصلحه وذلك خير من أن تحقد عليه وتحاسبه محاسبة تجعلكما تفقدان بعضكما بعضا، قال الحارث بن كلدة الثقفي. وكان قد خرج إلى الشام فكتب إلى بني عمه فلم يجيبوه:

ألا أبلغ معاتبتي وقـــولـــي ... بني عـــمي فقد حسن العتاب

وسل هل كان لي ذنب إليـــ ... هـــمو منه فأعتبُهم غـــضاب

كـــتبت إلـــيهم كـــتبا مرارا ... فلم يرجع إلـــي لـــها جواب

فـــما أدري أغـــيرهم تنائي ... وطول العهد أم مـــال أصابوا

فـــمن يك لا يدوم له وصال ... وفيـــه حـــين يغترب انقلاب

فعـــهدي دائم لهمو ودي ... على حال إذا شهدوا وغابوا[٥]

## ٩ـ لا يكن نفعك للأبعدين دون الأقربين فالعبرة بالمنفعة لا بالرحم:

---

[١] لما بمعنى حين وتظاهر الأقياد أي يكون بعضها فوق بعض ومنه قولهم ظاهر بين درعين إذا لبس إحـــداهما فـــوق الأخرى

[٢] نخلت له أي أخلصتها له وجاءت بصريحها والنصيحة الصدق والإخلاص وعدم الغش والأحقاد جمع حقد وهو الغل في الصدر يقول لما أتاني ذلك الخبر ذهب ما كان في صدري وعطفت عليه فإن العداوات تذهب عند المصائب

[٣] الرفد العطاء والجمع الأرفاد أراد ببذل الرفد فحذف المضاف يقول ففكرت في نفسي وقلت إن فقـــدنا هـــذا الرجل فأي فتى بعده يقوم ببذل العطاء حين يضن كل واحد بماله يصفه بالكرم والسخاء

[٤] كرائم المال خياره أي من يبذل لنا خيار ماله ويكون لنا عنده معاد إذا عدنا بعد هذا المذكور وإهانة المال تكون بالبذل والنحر للضيفان.[الحماسة ج ١ ص ٩٠ ــ ٩١ / الأغاني ج ١٩ ص ٢٢١ ــ ٢٢٢]

[٥] شواهد الكشاف ج٤ص٣٢٧

بعض الأقارب يكون له نهمة في فعل الخير ومساعدة الآخرين وحب لذلك وإيثار له وتراه كالنحلة ساعيا في مصالح الأمة والبشر. ولكن صدره يضيق ويصاب بالحصر إن كان هذه الفرد الذي سيناله المعروف والبر والمساعدة هو قريبه. فما أشبه هذا الشخص الذي يكون مثل هذا بشجرة الدوم التي يستظل بها البعيد بينما يكون ضاحيا من يجلس تحتها ومن هو قريب منها. ومن أمثال العرب في هذا الشأن: غَمَامُ أَرْضٍ جَادَ آخرينَ يضرب لمن يُعطي الأباَعِدَ ويترك الأقارب.[1]

وقال طرفة :

إذا أنت لم تنفع بودك قربة ولم تنك بالبؤسى عدوك فابعد[2]

وقال ابن المقرب العيوني :

وَلا تَتَوهَّم أَنّ إِكرامَــكَ العِدى سَخاءٌ وَأَنَّ العِزَّ ضَيمُ الأَقارِبِ
لعَمرُكَ ما عَزَّ امرُؤٌ ذَلَّ قَــومُهُ وَلا جادَ مَن أَعطى عَطِيَّةَ راهِبِ

وقال بعضهم في الحكمة والتكرم على ذوي القربى:

إذا لم يكن جاهي لقوميَ نافعاً ومــاليَ مضنونٌ به عن أقاربي
فلا كان ذاك الجاه والمال إنّه برغميَ مَذْخُورٌ لبعض الأجانبِ[3]

فأيها القريب لا تكن كشجرة الدوم، يحرم خيرك الأقربون و يغشى الأبعدين نفعك، بل كن كشجرة النخيل، يستظل بها من تحتها ويأكل من ثمرها، قال الشيخ عبد الغني النابلسي:

كنْ كالنخــيل عــن الأحقادِ مرتفعاً يُــؤْذَى برجـــمٍ فيعطي خيرَ أثمارِ

كما يجب أن تعلم أن الملتفين حولك سينفضون من حولك حينما يخترفون ثمارك ويجتنونها وأن تعلم أنهم يعلمون أن من لا يصلح لأهله وعشيرته لا يصلح لأحد.

---

[1] مجمع الأمثال ج ٢ ص ٦٢
[2] ديوان طرفة بن العبد ص ٤٣
[3] خريدة القصر

قال ابن عباس: تكفر النعمة، والرحم تقطع، والله يؤلف بين القلوب، وإذا قارب بين القلوب لم يزجرها شيء أبدا ثم تلا ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[١]

وقال ابن عباس أيضا: الصديق أوكد من القرابة ، ألا ترى استغاثة الجهنميين حيث يقولون ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[٢] ولم يستغيثوا بالآباء والأمهات[٣].

قال القرطبي: - أي صديق مشفق؛ وكان علي رضي الله عنه يقول: عليكم بالإخوان فإنهم عدة الدنيا وعدة الآخرة؛ ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

قال الزمخشري: وجمع الشافع لكثرة الشافعين ووحد الصديق لقلته؛ ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم مضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته؛ رحمة له وحسبة وإن لم تسبق له بأكثرهم معرفة؛ وأما الصديق فهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما يهمك فأعز من بيض الأنوق[٤].

وقال مقاتل: صديق موافق خير من ولد مخالف. ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ ﴾[٥] وقيل: القرابة تحتاج إلى المودة والمودة تستغني عن القرابة[١].

---

[١] سورة الأنفال آية ٦٢

[٢] سورة الشعراء آيتان ١٠٠ـــ١٠١

[٣] روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن لمحمد علي الصابوني، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـــ ـــ ١٩٧٧م، منشورات مكتبة الغزالي ج٢ص٢٢٧ /البحر المحيط ج ٦ ص ٤٧٤

[٤] تفسير القرطبي (طبع دار الشعب)ج ١٧ ص ١١٧

[٥] سورة هود آية ٤٦

وقيل لعبد الحميد الكاتب: أخوك أحب إليك أم صديقك؟ قال: إنما أحب أخي إذا كان صديقا. [٢] وقال رجل لابن المقفع : أنا بالصديق آنس مني بالأخ. فقال له ابن المقفع: صدقت الصديق نسيب الروح، والأخ نسيب الجسم. [٣] ولذا قيل: رب أخ لك لم تجمعك به ولادة. [٤]

وقال الشاعر:

إني بلوت الناس في أحوالهــم    وخبرت ما وصفوا من الأسباب

فــإذا القرابة لا تقرب قاطعا    وإذا المــودة أقرب الأسبــاب [٥]

وقال الشاعر:

وجدت قريب الود خيرا وإن نأى    من الأبعد الود القريب المناسب

ورب أخ لم يــدنــه منك والــد    أبر من ابــن الأم عند النوائب

ورب بعيد حاضــر لك نــفــعه    ورب قريب شاهد مثل غائب [٦]

علمنا مما تقدم أن العبرة بتقارب القلوب دون تقارب الأبدان وبتآلف الصدور وودها دون تداني الأنساب والأرحام ونجد مشاهد لما سبق أمام ناظرينا تكون في أسرنا أو أسر جيراننا أو أصدقائنا نراها رأي العين.

---

(١) محاضرات الأدباء

(٢) نثر الدر ج ٤ ص ١٦٦

(٣) نثر الدر ج ٤ ص ١٨٣

(٤) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ١٩٦

(٥) بهجة المجالس القسم الأول ص٧٨٠

(٦) بهجة المجالس القسم الأول ص٧٧٥

## ١٠ـ معرفة أمثلة لعداوات أقارب أخفق أصحابها في استصلاحها:

على الأقارب أن يعلم بعضهم بعضا نماذج لعداوات استصلحت ليقتدى بها ويحتذى طريقها كما أن عليهم أن يعلم بعضهم بعضا نماذج لعداوات انتشرت بين الناس وذم بها أصحابها وهذه أمثلة سيئة أثبتها التاريخ وتناقلتها الألسن وذم بها أصحابها والواقعون فيها وطال الذم ذريتهم وأبناءهم أثبتها وأتيت بها لنعرف خطورة عداوة الأقارب وتأثيرها وهي أمثلة لشعراء صوروا عداوة إخوانهم وبني عمهم وأقربائهم في شعر، صار يُتمثل به في المحافل لرصانته وقوة سبكه، مع ما فيه من معاناة يعايشونها ومن هذه الأمثلة: ما حدث بين ذي الإصبع العدواني وابن عمه مرير بن جابر وما حدث بين يزيد بن الحكم وأخيه عبد ربه وابن عمه مما يتضح لنا في التالي:

**أ ـ ذو الإصبع العدواني وابن عمه** :

هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار أحد بني عدوان وهم بطن من جديلة شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة.

قال أبو عمرو: كان لذي الإصبع[1] ابن عم يعاديه، فكان يتدسس إلى مكارهه، ويمشي به إلى أعدائه ويؤلب عليه ويسعى بينه وبين بني عمه ويبغيهم عنده شرا فقال فيه:

وَلِــيَ ابنُ عَمٍّ لا يَــزا ... لُ إِلَيَّ مُنــكَــرُهُ دَسيــسا

دَبَّت لَهُ فاحَــسَّ بَعــ ... د البُرءِ من سَــقَمٍ رَســيسا

إِمّــا عَــلانِيَــةً وَإِمّــا ... مُخــمَراً كَــفيلاً وَهيــسا

إِنّي رَأَيــتُ بَني أَبيــ ... ك يُجحمون [2]إِلَيَّ شوسا

---

[1] اسمه حرثان بن محرث ، وسمي ذا الإصبع لأن حية نهشت أصبعه

[2] يجحمون : يحدقون في النظر

حَنَقاً عَلَيَّ وَلَن تَرى لي فيهُمُ أَثَراً بَئيسا
لو كنت ماء لم تكن عذب المذاق ولا مسوسا[١]

وقال ذو الإصبع العدواني في ابن عمه مرير بن جابر:

ولي ابن عم على ما كان من خلق مختلفان فأقليه ويقليني[٢]
أزرى[٣] بنا أننا شالت[٤] نعامتنا فخالني دونه بل خلته دوني[٥]
لاه[٦] ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني[٧] فتخزوني[٨]
ولا تقوت عيالي يوم مسغبة ولا بنفسك في العزاء تكفيني[٩]
فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتي فإن ذلك مما ليس يشجيني[١٠]
ولا يرى في غير الصبر منقصة وما سواه فإن الله يكفيني
لولا أواصر[١١] قربى لست تحفظها ورهبة الله في مولى[١٢] يعاديني
إذا لبريتك بريا لا انجبار له إني رأيتك لا تنفك تبريني

---

[١] هو الذي إِذا مَسَّ الغُلَّة ذَهَبَ بها. [لسان العرب، مادة: مسس/ الأغاني ج ٣ ص ٩٤٨ (طبعة الشعب)]

[٢] قلاه : أبغضه

[٣] معنى قوله أزرى بنا قصر بنا يقال زريت عليه إذا عبت عليه فعله وأزريت به إذا قصرت به في شيء

[٤] شالَتْ نَعامَتُهم: تفرقت كَلِمَتُهم وذهب عزُّهم ودَرَسَتْ طريقتُهم ووَلَّوْا، وقيل: تَحَوَّلوا عن دارهم، وقيل: قَلَّ خَيْرُهم ووَلَّتْ أُمورُهم. [لسان العرب، مادة: نعم]

[٥] وخالني ظنني يقال خلت كذا وكذا فأنا أخاله إذا ظننته والجائحة النازلة التي تجتاح ولا تبقى على ما نزلت به

[٦] لاه ابن عمك: أراد لله ابن عمك، فحذف اللام الخافضة اكتفاء بالتي تليها.

[٧] الديان: القائم بالأمر.

[٨] خَزَا الرجلَ يَخْزُوه خَزْواً: ساسَه وقَهَره

[٩] المسغبة: المجاعة. العزاء: الضيق والشدة.

[١٠] يشجيني : يحزنني

[١١] الأواصر: جمع آصرة.

[١٢] مولى: ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف

ماذا علــي وإن كـنتم ذوي رحم ... ألا أحبكــم إذ لم تــحــبــوني

لو تشربون دمـــي لم يرو شاربكم ... ولا دماؤكم جـــمعا تـــرويـــني

ولي ابن عم لو أن الناس في كبدي ... لـــظل محتجزا بالـــنبل يرمـــيني[١]

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حتى تقول الهامة اسقوني[٢]

عني إلـــيك فـــما أمـــي بـــراعية ... ترعى المخاض ولا رأى بـــمغبون[٣]

يا عمرو لـــو لنت لي ألفيتني يسرا ... سمحا كريما أجازي مـــن يجازيـــني

والله لو كرهت كفي مـــصاحبتي ... لقلت لها إذ كرهت قربي لها بيني[٤]

**ب ـ يزيد بن الحكم وأخوه عبد ربه:**

**يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي البصري من فصحاء الشعراء حدث عن عمه عثمان بن أبي العاص. روى عنه معاوية بن قرة وعبد الرحمن بن إسحاق. وله وفادة على سليمان بن عبد الملك فوصله بمال جسيم وكان قد عين لإمرة فارس[٥]وكانت أم يزيد عمة الفرزدق[٦].**

---

(١) الكبد: بفتح الباء الشدة والمشقة. المحتجز: الذي يشد وسطه بثوب ونحوه.

(٢) الهامة: الرأس، وفي اعتقاد العرب في الجاهلية أن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة من قبره فلا تزال تصيح اسقوني اسقوني، حتى يقتل قاتله. وقد جاء الإسلام بإبطال هذه العقيدة (انظر المخالفات الشرعية في الأشعار العربية للمؤلف)

(٣) براعية: أي لست ابن أمة، ويقال: إنه تعريض به لأنه كان ابن أمة. المغبون: الضعيف.

(٤) المفضليات ج ١٥٩ ــ ١٦٤، مفضلية رقم: ٣٢ / عيون الأخبار لابن قتيبة، الهيئة المصرية العامـــة للكتـــاب ١٩٧٣م ، ج ٢ص٣٢٨ / الأمالي لأبي علي القالي ج ١ ص ٢٥٥ــ٢٥٦ / بهجة المجـــالس القـــسم الأول ص ٧٧٨

(٥) سير أعلام ج ٤ ص ٥١٩ ــ ٥٢٠

(٦) مر الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي وهو ينشد في المجلس شعرا فقال من هذا الذي ينشد شـــعرا كأنه من أشعارنا فقالوا: يزيد بن الحكم. فقال: نعم أشهد بالله أن عمتي ولدته وأم يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر وأمها هنيدة بنت صعصعة بن ناجية.

كان ليزيد بن الحكم خلافات مع أخيه عبد ربه وابن عمه [١] سجلها شعرا، يقول يزيد بن الحكم في أخيه عبد ربه:

تكاشرني كرها كأنك ناصح ... وعينك تبدي أن صدرك لي دوي[٢]
لسانك لي أريٌ وغيبك علقم[٣] ... وشرك مبسوط وخيرك ملتوي[٤]
تفاوض من أطوِي طوى الكشح دونه ... ومن دون من صافيته أنت منطوي[٥]

---

[١] قال يزيد بن الحكم في ابن عمه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاص [خزانة الأدب ج١ص١١٦ / الأغاني ج ١٢ ص ٣٤٣]:

ومولى كذئب السوء لو يستطيعني ... أصاب دمي يوما بغير فتيل
وأعرض عما ساءه وكأنما ... يقاد إلى ما ساءني بدليل
مجاملة مني وإكرام غيره ... بلا حسن منه ولا بجميل
ولو شئت لولا الحلم جدعت أنفه ... بإيعاب جدع بادئ وعليل
حفاظا على أحلام قوم رزئتهم ... رزانٍ يزينون الندي كهول

[٢] يقال: كاشر الرجل الرجل: إذا كشر كل واحد منهما لصاحبه، وهو أن يبدي له أسنانه عند التبسم، وكرهاً بضم الكاف وفتحها: مصدر وضع في موضع الحال؛ والدوي: وصف من الدوى بالفتح والقصر: المرض، دوي يدوى كفرح يفرح؛ ودوي صدره أيضاً، أي: ضغن.

[٣] قال يزيد في أخيه عبد ربه أيضا: [خزانة الأدب ج ١ ص ١١٦]

أخي يسر لي الشحناء يضمرها ... حتى ورى جوفه من غمره الداء
حران ذو غصة جرّعت غصته ... وقد تعرض دون الغصة الماء
حتى إذا ما أساغ الريق أنزلني ... منه كما تنزل الأعداء أعداء
أسعى فيكفر سعيي ما سعيت له ... إني كذاك من الإخوان لقّاء
وكم يدٍ ويد لي عنده ويد ... يعدهن ترات وهباء

[٤] الأري: العسل؛ والعلقم: الحنظل؛ وحذف أداة التشبيه للمبالغة.

[٥] فاوضه: إذا أظهر له أمره؛ وأطوي: ضد أنشر، والطوى: الجوع، وهو مصدر طوي يطوى من باب فرح، وهو مفعول أطوي، أي: تظهر أمرك لمن أخفي عنه جوعي، أي: تنبسط في الكلام عند عدوي ولا أظهره على شيء من أموري، وتنقبض عن أصدقائي ولا تظهرهم على شيء من أمرك نكاية فيّ.

تصافح مـــن لاقـــيت لي ذا عـــداوة صفاحا وعني بين عـــينيك منزوي [١]

أراك إذا لـــم أهـــو أمراً هـــويتـــه ولست لما أهوى من الأمر بالهوي [٢]

أراك إذا استـــغنيت عـــنا هـــجرتنا وأنت إلـــينا عـــند فقرك منضوي [٣]

إليك انـــعوى نصحي ومالي كلاهما ولستَ إلى نصحي ومالي بمنعوي[٤]

أراك اجتويت الخـــير مني وأجتـــوي أذاك فـــكل مجتو قـــرب مجتوي[٥]

فـــليت كـــفافا كـــان خيرك كله وشرك عني، ما ارتوى الماء مرتوي

لعـــلك أن تـــنأى بـــأرضـــك نية وإلا فإني غير أرضـــك مـــنتوي[٦]

تبدلْ خليلا بي، كشـــكلك شكله فـــإني خليـــلا صالحا بك مقتوي[٧]

فـــلم يغوني ربي فـــكيف اصطحابنا ورأسك في الأغوى من الغي منغوي

عـــدوك يخـــشى صـــولتي إن لقيته وأنت عدوي ليـــس ذاك بمستوي

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النـــيق منهوي[٨]

---

[١] بين: مرفوع بالابتداء لأنه اسم لا ظرف؛ ومنزوي: خبره؛ وعني: متعلق به، يقال: انزوت الجلدة في النار، أي: اجتمعت وتقبضت، وزوى ما بين عينيه، أي: قبضها.

[٢] هوي الشيء يهواه هوىً من باب فرح: إذا أحبّه؛ وهوى بالفتح يهوي بالكسر هويّاً، وكذلك الهوى: إذا سقط إلى أسفل.

[٣] انضوى إليه. لجأ وانضم إليه.

[٤] انعوى: بمعنى انعطف وهو مطاوع عويته، أي: عطفته.

[٥] قوله: أراك اجتويت الخير، اجتواه بالجيم، كرهه.

[٦] أي: أرجو أن تنأى من أرضك، أي: تبعد عنها، من النأي وهو البعد، وإلا، أي: وإن لم تنأ، فإني عـــازم علـــى الرحيل عنها. يقال: نويت نية وكذلك انتويت، أي: عزمت.

[٧] القتو: الخدمة. وقتوت أقتو قتواً ومقتي، أي: خدمت.

[٨] طاح الرجل يطوح ويطيح: إذا هلك. والأجرام: جمع جرم بالكسر، وهو الجسم، كأنه جعل أعضاءه أجرامـــاً توسعاً، أي: سقط بجسمه وثقله. والنيق بكسر النون: أرفع الجبل. وقلّته: ما استدق من رأسه.

نـــداك عـــن المـــولى ونصرك عاتم وأنت له بالـــظلم والـــغِمر مختوي[١]

تود له ، لـــو نـــابه نـــاب حـــية ربيب صفاة بـــين لهـــبين منحوي[٢]

إذا ما بنى المجد ابن عمك لم تـــُعن وقـــلت: ألا بل ليت بنيانه خوي[٣]

كأنك إن قـــيل ابن عـــمك غانم شـــجٍ أو عميدٌ أو أخـــو مغلة لوي[٤]

تملأت من غيظ عـــلي فلم يزل بك الغيظ حتى كدت في الغيظ تنشوي

فما برحت نفس حسود حِشْيتها تـــذيبك حتى قيل: هل أنت مكتوي[٥]

وقال النـــطاسيون إنك مشعر سلالا ألا بـــل أنت من حـــسد جوي[٦]

فديت امرأ لم يـــدوَ للـــنأي عهده وعهدك من قبل التنآي هو الدوي

جمعت وفـــحشا غـــيبة ونـــميمة خلالا ثلاثا لـــست عـــنها بمرعوي

---

[١] الندى: الجود. والمولى: ابن العم. والغمر، بكسر الغين المعجمة الحقد والغلّ؛ يقال: غمر صدره عليّ من بـــاب فرح. ومختوي بالخاء المعجمة: الجائر المسقط.

[٢] الحية معروفة، تكون للذكر والأنثى، قالوا: فلان حية ذكر، والتاء للواحد من الجنس، كبطّة ودجاجة، وهنـــا بمعنى الذكر بدليل الوصف لربيب، من ربّ فلان ولده بمعنى ربّاه، فعيل بمعنى مفعول.والصفاة: الصخرة الملـــساء. واللهب، بكسر اللام، ومثله اللصب، وهو الشق في الجبل. والمنحوي، بالنون والحاء المهملة: المجتمع.

[٣] يقال: خوي المنزل من باب رضي يرضي ورمى يرمي، لغتان، أي:سقط؛ قال تعالى ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ (سورة الحج) أي: ساقطة على سقوفها.

[٤] الشجيّ: الحزين المهموم. والعميد: الذي قد عمده المرض، أي: هدّه حتى احتاج إلى أن يعمد، أي: يسند فهـــو فعيل بمعنى مفعول. والمغلة بفتح الميم وسكون الغين المعجمة : علة تكون في الجوف. واللوي: الذي في جوفه وجع، تقول: لوي لوىً كفرح فرحاً.

[٥] النفس تذكّر وتؤنّث، ولهذا وصفها بالمذكر وأنّث لها الفعل والضمير. وحشيتها من الحشو، يقـــال: حـــشوت الوسادة وغيرها حشواً.

[٦] النطاسيّون: العلماء بالطب، الواحد نطاسي. ومشعر: اسم مفعول، أي: ملبس شعاراً، بالكسر، وهـــو مـــا ولي الجسد من الثياب. والسلال بالضم: مرض السل. والجوي: من الجوى وهو داء للقلب، وفعله من باب فرح.

أفـحشا وخِبّا واختناء على الندى — كأنك أفعى كـدية فـرَّ محـجوي[١]
فيـدحو بك الداحي إلى كل سوءة — فياشر من يـدحو بأطيش مُدْحَوي[٢]
أتـجمع تـسآل الأخـلاء ماهم — ومالك دون الأخـلاء مـلتـوي
بَدا منْك غِشٌّ، طـالما قَـدْ كَتَمْته — كما كَتَمَتْ داءَ ابْنِها [٣]أُمُّ مُدَّوِي[٤]

## ١١ ـ معرفة أنساب الأهل والعشيرة حتى يتعلمها الصغار وترسخ عند الكبار:

تكون بعض العائلات كبيرة جدا ويتفرق أصحابها في البلاد طلبا للمعاش فينتقل الكثير منهم من القرية التي كانت تجمعهم ويسكنون المدنية ويتفرقون فيها شذر مذر ويتزوج بعضهم بنزائع وأجنبيات عن العائلة وتمتد السنون وتنجب هذه الأجنبيات ويزيد عدد العائلة وينشغل الأبناء بالدراسة والعمل وأمور الحياة التي لا تنتهي ويكون بعضهم قد سمع بأن له أعمام وأجداد لم يرهم ولم يلتق بهم ولكنه يعرف أسماءهم وبعض صورهم مما يعلمهم لهم أبوهم ويخبرهم بهم حسب محبته لعائلته وحسب قوة انتمائه لهم فيعلم القريب الصغير أن له عما اسمه كذا ويكون لم يره ومن ثم يموت الأب ويموت العم وينشأ الأبناء لا يعرفون أبناء عمهم وأقاربهم.

وقد يقابل بعضهم ابن عمه أو ابن خاله فلا يسلم عليه لعدم معرفته به أو يسلم عليه سلاما عاديا كسلامه لجملة الناس فيظن العم أو الجد أن هذا تجاهل له

---

(١) الخب بكسر الخاء المعجمة: مصدر خببت يا رجل تخب خبّاً، من باب علم: إذا خـدع ومكـر. والاختنـاء: التقبّض. والندى: الجود. والكدية بالضم: الأرض الصلبة. وأراد بالأفعى الأفعوان وهو ذكر الحيات، ولهذا أرجـع الضمير إليه مذكراً. والمحجوي المنطوي.

(٢) الدحو: الرمي، يقال: ادحه، أي: ارمه، ويقال للفرس: مر يدحو دحواً، وذلك إذا رمى بيديه رميـاً لا يرفـع سنبكه عن الأرض كثيراً. والسوءة بالفتح: القبح والعيب. وأطيش من الطيش وهو الخفة. ومدحوي، أي: مرميّ.

(٣) روي أن خاطبة من الأَعراب خطبت على ابنها جارية فجاءت أُمّها أُمّ الغلام لتنظر إليه فدخل الغـلام فقـال: أَأَدَّوِي يا أُمِّي؟ والدُّوايَةُ والدِّوايَةُ: جُلَيْدةٌ رقيقة تعلو اللَّبَنَ والمَرَقَ. فقالت: اللِّجامُ مُعَلَّقٌ بعَمُودِ البَيْتِ؛ أَرادت بذلك كِتْمان زَلَّة الابن وسُوءِ عادَته.

(٤) انظر: خزانة الأدب الطبعة السلفية ج ٣ ص ١١٨ــ ١١٩/ الأغاني ج ٣ ص ٣٣٣ ــ ٣٤٥

من ابن أخيه واستخفاف به.

فعلى الأقارب معالجة أمثال هذه الحالات بالآتي:

. إذا أتى أحد الأقارب في محفل من محافلهم عليه أن يعرف ابنه الصغير بأهله الكبار منهم وأن يشدد عليه بأن يحسن سلامهم واستقبالهم وأن يحتفي بهم.

. أن يعتذر لابنه أو قريبه اللصيق به عما وقع فيه الابن من تقصير كعدم معرفة أو برود سلام حتى ينتهي الأمر في مهده ويوأد في بدئه ويدفن من ساعته في قبره.

. تعليم أبنائهم أنسابهم وأصولهم ومن أين ينحدرون وأين يتمركز أهلهم ومن هو سيد عشيرتهم ومن أحق بالاحترام منهم ولأهمية تعلم الأنساب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تعلموا أنسابكم لتصلوا أرحامكم [١]. وعن عمارة بن القعقاع قال قال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدون بها وتعلموا من الأنساب ما تواصلون بها [٢].

## ١٢ ـ وصية الآباء الأبناء بالاهتمام بالأقارب ومراعاة حقهم وحفظ ودهم:

دور الآباء في الحياة تجاه بنيهم ليس هو توفير الغذاء والدواء والكساء مع أهميته بل من أهم أدوارهم في الحياة توجيه أبنائهم والاهتمام بما يصلحهم وينفعهم في دينهم والاطمئنان على سلامة توجههم واعتقادهم وقد أثنى الله عز وجل على أحد أنبيائه مبينا حسن نظره لأبنائه واهتمامه بهم في لحظة احتضاره وأنه لم يسألهم أن يهتموا بالبيت الفلاني ولا العقار الفلاني وإنما اطمأن على صحة دينهم واستمرارهم عليه قال الله تعالى﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ [٣]ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ

---

[١] الزهد لهناد بن السري الكوفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الخلفاء، الكويت، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ج ٢ ص ٤٨٧، باب صلة الرحم، حديث رقم: ٩٩٦

[٢] الزهد لهناد، ج ٢ ص ٤٨٧، باب صلة الرحم، حديث رقم: ٩٩٧

[٣] يعقوب: اليعقوب هو ذكر الحجل والجمع يعاقيب [المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل الهنائي ج ٢ ص ٦٧٢]

مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[1]

ومن الأمور المتعلقة بموضوعنا هذا على الآباء توجيه أبنائهم والتأكيد عليهم باحترام أقاربهم وصلتهم وعدم قطعهم وإعطاءهم حقهم ومشاورتهم وعدم الافتئات عليهم في الأمور كالخطوبة والزواج والسفر ونحوها من الأمور التي يشاور فيها العقلاء والكبار، ووصايا حكماء العرب أبناءهم بالاهتمام بالأقارب كثيرة جدا نجتزئ منها بالآتي:

. قال أبو النجم العجلي يوصي ابنته بالاهتمام بأقاربها ومراعاة حقهم والإحسان إليهم حتى يلهجوا بشكرها والثناء عليها:

أوصيكِ يا بنتي فإني ذاهبُ ... أوصيكِ أن يحمدكِ الأقاربُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ الساغبُ ... لا يرجعُ المسكينُ وهو خائبُ

. أوصى الحرث بن كعب بنيه فقال: يا بني قد أتت على مائة وستون سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنعت لنفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا بحت لصديق بسر ولا طرحت عن مومسة قناعا ولا بقى على دين عيسى بن مريم من العرب غيري وغير تميم بن مرة وأسد بن خزيمة فموتوا على شريعتي واحفظوا وصيتي وإلهكم فاتقوا يكفكم ما أهمكم ويصلح لكم حالكم وإياكم ومعصيته فيحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار كونوا جميعا ولا تفرقوا فتكونوا شيعا وبزوا قبل أن تبزوا فموت في عز خير من حياة في ذل وعجز وكل ما هو كائن كائن وكل جمع إلى تباين والدهر ضربان ضرب بلاء وضرب رخاء واليوم يومان يوم حبرة ويوم عبرة والناس رجلان رجل لك ورجل عليك زوجوا النساء الأكفاء وإلا فانتظروا بهن القضاء وليكن أطيب طيبهن الماء وإياكم والورهاء فإنها أدوء الداء وإن ولدها إلى أفن يكون لا راحة لقاطع القرابة وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدو اختلاف الكلمة والتفضل بالحسنة يقي السيئة والمكافأة بالسيئة دخول فيها وعمل السوء يزيل النعماء وقطيعة الرحم

---

[1] سورة البقرة آية : ١٣٢

تورث الهم وانتهاك الحرمة يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد ويخرب البلد ويمحق العدد والإسراف في النصيحة هو الفضيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع أسباب المنفعة والضغائن تدعو إلى التباين [١].

## ١٣- افتخار القريب بقريبه ووقوفه معه وانتشائه عند مساعدته لقريبه وتقديمه شيئا له:

### أ ـ افتخار القريب بقريبه وتزيده به بين الآخرين مع بغضه وكراهيته له :

قد تنشب مشاكل وخلافات بين أقارب ويكون أحدهم ممن له مكانة عالية مرموقة في المجتمع فتجد قريبه يبغضه في شخصه لخلافه معه ويحسده على منزلته في المجتمع عند مقارنة نفسه به.

وهذا القريب إذا جمعه مجمع مع أناس واحتاج إلى الفخر والتزيد بأهل وعشيرة فإنه يتذكر قريبه هذا المبغوض له المشنوء عنده فيقول بملء فيه: إن قريبه هذا قرابته قرابة لصيقة وأنه ابن عمه صليبة ورحمه دنية وأن علاقتهما طيبة وأنهما يتزاوران ويتهاديان ويتباذلان ويحاول الاستحواذ على قريبه أمام الآخرين محاولا احتواء قريبه ليري غيره مكانته مستفيدا من مكانة قريبه الكبيرة في المجتمع.

ومن أمثال العرب في ذلك ما قاله الميداني: مَن يَمْدَحُ العَروسَ إِلاَّ أهْلُهاَ ؟يضرب في اعتقاد الأقارب بعضهم ببعض وعجبهم بأنفسهم! قيل لأعرابي: ما أكثر ما تمدح نفسك قال: فإلى من أكِلُ مَدْحَها ؟ وهل يمدح العروسَ إلا أهلها ؟ [٢]

فيا أيها القريب إن كان قريبك بهذه الأهمية وأنت تفتخر به في غيابه فلماذا لا تصافه في حضوره ولماذا لا تواده ولماذا لا تصلح ما بينك وبينه.

---

[١] جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١٢٢ ــ ١٢٣

[٢] مجمع الأمثال ، ج ٢ ص ٣١١

## ب ـ وقوف القريب مع قريبه وعصبيته له سجية وطبعا:

عند حدوث خلاف بين قريبين لصيقين كأبناء العم مثلا أو الأقارب المتصاهرين فإن هذا الخلاف لا ينحصر عليهما فقط بل تمتد آثاره وتزيد وتطال أناسا آخرين من أبناء عم دنية ومن أولاد ومن زوجات فمثلا إذا نشب خلاف بين ابني عم وكان أحدهما متزوجا بأخت الآخر فإن المعنيين بهذا الخلاف هما: أبناء العم، والزوجة وهي زوجة أحدهما وأخت آخر، والأبناء، وهم أولاد أحدهما وأبناء أخت آخر، والأعمام وكل واحد منهما والد أحد الزوجين وعم الآخر، فيحتار هؤلاء مع من يقفون هل يقف الأولاد مع أبيهم ضد خالهم ويخسرون خالهم وأخوالهم وأهل أمهم أجمعين أو مع خالهم ويخسرون أباهم وأعمامهم وأهل أبيهم، وتحتار المرأة مع تقف هل تقف مع زوجها ضد أخاها فتخسر أخاها وأهلها أم مع أخيها ضد زوجها فتخسر زوجها وتفقد بيتها وقد تفقد أبناءها.

ومن الأمثلة الواقعية لذلك ما حدث بين هدبة بن خشرم[1] وابن عمه زيادة وكانت أخت هدبة عند زيادة، فحصل بينهما ما استدعى تصنيف الأكوام ولزوم معرفة من الذي منا ومن الذي علينا، وتطور الأمر إلى حرب واقتتال وكان الذي هاج الحرب بين بني عامر بن عبد الله بن ذبيان أحد بني قضاعة وبين بني رقاش وهم بنو قرة بن خشرم وهم رهط زيادة بن زيد أن حوط بن خشرم أخا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما فتزودوا الماء في الأداوي والقرب وكانت أخت حوط عند زيادة بن زيد فمال صفوها مع أخيها على زوجها فوهنت أوعية زيادة وفني ماؤه قبل صاحبه فوقع بينهما شيء من الهنات [2].

---

[1] هدبة شاعر إسلامي فصيح متقدم من بادية الحجاز وكان شاعرا راوية كان يروي للحطيئة وكان جميل راوية هدبة وكان لهدبة ثلاثة أخوة كلهم شاعر وهو الذي قتل زيادة بن زيد الحارثي.

[2] الحماسة ج ١ ص ١٨١ ــ ١٨٢

### ج ـ شعور القريب بالنشوة والسرور عند تقديمه شيئا لقريبه:

قد يكون أحد الأقارب له أولاد صغار أو بنات فقط أو عقيما أو أن يكون أولاده غائبين فيصاب بمعضلة أو تلم به ملمة كأن يمرض مرضا عضالا [(١)] يلزمه السرير فيلازمه أحد الأقارب ملازمة دائمة إلى إبلاله من مرضه أو وفاته فيشعر هذا القريب بنوع من إرضاء الضمير بل قد يصاب بالزهو والخيلاء والفخر والسرور بأنه قد أدى واجبا قصر فيه غيره من الحاضرين من القرابة.

كما أن أمثال هذه الأمور قد تكون حافزا لتتبع حالات أقارب أخرى ووضعها في الاعتبار والاهتمام بها لمتابعتها من هذا القريب الذي قام بمتابعة قريبه السابق أو من غيره ممن غفل عن هذا القريب المريض مما يخلق نوعا من التنافس بين الأقارب حول هذه الحالات وتتبعها.

ونجد بعض الأقارب يطاعن بهذا الأمر أبناء الشخص المريض إن كانوا مسافرين أو غائبين أو عاقين لأبيهم بأنه فعل هو أو فعل فلان أمرا كان من الواجب عليهم أن يقوموا به ولكنهم قصروا فيه فقام هو به أو فلان وسد مكانهم بعد غيابهم وتقاعسهم عن الوقوف بجانب أبيهم أو أمهم أو عمهم أو نحوهم من القرابة القريبة والعلاقة اللصيقة.

والذي يجب على القريب أن لا يدل بهذا الأمر على أقاربه فيزدريهم ويحتقرهم لتقصيرهم في ذلك بل عليه أن يحمد الله أن سخر له هذه المزية ويسر له هذه المنقبة.

## ١٤ ـ إصابة من يقوم بقتل أحد أقاربه بعكس ما يريد :

هذا السبب ذكرناه من الأسباب الوقائية للعداء بين الأقارب حتى يكف كل معادي لقريبه عن مواصلة العداء وليعلم أنه إن وصل العداء إلى التناول باليد أو اللسان أو تمخض عن قتل أحد الأقارب لقريبه فإن هناك أمورا تنتج عن ذلك أهمها:

---

(١) العضال: الداء الشديد المعدوم الدواء. ومنه المعضلات: جمع معضلة وهي شدائد الأمور. ومنه عضلت المـــرأة: إذا نشب ولدها عند الولادة ولم يخرج، وعضل الرجل ابنته: إذا منعها من التزويج.

## أ ـ إصابة من يقوم بقتل أحد أقاربه بالحسرة والندم :

يصاب القريب الذي يقتل قريبه بالندم والحسرة وهناك أمثلة وشواهد لذلك نجتزئ منها بالمثال الآتي :

. قال الله تعالى﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [1].

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الأخرى وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هابيل وأخت هابيل أحسن فأراد هابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمر آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى فأمرهما أن يقربا قربانا وذهب آدم ليحج إلى مكة واستحفظ السماوات على بنيه فأبين والأرضين والجبال فأبين فتقبل قابيل بحفظ ذلك فلما ذهب قربا قربانهما فقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال ﴿ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ ﴾ حتى لا تنكح أختي فقال ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ وروى عن ابن عباس من وجوه أخر وعن عبدالله بن عمرو وقال عبدالله بن عمرو وأيم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يده.

---

[1] سورة المائدة آية : ٢٧ ــ ٣١

وقوله له لما توعده بالقتل ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ دل على خلق حسن وخوف من الله تعالى وخشية منه وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه وقوله ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي إني أريد ترك مقاتلتك وإن كنت أشد منك وأقوى إذ قد عزمت على ما عزمت عليه أن تبوء بإثمي وإثمك أي تتحمل إثم قتلي مع ما لك من الآثام المتقدمة قبل ذلك قاله مجاهد والسدي وابن جرير وغير واحد وليس المراد أن آثام المقتول تتحول بمجرد قتله إلى القاتل كما قد توهمه البعض.

قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا حدثنا الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل ورواه الجماعة سوى أبي داود من حديث الأعمش به.

وقوله تعالى ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ذكر بعضهم أنه لما قتله حمله على ظهره سنة وقال آخرون حمله مائة سنة ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين قال السدي بإسناده عن الصحابة أخوين فتقاتلا فقتل أحدهما الآخر فلما قتله عمد إلى الأرض يحفر له فيها ثم ألقاه ودفنه وواراه فلما رآه

يصنع ذلك قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي ففعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه [١].

## ب ـ عدم استطاعة العيش آمنا بين قرابته:

الذي يوتر أحد الناس في واحد منهم بإصابته أو قتله لا يستطيع أن يعيش آمنا بين من أصاب منهم فيستحي من العيش بينهم إن كانوا قد اصطلحوا أو يخاف من الغيلة وانتقام أحد الموترين بقتل قريب لهم من هذا القاتل، قال قيس بن زهير لما اصطلح القوم: يا بني عبس شاعكم السلامُ[٢] فلا نظرْتُ في وجهِ ذُبْيانية قَتَلْتُ أَباها وأَخاها [٣].

فرفض قيس العيش بين قومه لكثرة من قتل من أعدائه ومن قُتل من قومه بسببه فالأحياء هم آباء وإخوان وأبناء وأحفاد المقتولين وكذلك نساؤهم فهو لا يستلذ العيش بينهم وهم لا يأمنونه ومن أمثلة من قتل بمن قتل مع طول الزمن ومظنة التناسي ما ذكره ابن حبيب: أنه كان لهمام بن مرة الشيباني جارة، فأرادت أن تلد، فاجتمع إليها النساء، فسمعها همام يقبْلَنْها، يقلن: قد جاء قد جاء! يعنين الولد. فقالت أمه ادققن عنقه. فقال لها همام: ويحك لا تفعلي قالت: وما يعيشه ؟ قال همام: أمة تعيشه ولقحة وجمل ذلول. قالت: بلى فأعطاها إياها .فلما كان يوم واردات وهو من أيام حرب البسوس خرج همام يسقي الناس الماء واللبن، فأبصره ناشرة [٤] فختله فطعنه فقتله وهرب فلحق بقومه. فقالت أم ناشرة:

لقد عيل الأيتام طعنةُ ناشرة     أناشر لا زالت يمينك آشره [٥]

---

[١] البداية والنهاية ج ١ ص ٩٤

[٢] شاعَكم السلامُ أَي عَمَّكم وصار صاحِباً لكم وتابِعاً.

[٣] لسان العرب، مادة: شيع

[٤] اسم المولود الذي أحياه همام

[٥] انظر أسماء المغتالين لمحمد بن حبيب من مجموعة نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام محمد هـرون، الطبعـة

## ج ـ معاملته بعكس ما يريد ونقيض ما أحب:

من قتل قريبه من أجل أن يرثه فإنه يعامل بعكس ما يريد فيحرم من أن يرثه، وإن قتله من أجل أن يتزوج ابنته فإنه يقابل بنقيض ما أراد وعكس ما أحب. هذا إن نجا من القتل والقصاص والاثئار منه.

## د ـ إصابته بالسهر والجنون:

من يقدم على قتل قريبه فإنه لن يهنأ بما فعل ولن يتمتع بما قام به من خلو الجو من قريبه الذي قتله وانفراده واستئثاره من بعده بالأمر الذي دفعه لقتله بل إنه لو نجا من القتل فلن ينجو من تأنيب الضمير ومن إصابة ضيق النفس ومن ذلك ما حدث في القصص الآتية:

. قصة ذي رعين وندمه على قتل أخيه وامتناع النوم عنه وقد مرت علينا في الأسباب السياسية [1].

. واطأ المنتصر على قتل أبيه فقتل أبوه المتوكل فندم على ذلك ولم يعش بعد أبيه أكثر من ستة أشهر. وقال في مرضه ذهبت يا أماه مني الدنيا والآخرة عاجلت أبي

الأولى دار الجيل بيروت ١٤١١هـــ١٩٩١م ، ج٢ص١٤٧

[1] انظر ص ٧٢ من هذا الكتاب

فعوجلت [(١)] وكان يتهم بأنه واطأ على قتل أبيه فما أمهل.

وجلس المنتصر مرة للهو فرأى في بعض البسط دائرة فيها فارس عليه تاج وحوله كتابه فارسية فطلب من يقرأ فأحضر رجل فنظر فيها فقطب وسكت وقال لا معنى له فألح المنتصر عليه قال فيها أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبي فلم أمتع بالملك سوى ستة أشهر قال فتغير وجه المنتصر وقام [(٢)].

## ١٥ ـ صلة الأرحام سبب للوقاية من مكايد الزمان:

صلة الأرحام من أسباب الوقاية من حوادث الزمان وتقلبات الدهر وحفظ المرء وصونه في حياته الدنيا ومن ذلك ما جاء عَنْ ابْنِ شِهَابٍ. قَالَ: حَدّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزّبَيْرِ أَنّ عَائِشَةَ زَوْجَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ، أَنّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْوَحْيِ الرّؤْيَا الصّادِقَةَ فِي النّوْمِ. فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصّبْحِ. ثُمّ حُبّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنّثُ فِيهِ، (وَهُوَ التّعَبّدُ)اللّيَالِيَ أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوّدُ لِذَلِكَ، ثُمّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوّدُ لِمِثْلِهَا حَتّى فَجِئَهُ الْحَقّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ: "مَا أَنَا بِقَارِئٍ" قَالَ، فَأَخَذَنِي فَغَطّنِي حَتّى بَلَغَ مِنّي الْجَهْدَ، ثُمّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قَالَ قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطّنِي الثّانِيَةَ حَتّى بَلَغَ مِنّي الْجَهْدَ ثُمّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطّنِي الثّالِثَةَ حَتّى بَلَغَ مِنّي الْجَهْدَ. ثُمّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [(٣)] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم

---

(١) قال جعفر بن عبد الواحد قال لي المنتصر يا جعفر لقد عوجلت فما أسمع بأذني ولا أبصر بعيني. [سير أعلام النبلاء ، ج ١٢ ص ٤٢ ــ ٤٣]

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٤٢ ــ ٤٥

(٣) سورة العلق الآيات ١ ــ ٥

تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ [(١)] فَقَالَ: "زَمّلُونِي زَمّلُونِي" فَزَمّلُوهُ حَتّى ذَهَبَ عَنْهُ الرّوْعُ. ثُمّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: "أَيْ خَدِيجَةُ! مَا لِي" وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ. قَالَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلاّ. أَبْشِرْ. فَوَاللّهِ لاَ يُخْزِيكَ الله أَبَدا. وَاللّهِ إِنّكَ لَتَصِلُ الرّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقّ [(٢)].

قال النووي: الخزي الفضيحة والهوان. وأما صلة الرحم فهي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام، وغير ذلك. وأما الكل فهو بفتح الكاف وأصله الثقل. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾ [(٣)] ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك وهو من الكلال وهو الإعياء.

وأما معنى تكسب المعدوم: تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه إياه تبرعا فحذف أحد المفعولين، وقيل معناه تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق.

وأما قولها: وتقري الضيف فهو بفتح التاء، قال أهل اللغة: يقال قريت الضيف أقريه قرى بكسر القاف مقصور وقراء بفتح القاف والمد، ويقال للطعام الذي يضيفه به قرى بكسر القاف مقصور، ويقال لفاعله قار مثل قضى فهو قاض. وأما قولها: وتعين

---

(١) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأول من صدقت ببعثته مطلقا. كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة وأمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي وكانت عند أبي هالة بن زرارة بن النباش بن عدي التميمي أولا ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ثم خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. [الإصابة لابن حجر ، ترجمة رقم : ١١٠٨٦]

(٢) صحيح البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٣ / صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٢٥٣

(٣) سورة النحل آية ٧٦

على نوائب الحق، فالنوائب جمع نائبة وهي الحادثة، وإنما قالت نوائب الحق لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر، قال لبيد:

نوائب من خير وشر كلاهما    فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

قال العلماء رضي الله عنهم: معنى كلام خديجة رضي الله عنها أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل، وذكرت ضروبا من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء. وفيه مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال لمصلحة نظرا، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة له. وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها، والله أعلم [1].

## ١٦ ـ عدم التدخل في خصومات النساء والأطفال:

على الأقارب ألا يتدخلوا وألا يقحموا أنفسهم في خصومات النساء والأطفال وألا يقوموا بنصرة أحد على آخر بل عليهم أن يحجزوا بين المتخاصمين من الأطفال والنساء وأن تكون العقوبة للأطفال بصفة خاصة عامة ومتساوية وليس فيها تحيز لأحد حتى لا يوغر صدر أحد الكبار وتتطور المشكلة من خصومات أطفال إلى خلافات كبار، كما أن عليهم في خصومات النساء عند الخوف من تطورها إخبار أوليائهن دنية من زوج وأب وأخ، ومن أمثلة إقحام القريب نفسه في أمثال خصومات النساء ما قاله أبو عمرو الشيباني: خاصمت امرأة من مرة سهية أم أرطأة بن سهية، وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه، فاستطالت عليها وسبتها، فخرج أرطاة إليها فسبها وضربها، فجاء قومه، ولاموه، وقالوا له مالك تدخل نفسك في خصومات النساء! فقال لهم:

يعيرني قـــومي المـــجاهل والخنا    عليهم وقالوا أنت غير حـــليم

هل الجهل فيكم أن أعاقب بعدما    تـــجوز سبِّي واستـــحل حريمي

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي ج ١ ص ١٣٩

إذا أنـــا لم أمنع عجوزي منكم فكانت كأخرى من النساء عقيم(١)

فقد أحسن هؤلاء القوم في زجر أرطاة وكفه عن التدخل في هذا الأمر وبيان أن هذا الأمر من خصومات النساء وليس من حقه أن يتدخل فيه ولا أن ينصر أحدا على آخر ولكن على عقلاء القوم أيضا الذين منعوا أرطاة عن التدخل في خصومات النساء عليهم أن يمنعوا هذه المرأة خاصة والنساء الأخريات من التعرض والسب والانتقاص لأم أرطاة وغيرها من السبايا والإماء ومن سائر النساء لأن هؤلاء النساء لهن أبناء يتأثرون بما يقال لهن ، ولعل هؤلاء القوم قد فعلوا ذلك ولكنه غير مذكور في هذه القصة.

## ١٧- معرفة بعض أسباب السيادة عند العرب ليستفاد منها ولتحتذى:

من أعظم أسباب المشاكل النفسية التنافس بين الأقارب على سيادة الأقارب وتزعّم أمرهم وأن يكون أحد الأفراد في صدر الأمر فترد العشيرة وتصدر عن أمره وتبرم وتحل عن رأيه وتمشي وتقف بأمره وتجلس وتقعد بإشارته ونجد أفراد الأقارب يتسابقون نحو الترفيد (٢). وتحقيق هذا الأمر من سيادة العشيرة وتزعّمها.

فأيها القريب الساعي خلف هذه الأمور كيف تسود عشيرتك؟ وكيف يتسنى لك ذلك؟ سأدلك على أمور اشترطت العرب توفرها في السيادة وذلك من خلال تجاربهم وما حفظوه ووعوه عن زعماء لم يسودوا عشيرتهم فقط بل سادوا القبيلة جمعاء فنظروا في صفاتهم واستخرجوا منها صفات تتفاوت من شخص لآخر في توفرها ولكنها من أسباب السيادة وحددوا أمورا ونواقص لا يسود مقارفها ولا مرتكبها فذكروها وبينوها وبينوا أن بعضهم قد ساد مع وجود هذه الناقصة كما سنرى لاحقا.

وأفضل العشيرة كما سأل الحجاج رجلا من العرب عن عشيرته، قال: أي عشيرتك أفضل؟ قال: أتقاهم لله بالرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا. قال: فأيهم

---

(١) الأغاني ج ٣ ص ٤٢٧

(٢) التَّرفيدُ: التَّسويدُ. يقال: رُفِّدَ فلان أَي سُوِّدَ وعظم. ورَفَّد القومُ فلاناً: سَوَّدوه ومَلَّكوه أَمرهم.(لسان العـــرب، مادة: رفد)

أسود؟ قال أرزنهم حلما حين يستجهل. وأسخاهم حين يسئل. قال: أيهم أدهى؟ قال: من كتم سره ممن أحب مخافة أن يشار إليه يوما. قال: فأيهم أكيس؟ قال: من يصلح ماله ويقتصد في معيشته. قال: فأيهم أرفق؟ قال: من يعطي بِشْر وجهه أصدقاءه، ويتلطف في مسألته، ويتعاهد حقوق إخوانه في إجابة دعواتهم وعيادة مرضاهم، والتسليم عليهم والمشي في جنائزهم، والنصح لهم بالغيب. قال: فأيهم أفطن؟ قال: من عرف ما يوافق الرجال من الحديث حين يجالسهم. قال: فأيهم أصلب؟ قال: من اشتدت عارضته في اليقين وحزم في التوكل ومنع جاره من الظلم [١].

ولابد لسيد العشيرة أن يكون ذا أثر إيجابي فيها من حيث نفعهم وإطعام جائعهم وتعليم جاهلهم وتأديب سفيههم قال الزهري عن ابن المسيب قال: لقد جاء الإسلام وإن جفنة العباس لتدور على فقراء بني هاشم، وإن سوطه وقده معه على سفهائهم، يطعم الجائع ويؤدب السفيه، وقال الزهري: هذا والله السؤدد [٢].

وقد نظم هذا كثير من الشعراء، قال الشاعر:

من كان يحلم أن يسود عشيرة ... فعليه بتقوى الله ولين الجانب

ويغض طرفا عن مساوئ من أساء ... منهم ويحلم عند جهل الصاحب[٣]

وقال لقيط بن يعمر الإيادي [٤] معددا صفات الزعيم المرتقب والسيد المنتظر الذي سيخلص قبيلته من غزو كسرى لهم وذلك بعد أن حذرهم من غزو كسرى المحقق لهم، وأنه إذا انتصر عليهم فإنه سيجليهم عن بلادهم هذا إن لم يبدهم ويفنهم.

فقلِّدوا أمركم لله دَرُّكُم ... رَحْبَ الذراع بأمر الحَرْب مُضْطَلِعا

لا مترَفاً إن رخاءُ العيش ساعده ... ولا إذا حلَّ مكروه به خَشَعا

---

[١] مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٤٩

[٢] كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ١٩ ــ ٢٠

[٣] الآداب الشرعية لابن مفلح ج ٣ ص ٥٨٣

[٤] هو لقيط بن يعمر شاعر جاهلي قديم مقل ليس يعرف له شعر غير هذه القصيدة وقطع من الشعر لطاف متفرقة

لا يَـطعَم النومَ إلا ريـثَ يبعثُه ... همٌّ يـكادُ حَـشاه يـقطَع الضَّلَعا
مسهَّدُ النـوم تَـعنيه ثُغـورُكُمُ ... يـرومُ منـها إلى الأعـداء مُطَّلَعا
ما انفكَّ يحلُبُ هذا الدهرَ أشطرَه ... يـكون متَّبِـعاً طَـوراً ومـتَّبَـعا
فـليس يشـغله مـالٌ يُثَمِّره ... عنـكمْ ولا ولـد يَبغي له الرِّفَعَا
فسـاوَرُوه فألَفوْه أخـا عَلَلٍ ... في الـحرب يَختتلُ الرئبال وَالسَّبُعا
عبلَ الـذراع أبياً ذَا مُـزابَنةٍ ... في الحرب لا عاجزاً نكْساً ولا وَرَعا
مستنجداً يتحدّى الناسَ كلَّهمُ ... لو صارعوه جميعاً في الوَرى صَرَعا[1]

قال أسد بن عبد الله لرجل من بني شيبان: بلغني أن السؤدد فيكم رخيص فقال: أما نحن فلا نسود إلا من يوطئنا رحله ويفرشنا عرضه ويخدمنا نفسه ويبذل لنا ماله فقال إنه إذا فيكم لعزيز[2].

مما سبق ذكره يمكننا أن نشير إلى أهم الملامح والصفات التي تؤهل المرء لسيادة عشيرته:

## أ ـ تقوى الله عز وجل :

التقوى والاتقاء في اللغة: اتخاذ الوقاية دون المكروه ومنه قول نابغة ذبيان:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتـناولته واتـقتـنا باليـد

يعني استقبلتنا بيدها جاعلة وقاية تقيها من أن ننظر إلى وجهها لأنها تستره بها وقول الآخر:

فألقت قناعاً دونه الشمس واتقت ... بأحسن موصلين كف ومعـصم

والتقوى في اصلاح الشرع: هي اتخاذ الوقاية دون عذاب الله وسخطه وهي مركبة من أمرين هما امتثال أمر الله واجتناب نهيه[3].

---

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج ١ ص ٢٠٠ ــ ٢٠١/ الأغاني ج ٢٢ ص ٣٥٧ ــ ٣٦٠
[2] غريب الحديث للخطابي، ج ٣ ص ١٤٥
[3] أضواء البيان ج ٢ ص ٤٠٦

والتقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين والسابقين واللاحقين قال الله تعالى﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[١]

والآيات والأحاديث في الأمر بالتقوى والحث عليها كثيرة معلومة مبثوثة في غير هذا الموضع وليس هذا محل بسطها فلتراجع في مظانها.

فعلى المسلم أن يكون متصفا بها متحليا بها وعلى من يريد سيادة عشيرته وتزعمها أن يعلم أن تقوى الله من أهم الأمور وأعظم الأسباب التي يجب أن تتوفر في السيد والزعيم فليحرص عليها.

## ب ـ لين الجانب:

لين الجانب سبب للحب والقبول فلين الجانب نجده محبوبا مقبولا لدى الآخرين ومن وصايا ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد وكان يرشحه ليكون سيدا وخلفا له على عشيرته أنه وصاه بهذا فقال له : ألن جانبك لقومك يحبوك[٢].

والذي يريد أن يتصدر العشيرة وأن يتبوأ زعامتها وأن يطاع فيها وأن يسمع كلامه ويعمل به لابد له من أن يتحلى بهذا الأمر ويتصف بهذه الشيمة.

ولين الجانب نقصد به عدم الغلظة في القول والفظاظة والخشونة في الأقوال والأعمال ومحبة موافقة الناس وعدم مخالفتهم ومن شمائل النبي صلى الله عليه وسلم عدم مخالفته لأصحابه فعن عبدالرحمن بن غنم الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما[٣].

ومن مناقب الرجل التي تعد وتذكر قلة الخلاف على أصحابه كما في صفة عبد الله بن المبارك[٤].

---

[١] سورة النساء آية ١٣١

[٢] جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١٢٠/ الأغاني ج ٣ ص ٩٤٨ (طبعة الشعب)

[٣] مسند الإمام أحمد ، حديث رقم : ١٧٣٠٩

[٤] انظر ص      من هذا الكتاب.

وليس المقصود من لين الجانب ذوبان شخصية الفرد في الآخرين وعدم وضوحها وألا يكون له رأي أو التخلي عن الآراء الصائبة التي يراها موافقة لزيد أو مجاملة لعمرو فليس هذا من لين الجانب في شيء ومن أمثال العرب: قيل: لا تكن رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر [١]. وقالوا: لا تَكُنْ حُلْواً فتُسْتَرطَ، ولا مُراً فَتُعْقَى [٢].

وأمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بخفض الجناح بقوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [٣]

وامتن الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم بأنه ألان قلبه لأصحابه فقال ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ [٤]

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على لين الجانب وخفض الجناح في أمور الحياة كلها ومنها أمور قد يراها المرء بسيطة وهي تسوية الصفوف في الصلاة، فعن عَبْدِالله بنِ عُمَرَ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَقِيمُوا الصّفُوفَ وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ وَسُدّوا الْخَلَلَ وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُم [٥] وَلاَ تَذَرُوا فَرُجَاتٍ لِلشّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفّاً وَصَلَهُ الله وَمَنْ قَطَعَ صَفّاً قَطَعَهُ الله"[٦].

---

[١] فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ج ١ ص ٣١٧/ مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٥٩

[٢] الاسترِاط: الابتلاعُ، والإعقاء: أن تشتدَّ مرارةُ الشيء حتى يُلْفَظَ لمرارته، يقال: أعقَى الشيء والمعنى لا تتجاوز الحد في المرارة فترمى، ولا في الحلاء فتُبْلَعَ، أي متوسطا في الحالين. (مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٣٢ــ ٢٣٣/ المستقصى في أمثال العرب ج ٢ ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩)

[٣] سورة الشعراء ٢١٥

[٤] سورة آل عمران ١٥٩

[٥] قال أَبُو دَاوُدَ: وَمَعْنَى وَلِينُوا بِأَيْدِي إخْوَانِكُمْ: إذَا جاءَ رَجُلُ إلَى الصّفّ فَذَهَبَ يَدْخُلُ فيه فَيَنْبَغِي أَنْ يُلَيّنَ لَهُ كلّ رَجُلٍ مَنْكِبَيْهِ حَتى يَدْخُلَ في الصّفّ.

[٦] تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف، حديث رقم: ٦٦٥

والمخاشنة سبب للعداوة والانتقام كما بين ذلك ذو الإصبع العدواني وبين أن سبب عداوته لابن عمه عمرا هي غلظة عمر له وشدته عليه فقال :

يا عمرو لو لنت لي ألفيتني يسرا　　سمحا كريما أجازي من يجازيني[(١)]

وتمثل به عبد الملك بن مروان عند ذبحه لابن عمه وصهره عمرو بن سعيد الأشدق.

## ج ـ الكرم والسخاء:

الكرم والسخاء من أسباب السيادة والزعامة عند العشيرة والعرب تمدح الكرم وتذم البخل فضربت الأمثال بالكرماء فقالوا: أكرم من حاتم [(٢)] وذمت البخل فقالت: أبخل من مادر[(٣)].

ولا تأتي السيادة من غير بذل المال وامتهانه في سبيل المكارم وكف الأذى وبذل الندى ، قال المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم[(٤)]　　الجود يفقر والإقدام قتال[(٥)]

ويستنكر بعضهم على المتطلع لسيادة العشيرة من غير أن يبذل شيا لا مالا ولا جهدا في سبيلها يقول القاضي التنوخي:

---

[(١)] انظر ص ٣٥١ من هذا الكتاب.

[(٢)] المستقصى من أمثال العرب، ج ١ ص ٥٣/ جمهرة الأمثال ج ١ ص ٣٣٦

[(٣)] هو رجل من بني هلال بن عامر يضرب به المثل بلغ من بخله أنه سقى إبله فبقي في الحوض ماء قليل فسلح فيه ومدر الحوض بالسلح أي لطخه.[ثمار القلوب ج ١ ص ١٢٧، رقم: ١٧٩/ المستقصى في أمثال العرب ج ١ ص ١٣ رقم: ٣٧]

[(٤)] قال ابن الجوزي: واسم الجواد لا يناله بخيل ولقب الشجاعة بعد تعب طويل [المدهش ج ١ ص ٤٩٠]:

لا يدرك المجد إلا سيد فطن　　لما يشق على السادات فعال

لولا المشقة ساد الناس　　كلهم الجود يفقر والأقدام قتال

[(٥)] قرى الضيف ١ ص ٢٥٧ / المدهش ج ١ ص ٤٩٠

أترجــو أن تسود بلا عناء وكيف يسود ذو الدعة البخيل[١]

ويبين حسان بن ثابت سببا من أسباب سيادة سيد عشيرة وزعيم قبيلة وهو بشر بن البراء أحد زعماء الأنصار وسبب سيادته هو كرمه وجوده وبذله لماله يقول في هذا:

وسود بشر بن البراء لجوده وحق لبشر بن البرا أن يسودا

إذا ما أتاه الوفد أذهب ماله وقال خــذوه إنني عائد غدا

فسيادة العشيرة تحتاج إلى كرم وجود ويكون الكرم في الإطعام وقرى الضيوف وتحمل الحمالات.

وسبب سيادة عبد الله بن جدعان هو كرمه فعن أبي عبيدة قال: كان ابن جدعان سيدا من قريش فوفد على كسرى فأكل عنده الفالوذ [٢] فسأل عنه فقيل له هذا الفالوذ قال وما الفالوذ قالوا لباب البر يلبك مع عسل النحل قال أبغوني غلاما يصنعه فأتوه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدم به مكة معه ثم أمره فصنع له الفالوذ بمكة فوضع الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ثم نادى مناديه ألا من أراد الفالوذ فليحضر فحضر الناس فكان فيمن حضر أمية بن أبي الصلت فقال فيه:

له داع بــمكة مشــمعل وآخر فوق دارته ينادي

إلى ردح من الشيزى ملاء لباب البر يلبك بالــشهاد

وكانت له جفان يأكل منها القائم والراكب يحكى أنه وقع في إحداها صبى فغرق [٣].

والكريم غالبا يتوقع أن يقابل كرمه وإحسانه للآخرين بالشكر والعرفان ولكن عليه أن يتوقع أن يقابل إحسانه بالجحود والكفران قال عبد الله بن جدعان:

---

(١) أدب الدين والدنيا ص ٢٩٣

(٢) الفالوذ من الحَلْواءِ: هو الذي يؤكل، يسوَّى من لُبِّ الحنطة، فارسـي معـرب. قـال يعقـوب: ولا يقـال الفالوذج.(لسان العرب، مادة: فلذ)

(٣) ثمار القلوب ج ١ ص ٦٠٩ ، رقم : ١٠١١

ألام وأعطي واللئيم مجاوري　　له مثل مالي لا يلام ولا يعطي[١]

بل قد يذهب بعض الأقارب أبعد من ذلك فيذمون من أعطاهم. ويشكرون من منعهم وحرمهم نكاية في قريبهم وحسدا منهم له وتصغيرا لشأنه وتهوينا لأمره وأنه لم يقدم لهم شيئا ولم يأت بكبير أمر ومن أمثال العرب في هذا الشأن: قولهم يجري بليق ويذم. يضرب مثلا للرجل يحسن ويلام وبليق اسم فرس كان يسبق ويعاب[٢].

والكريم عند إهتاره وخرفه يهتر بما كان عود نفسه من محامد، ومن ذلك أن النمر بن تَولَب كان جواداً لا يكاد يمسك شيئاً ولما كبر النمر خرِف وكان هجيّراه: أصبحوا الراكب أغبقوا [٣] الراكب انحروا للضيف أعطوا السائل تحملوا لهذا في حمالته كذا وكذا لعادته بذلك ولم يزل يهذِي بهذا ومثله حتى مات وخرفت امرأة من حيّ كرام وكان هجيّراها: زوجوني قولوا لزوجي يدخل مهده إلى جانب زوجي فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما لِهج به أخو عكل النمر بن تولب في خَرَفه أفخر وأسرى وأجمل مما لهجت به صاحبتكم ثم ترّحم عليه[٤].

---

[١] جمهرة الأمثال ج ٢ ص ٤٢٥

[٢] جمهرة الأمثال ج ٢ ص ٤٢٤ ــ ٤٢٦ ، رقم : ١٩٤٧

[٣] الغَبُوق: شُرْب آخِر النهار مُقَابِل الصَّبُوح. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة : {غبق}]

[٤] الوافي بالوفيات ج ١ ص ٣٦٠ / الشعر والشعراء ج ١ ص ١٥٩ ــ ١٦٢

## د ـ الصبر:

الصبر: الإمساك في ضيق يقال: صبرت الدابة: حبستها بلا علف وصبرت فلانا: خلفته خلفة لا خروج له منها والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وإن كان في إمساك الكلام سمي كتمانا وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبرا ونبه عليه [(١)].

**والصبر ثلاثة أنواع:**

- صبر على الطاعة.
- صبر عن المعصية.
- صبر على المصائب والبلاء والأقدار.

فعلى مريد سيادة العشيرة أن يتصف بأنواع الصبر الثلاثة وسأركز على النوع الثالث من الأنواع السابقة فعليه أن يصبر على البلاء وما يصيبه من محن وإحن وأحداث وملمات ومدلهمات وخطوب وأن يتحمل ما يصدر من سوء أدب وجفاء من أفراد العشيرة [(٢)]وأن يصبر لذلك ويعفو عن ذلك وليعلم أنه سينتصر له سفهاء العشيرة ويدافعون عنه كما سيمر علينا في قولهم : ذل قوم لا سفيه لهم[(٣)].

---

[(١)] مفردات غريب القرآن، مادة: صبر / التوقيف على مهمات التعاريف لمحمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر، بيروت، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٠ تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ص ٤٤٧ ـــ ٤٤٨

[(٢)] قال أبو ذر لغلامه: لم أرسلت الشاة على علف الفرس؟ قال: أردت أن أغيظك قال: لأجمعن مع الغيظ أجـرا أنت حر لوجه الله تعالى.[المستطرف ج ١ ص ٤١٦]

[(٣)] انظر ص ٤٤٣ من هذا الكتاب

## هـ ـ طول العمر وموت الأقران أو كبرهم:

طول العمر سبب لسيادة الفرد بعشيرته لأنه يطول عمره ويموت زعماء العشيرة الحقيقيون أو منافسوه على الزعامة الذين وجدهم فيخلو له الجو فيبيض ويفرخ ويعشش فيكون هو الزعيم الأوحد لعدم وجود المنافس له ومن ثم يتفرد بالسيادة والزعامة ويعلم الناس تمام العلم أن هؤلاء الناس لم يسودوا إلا بعد موت أو كبر هؤلاء الزعماء وخلو الجو لهؤلاء الأحداث وقد يطاعنونهم بذلك ومن ذلك :

. كان للأسود بن عبد يغوث ثلاثة بنين زمعة وعقيل والحارث كلهم قد قتل ببدر فلما ناحت قريش على قتلاها قال العقلاء منهم لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم وكان الأسود يحب أن يبكي على بنيه فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة في الليل فقال لغلام وقد ذهب بصره انظر هل أحل النحيب أو هل بكت قريش على قتلاها لعلي أبكي على أبي حكيمة يعني زمعة فإن جوفي قد احترق فلما رجع إليه الغلام قال إنما هي امرأة تبكي على بعير لها قد أضلته فذلك حيث يقول الأسود :

أتبكي أن يضل لها بعير ويمنعها من النوم السهود [١]

فلا تبكي على بكر ولكن على بدر تقاصرت الجدود [٢]

ألا قد ساد بعدهم رجال ولولا يوم بدر لم يسودوا[٣]

---

[١] أتبكي الاستفهام فيه تعجب وإنكار وقوله أن يضل أي من أن يضل الخ ويضل يفقد ويمنعها عطف على أتبكي والسهود السهر ينكر عليها أن تبكي بعيرها وقد أضلته وأن يمنعها ذلك من النوم

[٢] البكر القوي من الإبل على بدر يريد على أهل بدر الذين قتلوا به وبدر الموضع الذي حصلت فيه الواقعة الشهيرة وتقاصرت الجدود ضعفت الحظوظ وعثرت والتقاصر في الجدود العاثرة مثل يقول دعي البكاء على هذا البكر ولا تندبيه ولكن ابكي على أهل بدر الذين عثرت جدودهم وضعفت حظوظهم يستهين بفقد المال ويستعظم فقد النفوس

[٣] السؤدد الشرف يقول قد شرف بعد من قتل ببدر قوم لولا هذا اليوم المشئوم ما شرفوا وغرضه التعريض بأبي سفيان بن حرب لأنه كان رئيسا على قريش في هذا اليوم. [الحماسة ج ٢ ص ٣٦٢ ــ ٣٦٣]

. دعا النعمان بن المنذر خالد بن جعفر والحارث بن ظالم وقدم لهم تمرا فطفق خالد بن جعفر يأكل ويلقي نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحارث فلما فرغ القوم قال خالد بن جعفر أبيت اللعن انظر إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النوى ما ترك لنا تمرا إلا أكله. فقال الحارث أما أنا فأكلت التمر وألقيت النوى وأما أنت فأكلته بنواه فغضب خالد وكان لا ينازع فقال : أتنازعني يا حارث وقد قتلت حاضرتك وتركتك يتيما في حجور النساء! فقال الحارث: ذلك يوم لم أشهده وأنا مغن اليوم بمكاني.

قال خالد فهلا تشكر لي إذ قتلت زهير بن جذيمة وجعلتك سيد غطفان؟ قال بلى أشكرك على ذلك [1]. ثم قتل الحارث بعد ذلك خالدا.

والأكارم من الزعماء يثبتون ويصرحون أنهم لم يصيروا سادة إلا بعد موت كبار أقاربهم وزعمائهم الحقيقيين قال أبو عبيدة : اجتاز حارثة بن بدر الغداني بمجلس من مجالس قومه من بني تميم ومعه كعب مولاه فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا مرحبا بسيدنا فلما ولى قال له كعب ما سمعت كلاما قط أقر لعيني ولا ألذ بسمعي من هذا الكلام الذي سمعته اليوم فقال له حارثة لكني لم أسمع كلاما قط أكره لنفسي وأبغض إلي مما سمعته قال ولم قال ويحك يا كعب إنما سودني قومي حين ذهب خيارهم وأماثلهم فاحفظ عني هذا البيت:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسؤدد[2]

وينتج من طول عمر القريب الآتي :

. أن يمل صاحبه الحياة ويسأم تكاليف العيش ومن ذلك أنه لما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدا فقال له يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش[3].

---

[1] انظر: الأغاني ج ١١ ص ٩٩ ــ ١٠٣

[2] الأغاني ج ٤ ص ٤٣٢

[3] جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١٢٠

. ظهور زعامات جديدة وأرواح شابة فتية تستنكف عن الإذعان لهؤلاء الكبار، قال ابن الكلبي كان زهير . ابن جناب الكلبي . إذا قال ألا إن الحي ظاعن ظعنت قضاعة وإذا قال ألا إن الحي مقيم نزلوا وأقاموا فلما أن أسن نصب ابن أخيه عبد الله بن عليم للرياسة في كلب وطمع أن يكون كعمه وتجتمع قضاعة كلها عليه فقال زهير يوما ألا إن الحي ظاعن فقال عبد الله ألا إن الحي مقيم فقال زهير ألا إن الحي مقيم فقال عبد الله ألا إن الحي ظاعن فقال زهير من هذا المخالف علي منذ اليوم فقالوا ابن أخيك عبد الله بن عليم فقال أعدى الناس للمرء ابن أخيه إلا أنه لا يدع قاتل عمه أو يقتله ثم أنشأ يقول:

وكيف بمن لا أستطيع فـــراقه ومن هو إن لم تجمع الدار آلف

أمير شقاق إن أقم لا يقم معي ويرحل وإن أرحل يقم ويخالف

ثم شرب الخمر صرفا حتى مات(١).

## و ـ العفة:

على فرد العشيرة الذي يرغب في السيادة النأي والابتعاد عن الفواحش وخوارم المروءة وأن يربأ بنفسه عنها فيعف عن التلطخ بجرائم الفروج واللواط ومحادثة النساء ومثافنتهن وزيارتهن والعفة تكون بغض الطرف وعدم غلغلته في محاسن نساء الأقارب وغيرهن واغتنام غفلات الأقارب من الرجال الحارسين للنساء والهجوم عليهن من غير إعطائهن فرصة للبس ثيابهن.

ويرى كثير من العرب أن مدمن القعود من النساء أنه ينبغي للعاقل أن لا يستشيره في أموره فقالوا: لا تستشيروا معلما ولا راعي غنم ولا كثير القعود مع النساء(٢).

---

(١) الأغاني ج ١٩ ص ٢٨ ــ ٢٩

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٦

وعللوا ذلك بأن كثرة القعود مع النساء من الأمور التي تضعف العقل ، قال صقلاب:

وكيف يرجى العقل والرأي عند من　　يروح على أنثى ويغدو على طفل[١]

وكان العرب يتمدحون بالحفاظ على الجارات والكنات وغض الطرف عنهن وعدم بالتلطخ بالفواحش معهن وقد مر علينا طرفا من ذلك فليراجع في موضعه [٢] والذي يجب على القريب أن يحمي نساء عشيرته وأن يحافظ عليهن وفي وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيدا: واحم حريمك [٣]. وفي وصية عمرو بن كلثوم لبنيه: وزوجوا بنات العم بنى العم فإن تعديتم بهن إلى الغرباء فلا تألوا بهن الأكفاء وأبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال فإنه أغض للبصر وأعف للذكر ومتى كانت المعاينة واللقاء ففي ذلك داء من الأدواء ولا خير فيمن لا يغار لغيره كما يغار لنفسه وقل لمن انتهك حرمة لغيره إلا انتهكت حرمته[٤].

فعلى القريب أن يترفع عن الدنس والتلطخ بأوضار الخبائث وتشمل العفة عدم زيارة النساء في منازلهن وخاصة عند غياب أزواجهن مع عدم إغفال حاجاتهن وتفقد أحوالهن وإتمام نواقصهن والقيام بها، وكان العرب يتمدحون بذلك، قال حاتم الطائي:

ولا تشتكيني جارتي غير أنها　　إذا غاب عنها بعلها لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجع بعلها　　إليها ولم تقصر عليها ستورها[٥]

---

[١] البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٦
[٢] انظر ص ......... من هذا الكتاب.
[٣] جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١٢٠/ الأغاني ج ٣ ص ٩٤٨ (طبعة الشعب)
[٤] جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١٢١
[٥] البداية والنهاية، ج ٢ ص ٢١٤ / شواهد الكشاف ج٤ص٤٢١

كما أن العفة تشمل صون القريب لسانه عن قذف إحدى نساء الأقارب وغيرهن وابتهارن وابتيارهن بل سترهن إن وقع منهن ما لا يحمد عقباه فهن عرض هذا القريب الذي يجب عليه أن ينافح ويدافع ويذب عنه ويغضب ويثأر له قال العجاج :

إِني امْرُؤٌ، عن جارتي، كَفِيُّ  عَفٌّ، فَلا لاصٍ [١]ولا مَلْصِيُّ[٢]

كما أن العفة تشمل أيضا التعفف عن أموال الأقارب وعدم أخذ شيء منها ظلما واغتصابا أو سؤالا أو أخذا بسيف الحياء بل عليه أن يتعفف عن أخذ شيء من ذلك، قال ذو الإصبع لابنه أسيدا: وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا [٣]. وقال قيس ابن عاصم لبنيه:... وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب الرجل [٤].

كما أنه مما يلحق بذلك كتمان الفاقة وعدم إظهارها ومن ذلك أنه: لما أسنَّ قيس بن زهير العبسي وضجر من الحروب التي كانت بينه وبين بني ذبيان وغيرهم من العرب، أشار على قومه بالرجوع إلى قومهم ومصالحتهم، فقالوا: سِرْ نَسِرْ معك، فقال: لا والله لا اطلعتْ في وجهي ذبيانيةٌ قتلتُ أباها أو أخاها أو زوجها أو ولدها؛ ولكن الحقوا بقومكم ودعوني. فلحقوا بقومهم وصالحوهم. وكان قيس بن زهير يدور في الفيافي ويتقمّمُ العشب ولا يقرب حيّاً من أحياء العرب لأنَّ العرب كانت تعظم أمره وفتكه وتطيَّرُ بالنظر إليه. فبينا هو في ليلة قرَّة في بعض الفلوات إذ نظر إلى صائد قد أورى ناراً فقصده يستطعمه وكان قد مكث دهراً لم يطعم غير العشب [٥]، فلمَّا همّ

---

[١] أي لا يُلْصى إِليه، يقول: لا قاذِفٌ ولا مَقْذُوف، والاسم اللِّصاة.

[٢] غريب الحديث لابن سلام ج ٤ ص ٤٠٧ / لسان العرب، مادة: لصا

[٣] جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١٢٠ / الأغاني ج ٣ ص ٩٤٨ (طبعة الشعب)

[٤] نثر الدر ج ٦ ص ٣٨٩

[٥] روي عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدا بحاجته.(المستطرف ج ١ ص ٢٩٩ )

بذلك أنِفَ وقال: إنَّ بطناً يحملني على هذه الخطّة لبطن سوء، والله لا أدخله شيئاً حتَّى أموت ولم يطعم شيئاً حتَّى مات، فقال فيه بعض قومه [(١)]:

إنَّ قيساً كان ميتته ... كرماً والحيُّ منطلِقُ

شام ناراً باللّوى اقتدحتْ ... وشجاع البطنِ يختفِقُ

جاء حتى كاد ثم أبى ... ولدة الوادي له ورق

فحشاه جوف جفرته ... ثم أغفى وهو مطرق

في دريسٍ ليس يستُره ... رُبَّ حُرٍّ ثوبه خَلِقُ [(٢)]

وبالجملة فالتعرض للنساء سواء كن من الأقارب أو غيرهن من الأمور التي تسقط منزلة الإنسان وتذهب بمكانته وذلك للآتي:

. إلصاق لقب بهذا المعنى حول من يفعل ذلك وهو: زير النساء قال ابن منظور: الزِّيرُ: الذي يخالط النساء ويريد حديثهنّ لغير شَرٍّ، والجمع أَزْوارٌ وأَزْيارٌ، وزِيَرَةٌ، يقال: فلان زِيرُ نساءٍ إذا كان يحب زيارتهن ومحادثتهن ومجالستهن، سمي بذلك لكثرة زيارته لهن. [(٣)]

وكان العرب يذمون من يتخذ العهر ديدنا ومنهجا، قال رؤبة بن العجاج يعاتب أبا جعفر الدوانيقي على البطالة ومغازلة النساء:

قلت لزير [(٤)] لم تصله مريمه [(٥)] ... ضليل أهواء الصبي تندمه

إلام فتاكم للخرائد زير ... وقد حل حولي عارضيه قتير [(٦)]

---

(١) هو الربيع بن زياد العبسي

(٢) الأشباه والنظائر للخالدين ص ١٨١ـ ١٨٢ / البصائر والذخائر، ص ١٤٨٦ ـ ١٤٨٧

(٣) لسان العرب، مادة: زير

(٤) الزير: كثير الزيارة للنساء

(٥) مريم: من النساء كالزير من الرجال.

(٦) شواهد الكشاف ج ٤ ص ٥١٦

. تكون زيارة النساء والتعلق بهن سببا في عدم تسويد المرء كما حدث ذلك لامرئ القيس فالذي جعل والده لا يفكر في تمليكه وتسويده هو فجوره وابتهاره النساء وتسجيل هذا الفجور في شعر [١].

. الطعن في أحد الزعماء عند المنافرة إذا كان متصفا بهذه الصفة ومن ذلك طعن علقة بن علاثة في أبي براء عامر ملاعب الأسنة بأنه فاجر، قال الشافعي حدثني غير واحد أن عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة [٢] تنافرا فقال علقمة: لا أنافرك على الفروسية أنت أشد بأسا مني فقال عامر لا أنافرك على الكرم أنت رجل سخي فقال علقمة لكني موف وأنت غادر وعفيف وأنت عاهر ووالد وأنت عاقر فذكر قصة طويلة [٣].

وقد يسعى بعض العشيرة لتلويث سمعة سيد من الأسياد وتلطيخ مكانته وإشاعة ما يسقط سيادته ومن ذلك رميه بارتكاب الفاحشة أو أنه مفعول به بغية تحطيمه والتخلص منه ومن ذلك ما قاله ابن إسحاق: كان لخنيعة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط، فكان يرسل إلى الغلام من أبناء الملوك، فيقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك ، لئلا يملك بعد ذلك، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، قد أخذ مسواكا فجعله في فيه، أي ليعلمهم أنه قد فرغ منه.

حتى بعث إلى زرعة ذي نواس بن تبان أسعد أخي حسان، وكان صبيا صغيرا حين قتل حسان، ثم شب غلاما جميلا وسيما، ذا هيئة وعقل؛ فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه، فأخذ سكينا حديدا لطيفا، فخبأه بين قدمه ونعله، ثم أتاه؛ فلما خلا معه وثب إليه، فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله، ثم حز رأسه، فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها، ووضع مسواكه في فيه، ثم خرج على الناس، فنظروا إلى الكوة فإذا رأس

---

[١] انظر : الأغاني ج ٩ ص ١٠٩ / مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤١٧

[٢] علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة العامري ثبت ذكره في الصحيح في حديث أبي سعيد.

[٣] الإصابة، لابن حجر، ترجمة رقم: ٥٦٧٩

لخنيعة مقطوع، فخرجوا في إثر ذي نواس حتى أدركوه، فقالوا: ما ينبغي أن يملكنا غيرك: إذ أرحتنا من هذا الخبيث[(١)].

وقد رأينا في أسباب الخلاف والعداء بين الأقارب إيذاء القريب بانتهاك عرضه وإيذائه في أهله أو أطفاله.

ويرى كثير من العرب أن زير النساء لا يدرك ثأرا ولا يمحو عارا ولا يشفي غليلا ولا يغني فتيلا ولا يفرح موتورا ولا يجعل أحدا من أهله مسرورا، وهذه الأمور وأمثالها هي التي دفعت مهلهلا للثأر بأخيه كليب وائل وتسجيل ذلك شعرا قال:

فلو نبش المقابر عن كليب فتخبر بالذنائب[(٢)] أي زير

بيوم الشعثمين أقر عينا وكيف لقاء من تحت القبور[(٣)]

فبالجملة العفة من أسباب السيادة والفجور من أسباب سقوطها وذهابها، قال سماك بن حرب " كان أهل الجاهلية إذا كان في الرجل ست خصال سودوه: الحلم والعقل والسخاء والشجاعة والبيان والتواضع، ولا يكملن في الإسلام إلا بالعفاف، وقد اجتمعن في هذا الرجل " يعني محارب بن دثار[(٤)].

وقال الجاحظ: قال سليمان بن سعد: كان يقال أربع خصال يسود بها المرء العلم والأدب والعفة والأمانة [(٥)].

والعفة من الأمور التي كان يمدح بها العرب ممدوحيهم وكان يتمدح بها ويفتخر بها الزعماء والسادة والأكابر ومن مدح الزعماء لأنفسهم بالعفة قول ذي الإصبع العدواني :

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (تحقيق علي شيري) المجلد ١ ج ٢ ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦

(٢) الذنائب قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كليب وائل

(٣) معجم البلدان ج ٣ ص ٨

(٤) دثار بكسر المهملة وتخفيف المثلثة.[فتح الباري ج ١٠ ص ٢٣٠]

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٩٣

ثم سلا جارتي وكنتها هل كنت فيمن أراب أو خدعا
آبى فلا أقرب الخباء إذا مـــا ربــه بعد هدأة هجعا
ولا أروم الفتاة زورها إن نام عنها الحليل أو شسعا[١]

وقال الهيثم بن عدي عن ملحان بن عركي بن عدي بن حاتم عن أبيه عن جده قال شهدت حاتما يكيد بنفسه فقال لي أي بني إني أعهد من نفسي ثلاث خصال والله ما خاتلت جارة لريبة قط ولا اؤتمنت علي أمانة إلا أديتها ولا أوتي أحد من قبلي بسوء [٢].

## ز ـ البيان:

الفصاحة والبيان من الأمور التي يفضل بها الرجل على المرأة قال الله تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴿١٨﴾ ﴾ [٣]وقد قارن فرعون لعنه الله بين فصاحته وبين عدم إبانة موسى عليه السلام وأوضح أن له مقدرة على البيان والإيضاح فعد هذا فخرا له وأن بيانه وفصاحته يفضلانه على موسى عليه السلام قال الله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ [٤]

أما الكفار والمنافقون فقد وصفهم الله تعالى بالفصاحة مع جمال الأجسام والمظهر وقبح الطوية والسريرة والجوهر قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ

---

[١] الأغاني ج ٣ ص ٩٤
[٢] البداية والنهاية، ج ٢ ص ٢١٥
[٣] سورة الزخرف آية ١٨
[٤] سورة الزخرف آية ٥٢ ــــ ٥٣

وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ ﴾[١] **وقال تعالى** ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ ﴾ [٢]

**ورغم فصاحتهم فقد صرح الله تعالى بأنهم** ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٌ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[٣] **مع وصفهم بالفصاحة وهذا يدل على أن الكلام الذي لا فائدة فيه كلا شيء[٤] قال هبيرة بن أبي وهب المخزومي:**

وإن كلام المرء في غير كنهه لكالنبل تهوي ليس فيها نصالها[٥]

**والمراد من الفصاحة والبيان إفهام السامع وليس التشدق والتفيهق قال رجل لمحمد بن كعب القرظي: ما بك بأس لولا أنك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك فقال القرظي: يا ابن أخي ألست أفهمك إذا حدثتك قال: نعم قال: فإن موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه[٦] كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليه[٧].**

**وأمور العشيرة وبيان حالها وحل مشاكلها تحتاج إلى خطيب مصقع يبين الأمور ويوضح الحال ويرد على الباطل ويثبت الحق وذلك عند اتهام العشيرة بأمر من**

---

[١] سورة المنافقون آية ٤

[٢] سورة الأحزاب آية ١٩

[٣] سورة البقرة آية ١٨

[٤] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ج ٣ ص١٠٠، المؤسسة السعودية بمصر، مطبعة المدني، ١٣٩٦هـ

[٥] السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٦٣

[٦] ذكر ابن قتيبة أن سبب عدم إفصاح موسى عليه السلام هو وجود شامة على طرف لسانه ولا يعرف أحد قبله ولا بعده كانت على طرف لسانه شامة غيره وهي العقدة التي ذكرها الله تعالى. وذكر صاحب نثر الدر : أنه كان على لسان سلم بن قتيبة شامة سوداء. (انظر: المعارف لابن قتيبة ص ٤٣/ نثر الدر ج٧ص٢٤٠)

[٧] تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٥، ط ١، دار مكتبة الهلال بيروت ١٤٠٦ هـ

الأمور كما أنه يقوم بعمل الدعاية الحسنة للعشيرة ورفع شأنها وإعلاء منزلتها ومع انتقاء بعض صفات السيادة عند بعض زعماء العرب وساداتهم بل قد توفر فيهم نقيضها فالكرم مثلا من الأمور المطلوبة فقد ينتفي عند أحدهم ويكون بخيلا لحزا شحيحا من عباد المال ومع ذلك فقد يسوده قومه كما سودوا بعض من انتقص من صفات السيادة كما سيأتينا في قول أبي عمرو بن العلاء كما سيمر بنا في آخر هذا المبحث.

أما الفصاحة والبيان فلم يعرف أن زعيما من زعماء العرب خلا من هذه الصفة وذلك حسب علمي وقراءاتي المتواصلة في هذا الموضوع فزعماء العرب كلهم خطباء بل كانوا يفتخرون بذلك لأن من مآثر الزعماء والسادة الفصاحة والبيان ويوضح مادحو الزعماء توفر هذه الصفات في ممدوحيهم فيذكرون صفاته التي أهلته للزعامة ولا يغفلون عن ذكر الفصاحة والبيان، قالت الخنساء تصف أخاها صخرا:

خطاب معضلة فراج مظلمة  إن جاء مفظعة هيأ لها بابا [1]

## ح ـ الغنى:

على من يريد سيادة العشيرة أن يحرص على زيادة دخله وتوسيعه حتى يكون على مستوى من الغنى والمقدرة والسعة والفضل يمكنه من الاضطلاع بمعضلات العشيرة ومهامها الجسيمة من تحمل الحمالات والمشاركة في دفع الديات وإعانة المحتاج وقضاء دين الغارم وإنكاح الأيم من أيامى الأقارب وإعانة طالب العلم وذلك بدفع نفقات دراسته والتكفل بها وكسوة العاري وعلاج المريض وختان الأغرل وإغاثة الملهوف وكفالة اليتيم والسعي على الأرملة والمسكين وإطعام الضيف وبناء المدارس والمستشفيات والمساجد التي تفيد أبناء العشيرة في تعليم جاهلهم وعلاج مريضهم وأداء عبادتهم وبذل الجاه في الشفاعات .

---

[1] البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٥

وفي الجملة المال سبب في بسط السلطة والسيادة لا شك في ذلك ولا مرية فعبد الله بن جدعان لو أخذناه مثلا لفقير اغتنى فساد وصعلوك ترب تمول فصار مقصدا للناس مع أنه كان في بدء أمره فقيرا من فقراء مكة وكثرت جناياته على قومه فخلعوه وتبرأوا منه فاغتنى وصار ذا مال أصبح زعيما سيدا من ساداتها بعد أن كان خليعا طريدا. ولنر تفصيل الأمر في ذلك: قيل إن عبد الله بن جدعان كان في ابتداء أمره صعلوكا وكان شريرا يفتك ويقتل وكان أبوه يعقل عنه فضجر من ذلك وأراد قتله فخرج هاربا على وجهه فتوصل لجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيئا كهيئة الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي فيقتلني وأستريح قال فدنا منه فوجده مصنوعا من ذهب وعيناه ياقوتتان ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث طوال بالية على أسرة الذهب والفضة وعند رؤوسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم وإذا بهم رجال من جرهم وفي وسط البيت كوم من الياقوت الأحمر والزمرد والذهب والفضة واللؤلؤ فأخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب إلى قومه فأغناهم [(١)].

قال حسان موضحا أثر نقص المال على السيد وزيادته في تسويد غير السيد:

المالُ[(٢)] تُزْرِي بأَقوامٍ ذوِي حَسَبٍ       وقد تُسَوِّد غير السيِّد المالُ[(٣)]

ولذا على المرء أن يحتال لطلب المعاش وأن يبطش لطلب الرزق فيكفي نفسه ويفضل على غيره فيكون ذلك سببا في تسويده، قال جابر بن الثعلب الطائي يصف حاله مع نساء أهله اللاتي يلمنه على كثرة أسفاره وعدم مقامه بالحي :

وقـــام إلي العـــاذلات يـــلمنني       يـــقلن ألا تنفك ترحل مرحـــلا[(٤)]

---

(١) المستطرف ج ٢ ص ٢٣١ / وانظر الكرم والسخاء وأثرهما في السيادة في ص ٣٧٤ من هذا الكتاب.

(٢) المالُ: ما مَلَكْتَه من جميع الأَشياء.

(٣) لسان العرب مادة: مول

(٤) أي ألا تزال ترتحل ارتحالا ينكرن عليه كثرة أسفاره وجولانه في البلاد

فإن الفتى ذا الحــزم رام بنفسه جواشن هذا اللـيل كي يتمـولا[١]

ومن يفتقر في قومه يحمد الغنى وإن كان فيهم واسط الـعم مخولا[٢]

ويزري بعقل المـرء قلة مـاله وإن كان أسرى من رجال وأحولا[٣]

كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ولم يـك صـعلوكا إذ ما تـمولا[٤]

ولم يك في بؤس إذا بات لـيلة يناغي غزالا فاتر الطرف أكحـلا[٥]

إذا جانب أعياك فاعـمد لجانب فـإنك لاق في بـلاد مـعـولا[٦]

**ويجأر الكرماء بالدعاء إلى الله تعالى بأن ينعم عليهم بالإكثار من المال لإنفاقه في مكارم الأخلاق والاستعانة به في تحمل الحمالات ودفع الديات وشراء الذمم ومن ذلك أنه كان سعد بن عبادة وكان من الأجواد يقول: اللهم ارزقني مالا وفعالا فإنه لا يصلح الفعال إلا بالمال**[٧].

---

[١] جواشن الليل صدوره وأوائله وهذا جواب منه لهؤلاء العاذلات واعتذار عما يتحمله من مشاق السفر واحتمال الصعوبات كأنه قال اكففن عن العذل واللوم فإن الفتى الحاذق الضابط لأمره يرمي بنفسه في أوائل الليل وصدوره لاكتساب المال فيحمي نفسه من الذل ويصون ماء وجهه عن الإراقة حين يسأل الناس.

[٢] واسط العم: أي كريم العم. والمخول كريم الخال والمعنى أنه إذا افتقر الإنسان في قومه يعـرف فـضل الغـني فيحمده ولا يحمد قومه لأنهم يحقرونه لافتقاره

[٣] أسرى من رجال أي أشرف منهم وأحولا أي أكثر حيلة يقول إن قلة المال تزري بعقل الإنـسان وتـشينه وإن كان أشرف قومه وأكثر حيلة وأبلغ حذقا من غيره

[٤] الصعلوك الفقير يقول إذا اكتسى الفتى فكأنه لم يعر قط وإذا تمول فكأنه لم يفتقر

[٥] المناغاة المغازلة ويقال طرف فاتر إذا كان غير حاد النظر ويراد به الغنج والدلال يقول كأن الفتى لم يك في بؤس وشقاء إذ بات ليلة يغازل فتاة حسناء فاترة الطرف ذات دلال وغنج كاحلة العينين أي لأنه حينئذ يـذهب همـه ويزول عنه ما كان يجده

[٦] المعول المعتمد والمتكل يقول إذا سئمت جانبا من الأرض وأعيتك الحيلة فيه فاعمد إلى جانب آخر تجد فيه مـن يعتمد عليه وتكل أمرك إليه

[٧] البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠

وقيل كانت لسعد بن عبادة صحفة يدار بها حيث دار وكان ينادي له مناد هلموا إلى اللحم والثريد وكان أبوه وجده من قبله يفعلان كفعله وقال عروة بن الزبير باع [(١)] قيس بن سعد من معاوية أرضا بتسعين ألفا فقدم المدينة فنادى مناديه من أراد القرض فليأت فأقرض منها خمسين ألفا وأطلق الباقي ثم مرض بعد ذلك فقل عواده فقال لزوجته قريبة بنت أبى عتيق أخت أبي بكر الصديق إني أرى قلة من عادني في مرضي هذا وإني لأرى ذلك من أجل مالي على الناس من القرض فبعث إلى كل رجل ممن كان له عليه دين بصكه المكتوب عليه فوهبهم ماله عليهم وقيل إنه أمر مناديه فنادى من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو منه في حل فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العواد [(٢)].

ويعلم العقلاء تمام العلم مساعدة المال على تحصيل المكارم إن كان صاحبه من الأجواد ، قال جرير بن يزيد: مشى رجال من بني تميم إلى عتاب بن ورقاء ومحمد بن عمير في عشر ديات فقال محمد بن عمير علي دية فقال عتاب علي الباقية فقال محمد نعم العون على المروءة المال [(٣)].

---

[(١)] قال موسى بن عقبة : قالت عجوز لقيس : أشكو إليك قلة فأر بيتي فقال قيس ما أحسن هذه الكناية املئـوا بيتها خبزا ولحما وسمنا وتمرا.[البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠]

[(٢)] البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠

[(٣)] البيان والتبيين ج ١ ص ٤٨٨

## ط ـ الدفاع عن العشيرة باللسان والسنان:

إن الرائد لا يكذب أهله [١] قول قاله قائله ضاربا مثلا من بيئة المجتمع مبينا صدق أحد أفراد العشيرة وهو الرائد الذي يرتاد أماكن الكلأ لقومه فيسير متقدما لهم ويكون ثقل القوم من النساء والصبيان والشيوخ وبقية القبيلة خلفه فإن صدقهم حيا وأحيا قومه وإن كذبهم هلك وأهلك قومه، ولم يعرف في تاريخ العرب أن رائدا كذب قومه قط [٢].

لذا فعلى القريب أن يبذل قصارى جهده في نصح عشيرته فيكون جنديا مخلصا لها مدافعا عنها بلسانه مقاتلا بسنانه إن اقتضى الأمر وزعيم العشيرة وسيدها بصفة خاصة يذب عنها بلسانه وسنانه وذلك برد المستطيلين على قبيلته وبيان خطئهم وجورهم تجاه القبيلة وأنها ليست بهذا المستوى ومن ذلك ما ذكره: ابن علية عن أيوب عن محمد قال نبئت أن عمر ذكر بني تميم فذمهم فقام الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي قال: تكلم قال: إنك ذكرت بني تميم فعممتهم بالذم وإنما هم من الناس فيهم الصالح والطالح فقال صدقت.فقام الحتات وكان يناوئه فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي فأتكلم قال: اجلس فقد كفاكم سيدكم الأحنف [٣].

ويفتخر زعماء القبائل الذابين عن قبائلهم بهذا الأمر ويعدُّ من مناقبهم التي تدون وتذكر في المجالس وأنها من متممات السيادة والزعامة قال لبيد بن ربيعة:

وكـــثيرة غرباؤها مجهولة ترجى نوافلها ويخشى ذامها [٤]

---

[١] جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وقال لهم: إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا مـــا كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم.[السيرة الحلبية ج ١ ص ٤٥٩]

[٢] الرائد هو الذي يقدمونه ليرتاد لهم منزلا أو ماء، أو موضع حرز يلجئون إليه من عدو يطلبهم، وإنه وإن كـــان كذابا فإنه لا يكذب أهله.(مجمع الأمثال ج ٢ ص ٢٣٨)

[٣] سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٩١

[٤] قوله: وكثيرة غرباؤها معناه وقبة أو جماعة كثير غرباؤها ، أي كثير نزاعها وطلاب الحـــوائج إليهـــا ، وعـــنى بمجهولة الغرباء خطة اجتمعوا فيها على باب ملك جهلوها فلم يعرفوا جهتها.

غلب تشذر بالذحول كأنها جن البدي رواسيا أقدامها[١]

أنكرت باطلها وبؤت بحقها[٢] يوما ولم يفخر عليّ كرامها[٣]

وقال ذو الإصبع:

يا رب حي شديد الشغب ذي لجب[٤] ذعرت من راهن منهم ومرهون

رددت باطـــلهم في رأس قـــائلهم حتى يظلوا خـــصوما ذا أفانين[٥]

## ي ـ الحلم عند جهل أحد أفراد العشيرة عليه :

الحلم والعفو عمن أساء من الصفات الحميدة والخلال المجيدة والمحامد الكريمة فعلى من اشرأبت نفسه إلى سيادة عشيرته وزعامتها أن يتحلى بالحلم والصفح عمَّن ظلمه من سفهاء الأقارب وغيرهم فيجعل لنفسه مكانة مرموقة بعفوه هذا أمام أقاربه.

---

(١) قوله: غلب معناه تلك الوفود كأنها فحول غلب. تشذر بالذحول: معناه تقمطر وينتصب بعضهم لبعض. يصف به القوم، بمنزلة تشذر الناقة وهو عقدها ذنبها. وقوله بالذحول معناه للذحول، كما يقال: تشذر لي فلان بالبغضاء، يريد للبغضاء. والغلب: الغلاظ الرقاب. وقوله رواسيا أقدامها معناه: ثابتة أقدامها. والجبل الراسي: هو الثابـــت. يقال: أرسيت الوتد، إذا أثبته.

(٢) أنكرت باطلها : أنكرت فخر من فخر علي بالباطل ومعنى قوله : وبؤت بحقها : ورجعت بحقها أي بحقي ، لأني فخرت بحق وأصل الفخر الارتفاع والتعظم . يقال دار فاخرة، أي مرتفعة عظيمة.

(٣) قوله : ولم يفخر علي كرامها : معناه لم يكن للكرام منهم علي فخر في شيء يسبقونني فيه ، لأني أنكرت مـــا فخر به الوفود من الباطل .

(٤) اللجب : الجلبة والصياح

(٥) الأفانين: الأحوال

قال أبو حاتم: إن من نفاسة اسم الحلم وارتفاع قدره أن الله جل وعلا تسمى به ثم لم يسم بالحلم في كتابه أحدا إلا إبراهيم خليله وإسحاق ذبيحه حيث قال ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [(١)] وقال ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [(٢)] ولو لم يكن في الحلم خصلة تحمد إلا ترك اكتساب المعاصي والدخول في المواضع الدنسة لكان الواجب على العاقل أن لا يفارق الحلم ما وجد إلى استعماله سبيلا [(٣)].

على من يتصدى لسيادة العشيرة أن يكون واسع الصدر، حليما يتحمل ما يصدر من عبارات يتفوه بها سليطو اللسان والحاسدون من الأقارب ومن غيرهم، فقد يعترض معترض من العشيرة حسدا وبغيا ويطعن في سيادته وقد يخرج اعتراضه في ثوب الامتنان على سيد العشيرة فيقول ممتنا عليه إنهم السبب في سيادته ولولاهم لكان نكرة من النكرات ورويبضة من الرويبضات وسوقة من العوام، قال مسلمة بن محمد الثقفي قالت: بنو تميم للأحنف: سودناك ورفعناك. قال: فمن سود شبل بن معبد ولا عشيرة له [(٤)].

وقد يقول قائل ويتساءل متسائل لماذا ساد هذا الرجل بعينه وكان من الأولى أن يسود غيره لشخص يحدده ويعينه، قال ابن حجر عن سلمى بن نوفل بن معاوية الدئلي الذي يقول الشاعر فيه :

تســـود أقـــوام وليسوا بسادة　　　بل السيد المحمود سلمى بن نوفل[(٥)]

ويبين آخرون خرق السيد والزعيم وشؤمه على عشيرته، قال إياس بن قتادة في الأحنف:

---

(١) سورة التوبة آية ١١٤

(٢) سورة الصافات آية ١٠١

(٣) روضة العقلاء ج ١ ص ٢٠٩ ــ ٢١٠

(٤) تهذيب الكمال ج ٢ ص ٢٨٤

(٥) الإصابة، لابن حجر ، ترجمة رقم : ٣٤١٦

وإن من السادات من لو أطعته دعاك إلى نار يفـــــور سعيرها(١)

مع أن واقع الأحنف كان خلاف ذلك ، قال أبو عمرو بن العلاء توفي الأحنف في دار عبيد الله بن أبي غضنفر فلما دلي في حفرته أقبلت بنت لأوس السعدي وهي على راحلتها عجوز فوقفت عليه وقالت من الموافى به حفرته لوقت حمامه قيل لها الأحنف ابن قيس قالت والله لئن كنتم سبقتمونا إلى الاستمتاع به في حياته لا تسبقونا إلى الثناء عليه بعد وفاته ثم قالت لله درك من مجن في جنن ومدرج في كفن وإنا لله وإنا إليه راجعون نسأل من ابتلانا بموتك وفجعنا بفقدك أن يوسع لك في قبرك وأن يغفر لك يوم حشرك أيها الناس إن أولياء الله في بلاده هم شهوده على عباده وإنا لقائلون حقا ومثنون صدقا وهو أهل لحسن الثناء أما والذي كنت من أجله في عدة ومن الحياة في مدة ومن المضمار إلى غاية ومن الآثار إلى نهاية الذي رفع عملك إلى انقضاء أجلك لقد عشت مودودا حميدا ومت سعيدا فقيدا ولقد كنت عظيم الحلم فاضل السلم رفيع العماد واري الزناد منيع الحريم سليم الأديم عظيم الرماد قريب البيت من الناد (٢).

وقد يطعن طاعن ويتخرص متخرص ويقول قائل: إن السيادة رزق كسائر الأرزاق مقسم بين العباد ولذا نالته وجاءته هذه السيادة وهو ليس خليقا ولا حريا ولا جديرا بها ولا هو أحق بها ولا من أهلها، قال أحدهم:

وما سدت فيهم إن فضلك عمهم ولكن هذا الحظ في الناس يقسم(٣)

وقد يتساءل آخرون مؤذين الزعيم والرئيس ما السبب الذي جعل قومه يسودونه عليهم مع ما فيه من معائب كدمامة ونحوها غافلين عن عقله وحلمه وعلمه،

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٩٤

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٩٦

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٩٤

قيل للأحنف بن قيس: كيف سودك قومك وأنت أرذلهم خلقة قال لو عاب قومي الماء ما شربته [١]. وقال أبو نخيلة لبعض سادات بني سعد:

وإن بقوم سودوك لفاقة إلى سيد لو يظفرون بسيد [٢]

وقد يحاول أحدهم أن يقلل من سيادة السيد وزعامة الزعيم وأنه سيد جزء يسير من الناس ومن ذلك ما ذكره ابن حبيب: أن الوليد بن المغيرة تزوج ابنة أبي أزيهر الدوسي فلما دخلت عليه سألها: أنا أشرف أم أبوك؟ فقالت: لا بل أبي ، لأن أبي سيد أهل السراة، وأن العرب يصدرون عن رأيه، وإنما أنت سيد بني أبيك، وفيهم من ينازعك الشرف. فرفع يده فلطمها، فهربت إلى أبيها فحلف ألا يراها وأمسك المهر [٣].

## ك ـ غض الطرف والتغافل عن مساوئ الأهل والعشيرة:

على القريب أن يغض الطرف عن مساوئ عشيرته فلا يشيعها بين الناس بل عليه أن يسعى لرتقها ورأب صدعها كما عليه أن يتكلم عنها بين عقلاء العشيرة حتى تعرف وتبين وتعالج والذي نقصده بغض الطرف عن أخطاء العشيرة هو عدم إشاعتها وبثها بين الناس أما تناولها بين خواص العشيرة لعلاجها فهذا أمر يحمد عليه صاحبه.

أما خطأ الفرد فلا يجابه به أمام العشيرة لأن هذا ليس من آداب النصيحة في شيء فالإعلان بمواجهة المخطئ ومجابهة المسيء هذا خلاف الصواب وكان صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا أمام الملأ بخطئه بل كان يقول كما جاء عن عَائِشَةَ قالَتْ: "كَانَ النّبيّ صلى الله عليه وسلم إِذَا بَلَغَهُ عن الرّجُلِ الشّيْءَ لَمْ يَقلْ مَا بَالُ فُلاَنٍ يَقُولُ وَلكِنْ يَقُولُ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذا وكَذا" [٤].

وقال الشافعي رحمه الله تعالى:

---

[١] البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٢٦

[٢] البيان والتبيين ج ١ ص ٤٩٤

[٣] المنمق ص ١٩٩ ـــ ٢٠٠

[٤] تهذيب سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن العشرة، حديث رقم: ٤٧٨٠

تعمدني بنصحك في انفرادي وجنبني النصح في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني وعصيت أمري فلا تجزع إن لم تعط طاعة[(١)]

فعلى القريب العمل لتقويم أخطاء أفراد عشيرته وتصويبها وذلك باتباع وسائل النصح المعروفة والمقبولة لديهم.

كما أن على القريب أن ينأ بنفسه ويربأ بها عن الاحتفاظ بنقائص بعض الأفراد وحفظها لإشاعتها في الوقت المناسب واستعمالها عند الحاجة إليها ، وفاعل هذا يدل على شعور بنقص يعتريه وضعف متمثل فيه.

وبالجملة غض الطرف عن مساوئ العشيرة والتغابي عن غفلات أفرادها وعدم مواجهتهم بها مما يتمدح به العرب ويفتخرون به ويعدونه من صفات السيادة قال المتنبي:

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

وقال علي رضي الله عنه التغافل يرفع بلاء كثيرا [(٢)].

### ل ـ الترفع عن ما يشين والتعلق بمعالي الأمور:

سيد العشيرة يسعى نحو معالي الأمور ويبتعد عن سفاسفها وحقيراتها وما يتعلق بالمسائل العظام والأمور الجسام فيبتعد عن مقارفة المعاصي والتلطخ بها لأنه تحطمه اجتماعيا في الدنيا وتذهب بجاهه ومكانته عند الناس قبل دخول النار يوم

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه للرازي ص ١١٦

(٢) كشف الخفاء، للعجلوني ، حديث رقم : ١٧٣٦

القيامة جاء في الحديث : إن الله تعالى جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق ويكره[١] سفسافها [٢].

قال الزبير بن بكار أو الحضرمي:

أحـــبُّ معاليَ الأخلاقِ جُهْدي وأكـــرَهُ أن أعيبَ وأن أُعابا
وأصفحُ عن سبابِ الناسِ حلماً وشَرُّ الناسِ من حبَّ السِّبابا

كما أنه يبتعد عن الفحش في القول والفعل فلا تجده يأتي بالأمور المشينة الفاحشة ليضحك الجلساء بل يميت السوء بهجره ولا يكثر من الضحك إكثارا يسقط هيبته ولا ينتهك عرض زيد ولا عمرو ليرفع من نفسه وينقص من غيره بل يكون قد نقص من نفسه بمقدار ما نال من عرض أخيه، قال الشاعر:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب على عيب الرجال أخو العيوب[٣]

## م ـ المحبة والقبول:

قد يبتلى أحد الأفراد بأن يكون مبغوضا لدى عشيرته ممجوج الحديث مع كثرة إحسانه للعشيرة وإنعامه عليها فلا تجد له حامدا بل يذمه أفراد العشيرة ويطعنون فيه مع ذبه ودفاعه ومنافحته عنهم[٤].

---

[١] السَّفْسافُ: الرَّديء من كل شيءٍ، وهو ضدّ المعالي والمَكارِم، وأَصله ما يطير من غبار الدَّقيق إذا نُخِلَ والترابِ إذا أُثير.[لسان العرب، مادة: سفف / مختار الصحاح، مادة: سفف]

[٢] البيهقي في شعب الإيمان عن طلحة بن عبيد الله وعن سهل بن سعد، وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك، وحسنه السيوطي.[انظر: الجامع الصغير، حديث رقم: ١٧٧١ ورقم: ١٧٢٣ / كنز العمال، حديث رقم: ٥١٨٠]

[٣] بهجة المجالس القسم ١ص٣٩٩

[٤] قال سحيم عبد بني الحسحاس مقررا أن المبغوض لن يحب مهما تودد وتحبب للآخرين (ديوان سحيم ص ٤٠ ـ ٤٢):

رأيت الحبيب لا يمـل حـديثـه ولا ينفـع المشنـوء أن يتـوددا

وقد ينعم الله على فرد آخر من أفراد العشيرة فيكون مقبولا لدى العشيرة محبوبا عندهم يسمع مقاله ويصدر عن رأيه فعلى المبغوض من أفراد العشيرة أن يتحسس سبب بغضه ويتلمس سبب رفض العشيرة له ويعرف ما يستهجن منه وما يستقبح ويستبشع منه فقد يكون ذرب اللسان حديد الجواب.

فإذا علم الشخص المبغوض السبب الذي من أجله أبغضته عشيرته وجعلتها عنه كاعة ومنه مزورة فإنه سيتخلى عن ذميم صفاته ويتحلى بضدها.

كما على المحبوب لدى العشيرة أن يحمد الله عز وجل على هذه النعمة وأن يزيدها بإكمال نواقص نفسه الأخرى فيسعى لتمام نقصه وسد عجزه وأن يبذل نداه ويكف أذاه ولا يتخذ حب العشيرة له سببا لتسلطه عليها فيرجع حامد العشيرة له ذاما وليعلم أن كثرة الإدلال تورث الإملال فلا يدل عليهم بمحبتهم له وليعلم أن أس الحب هو إلانة الجانب للعشيرة كما قال ذلك ذو الإصبع العدواني في وصيته لولده أسيد وممن ساد في السابق بمحبة العشيرة له مالك بن مسمع. قال الكلبي: قال لي خالد بن عبد الله القسري: ما تعدون السؤدد؟ فقلت: أما في الجاهلية فالرياسة، وأما في الإسلام فالولاية، وخيرٌ من ذا وذاك التقوى، فقال لي: صدقت كان أبي يقول: لم يدرك الأول الشرف إلا بالفعل، ولا يدركه الآخر إلا بما أدرك به الأول، قال: فقلت: صدق أبوك، ساد الأحنف بحلمه، **وساد مالك بن مسمع بمحبة العشيرة له**، وساد قتيبة بدهائه، وساد المهلب بجميع هذه الخلال، فقال لي: صدقت، كان أبي يقول: خير الناس للناس خيرهم لنفسه، وذلك أنه إذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرق لئلا يقطع، ومن القتل لئلا يقاد، ومن الزنى لئلا يحد، فسلم الناس منه باتقائه على نفسه [1].

ومن فوائد المحبة بين العشيرة ثناء العشيرة بالغيب على الشخص المحبوب والدعاء له بالخير، والوقوف معه عند حدوث المدلهمات ونزول المصائب وذلك لمعظم أفراد العشيرة ومن ذلك أنه مر عمر بن هبيرة بعد إطلاقه من السجن بالرقة فإذا امرأة

---

[1] الكامل في اللغة ص ٣٣٥

من بني سليم على سطح لها تحادث جارة لها ليلا وهي تقول لا والذي أسأله أن يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى إليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبي نفسا وقري عينا [(١)].

## ن ـ الفرار من الشرف وغمط النفس والغض منها :

على من يريد أن يتزعم عشيرته الفرار من الشرف وأن يغمط نفسه وأن يحتقرها وأن يبين أن أسباب سيادته وعلو منزلته متاحة للجميع، قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لعرابة بن أوس بن حارثة الأنصاري بأي شيء سدت قومك يا عرابة قال أخبرك يا معاوية بأني كنت لهم كما كان حاتم لقومه قال وكيف كان فأنشده:

وأصبحت في أمـــر العشيرة كلها ... كذي الحلم يرضي ما يقول ويعرف
وذاك لأني لا أعـــادي سراهـــم ... ولا عـــن أخـــي ضرائهم أتنكف
وإني لأعطي سائلي ولـــربـــما ... أكـــلف مـــا لا أستـــطيع فأكلف
وإني لمذموم إذا قـــيل حـــــاتم ... نـــبا نـــبوة إن الكـــريـــم يعـــنف

ووالله إني لأعفو عن سفيههم وأحلم عن جاهلهم وأسعى في حوائجهم وأعطي سائلهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن فعل أحسن من فعلي فهو أفضل مني ومن قصر عن فعلي فأنا خير منه فقال معاوية لقد صدق الشماخ حيث يقول فيك:

رأيت عرابة الأوسي يسمو ... إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعـــت لمـــجد ... تـــلقاها عـــرابة بـــاليمين[(٢)]

فعلى السيد أن يهضم نفسه وأن يحتقرها وعلى من أحس بسيد علوا أن يضع من غروره وأن يقوم من أوده، وأن يرد من جنفه، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لرجل: من سيد قومك قال أنا قال لو كنت كذلك لم تقله [(١)].

---

(١) المستطرف، ج ٢ ص ١٦٦

(٢) الأغاني ج ٦ ص ١٩٦ / جمهرة خطب العرب ، ج ٢ ص ٣٩٢

ويكون هذا الهضم للنفس حقيقة لا تصنعا ومن أمثلة احتقار النفس والغض منها التي رفعت من شأن قائليها وأعلت مقدارهم وأعظمت منزلتهم:

. وفد حاتم الطائي وأوس بن حارثة على عمرو بن هند فدعا أوسا وقال له: أنت أفضل أم حاتم فقال أبيت اللعن لو ملكني حاتم وولدي ولحمتي لوهبنا في غداة واحدة ثم دعا حاتما فقال له: أنت أفضل أم أوس؟ فقال: أبيت اللعن إنما ذكرت بأوس ولأحد ولده أفضل مني فقال عمرو : والله ما أدري أيكما أفضل وما منكما إلا سيد كريم [٢].

. عن الحارث بن عمير عن رجل أن عمر بن الخطاب رقي المنبر وجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! لقد رأيتني ومالي من أكال يأكله الناس إلا أن لي خالات من بني مخزوم فكنت استعذب لهن الماء فيقبضن لي القبضات من الزبيب، قال: ثم نزل عن المنبر، فقيل له: ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: إني وجدت في نفسي شيئا فأردت أن أطأطئ منها [٣].

وليس من معنى ذلك أن يتفوه الرجل بعبارات ويتلفظ بكلمات يتضمنها احتقار نفسه وذمها ويجعل ذلك ديدنه وهجيراه فإن المقصود من هذا مدح نفسه والإشادة بها ورفع شأنها والإعلاء من قدرها لأنها يصفها بهذه الصفات وهي تخرج في مخرج الزهد والتواضع.

وليعلم المرء أنه كلما فر من الشرف والمحامد والشهرة تبعه ما فر منه، قال خالد بن صفوان كان الأحنف يفر من الشرف والشرف يتبعه[٤]

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير ج ٩ ص ٢٠٩

[٢] ثمار القلوب ج ١ ص ١١٧ ــ ١١٨

[٣] كتر العمال، حديث رقم: ٣٥٩٨٨

[٤] سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٩١

## س ـ الوفاء بالعهد:

أمر الله بالوفاء بالعهد قال تعالى ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] وجعل النبي صلى الله عليه وسلم الغدر صفة من صفات النفاق وعلامة من علاماته، وذلك لما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدّثَ كَذَبَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ" [2].

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقا خَالِصا. وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلّةٌ مِنْهُنّ كَانَتْ فِيهِ خَلّةٌ مِنْ نِفَاقٍ. حَتّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدّثَ كَذَبَ. وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ" [3].

والغدر صفة مذمومة تعد من أكبر نقائص الفرد بين الناس ولذا سأل هرقل أبا سفيان عن وفاء النبي صلى الله عليه وسلم أو عدمه: .....قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ [4] وعقب هرقل قائلا عن سؤاله بعد إجابة أبي سفيان: وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ

---

[1] سورة الإسراء ٣٤

[2] صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب: علامة المنافق حديث رقم: ٣٣ / صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، حديث رقم: ٥٩

[3] صحيح البخاري، أبواب الجزية والموادعة، باب: إثم من عاهد ثم غدر، حديث رقم: ٣٠٠٧ / صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم: ١٠٦

[4] (ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا) أي: أنتقصه به، على أن التنقيص هنا أمر نسبي، وذلك أن من يقطع بعدم غدره أرفع رتبة ممن يجوز وقوع ذلك منه في الجملة، وقد كان معروفا عندهم بالاستقراء من عادته أنه لا يغدر. ولما كان الأمر مغيبا – لأنه مستقبل – أمن أبو سفيان أن ينسب في ذلك إلى الكذب، ولهذا أورده بالتردد، ومن ثم لم يعرج هرقل على هذا القدر منه. وقد صرح ابن إسحاق في روايته عن الزهري بذلك بقوله: " قال فوالله ما التفت إليها مني. ووقع في رواية أبي الأسود عن عروة مرسلا: " خرج أبو سفيان إلى الشام – فذكر الحديث، إلى أن قال – فقال أبو سفيان: هو ساحر كذاب. فقال هرقل: إني لا أريد شتمه، ولكن كيف نسبه – إلى أن قال – فهل يغدر

فَذَكَرْتَ أَنْ لَا [١] وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ[٢]

وكان أهل الجاهلية يجعلون للغادر تمثالا، قال أبو علي القالي: كان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جعل له تمثال من طين ونصب وقيل: ألا إن فلانا غدر فالعنوه، كما قال عبد الله بن جعدة:

فلنقتلن بخالد سرواتكم     ولنجعلن لظالم تمثالا

يعني خالد بن جعفر، وقتل الحارث بن ظالم له [٣].

وضرب العرب المثل بالأوفياء مع أن الوفاء كان سمة غالبة بالنسبة للعرب ولكن من ضرب به المثل بوفائه له قصة وممن ضرب به المثل بالوفاء السموأل بن عادياء الذي قيل فيه: أوفى من السموءل. وأبو حنبل الذي قيل فيه: أوفى من أبي حنبل. والحارث بن عباد، الذي قيل فيه: أوفى من الحارث بن عباد. وعوف بن محلم الذي قيل فيه: أوفى من عوف بن محلم. وغيرهم كثير [٤].

والصفات السابقة التي ذكرت لسيادة العشيرة إذا اجتمعن في فرد من أفراد العشيرة فإنه يسودها بلا منازع ولا مدافع وقد تتخلف صفة من الصفات السابقة أو أكثر عن الفرد ويكتب له سيادة العشيرة ومن ذلك ما قاله أبو عمرو بن العلاء: ما رأينا شيئا يمنع سؤددا إلا رأيناه في سيد من سادات العرب: أول ذلك الحداثة تمنع السؤدد وقد ساد أبو جهل قريشا وما طرّ شاربه ودخل دار الندوة مع الكهول وما استوت

---

إذا عاهد؟ قال: لا، إلا أن يغدر في هدنته هذه. فقال: وما يخاف من هذه؟ فقال: إن قومي أمدوا حلفاءهم على حلفائه. قال: إن كنتم بدأتم فأنتم أغدر.

[١] قال أبو أناس بن زنيم في رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال دعبل بن علي الخزاعي: هذا أصدق بيت قالته العرب.(الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٣٧)]:

فما حملت ناقة فوق ظهرها     أعف وأوفى ذمة من محمد

[٢] انظر : ص      من هذا الكتاب.

[٣] اللآلي شرح الأمالي للبكري ص ١١٦٧

[٤] كتاب جمهرة الأمثال ج ٢ ص ٣٢٩

لحيته والبخيل لا يسود وقد ساد أبو سفيان بن حرب، والعاهر لا يسود وقد ساد عامر بن الطفيل، والظالم لا يسود وقد ساد كليب وائل وحذيفة بن بدر، والأحمق لا يسود وقد ساد عيينة بن حصن، وقليل القوم لا يسود وقد ساد شبل بن معبد، والفقير لا يسود وقد ساد عتبة بن ربيعة، والأخلاق المانعة للسؤدد الكذب والكبر والسخف والتعرض للعيب وفرط العُجب وأنشد:

لابد للسؤدد من أرماح      ومن سفيه دائم النباح

ومن عديد يتقى بالراح[1]

وكان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من اجتمعت فيه ست خصال: السخاء والنجدة والصبر والبيان والحلم وتمامهن الإسلام [2].

---

[1] قال أبو سلمى المزني:

لابد للسؤدَدِ من أرماحِ      وَمِن رجالٍ مصلَتي السلاحِ

يدافعونَ دونَهُ بالــراحِ      ومِــن ســفيهٍ دائمِ النباحِ

[2] انظر البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي مجلد٣ ج٤ ص٣٠١ ــ ٣٠٢

# الفصل الثاني

## العلاج الدوائي للخلافات بين الأقارب

١. الأمل في الشفاء وعدم اليأس من العلاج

٢. المبادرة بالسلام والمصافحة والبشاشة عند اللقاء وإلانة الكلام

٣. التزاور

٤. التهادي والتباذل والتعاضد والمساعدة

٥. تفقد القريب لأقاربه وذويه وتعهدهم وخاصة عند سفر قريبه

٦. توقير الكبير من الأقارب ورحمة الصغير

٧. المداراة و المسايسة

٨. التغاضي والتناسي والصفح عنهم

٩. الملاينة والمطاوعة وخاصة عند حدوث الخلاف

١٠. دخول الشفاعات عند حدوث المشاكل

١١. البعد عنهم والاستغناء عما في أيديهم

١٢. عدم السماح لأحد بالمفاضلة بين الأقارب

١٣ . ترك المنة عليهم

١٤ . قبول أعذارهم والإقلال من عتابهم

١٥ . ترك الغمز واللمز والتعريض

١٦ . نصيحة وموعظة الحلماء من الأقارب وأخذهم على أيدي السفهاء

١٧ . المكافأة على الحسنات.

١٨ . التوسعة لهم في المجالس.

١٩ . دعوتهم بأحب الأسماء إليهم وعدم نبزهم بألقاب تغضبهم

٢٠ . الإذعان والإقرار لهم عند ظلم الفرد لهم وتخييرهم بأن يفعلوا ما يشاءون من قصاص أو عفو

٢١ . الاستفادة من سفهاء الأقارب في الرد على أمثالهم

٢٢ . إمكانية تعايش الأقارب المتعادين مع بعضهم

٢٣ . الحذر من مخالفة القول الفعل في خلافات الأقارب

# الفصل الثاني

## العلاج الدوائي للخلافات بين الأقارب

العلاج الدوائي هو الذي يبحث عن كيفية الشفاء من الداء والعقاقير المخففة والمزيلة له وهو يتضمن أمورا كثيرة منها:

### ١ـ الأمل في الشفاء وعدم اليأس من العلاج:

على المعالِج والمريض على السواء عدم اليأس من شفاء أمراضهم العضوية والمعنوية لأن الذي أنزل الداء أنزل الدواء فعَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١].

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا قَدْ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ[٢].

قال أبو العنبس :

كم مريض قد عاش من بعد يأس　　بعد مـــوت الطبيب والعــواد
قد يصاد القــطا فــينجو سليماً　　ويــحـــل البــلاء بالصيــاد[٣]

[١] صحيح مسلم، كتاب السلام، بَاب لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ وَاسْتِحْبَابِ التَّدَاوِي، حديث رقم: ٤٠٨٤
[٢] مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٣٣٩٧
[٣] الوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٣٠

## ٢ ـ المبادرة بالسلام والبشاشة عند اللقاء والمصافحة وإلانة الكلام:

### أ ـ السلام:

السلام من الأسباب الموجبة للحب بين فاعليه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ[١].

وقال الشاعر:

قد يمكث الناس دهرا ليس بينهم ... ود فيزرعه التسليم والتلطف[٢]

وقال ابن جميلة:

وحيّ ذوي الأضغان تسب قلوبهم ... تحيتك الحسنى فقد يدبغ النَغَل

فإن دحسوا بالمكر فاعف تكرما ... وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل

فإن الذي يؤذيك منه سماعه ... وإن الذي قيل وراءك لم يُقَل[٣]

### ب ـ المصافحة:

المصافحة من وسائل المحبة بين الناس[٤] وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ بها أصحابه رضي الله عنهم، فعَنْ أَيُّوبَ بْنِ بُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ الْعَدَوِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ عَنَزَةَ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي ذَرٍّ هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَافِحُكُمْ إِذَا لَقِيتُمُوهُ فَقَالَ مَا لَقِيتُهُ قَطُّ إِلَّا صَافَحَنِي[٥]. وكان صلى الله عليه وسلم لا ينزع يده من يد مصافحه حتى يكون هو

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، حديث رقم: ٨١ / سُنَنُ أبي دَاوُد، كتاب الأدب باب في إفشاء السلام حديث رقم: ٥١٩٣

[٢] بهجة المجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص ٥٩٨

[٣] أدب الدين والدنيا ص ٣٢٢

[٤] قال أبو مخلد: المصافحة تجلب المحبة. (بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٢٧٤)

[٥] سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: في المعانقة، حديث رقم: ٤٥٣٨/ مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٠٤٧١

**النازع لها، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ فَكَلَّمَهُ لَمْ يَصْرِفْ وَجْهَهُ عَنْهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْصَرِفُ وَإِذَا صَافَحَهُ لَمْ يَنْزِعْ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُهَا [١].**

## ج ـ إلانة الكلام:

**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه، وحسن الخلق [٢].**

**قال المناوي: (إنكم لا تسعون) بفتح السين أي لا تطيقون أن تعموا (الناس بأموالكم) أي لا يمكنكم ذلك (ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) أي لا تتسع أموالكم لعطائهم فوسعوا أخلاقكم لصحبتهم والوسع والسعة الجدة والطاقة وذلك لأن استيعاب عامّتهم بالإحسان بالفعل غير ممكن فأمر بجعل ذلك بالقول حسبما نطق به ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [٣]**

**قال الصولي: لو وزنت كلمات المصطفى صلى اللّه عليه وسلم بأحسن كلام الناس لرجحت على ذلك [٤] وهي قوله إنكم الخ قال وقد كان ابن عباد كريم الوعد كثير البذل سريعاً إلى فعل الخير فطمس ذلك سوء خلقه فما ترى له حامداً [٥].**

---

[١] سنن الترمذي، كتاب صِفَةُ الْقِيامَة والرقائق والورع عن رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: ٢٦٠٨/ سنن ابن ماجه كتاب الأدب، باب إكرام الرجل جليسه، حديث رقم: ٣٧٠٦

[٢] الجامع الصغير. للسيوطي، حديث رقم: ٢٥٤٥

[٣] سورة البقرة آية ٨٣

[٤] كان إبراهيم بن أدهم يقول إن الرجل ليدرك بحسن خلقه ما لا يدركه بماله لأنّ المال عليه فيه زكاة وصلة أرحام وأشياء أخر وخلقه ليس عليه فيه شيء.

[٥] انظر: فيض القدير، شرح الجامع الصغير، حديث رقم: ٢٥٤٥

ولتعلم أيها القريب أنك لن تسع الناس بأموالك فخص منهم أهلك وأقاربك بالنصيب الأوفر والحظ الأكثر، وإن قصر مالك فأتمم تقصيره بحسن خلقك وطيب كلامك ولين قولك قال المتنبي:

لا خيل عندك تهديها ولا مال    فليسعد النطق إن لم يسعد الحال(١)

وقال ابن عيينة: البشاشة مصيدة المودة والبر شيء هين وجه طليق وكلام لين(٢).

وقال الشاعر:

بني إن البر شيء هين    وجه طليق وكلام لين(٣)

## ٣ ـ التزاور:

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:

وما يستوي عبدان : عبد مظلم    عتلٌّ لأرحام الأقارب قاطع(٤)

وأنشد أبو سعيد محمد بن نصر بن منصور البلخي لبعضهم:

نزوركم لا نكافئكم بجفوتكم    إن المحب إذا لم يستزر زارا

يقرب الشوق دارا وهي نازحة    من عالج الشوق لم يستبعد الدارا (٥)

وقال عبد الله بن مسعود: كنا إذا فقدنا الأخ أتيناه فإن كان مريضا كان

---

(١) ديوان المتنبي دار الجيل بيروت (ب.ت) ص٤٨٦

(٢) انظر: فيض القدير، حديث رقم: ٣٢٣١

(٣) قال العجلوني: البر شيء هين، وجه طليق وكلام لين. الأصفهاني في الترغيب وغيره عن ابن عمر موقوفا من قوله. [كشف الخفاء ، حديث رقم : ٨٩١]

(٤) أمالي ابن دريد ص١٣٦

(٥) آداب الصحبة ج ١ ص ١٠٧

عيادة وإن كان مشغولا كان عونا وإذا كان غير ذلك كان زيارة [١].

## ٤ ـ التهادي والتباذل والتعاضد والمساعدة:

عن عبد الرزاق عن معمر قال لما ولي الحسن بن عمارة مظالم الكوفة بلغ الأعمش فقال السهو ولي مظالمنا فبلغ الحسن فبعث إليه بأثواب ونفقة فقال الأعمش مثل هذا يولى علينا يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعود على فقيرنا فقال رجل يا أبا محمد ما هذا قولك فيه أمس فقال حدثني خيثمة عن ابن مسعود قال جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها [٢].

وإن الصديق يحول بالجفاء عدوا وكذلك العدو يحول بالصلة صديقا [٣]. وإذا عُدم هذا التباذل والتهادي فإن الأقارب لا يأسفون لمصاب قريبهم الذي لا يطالهم نفعه لأن من لم ينلك البر في حياته، لم تبك عيناك على وفاته [٤].

فعلى القريب اصطناع المعروف لقريبه وتعجيله قال ابن عباس: المعروف أوثق الحصون وأرشد الأمور، ولن يصلح المعروف إلا بتعجيله وستره وتصغيره، فإنك إذا عجّلته هنأته، وإذا سترته أتممته، وإذا صغّرته عظمته، وإذا مطلته نكّدته ونغّصته [٥]. وهذا الإحسان والمعروف يجب أن يستمر حتى عند صدور الأذى من الأقارب كما حدث للصديق رضي الله عنه مع قريبه مسطح بن أثاثة الذي خاض في الإفك فقال في عائشة ابنته ما قال وكان الصديق رضي الله عنه ينفق عليه لقرابته منه ولفقر مسطح وقد مرت بنا القصة فلتنظر في موضعها [٦].

---

[١] آداب الصحبة ج ١ ص ١٠٧

[٢] تهذيب الكمال ج ٦ ص ٢٧٤ ــ ٣٧٥

[٣] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٦٨٩

[٤] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ١٩١

[٥] كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ٥٧

[٦] انظر ص ٦٣ من هذا الكتاب.

## أ ـ الهدية:

الهدية هي: ما يؤخذ بلا شرط الإعادة [١]. وهي مظهر رفيع من مظاهر التعامل البشري وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويكافئ عليها، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا [٢].

وعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبِ الشَّحْنَاءُ [٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ تُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ [٤] وَلَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا [٥] وَلَوْ شِقَّ فِرْسِنِ شَاةٍ [٦].

قال المباركفوري: أشير بذلك إلى المبالغة في إهداء الشيء اليسير وقبوله لا إلى حقيقة الفرسن لأنه لم يجر العادة بإهدائه، أي لا تمنع جارة من الهدية لجارتها الموجود عندها لاستقلاله، بل ينبغي أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلاً فهو خير من

---

[١] كتاب التعريفات للجرجاني ص ٣١٩

[٢] صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب: المكافأة في الهبة، حديث رقم: ٢٣٩٦ / سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في قبول الهدية والمكافأة عليها، حديث رقم: ١٨٧٦

[٣] موطأ مالك: الكتاب الجامع، ما جاء في المهاجرة، حديث رقم: ١٤١٣/ مسند الإمام أحمد ، حديث رقم : ٨٨٨٢

[٤] وحر الصدر: غله وغشه وحقده وذلك لأن القلب مشحون بمحبة المال والمنافع فإذا وصله شيء منها فرح به وذهب من غمه بقدر ما دخل عليه من فرحه. [القاموس المحيط، باب الراء فَصْلُ الواو ]

[٥] فرسن شاة: هو قطعة لحم بين ظلفي الشاة. قال الطيبي: وهو تتميم للكلام السابق، أرشد إلى أن التهادي يزيل الضغائن ثم بالغ حتى ذكر أحقر الأشياء من أبغض البغيضين إذا حملت الجارة على الضرة وهو الظاهر كما يدل له خبر أم زرع للمجاورة بينهما.[فيض القدير، شرح الجامع الصغير، حديث رقم: ٣٣٧٧]

[٦] سنن الترمذي ، كتاب الولاء والهبة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب: في حث النبي صلى الله عليه وسلم على التهادي، حديث رقم: ٢٠٥٦

العدم، وذكر الفرسن على سبيل المبالغة، ويحتمل أن يكون النهي إنما وقع للمهدي إليها وأنها لا تحتقر ما يهدى إليها ولو كان قليلاً، وحمله على الأعم من ذلك أولى. وفي الحديث الحض على التهادي ولو باليسير لما فيه من استجلاب المودة وإذهاب الشحناء، ولما فيه من التعاون على أمر المعيشة، والهدية إذا كانت يسيرة، فهي أدل على المودة وأسقط للمؤنة وأسهل على المهدي لاطراح التكلف، والكثير قد لا يتيسر كل وقت، والمواصلة باليسير تكون كالكثير [(١)].

قال القرطبي: الهدية مندوب إليها، وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة؛ ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهدي والمهدى إليه رنة في اللقاء والجلوس. ولقد أحسن من قال:

هدايا الناس بعضهم لبعض ... تولد في قلوبهم الوصالا

وتزرع في الضمير هوى وودا ... وتكسبهم إذا حضروا جمالا

آخر:

إن الهدايا لها حظ إذا وردت ... أحظى من الابن عند الوالد الحدب[(٢)]

وقال ابن الغرس: وينبغي للمهدي أن يقصد بها امتثال أمر الشارع وما ندب لأجله ولا يقصد بذلك الدنيا قال حسان:

إن الهدايا تجارات اللئام وما ... يبغي الكرام لما يهدون من ثمن[(٣)]

وقال الهيثم بن عدي: كان يقال: ما ارتضى الغضبان، ولا استعطف السلطان، ولا سلبت الشحناء، ولا دفعت المغارم، ولا توقي المحذور، ولا استعمل المهجور، بمثل الهدية والبر [(٤)].

---

(١) تحفة الأحوذي، للمباركفوري ج ٦ ص ٢٧٥

(٢) تفسير القرطبي ج ١٣ ص ١٧٦

(٣) كشف الخفاء ج ٢ ص ٤

(٤) بهجة المجالس لابن عبد البر المجلد الأول من القسم الأول ص ٢٨٠

قال الشاعر:

إن الـــهـــدية حـــلـــوة كالسحر تجتذب القلوبا

تدني البعيد مـــن الهـــوى حـــتى تـــصـــيّره قريبا

وتعيد مـــضغن العـــدا وة بـــعد بغضته حبيبا

تنفي السخيمة [1] عن ذوي الشحنا وتمحق الذنوبا[2]

## ب ـ إعطاء الهبات والعطايا والتباذل:

الهبة: في اللغة التبرع. وفي الشرع، تمليك العين بلا عوض [3]. قال المهلب بن أبي صفرة لأبنائه: يا بني، تباذلوا تحابوا، فإن بني الأم يختلفون، فكيف ببني العلات، إن البر ينسأ في الأجل، ويزيد في العدد، وإن القطيعة تورث القلة، وتعقب النار بعد الذلة، واتقوا زلة اللسان، فإن الرجل تزل رجله فينتفش، ويزل لسانه فيهلك، وعليكم في الحرب بالمكيدة، فإنها أبلغ من النجدة، فإن القتال إذا وقع دفع القضاء فإن ظفر فقد سعد، وإن ظُفر به لم يقولوا فرط [4]. وقال أكثم بن صيفي: لولده: يا بني تقاربوا في

---

(1) السخيمة: الحقد في النفس والعداوة والبغضاء التي تسود القلب من السخام وهو الفحم جمعه سخائم لأن السخط جالب للحقد والبغضاء والهدية جالبة للرضى فإذا جاء بسبب الرضى ذهب بسبب السخط.

(2) روضة العقلاء لابن حبان البستي ص٢٤٣

(3) كتاب التعريفات للجرجاني ، ص ٣١٩

(4) نثر الدر ج ٥ ص ٦٩

المودة ولا تتكلوا على القرابة[1]. وقال الشاعر:

أحب أبا ثروان من حب تمـــره     وأعـــلم أن الـــرفق بالجار أرفق

والله لـــولا تمـــره ما حـــببته     ولا كان أدنى من عبيد ومشرق[2]

وقال الأحنف بن قيس بخراسان: يا بني تميم تحابوا تجتمع كلمتكم، وتباذلوا تعتدل أموركم، وابدؤوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يصلح لكم جهادكم[3].

وقال منصور بن مسجاح الضبي :

ومختبط قـــد جاء أو ذي قرابـــة     فما اعتذرت إبلي إليه ولا نفسي[4]

حبسنا فلم نسرح لكي لا يلومنا     على حكمه صبرا معودة الحبس[5]

فطاف كما طاف المصدِّق وسطها     نخيّر منهـــا في البوازل والسدس[6]

---

[1] نثر الدر ج ٦ ص ٣٩٩

[2] شواهد الكشاف ج ٤ ص ٤٦٣

[3] البيان والتبيين ج ١ ص ٦٦٦

[4] المختبط الذي يقصد غيره طالبا للمعروف من غير تقدم معرفة واعتذرت أي تعذرت معناه ورب إنـــسان مـــن الأجانب أو الأقارب قصدنا طالبا للمعروف أعطيته من إبلي ولم أتعلل بأنها غائبة عني.

[5] ولم نسرح أي لم نرسلها إلى المرعى معناه حبسنا على حكم هذا الأجنبي الطالب للمعروف أو حكم القريب إبلا عودناها الحبس بجانب بيوتنا صبرا ولم نخرجها إلى المرعى لئلا نلام.

[6] المصدق الذي يأخذ الصدقات والبوازل جمع بازل وهو ابن تسع سنين والسدس جمع سديس وهو ابن ثمان سنين وخص البوازل والسدس لأن سنها أنفس الأسنان عندهم فمتى وقع فيها التخيير فما دونها أهون معناه أنـــا نحكـــم الأجنبي أو القريب في إبلنا ونجعل له الاختيار فيها كما نحكم المصدق الذي يجيء بالعز والقهر فيكون تدلـــله علينا تدلل من يستخرج حقا واجبا. [شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ٢ ص ١١١٥]

## ج ـ مساعدة الفقير[١] والمحتاج منهم ومواساته[٢]:

عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ وكان أَحَبُّ مَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [٣] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ فَضَعْهَا حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ فَقَالَ بَخْ [٤] ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ أَفْعَلُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَفِي بَنِي عَمِّهِ [٥].

ودخلت الخنساء على عائشة وعليها صِدار من شعر، فقالت لها: يا خنساء، هذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فقالت: ما علمت، ولكن هذا له قصة، زوجني أبي رجلا مبذِّرا فأذهب ماله، فأتيت إلى صخر فقسم ماله شطرين، فأعطاني شطرا

---

[١] الفقر : عبارة عن فقد ما يُحتاج إليه ، أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقرا. (كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢١٦)

[٢] المواساة: أن يترل غيره مترلة نفسه في النفع له والدفع عنه. والإيثار أن يقدم غيره على نفسه فيهما وهو النهاية في الإخوة. (كتاب التعريفات للجرجاني ص ٣٠٤)

[٣] سورة آل عمران آية ٩٢

[٤] بَخٍ: كلمة تقال عند المدح والرِّضَى بالشيء، وتُكَرر للمبالغة، وهي مَبْنية على السكون، فإن وَصَلْت جَرَرْت ونَوَّنْتَ فقلت بَخٍ بَخٍ، وربّما شُدّدَت. وبَخْبَخْتُ الرجُل، إذا قلت له ذلك. ومعناها تعظيم الأمر وتَفْخِيمُه.[النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {بخ}]

[٥] صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب: استعذاب الماء، (فتح الباري ج ١٢ ص ١٧٥) / صحيح مسلم كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج (مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٧٩)

خيارا، ثم فعل زوجي ذلك مرة أخرى، فقسم أخي ماله شطرين فأعطاني خيرهما، فقالت له امرأته: أما ترضى أن تعطيها النصف حتى تعطيها الخيار، فقال:

والله لا أمنحها شرارها وهي التي أرحض [1] عني عارها

ولو هلكت خرّقت خمارها واتخذت من شعر صِدارها[2]

فيا أيها القريب قريبك يحتاج إلى برك وعونك في حياته يريدك أن تسأله ماذا فعل؟ وماذا سيفعل؟ وما ينقصه؟ وأن تقول له يا قريبي افعل كذا ولا تفعل كذا ويا قريبي خذ هذه هدية وهذه هبة وهذا قرض حسن إن تيسر لك سداده فبها ونعمت وإن عجزت عن ذلك فأنت في حل منه.

لا أن تغفل عن قريبك حياته كلها وعند موته تأتي وتسكب عليه دموعا غزارا، قيل:

ألاَ أرَاكَ بُعَيْدَ الموت تَنْدُبني وفي حَياتي مَا زَوّدْتَني زَادي[3]

ولتعلم أيها القريب أن من لم ينفعك في حياته لم تذر عليه الدمع عند مماته ولتتذكر أن الخنساء التي يضرب بحزنها وبكائها على صخر المثل أنها لم تبك كثيرا على معاوية شقيقها وكان صخر أخاها لأبيها ومعاوية أخوها لأمها وأبيها لأن صخرا كان أكثر نفعا لها وبرا بها من شقيقها معاوية. فالدموع تبكي النفوع.

فعلى القريب أن يحرص على إيصال الخير لأقاربه ولا يتكل على القرابة ولا الصلة فزد صلتك بزيادة برك لأقرب الناس لك صلة ومن الهدي النبوي أن المرء يصل الأقرب وأنه يهدي إلى الأقرب بيتا من الجيران.

فيا أيها القريب ساعد قريبك ماديا ومعنويا بمد يدك نحوه وبذل جاهك له فالجاه له زكاة فزك جاهك واعلم أنك ستجني من مساعدتك لقريبك:

---

[1] الرحض : الغسل.

[2] الإصابة ج ٧ ص ٦١٦ ــ ٦١٧، ترجمة رقم: ١١١٠٦

[3] النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {أنب}

. راحة بال ورضا لقيامك ببعض واجبك.

. سيتحول هذا القريب إلى محب لك ومدافع عنك ومناصر لك.

. ستتجمل بهذا القريب إن تحسن وضعه فزيادته زيادة لك ونقصه نقص عليك.

**٥ ـ تفقد القريب لأقاربه وذويهم وتعاهدهم وخاصة عند سفر قريبه**:

على القريب تفقد أحوال أقاربه والسؤال عنهم ومعرفة بواطن أمورهم لمعرفة حاجتهم من عدمها بغية تقديم المساعدة الممكنة لهم من مال أو بذل جاه لإصلاح أحوالهم ، ويتأكد هذا الدور إذا غاب القريب في سفر حج أو جهاد أو دراسة أو نحوه ، فعلى الأقارب التكاتف مع الغائبين من أقاربهم وأرحامهم وعدم إشعارهم بفقد قريبهم المسافر وبعدهم عنه وذلك بتوفير الحاجات الضرورية لهم وتفقد أحوالهم، ويستنكر أحد الأعراب أن يبر أخاه في قربه ويجفوه في بعده فقال :

وإني لأستحيي أخي أن أبره قريبا وأن أجفوه وهو بعيد[1]

ولا يعني هذا أن تتخذ تلك الزيارات ذريعة للهجوم على أهل القريب في أي وقت وبلا استئذان ، واتخاذها مطية لقضاء مآرب أخرى ، وكان العرب يفتخرون بحفظ الجيران والجارات مع العفة التامة والبعد عن الخيانة ، قال بشار بن بشر المجاشعي :

وإني لعف عن زيارة جارتي وإني لمشنوء لدي اغتيابها

إذا غاب عني بعلها لم أكن لها زؤورا ولم تأنس إلي كلابها

ولم أكن طلاّبا أحاديث سرِّها ولا عالما من أي جنس ثيابها[2]

فإذا كان هؤلاء هن نساء الجيران فما بالك بنساء الأقارب؟

---

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٧١٤

(٢) بهجة المجالس القسم الأول ص٢٩١ / شواهد الكشاف ج٤ص٤٢١

## ٦ ـ توقير الكبير من الأقارب ورحمة الصغير :

على الأقارب توقير واحترام الكبير وطاعته ورحمة الصغير وعدم استبداد وظلم الكبير للصغير.

### أ ـ توقير الكبير:

عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ قَالَ انْطَلَقَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ زَيْدٍ إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ فَتَفَرَّقَا فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عَبْدِاللَّهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَمَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلًا فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ وَحُوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَهَبَ عَبْدُالرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ كَبِّرْ كَبِّرْ وَهُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ فَسَكَتَ [1].

ولما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال: يا بني احفظوا عني، فلا أحد أنصح لكم مني، إذا مت فسودوا كباركم ولا تسودا صغاركم، فيسفِّه الناس صغاركم وتهونوا عليهم، وعليكم باستصلاح المال، فإنه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب الرجل [2].

وقال عمارة لبني أسد بن خزيمة:

يا أيـــها الســـائل عـــني لأخبره ... بذات نفسي وأيدي الله فوق يدي

إن تستقم أسد ترشد وإن شغبت ... فـــلا يـــلم لائـــم إلا بـــني أسد

إني رأيـــتكم يعـــصى كبيركـــم ... وتكنعون إلى ذي الفجرة النـــكد [3]

---

[1] صحيح البخاري : كتاب الجزية ، باب : الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره ، حديث رقم : ٢٩٣٧ / صحيح مسلم : كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب : القسامة ، حديث رقم : ٣١٥٧

[2] نثر الدر ج ٦ ص ٣٨٩

[3] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ، ج ٢ ص ٨٣

**ب ـ رحمة[١] الصغير:**

على الكبير من الأقارب رحمة الصغير من أقاربه ومن غيره من صغار المسلمين وتحننه عليه وعدم ظلمه والاستبداد به، كما أن على الصغير توقير الكبير من الأقارب واحترامه ومشاورته وعدم قطع أمر دونه أو تجاوزه حتى وإن كان في نيته عدم العمل برأيه.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم باحترام الصغير للكبير وتوقيره له ورحمة الكبير للصغير وعطفه عليه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا [٢].

**٧ ـ المداراة والمسايسة :**

على القريب أن يداري أقاربه ويسايسهم، واستعمال التورية[٣] والمعاريض في إرضائهم قبل حدوث الخلاف وبعده ، فالناس يحتاجون إلى مداراة ليتعايشوا بينهم[٤] وهي من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عائشة: أنه استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: ائذنوا له فبئس ابن العشيرة، أو بئس أخو العشيرة فلما دخل

---

[١] الرحمة: هي إرادة إيصال الخير. (كتاب التعريفات للجرجاني ، ص١٤٦)

[٢] رواه الترمذي في السنن وفي المسند وسنن الترمذي مثله عن ابن عباس رضي الله عنهما وفي معجم الطبراني الكبير عن ضميرة رضي الله عنه مثله وكذلك في المسند وفي مستدرك الحاكم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وفي المسند وسنن الترمذي ومستدرك الحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

[٣] التورية هو أن يريد المتكلم بكلامه خلاف ظاهره، مثل أن يقول في الرحب: مات إمامكم، وهو ينوي به أحدا من المتقدمين. (كتاب التعريفات للجرجاني ص٩٧)

[٤] قال الإمام أحمد بن حنبل: الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق بالأمر بالمعروف بلا غلظة. (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ، ص ٨٠)

ألان له الكلام فقلت له: يا رسول الله: قلت ما قلت ثم ألنت له في القول. فقال: أي عائشة: إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه [١].

قال البخاري رحمه الله تعالى: وَيُذْكَرُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ إِنَّا لَنَكْشِرُ [٢] فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ [٣].

قال ابن حجر: الكشر بالشين المعجمة وفتح أوله ظهور الأسنان، وأكثر ما يطلق عند الضحك، والاسم الكشرة كالعشرة قال ابن بطال. المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول وذلك من أقوى أسباب الإلفة. وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط، لأن المدارة مندوب إليها والمداهنة محرمة، والفرق أن المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، وفسرها العلماء بأنه معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك [٤].

وقال ابن القيم: الفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة التلطف بالإنسان لتستخرج منه الحق أو ترده عن الباطل، والمداهنة: التلطف به لتقره على باطله وتتركه على هواه، فالمداراة لأهل الإيمان والمداهنة لأهل النفاق. مثال ذلك: رجل به

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب: ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب، حديث رقم: ٥٧٠٧ ، وكذلك: كتاب الأدب، باب: المداراة مع الناس حديث رقم: ٥٧٨٠ / صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: مداراة من يتقى فحشه، حديث رقم: ٢٥٩١

[٢] الكَشْر: ظهور الأسنان للضَّحِك. وكاشَرَه: إذا ضَحِك في وجْهه وباسَطه. والاسْم الكِشْرة، كالعِشْرة. [النهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة : {كشر}]

[٣] صحيح البخاري، كِتَاب الْأَدَبِ، باب الْمُدَارَاةِ مَعَ النَّاسِ، حديث رقم: ٢٧٨٠

[٤] فتح الباري، ج ١٠ ص ٥٢٩

قرحة، فجاء الطبيب الرفيق فتعرف حالها، ثم أخذ في تليينها حتى إذا نضجت بضها برفق وسهولة، فأخرج ما فيها ثم وضع عليها من الدواء ما يمنع الفساد ويقطع المادة، ثم تابع عليها المراهم المنبتة للحم، ثم ذر عليها ما ينشف الرطوبة، ثم شد عليها الرباط ولم يزل حتى صلحت، فهذا المداري. أما المداهن، فقال لصاحبها: لا بأس عليك منها، وهذا لا شيء، فاسترها عن العيون بخرقة، ثم الهُ عنها وهذا لما رأى من جزعه من بضها، فلم تزل مادتها تقوى وتستحكم حتى زادت موادها وعظم فسادها [١].

قال ابن وكيع:

من لم يدار الناس على علم بهم ... انصرفوا وكلهم له عدا [٢]

وقال محمد بن أبي شحّاذ الضبي :

إذا أنت أُعطيت الغنى ثم لم تجُد ... بفضل الغنى أُلْفيت مالك حامد

إذا أنت لم تعرُك بجنبك بعض ما ... يريب من الأدنى رماك الأباعد[٣]

وقال عقيل بن علفة المري :

وللدهر أثواب فكن في ثيابه ... كلبسته يوما أجدّ وأخلقا

وكن أكيس الكيسى إذا كنت فيهم ... وإن كنت في الحمقى فكن أحمقا[٤]

فعلى القريب البشاشة في وجه قريبه، والتلطف معه وإن كان لا يطيقه بغضا، فيمكن للزوجين قسيما الفراش الواحد أن يتعاشرا وأن تستمر حياتهما مع بغض أحدهما للآخر[٥] فمن باب أولى أن يتعاشر غيرهما من الإخوان والأهل والأقارب، ويمكن للبشاشة والابتسام وطلاقة الوجه أن تحول هذا القريب المبغض لك إلى محب

---

[١] كتاب الروح، ص٢٨١

[٢] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٦٦٥

[٣] شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ٢ ص ٧٤٣

[٤] شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ٢ ص ٦٩٦

[٥] انظر الخلافات بين الزوجين أسبابها آثارها علاجها ص

لك شاكر لفضلك وكرمك فالقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء. فعن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ[1].

## ٨- التغاضي والتناسي[2] والصفح عنهم:

عند حدوث خلاف بين قريبين عليهما المبادرة بالتصالح وطلب بعضهما من صاحبه العفو والإكثار من الزيارات في الأعياد والمناسبات وغيرها بغية امتصاص الغضب وإذهاب وحشة القلوب ووحر الصدور، والذي يبادر بالزيارة وطلب العفو أعظم أجرا من صاحبه، الذي عليه قبول اعتذاره وشكره على مبادرته الطيبة وأنه كان أولى به منها ولكن ذلك لكرم أصله وطيب عنصره.

وعفو المظلومين عن الظالمين ثمرة من ثمرات الإحسان، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[3] ظلم إنسان لآخر وتعديه عليه سببه الاختلاط بين بني البشر، قيل: لولا الإغضاء والنسيان، ما تعاشر الإنسان لكثرة الإضغان [4]. فعلى من أخطأ في حق أخيه أن يستسمحه وأن يتحلله طالبا منه العفو والسماح أو الأخذ بمظلمته قبل أن تؤخذ منه يوم القيامة فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ

---

[1] صحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: تصريف الله القلوب كيف يشاء، حديث رقم: ٤٧٩٨/ سنن الترمذي، كتاب: القدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بَاب مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْ الرَّحْمَنِ، حديث رقم: ٢٠٦٦

[2] هو الغفلة عن معلوم. (كتاب التعريفات للجرجاني ، ص٣٠٩)

[3] سورة آل عمران آية ١٣٤

[4] نثر الدر ج ٤ ص ١٥٤

**فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ** [١]. **فعلى الظالم الاعتذار وعلى المظلوم قبول عذر المعتذرين إليه** [٢] **وإن وغر في صدره إنهم غير صادقين في اعتذارهم ومن افتخار العرب عفوهم عن أهلهم وأقاربهم الظالمين لهم المقصرين في حقهم، قال مضرس بن ربعي الفقعسي:**

وإنا لنصفح عن مجاهل قومنا ونقيم سالفة العدو الأصيد
ومتى نخف يوما فساد عشيرة نصلح وإن نر صالحا لا نفسد
وإذا نموا صعدا فليس عليهم منا الخبال ولا نفوس الحسّد
ونُعين فاعلنا على ما نابه حتى نيسره لفعل السيد[٣]

**ولا يكن القريب في حقده وحبه للانتقام كالجمل الذي لا ينسى، فيتربص بمن اعتدى عليه الدوائر بغية الانتقام منه والأخذ بحقه.**

**فعليك أيها القريب التغاضي والتناسي وغفران الزلات ونسيان سيئات القريب وتذكر حسناته ، فالنواقص والمعايب في الإنسان شيء طبيعي، وتتبعها يترك المرء بلا قريب ولا صديق ، قال كثير:**

ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب[٤]
ومن يتبع جاهدا كل عثرة يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب[٥]

---

[١] صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، حديث رقم: ٦٠٥٣

[٢] قال الشاعر: (شواهد الكشاف ج ٤ ص ٤١٧)

إذا بدا من صاحب لك زلة فكن أنت محتالا لزلته عذرا

[٣] شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ٢ ص ٧٣١

[٤] قال النابغة الذبياني [شواهد الكشاف ج ٤ ص ٤١٧]:

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

[٥] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٦٦٥

وقال بشار:

إِذا كنْتَ في كُـلِّ الأمـورِ مـعاتباً صـديقَكَ لم تلقَ الـذي لا تعاتبهْ
فعشْ واحداً أو صِـلْ أخـاكَ فـإنه مـقارفُ ذنـبٍ مـرةً ومجانبهْ
وإن أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى ظمئتَ وأيُّ الناسِ تصفو مشاربهْ[1]
وما الشكلُ إلا حـسنُ ظنٍ بصاحبٍ خذولٍ إذا ما الدهرُ نابتَ نوائبهْ
ومن ذا الذي تُرْضى سجاياه كـلها كـفى المرءَ نبلاً أن تعدَّ معـايبهْ[2]

## ٩ ـ الملاينة والمطاوعة وخاصة عند حدوث الخلاف:

على القريب اللين في يد قريبه، وإن أبدى قريبه تعززا، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ[3].

وفي الحديث الآخر: المؤمن هين[4] لين، حتى تخاله من اللين أحمق[5].

---

[1] قال الشاعر [عيون الأخبار ج٣ص٩١]:
إذا أنت لم تستبق ود صحابة على دخن أكثرت بث المعايب

[2] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٧٣٠

[3] سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب: تسوية الصفوف، حديث رقم: ٥٧٠/ مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ٥٤٦٦

[4] الهوان على وجهين:
أحدهما: تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة، فيمدح به نحو قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (الفرقان/٦٣) ونحو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (المؤمن هين لين)
الثاني: أن يكون من جهة متسلط مستخف به فيذم به. وعلى الثاني قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ (الأنعام آية ٩٣)، ويقال: هان الأمر على فلان: سهل. قال الله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ (مريم/٢١)، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (الروم/٢٧)، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ (النور/١٥) . [مفردات ألفاظ القرآن. للأصفهاني، كتاب الهاء ، مادة: هان]

[5] الجامع الصغير، للسيوطي، حديث رقم: ٩١٥٩، وضعفه / كنز العمال، حديث رقم: ٦٩٠

وقالت العرب: إِذا عَزَّ أَخُوكَ فَهُنْ [(١)]. قال أبو عبيد: معناه مُيَاسَرتكُ صديقَك ليست بضَيْم يركبك منه فتدخلك الحميَّة به، إنما هو حسن خلُق وتفضّل، فإذا عاسَرَك فياسره [(٢)].

وقيل: لاَيِنْ إذَا عَزَّكَ مَنْ تُخَاشِنُ [(٣)].

وأوضح ذو الإصبع العدواني أن قريبه عمرا لو لان في يده لكان شأنهما شأنا آخر فقال:

يا عمرو لو لنت لي ألفيتني يسرا    سمحا كريما أجازي من يجازيني [(٤)]

ومن مناقب الرجال التي تذكر وتعد قلة الخلاف على الأصحاب، قال الحسن بن عيسى بن سرجس مولى ابن المبارك اجتمع جماعة مثل الفضل بن موسى ومخلد بن الحسين فقالوا: تعالوا نعد خصال ابن المبارك من أبواب الخير فقالوا العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والفصاحة والشعر وقيام الليل والعبادة والحج والغزو والشجاعة والفروسية والقوة وترك الكلام فيما لا يعنيه والإنصاف وقلة الخلاف على أصحابه [(٥)].

---

(١) مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني ج ١ ص ٢٢ ــ ٢٣

(٢) المثل لهُذَيل بن هُبَيرة التَّغْلبي، وكان أغار على بني ضبة فغنم فأقبل بالغنائم، فقال له أصحابه: اقْسِمْهَا بيننا، فقال: إني أخاف إن تشاغلتم بالاقتسام أن يدرككم الطلب، فأبوا، فعندها قال: إذا عزَّ أخوك فهُنْ، ثم نزل فقسم بينهم الغنائم.[مجمع الأمثال، للميداني ج ١ ص ٢٢ ــ ٢٣ / كتاب جمهرة الأمثال، ج ١ ص ٦٥]

(٣) مجمع الأمثال ، ج ٢ ص ٢١١

(٤) انظر ص ٣٥١ من هذا الكتاب

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٨ ص ٣٩٧

## ١٠ ـ دخول الشفاعات[1] عند حدوث المشاكل:

عند حدوث مشكلة بين أقارب عليهم السعي لحلها والعمل على تقارب وجهات النظر وتضييق دائرة الخلاف وإن استعصى الأمر، واتسع الخرق على الراقع وخيف من المقدرة على عدم جمع الشمل ورأب الصدع ولم الشعث عليهم الطلب من ذوي الرأي والحجا التدخل لحل خلافهما وفض نزاعهما.

وإذا ذهب قريب لسل سخيمة نفس قريبه وأتاه معتذرا ولم يقبل منه قريبه مبادرته وجبهه برفضه ورده، فلا يزهدنه ذلك في قريبه هذا، كما أن عليه عند حدوث ذلك أن يطلب من ذوي الخير والصلاح من الأهل والأقارب والأعيان الدخول بينه وبين قريبه وإصلاح ذات بينهما، وعليه اختيار المقبولين من الشفعاء وذوي التأثير على هذا القريب وترك ما دون ذلك.

وعلى القريب الذي جاءه قريبه معتذرا ورده ولم يقبل اعتذاره أن يستحي من فعله وأن يقبل شفاعة الشافعين وأن يعتذر عن تقصيره ، وأن يبين أن تصرفه السابق في رد اعتذار قريبه وعدم قبوله نزغة من نزغات الشياطين.

كما أن على الأقارب الذين رأوا أن بين قريبيهما سوء تفاهم وخلافا قد يؤدي إلى قطع أرحام وأن أحدهما ذهب معتذرا وأن الآخر لم يقبل منه عليهم الدخول في هذه الشفاعة ابتدأ لنيل الأجر والمثوبة من عند الله تعالى.قال الله تعالى ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾[2]

[1] الشافع الطالب لغيره، يتشفّع به إلى المطلوب، يقال: تشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه.[لسان العرب، مادة: شفع]

[2] سورة النساء آية ٨٥

وعن أَبُي بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا [١]. ولا يتوقع الشفعاء قبول شفاعتهم من غير كبير محاولات منهم فقد ترفض شفاعتهم فعليهم إعادة الكرة بعد المرة [٢].

ومن أمثلة إدخال الشفعاء ما قاله الأصمعي: كان لأبي الأسود الدؤلي صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم وكانت بينه وبين ابن عم له خصومة في دار له وأنهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكماه بينهما فقال له خصم صديقه إني بالذي بينك وبينه عارف فلا يحملنك ذاك على أن تحيف علي في الحكم وكان صديق أبي الأسود ظالما فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحق فقال له صديقه والله ما بارك الله لي في صداقتك ولا نفعني بعلمك وفقهك ولقد قضيت علي بغير الحق فقال أبو الأسود:

| | |
|---|---|
| إذا كنت مظلوما فلا تلف راضيـــا | عن القوم حتى تأخذ النصف واغضب |
| وإن كنت أنت الظالم القوم فأطرح | مــقالتهم واشغب بهم كل مشغــب |
| وقارب بذي جـــهل وباعد بــعالم | جلوب عــليك الحق من كل مجلــب |
| فإن حــدبــوا فاقعس وإن هـــم | تقاعسوا ليستمكنوا مما وراءك فاحدب |
| ولا تدعني للجور واصبر على التي | بها كنـــت أقــضي للبعيد علـــى أبي |
| فإني امرؤ أخشى إلـــهي وأتقـــي | مـــعادى وقد جـــربت مـــا لم تجرب [٣] |

---

[١] صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، حديث رقم: ١٣٤٢/ صـــحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، حديث رقم: ٤٧٦١

[٢] قال الأعشى ( ديوان الأعشى ص ١٠٥ ــ ١٠٦):

واستشفعت من سراة الحي ذا شرف ... فقد عصاها أبوها والـــذي شفعـــا

[٣] الأغاني ج ١٢ ص ٣٥٦ ــ ٣٥٧

## ١١ ـ البعد عنهم والاستغناء عما في أيديهم:

على القريب البعد عن أموال أقاربه وعدم النظر إليها والتعفف عن أخذها وإن عرضت عليه والبعد عن الأقارب نوعان:

### أ ـ البعد عنهم حسيا:

على القريب أن يبتعد عن أقاربه حسيا وذلك بسكناه بعيدا عنهم، ولا نريد أن نجتر ما قلناه عن التجاور[١]

### ب ـ البعد عنهم معنويا:

ونعني به الزهد عما في أيديهم[٢] وعدم النظر إليه، فهذا مما يحبب الناس بعضها في بعض، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ[٣].

وقال يونس بن عبيد عن الحسن البصري: لا تزال كريما على الناس أو لا يزال الناس يكرمونك مالم تعاط ما في أيديهم فإذا فعلت ذلك استخفوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك. وقال رجل من طي أو بني أسد:

داو ابن عم السوء بالنأي والغنى ... كفى بالغنى والنأي عنه مداويا[٤]

---

[١] انظر ص من هذا الكتاب.

[٢] قيل: ما سد فقرك مثل ذات يدك، أي لا تتكل على غيرك فيما ينوبك.(مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٢٠)

[٣] سنن ابن ماجة: كتاب الزهد، باب: الزهد في الدنيا، حديث رقم: ٤٠٩٢

[٤] داو أي عالج والنأي البعد يقول تباعد عن ابن عمك إذا كان رديا واستغن عنه فإنكما إذا تقاربتما تحاسدتما وتباغضتما وقوله كفى بالغنى والنأي الخ يريد أن التباعد عن ابن العم السيئ الخلق الرديء الفعل والاستغناء عنه نعم الدواء والعلاج.

جزى الله عني محصنا ببلائه وإن كان مولاي القريب وخاليا [١]

يسلُّ الغنى والنأي أدواء صدره ويبدي التداني بغضة وتقاليا [٢]

أعان علي الدهر إذ حك بركه كفى الدهر لو وكلته بي كافيا [٣]

وكان لأحيحة بن الجلاح بالزوراء ثلاثمائة ناضح، فدخل بستانا له، فمرّ بتمرة فلقطها فعوتب في ذلك. فقال: تمرة إلى تمرة تمرات، وجمل إلى جمل ذود، ثم أنشأ يقول:

إني مقيم على الزوراء أعمرها إن الكريم على الإخوان ذو المال

فلا يغرنْك ذو قربى وذو نسب من ابن عم ومن عم ومن خال

كل النداء إذا ناديت يخذلني إلا ندائي إذا ناديت يا مالي[٤]

وقال أحد أعراب بني تميم أو أبو العتاهية:

من تصدى لأخيه بالغنى فهو أخوه

فإن اضطرّ إليه رأى منه ما يسوه

يُكرم المثري وإن أملق أقصاه بنوه[٥]

---

[١] محصن هو ابن عمه الذي تأذى به يقول جزاه الله بفعله فينا جزاء يوافق عمله وإن كان متصل السبب بطرفي أبي وأمي.

[٢] السل النزع والأدواء جمع داء وعنى بها ما في الصدر من الحزازات والأحقاد يقول إن الاستغناء عنه والبعد ينزع الأمراض التي في قلبه وأن التداني والقرب منه يظهر العداوة والبغضاء ومعنى البيت كالمثل السائر فرق بين معد تحاب.

[٣] حك بركه البرك الصدر وإنما خص الصدر لأن البعير إذا وضع صدره على شيء فقد وضع ثقله عليه وكافيا آخر البيت: وكفى بالدهر وحده مهينا له والمعنى أنه لما رأى الدهر مشتدا على ابن عمه أعانه عليه. [شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ١ ص ٢١٤ـ ٢١٥]

[٤] مجموعة المعاني ج ١ ص ٥٨٨

[٥] قال النمر بن تولب رضي الله عنه [الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٥٤٣ ]:

لا تغضبن على امرئ في ماله وعلى كرائم صلب مالك فاغضب

لو رأى النـــاس نبيا سائلا ما وصـــلوه
وهمو لو طـــمعـــوا في زاد كلب أكلوه
لا تراني آخر الدهـــ ـــــر بتسأل أفوه
إن من يـــسأل غيـــ(١) ــر الله يكثر محرموه(٢)

## ١٢ ـ عدم السماح لأحد بالمفاضلة بين الأقارب:

تغنى رجل بحضرة الرشيد بشعر مُدح به علي بن ريطة وهو علي بن أمير المؤمنين المهدي فقال:

يا عـــلي أيا فتى العرب يا خـــير نام وخير منتسب
أعلاك جدّاك يا علي إذا قصّر جد في ذروة الحسب

ففتش عن المغني فوجده لم يدر فيمن الشعر فبحث عن أول من تغنى به فإذا هو عبد الرحيم الرقاص(٣) فأمر به فضرب أربعمائة سوط، وقال: أتنشد شعرا تفاضل فيه بيني وبين أخي(٤).

عن عوانة بن الحكم قال: دخل عقيل بن أبي طالب على معاوية بن أبي سفيان والناس عنده وهم سكوت فقال: تكلمن أيها الناس فإنما معاوية رجل منكم. فقال معاوية: يا أبا يزيد أخبرني عن الحسن بن علي؟ فقال: أصبح قريش وجها، وأكرمها حسبا. قال: فابن الزبير؟ قال: لسان قريش وسنانها إن لم يفسد نفسه. قال: فابن عمر؟ قال: ترك الدنيا مقبلة وخلاكم وإياها وأقبل على الآخرة وهو بعد ابن الفاروق. قال:

---

وإن تصبك خصاصة فارجُ الغنى وإلى الذي يعطي الرغائب فارغب

(١) قال عبيد بن الأبرص (العقد الفريد تحقيق مفيد قميحة ج ١ ص ٢٣٨ ــ ٢٣٩):

من يسأل الناس يحرموه وســـائـــل الله لا يخـــيب

(٢) نسبها ابن دريد في أماليه ص ١٦٦ ــ ١٦٧ إلى أحد الأعراب، ووردت في ديوان أبي العتاهية ص ٢٩٥

(٣) عبد الرحيم بن الفضل الكوفي الدفاف أبو القاسم كان منقطعاً إلى علي بن المهدي المعروف بأمه ريطة بنت أبي العباس.

(٤) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ٢ ص ٢٣ ــ ٢٤ / الوافي بالوفيات ج ٦ ص ١٤٥

فمروان؟ قال: أوه ذاك رجل لو أدرك أوائل قريش فأخذوا برأيه صلحت لهم دنياهم. قال: فابن عباس؟ قال: أخذ من العلم ما شاء. وسكت معاوية فقال عقيل: أأخبر عنك فإني بك عالم؟ قال: أقسمت عليك يا أبا يزيد لما سكت [١].

## ١٣ ـ ترك المنة عليهم:

أيها القريب: أحمد لله عز وجل الذي وفقك لفعل الخير الذي حرم منه غيرك فلا تفسده بالمن فانس ما صنعت في الناس من معروف وتذكر معروفهم عليك حتى ترده إليهم فهو دين في عنقك. قال بعض حكماء العرب لبنيه: إذا اتخذتم عند رجل يدا فانسوها. قال أبو عبيد: أراد حتى لا يقع في أنفسكم الطول على الناس بالقلوب ولا تذكروها بالألسنة. [٢]

قيل: أحيوا المعروف بإماتته [٣]. وقيل: المنة تهدم الصنيعة [٤]. وقيل: كتمان المعروف من المنعم عليه كفر وذكره من المنعِم تكدير له [٥]. وقال قيس بن عاصم: يا بني تميم اصحبوا من يذكر إحسانكم إليه وينسى أياديه إليكم [٦]. وقال امرؤ القيس :

أفسدت بالمن [٧] ما أسديت من حسن ليس الكريم إذا أسدى بمنان[٨]

---

[١] كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ص ٣٢٩

[٢] مجمع الأمثال ج ١ ص ٤١

[٣] الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ٨٥

[٤] الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ٨٥

[٥] الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ٨٥

[٦] الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج ١ ص ٨٥

[٧] قال سعيد بن محمد العثماني: شكا بعض الحزاميين إلى الأعمش اصطناعه المعروف إلى قرابة له وقلة شكره. فقال الأعمش كان يقال إذا قل الشكر حسن المن[الإشراف في منازل الأشراف، رقم: ٢٧١]

[٨] أدب الدين والدنيا ص ٣٢٧ ـــ ٣٢٨

## ١٤ ـ قبول أعذارهم والإقلال من عتابهم :

### أ ـ قبول أعذراهم:

قال الله تعالى عن يوسف قابلا اعتذار إخوته بعد أن فعلوا به ما فعلوا ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[1] قال الحافظ ابن كثير: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾ يقول أي لا تأنيب عليكم ولا عتب عليكم اليوم ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم ثم زادهم الدعاء لهم بالمغفرة فقال ﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ قال السدي اعتذروا إلى يوسف فقال ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾ يقول لا أذكر لكم ذنبكم[2].

وقال عمر بن الخطاب: أعقل الناس أعذرهم للناس[3]. وقال الحسن بن علي: لو أن رجلا شتمني في أذني هذه واعتذر لي في أذني هذه لقبلت عذره[4]. وقال الأحنف: إذا اعتذر إليك معتذر فلتلقه بالبشر[5]. وقال سالم بن وابصة الأسدي:

إذا شئت أن تدعى كريما مكرّما ... أديبا ظريفا عاقلا ماجدا حرا

إذا بدت من صاحب لك زلة ... فكن أنت محتالا لزلته عذرا[6]

وقال البحتري:

أقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا[1]

---

[1] سورة يوسف آية ٩٢

[2] تفسير القرآن العظيم (طبع دار الفكر) ج ٢ ص ٤٩٠

[3] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٧٢٦

[4] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٤٨٦

[5] بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٤٨٦

[6] شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ٢ ص ٦٩٤

فعلى الأقارب التماس العذر لأقاربهم كما قال عمر بن الخطاب: لا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها من الخير محملا [٢]. وقال عمر بن عبد العزيز لابنه: يا بني! إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم فلا تحملها على شيء من الشر، ما وجدت لها محملا من الخير [٣].

كما أن على القريب أن لا يتخذ الاعتذار مطية يكثر منها فالمعاذر لا تخلو من الكذب، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: المعاذر مكاذب [٤]. وقيل اعتذر رجل لإبراهيم النخعي فقال له: قد عذرتك غير معتذر إن المعاذر يشوبها الكذب [٥]. وقد يهدم القريب اعتذاره بسوء عرضه وطريقة تقديمه للاعتذار وعدم تحسينه له فقد اعتذر رجل إلى أبي عبيد الله الوزير فأساء الاعتذار، فقال أبو عبيد الله: ما رأيت اعتذارا أشبه باستئناف ذنب من هذا [٦].

## ب ـ الإقلال من العتاب:

قال الأحنف: العتاب مفتاح التقالي والعتاب قرين الحقد [٧]. قال العتابي: ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ، وضربة الناصح خير من محبة الشانئ [٨]. وقال

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٤٨٧

(٢) نثر الدر ج٢ص٤٣

(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص٣١٢

(٤) المعاذر مكاذب ، والمعاذر جمع معذرة ، والمكاذب جمع الكذب ، كالمحاسن جمع الحسن.(مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٢٨)

(٥) يقال : معذرة ومعاذر ومعاذير.(مجمع الأمثال ج ١ ص ٢١)

(٦) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٤٨٨

(٧) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٧٢٦

(٨) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٧٢٦

أسماء بن خارجة: الإكثار من العتاب داعية الملال [(١)].

والعتاب إن لم يكن صفة غالبة على المرء فيه فائدة وترجى منه ثمرة، قال هشام الرقاشي:

أبلغ أبا مسمع عني مغلغة  وفي العتاب حياة بين أقوام

قدمت قبلي رجالا لم يكن لهم  في الحق أن يلجوا الأبواب قدامي [(٢)]

لو عد قبر وقبر كنت أكرمهم  قبرا وأبعدهم من مترل الذام [(٣)]

وقال العباس بن الأحنف:

لولا محبتكم لما عاتبتكم  ولكنتم عندي كبعض الناس [(٤)]

أما إذا كان العتاب سمة دائمة وأمر لازم للقريب فيعاتب الصغير والكبير والذكر والأنثى والرجل والمرأة لماذا لم تأتوا إليّ ولماذا قصرتم في حقي ؟ ولماذا قلتم كذا ؟ ولماذا فعلتم كذا ؟ وإلى آخر هذه المحاسبة. فإن مثل هذا القريب ينفر منه أقاربه ويلوذون منه فرارا. وهو بمعاتبته هذه يزيد الشقة بينه وبين أقاربه ويوسع الهوة.

---

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٧٢٦

(٢) قال المتنبي [ديوان المتنبي دار الجيل بيروت (ب.ت) ص ٣٣٩ ]:

لعل عتبك محمود عواقبه  فلربما صحت الأجسام بالعلل

(٣) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص٧٢٧ / شرح ديوان حماسة أبي تمام للمعري ج ٢ ص ٦٧٩

(٤) بهجة المجالس لابن عبد البر القسم الأول المجلد الثاني ص ٧٢٨

## ١٥ ـ ترك الغمز واللمز والتعريض:

الغمز الإشارة بالعين والحاجب والجفن، غمزه يغمزه غمزا قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ [١] يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢] ومنه الغمز بالناس، قال ابن الأثير: وقد فسر الغمز في بعض الأحاديث بالإشارة، كالرَّمْز بالعَين أو الحاجب أو باليَدِ [٣].

اللمز: كالغمز في الوجه تلمزه بفيك، بكلام خفي، قال الله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [٤] أي يحرك شفتيه، ورجل لمزة: يعيبك في وجهك، ورجل همزة يعيبك بالغيب. قال الزجاج: الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ويغضهم [٥].

فعلى الأقارب ترك الغمز واللمز والطعن، لأنها توحش الصدور وتوقر القلوب وعليهم أن يتقوا الله وأن يقولوا قولا سديدا.

## ١٦ ـ نصيحة [٦] السفهاء من الأقارب وموعظتهم [٧] والأخذ على أيديهم:

على حلماء الأقارب وحكمائهم[٨] وذوي الألباب والنهى منهم الأخذ على أيدي

---

[١] يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم. وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرين لهم. [تفسير القرآن العظيم، (دار الفكر) ج ٤ ص ٤٨٨]

[٢] سورة المطففين آية ٣٠

[٣] النهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة: {غمز}

[٤] سورة التوبة آية ٥٨

[٥] لسان العرب، مادة: لمز

[٦] النصيحة: هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد. (كتاب التعريفات للجرجاني ص ٣٠٩)

[٧] الموعظة: هي التي تلين القلوب القاسية وتدمع العيون الجامدة وتصلح الأعمال الفاسدة.(كتاب التعريفات للجرجاني ص ٣٠٥)

[٨] الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. (لسان العرب، مادة:حكم)

سفهاء[١] الأقارب من النساء والأطفال وغيرهم ، فالسفهاء يوقدون الفتنة لعدم تقديرهم الأمور تقديرا صحيحا فعلى العقلاء الأخذ على أيدي السفهاء الساعين لفتق الرتوق وتوسيع الشقوق ولو تم ذلك بزجرهم وقدعهم لانتهت كثير من مشاكل الأقارب فسفهاء الأقارب من ضعاف العقول من الرجال ومن الصبيان والنساء لو أعطوا مقود الأمر لأفسدوا كثيرا فالسفيه حمار يستجيش أحمرة أخرى في النهيق ونحوه فلو أنه أستعيذ بالله من شره وأخذ على يده لذهب النهيق[٢]وطفئت الفتن في مهدها ومن أمثال العرب: بال حمار فاستبال أحمرة. أي حملهن على البول. يضرب المثل في تعاون القوم على ما تكرهه [٣].

ومن مذام العرب للمرأة وجود صفات يحذر أولهم منها آخرهم ومنها إثارتها الفتنة وتتبعها الأشياء وتقصيها الأمور والسعي لإيصالها إلى نهايتها، قال الحجاج للغضبان الشيباني: أخبرني بشر النساء قال: أصلح الله الأمير شرهن الصغيرة النقبة الحديدة الركبة السريعة الوثبة الواسطة في نساء الحي التي إذا غضبت غضب لها مائة وإذا سمعت كلمة قالت لا والله لا أنتهي حتى أقرها قرارها التي في بطنها جارية وتتبعها جارية وفي حجرها جارية قال الحجاج على هذه لعنة الله [٤].

وقال هاني بن النضر مر رجل بقوم فشتمه سفيههم فقال :

---

[١] السفه: عبارة عن خفة تعرض للإنسان من الفرح والغضب فتحمله على العمل. بخلاف طور العقل وموجب الشرع. (كتاب التعريفات للجرجاني ص ١٥٨)

[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا.[صحيح البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، حديث رقم: ٣٠٥٨ / صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب الدعاء عند سماع الديك، حديث رقم: ٤٩٠٨]

[٣] المستقصى من أمثال العرب، ج ٢ ص ٥ / مجمع الأمثال ج ١ ص ١٣٣

[٤] جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٤١٢ ــ ٤١٤

يا أم عمرو ألا تنهوا سفيهكم    إن السفيه إذا لم ينه مأمور[١]

ومن أمثلة زجر سفهاء الأقارب وكفهم عن سفههم وردعهم عن استطالة بعضهم على بعض ما قاله أبو حاتم رحمه الله عن العتبي قال حدّثني أبي قال: حدّثني رجل من أهل الشام عن الأبرش الكلبي أنه سمع الوليد بن عقبة وعمرو بن سعيد بن العاص يتلاحيان في مجلس معاوية – رضي الله عنه – فتكلم الوليد، فقال له عمرو: كَذبت أو كُذبت، فقال له الوليد: اسكت يا طليق اللسان منزوع الحياء، ويا ألأم أهل بيته، فلعمري لقد بلغ بك البخل الغاية الشائنة المذلة لأهلها، فساءت خلائقك لبخلك، فمنعت الحقوق، ولزمت العقوق؛ فأنت غير مشيد البنيان، ولا رفيع المكان؛ فقال له عمرو: والله إن قريشاً لتعلم أني غير حلو المذاقة، ولا لذيذ الملاكة، وإني لكالشجا في الحلق؛ ولقد علمت أني ساكن الليل داهية النهار، لا أتبع الأفياء، ولا أنتمي إلى غير أبي، ولا يجهل حسبي، حامٍ لحقائق الذمار؛ غير هيوبٍ عند الوعيد، ولا خائفٍ رعديد، فلم تعير بالبخل وقد جبلت عليه، فلعمري لقد أورثتك الضرورة لؤماً، والبخل فحشاً؛ فقطعت رحمك، وجرت في قضيتك، وأضعت حق من وليت أمره؛ فلست ترجى للعظائم، ولا تعرف بالمكارم، ولا تستعف عن المحارم؛ لم تقدر على التوفير، ولم يحكم منك التدبير، فأُفحم الوليد. فقال معاوية – وساءه ذلك – : كفا لا أبا لكما، لا يرتفع بكما القول إلى ما لا نريد[٢].

---

[١] الإشراف في منازل الأشراف ، لأبي بكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي، المعروف بابن أبي الدنيا، مكتبة الرشد، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، تحقيق: د. نجم عبد الرحمن خلف، ص ١٥١ رقم: ٩٩

[٢] الأمالي للقالي ص ٧٩٧ ــ ٧٩٨

## ١٧ ـ المكافأة [١] على المعروف:

أمر الله عز وجل بتبادل المعروف والإحسان مع الناس فقال : ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ[٢] إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝ ﴾[٣] وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ [٤]. وعدم شكر الناس دليل على عدم شكر الله عز وجل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ [٥]. فعلى الأقارب الاهتمام بهذا الأمر وعدم إغفاله.

## ١٨ ـ التوسعة لهم في المجالس:

عن عمرو بن دينار قال: قال ابن عباس: لجليسي عندي ثلاثة: إذا أقبل رحبت به، وإذا قعد أوسعت له، وإذا حدث أنصت لحديثه، واستمعت منه [٦]. قال سليم بن عامر:

---

[١] المكافأة: هي مقابلة الإحسان بمثله أو بزيادة. (كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢٩٢)

[٢] أي لا لمن أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه في الآخرة كما قال تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾ [تفسير القرآن العظيم، (دار الفكر) ج ٤ ص ٢٧٩]

[٣] سورة الرحمن آية : ٦٠

[٤] سنن النسائي، كتاب: الزكاة، باب: من سأل بالله، حديث رقم: ٢٥٢٠ / سنن أبي داود، كتاب : الزكاة ، باب : عطية من سأل بالله ، حديث رقم : ١٤٢٤

[٥] سنن أبي داود، كتاب الأدب باب: في شكر المعروف، حديث رقم : ٤١٧٧ / سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، حديث رقم : ١٨٧٧

[٦] كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ٦٦

من أتى قوما فوسعوا[١] له فليقبل فإنما هي كرامة[٢] أهديت إليه له وإلا فلا يجالسهم[٣]. وكان الأحنف بن قيس إذا جاء قادم وكان المكان ضيقا أراه أنه يوسع له، وفي هذا إرضاء لنفس هذا القادم واحترام له، كما أن على من وسع له في المكان، أن لا يجلس عليه متربعا مضايقا للآخرين، قيل: اثنان ظالمان رجل أهديت إليه النصيحة فاتخذها ذنبا ورجل وسّع له في مكان ضيّق فقعد متربعا [٤]. كما أن على القادم ألا يقيم أحدا من مكانه لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك. فعَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ [٥].

## ١٩ـ دعوتهم بأحب الأسماء إليهم وعدم نبزهم بألقاب تغضبهم:

على القريب أن لا يحفظ قريبه ولا يغضبه بمناداته بألقاب لا يحبها ومسميات لا يرضاها ، فعَنْ عَامِرٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو جَبِيرَةَ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي بَنِي سَلَمَةَ ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ ﴾ [٦] قَالَ قَدِمَ عَلَيْنَا

---

[١] عن أبي محمد اليزيدي: قال: أتيت الخليل بن أحمد في حاجة، فقال لي: هاهنا يا أبا محمد! فقلت: أضيّق عليك. قال: إن الدنيا بحذافيرها تضيق عن متباغضين، وإن شبرا في شبر لا يضيق عن متحابين. (الجامع للخطيب ج ١ ص ٢٦٦)

[٢] عن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عباس : ثلاثة لا أقدر على مكافأتهم : رجل جئت ظمآن فسقاني ، ورجل ضاق بي مجلسي فأوسع لي ، ورجل اغبرت قدماه في الاختلاف إلى بابي ، ورابع هو أعظمهم حقا عليَّ : رجل بات ساهرا يعرض الناس على نفسه فأصبح لا يجد له في حاجته معتمدا سواي. (كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ٦٦)

[٣] الجامع للخطيب ج ١ ص ٢٦٦

[٤] الجامع للخطيب البغدادي ج ١ ص ٢٦٧

[٥] صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، بَاب لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، حديث رقم: ٥٧٩٨/ صحيح مسلم، كتاب السلام، باب: تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه، حديث رقم: ٤٠٤٤

[٦] سورة الحجرات آية ١١

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَا فُلَانُ فَيَقُولُونَ مَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا الِاسْمِ فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَبِ ﴾ [1] بل عليه دعوته بأحب الأسماء إليه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ثلاث يثبتن لك الود في صدر صاحبك: أن تبدأه بالسلام وأن توسع له في المجلس وأن تدعوه بأحب الأسماء إليه [2].

وقال علي: ثلاث من كن فيه استوجب بهن أربعا: من إذا حدث الناس لم يكذبهم، وإذا وعدهم لم يخلفهم، وإذا خاطبهم لم يظلمهم، فإذا فعل ذلك وجبت أخوته، وكملت مروءته، وحرمت غيبته، وظهر عدله [3].

## ٢٠ ـ الإذعان والإقرار لهم عند ظلم الفرد لهم وتخييرهم بأن يفعلوا ما يشاءون من قصاص أو عفو:

عند استطالة أحد الأقارب على قريبه بيده أو لسانه على المعتدي أن يسعى لرتق ما فتق ولم شعث ما بثق وذلك بالاعتذار والتنصل مما حدث منه وإيضاح أن الذي حدث منه لم يكن بطوعه ولا اختياره وأن هذا الأمر حدث غصبا منه ورغما عنه وأنه الآن مستعد لتمكين أقاربه من نفسه وعليهم أن يقتصوا منه كما يشاءون وكما يريدون فإن شاءوا ضربوا وإن شاءوا غرموا وإن شاءوا شتموا ومن ذلك ما أخبر به الكلابي قال: قاتلت بنو عم لي بعضهم بعضا فجعل بعضهم ينضم إلى بعض لواذا مني وليس لي في ذلك هجير إلا قولي:

قد جعلت تأوي إلى جثمانها    وكرَّسها العادي من أعطانها

فلما طلبوا القصاص قلت دونكم يا بني عمي حقكم فنحن اللحم وأنتم الشفرة إن

---

[1] سنن أبي داود : كتاب الأدب ، باب : في الألقاب ، حديث رقم : ٤٣١١

[2] موسوعة نضرة النعيم ج ٢ ص ٤٦٢

[3] كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ص ٣٦٧

وهبتم شكرت وإن اعتقلتم عقلت[١] وإن اقتصصتم صبرت [٢].

ويكون القريب المظلوم والمستطال عليه منتظرا لمثل هذا الأمر أو على الأقل منتظرا لاعتذار قريبه له فعلى القريب أن يعتذر وأن يسل سخيمة نفس قريبه وبعكس ذلك قد يحدث تمكن الحقد من القريب المظلوم ومحبته للانتقام وقد صور لنا ذلك كله أخضر بن عباد المازني وهو جاهلي فقال:

لقد طال إعْراضي وصَفْحي عن التي أُبَلَّغُ عنكْم، والقُلوبُ قُــلوبُ
وطال انْتظاري عَطْفَةَ الحِلْمِ عــنكمُ ليَــرْجِعَ وُدٌّ، والمــَعادُ قــريبُ
ولستُ أَراكُــمْ تُحْرِمونَ عــن التي كرِهْتُ، ومنها في القُلوب نُدُوبُ
فلا تأمَــنُوا منّي كَــفاءةَ فِــعْلِكُمْ فيَــشْمَت قِتْل أَو يُساء حبيبُ
ويَــظْهَرَ منّا في المَــقــالِ ومــنكُمُ إذا ما ارْتَمَيْنا في المَقال، عُيوبُ[٣]

كما أن من استطال على الأقارب قد يكون راضيا بهذا الفعل بعقوبة العشيرة له أو اقتصاصها منه، [٤]قال أحدهم:

وَهَبْتُ لقَومِي عَفْجَة في عَباءَة ومن يَغْشَ بالظُّلم العَشيرةَ [٥]يُعْفَجِ[٦]

---

[١] العين والقاف واللام أصلٌ واحد منقاس مطرد، يدلُّ عُظْمُه على حُبْسة في الشَّيء أو ما يقارب الحُبْسة. من ذلك العَقْل، وهو الحابس عن ذَميم القَول والفِعل.[معجم مقاييس اللغة، باب العين والقاف وما يثلثهما في الثلاثي مادة: (عقل)]

[٢] المستطرف ج ١ ص ٤٢٢

[٣] لسان العرب، مادة: حرم

[٤] قال يزيد بن الحكم الثقفي :

وَمَن يَتَخَمَّــط بالمَظالِمِ قَومُهُ وَإن كَرُمَت فيهِم وَعَزَّت مَناصِبُهْ
يُخَدَّش بِأَظفارِ العَشيرَةِ خَدُّهُ وَيُجــرَحْ رَكوباً صَفحَتاهُ وَغارِبُهْ

[٥] عَفَجَه بالعصا يَعْفِجه عَفْجاً: ضربه بها في ظهره ورأْسه؛ وقيل: هو الضرْب باليد.

[٦] لسان العرب، مادة : عفج

## ٢١ ـ الاستفادة من سفهاء [1] الأقارب في الرد على أمثالهم:

قد يكون قريب من الأقارب له تفلت نحو الشر وتنزع نحو الانتقام من الآخرين وحب لافتعال المشاكل والعيش فيها فليحاول عقلاء الأقارب استصلاحه وعلاجه وكف شره وإن أعيا أمره العقلاء وأعجز النطاسي من الأطباء فيمكن أن يستفيد عقلاء الأقارب من هذا السفيه في رده على سفهاء أقوام آخرين ومن أقوالهم في هذا الشأن: ذل قوم لا سفيه لهم. قال العجلوني: قيل: خاب قوم لا سفيه لهم. رواه ابن أبي الدنيا في الحلم له عن سعيد بن المسيب بلفظ إن رجلا استطال على سليمان بن موسى فانتصر له أخوه، [2] فذكره مكحول، لكن بلفظ ذل من لا سفيه له، ورواه البيهقي في الشعب، بلفظ لقد ذل من لا سفيه له، وله أيضا عن صالح بن جناح أنه قال اعلم أن من الناس من يجهل إذا حلمت عنه، ويحلم إذا جهلت عليه، ويحسن إذا أسأت به، ويسيء إذا أحسنت إليه، وينصف إذا ظلمته، ويظلمك إذا أنصفته، فمن كان هذا خلقه فلا بد من خلق ينصف من خلقه، ثم فجة تنصر من فجته، وجهالة تفزع من جهالته، ولا أب لك، لأن بعض الحلم إذعان، فقد ذل من ليس له سفيه يعضده، وضل من ليس له حليم يرشده، ولابن أبي الدنيا عن ابن عمر أنه كان إذا خرج في سفر أخرج معه سفيها، فإن جاء سفيه رده عنه، وعن أبي جعفر القرشي قال اعتلج فتية من بني تميم يتصارعون والأحنف ينظر إليهم فقالت عجوز من تميم ما لكم أقل الله عددكم، فقال لها مه، تقولين ذاك، لولا هؤلاء لكنا سفهاء، أي أنهم يدفعون السفهاء عنا، وروى البيهقي في مناقب الشافعي عن الربيع والمزني أنهما سمعا الشافعي يقول لا بأس بالفقيه أن يكون معه سفيه يسافه عنه، ولكن قال المزني بعده إن من أحوجك الدهر إليه فتعرضت له

---

[1] السفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل، وأصله من قولهم ثوب سفيه أي خفيف النسج.[فتح الباري ، ج ٨ ص ١٧١ / تفسير القرطبي ج ٢ ص ١٤٨]

[2] عن ابن شوذب قال كنا عند مكحول ومعنا سليمان بن موسى فجاء رجل فاستطال على سليمان وسليمان ساكت فجاء أخ لسليمان فرد عليه فقال مكحول لقد ذل من لا سفيه له.[كشف الخفاء ، حديث رقم: ١٣٤٣]

هنت عليه، وهو صحيح مجرب في السفهاء، ومن أحسن ما قيل:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

وفي المجالسة للدينوري من حديث محمد بن المنذر بن الزبير بن العوام وكان من سروات الناس أنه قال ما قل سفهاء قوم قط إلا ذلوا، ومن حديث الأصمعي قال قال المهلب لأن يطيعني سفهاء قومي أحب إلي من أن يطيعني حلماؤهم [١].

ومن أمثال العرب قولهم: يعد لكلب السوء كلب يعادله. يقال ذلك عند الاستعانة بالسفيه ليدفع به شر مثله وهو من شعر لعمرو بن أوس وأوله:

فرحت بخلفي يوم برك وربما يعد لكلب السوء كلب يعادله [٢]

وقال رجل من غطفان :

إِذا أنتَ لم تستبقْ ود صحابة على دَخَنٍ أكثرتَ بثَّ المعاتبِ

وإِني لأستبقي امرأ السوءِ عدةً لعدوةِ عريضٍ من الناسِ عائبِ

أخافُ كلابَ الأبعدينَ ونبحِها إذا لم تجاوبْها كلابُ الأقاربِ [٣]

مما سبق رأينا أن سفهاء الأقارب لهم فضل في الحفاظ على مكانة حلماء الأقارب وأنهم ينتصرون لهم ويذبون عنهم في أحلك الظروف وأحرج المواقف الخاصة بهم وليس هذا مبررا للسفه والتسافه من قبل السفهاء بل على من وصف بذلك واتسم بهذا أن يربأ بنفسه عن ذلك وألا يكون كلبا هرارا عن صاحبه وليعلم أن لكل رفقة كلب يدافع عنهم وينافح عنهم فليحذر أن يكون هو كذلك قال إبراهيم بن فهد: سمع سفيان رجلا يتبذأ على رفقائه فقال إن لكل رفقاء رفقة كلب فان استطعت أن لا تكونه فافعل [٤].

---

[١] كشف الخفاء، حديث رقم: ١١٨٩

[٢] جمهرة الأمثال ج ٢ ص ٤٣٥ ، مثل رقم : ١٩٧٠

[٣] جمهرة الأمثال ج ٢ ص ٤٣٥ ، مثل رقم : ١٩٧٠

[٤] حلية الأولياء ج ٧ ص ٢٨٨

بل على من وصف بالسفه إن امتطاه أحد حلماء العشيرة أو زعمائها في الدفاع عن عرضه والذب عنه مرة أو مرتين عليه أن يتوب وأن يرجع وأن يربأ بنفسه عن ذلك وأن يستنكف وأن يحمى وأن يغضب وأن يغار أن يوصف بأنه كلب يهارش عن أصحابه.

## ٢٢ـ إمكانية تعايش الأقارب المتعادين مع بعضهم:

يمكن للأقارب المتعادين أن يتعايشوا مع بعضهم مع بغض كل واحد للآخر شريطة أن يكف كل واحد عن الآخر شره من يد ولسان فالناس يتعاشرون مع البغضاء والشنآن بالمداراة ومن الأمثلة لذلك قول طليحة بن خويلد لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما كل البيوت بنيت على الحب ولكن صفحة جميلة فإن الناس يتصافحون على الشنآن [١].

مع إمكانية التعايش مع البغض فإننا نجد الفرق البين في المجلس المنشرح أصحابه صدورهم المتآلفة قلوبهم ومع المجلس المتنافرة صدور أصحابه المتباغضة قلوبهم فالأول نجد فيه الانشراح وسعة الصدر والتقارب الجسدي والروحي والثاني نجد فيه الضيق والتبرم والبعد الحسي والمعنوي قال الأصمعي: دخلت على الخليل وهو قاعد على حصير صغير فأومأ لي بالقعود فقلت أضيق عليك قال مه إن الدنيا بأسرها لا تتسع متباغضين وإن شبرا في شبر يسع متحابين [٢].

ومع ذلك فالقلوب تحوي ما تحوي من حب وكره تجاه الآخرين ولكن التعامل مع الجميع من محبوب ومن مبغوض قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي

---

[١] انظر: الإصابة لابن حجر، ترجمة رقم: ٤٢٩٤ / كتاب التوابين ص ١٣٣ ـــ ١٣٤

[٢] كشف الخفاء، للإمام العجلوني ، حديث رقم : ٢٢١٧

**لهب[١] مصورا علاقة بني هاشم مع بني أمية وأنهم متعايشون مع ما بهم من ترات وعداوات وعدم حب منهم لهم وعدم لومهم على عدم حبهم لهم يقول:**

مــهلا بني عــمنا مهلا موالينا     لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا[٢]

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم     وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا[٣]

مهلا بني عمنا عن نحت أثلتنا     سيروا رويدا كما كنتم تسيرونا[٤]

الله يــعلم أنا لا نــحبــكم     ولا نــلومــكم أن لا تــحبونا[٥]

كل له نية في بــغض صاحبه     بنــعمة الله نــقليكم وتقلونا[٦]

## ٢٣ ـ الحذر من مخالفة القول الفعل في خلافات الأقارب:

**هذا السبب ذكرناه من أجل أن يكون جزء من دراستنا تطبيقيا، وذلك بعد أن مرت علينا نصوص نظرية تدعو للإلفة وترك التناحر ونجد بعض حكماء العرب**

---

(١) كان الفضل أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم المعدودين وهو هاشمي الأبوين وكانت له آثار حميــدة وأشعار جيدة وهو شاعر إسلامي مجيد وكانت له صحبة حسنة مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهذا الــشعر يخاطب به بني أمية

(٢) أي رفقا بنا يا بني عمنا قيل يريد التهكم بهم ويجوز أن يكون قد رآهم ابتدئوا في أمر لم يؤمن معه تفاقم الشقاق فاسترفقهم لذلك وذكر الدفن والنبش استعارة في الإظهار والكتمان يقول ارفقوا بنا يا بني عمنا وذوي رحمنــا ولا تكشفوا ما هو مدفون بيننا

(٣) أن تهينونا أي في أن تهينونا فأوصل الفعل بنفسه يقول لا تطمعوا أنكم إذا أهنتمونــا قابلنــاكم بــالإكرام وإذا آذيتمونا قابلناكم بالكف عن الأذى

(٤) يقال نحت أثلته إذا ذمه وتنقصه وقوله كما كنتم تسيرون أي ارجعوا إلى سيرتكم الأولى يقول كفوا عن ذمنــا وتنقصنا وسيروا معنا كما كنتم أول الأمر

(٥) أنا لا نحبكم إلى آخره معناه أنا قد أبغضناكم فلا لوم عليكم إن أبغضتمونا

(٦) إنما جعل بغض كل طائفة منهم للأخرى نعمة من الله تعالى عليهم لأنهم مع التباغض يتفرقون وفي تفرقهم صلاح لهم وفي قرب بعضهم من بعض مضرة عليهم [الحماسة ج ١ ص ٧٤ ــ ٧٥]

أسهموا في ذلك ولكنهم أخفقوا في التطبيق الفعلي ومن هذا الصنف (ذو الإصبع العدواني، ويزيد بن الحكم).

ونجد لذي الإصبع حكما وعبارات كثيرة تناقلها أهل العلم منها أنه لما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدا فقال له يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عني ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم واسمح بمالك واحم حريمك وأعزز جارك وأعن من استعان بك وأكرم ضيفك وأسرع النهضة في الصريخ فإن لك أجلا لا يعدوك وصن وجهك عن مسألة أحد شيئا فبذلك يتم سؤددك. ثم أنشأ يقول:

أَأُسَيدُ إن مـــالاً مَلَكْ ... ت فَسِر بِه سَيراً جَميلا
آخِ الكِرامَ إِنِ استَطَعْ ... ت إِلى إِخائِهِم سَبيـــلا
فَاحفَظ وَإِن شَحَطَ المَزا ... رُ أَخا أَخيكَ وَالزَميلا
أَهِنِ اللئـــامَ وَلا تَكُن ... لِإِخائِهِم جَمَلاً ذَلـــولا
وَصِلِ الكِرامَ وَكُن لِمَن ... تَرجـــو مَوَدَّتَهُ وَصولا
واشرب بكأسهم وإن ... شربوا به السم الثميلا[1]

فنجد أن ذا الإصبع قد أوصى ولده بصفات من يريد أن يكون ابنه سيدا يصدر الناس عن رأيه وزعيما لا ينازع فهو قد أوصى ابنه بأمور كثيرة في هذه الوصية نجتزئ منها بالآتي:

. إلانة الجانب وأنها سبب لحب العشيرة وللتواضع وأنها سبب للرفعة وبسط الوجه وطلاقته وأنها سبب لطاعة العشيرة له وإكرام الصغار حتى ينشئوا على اعتقاد مودته والسماحة بالمال وبذله في وجوه المعروف مع عدم سؤال أحد شيئا والانتماء

---

[1] جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١٢٠ / الأغاني ج ٣ ص ٩٤٨ (طبعة الشعب)

للعشيرة والدفاع عنها وعدم التنصل عنها.

. بين له أن حفظه لهذه الوصايا والعمل بها يكون سببا في سيادته وزعامته وأنه سيبلغ ما بلغه والده من قبل إن عمل بهذه الوصايا.

أما يزيد بن الحكم الثقفي وهو من فحول الشعراء كما مر بنا فقد وعظ ابنه بدرا بعظات بليغة يقول له فيها:

يا بـــدر والأمثال يضـــ    ربها لذي اللـــب العليـــم(١)

دم للخليـــــل بـــوده    ما خـــير ود لا يـــــدوم(٢)

واعرف لجارك حقـــه    فالحـــق يعرفـــه الكـــريم(٣)

واعلم بان الضيـــف يو    ما سوف يحمد أو يلـــوم(٤)

والنـــاس مبتنيـــان محـــ    ـــمود البناية أو ذميـــم(٥)

واعـــلـــم بني فـــإنـــه    بالعلـــم ينتفـــع العليـــم(٦)

إن الأمـــور دقيقـــهـــا    مما يهيج لـــه العظيـــم(١)

---

(١) قوله والأمثال يضربها جملة معترضة بين المنادى وبين قوله دم ونبه بهذا الاعتراض على أن وصيته وصية حكيم

(٢) ومعنى البيتين يا بدر والأمثال لا تبين إلا لذوي العقول لفهمهم معانيها إذا اخترت أحدا لصداقتك فكـــن لـــه مخالطا وثابتا على الود فإن الذي لا دوام لوده لا خير فيه

(٣) هذا يجري مجرى المثل وفيه حض على تعرف حق الجار ومواساته والمعنى فيجب عليك أن تعرف حق جارك ولا يعرف الحق غير الكريم

(٤) هذه الوصية قد عللها بقوله سوف يحمد أو يلوم يقول أحسن إلى الضيف وقم بما يجب له عالما بأن نزوله بـــك يجلب لك حمدا إن أحسنت إليه ولوما وذما إن قصرت في حقه يريد واعلم بأن ضيفك إن تقم بحق كرامتـــه أثـــنى عليك وإن أهملت أمره ذمك

(٥) محمود البناية الخ بدل مما قبله والمعنى أن الناس صنفان منهم من يحمد ومنهم من يذم وذلـــك موقـــوف علـــى أخلاقهم وأحوالهم

(٦) فإنه بالعلم الخ الهاء ضمير الشأن والجملة اعتراض بين اعلم ومفعوليه والمراد بالعلم استعماله لأن من علم طرق الرشاد ثم لم يسلكها كانت معرفته بها وبالا عليه

والبغـــي يصرع أهلـــه والظلـــم مرتعه وخيـــم[٢]
ولقد يكون لك البعـــ يد أخا ويقطعك الحميم[٣]
والمـــرء يُكـــرم للغـــنى ويهـــان للعَدَم العـــديم[٤]
قد يُقتر الحَـــوِل التقـــي ويُكثـــر الحمق الأثيم[٥]
والمرء يبخل في الحقوق وللكـــلالة ما يُسيـــم[٦]
ما بخلُ من هـــو للمنـــو ن وريبها غَرَض رجيم[٧]

---

[١] المعنى أن الشر يبدؤه أصغره كما أن السيل أوله مطر ضعيف وهذا الكلام فيه حض على النظـــر في أعقـــاب الأمور قبل الشروع فيها

[٢] البغي تجاوز الحد والوخيم الثقيل الذي لا بمريء والمعنى أن البغي مهلك والظلم وبيء أي لا بد للظالم أن يؤخذ يوما بظلمه

[٣] الحميم القريب الذي تهتم لأمره والمعنى لا تثق بعهود الأيام والليالي فقد يصلك الغريب صـــلة الأخ ويقطعـــك الحميم بغدره

[٤] العديم الفقير والغنى سبب الكرامة والفقر سبب الذلة فيكرم الغني لغناه ويهان الفقير لعدمه وفقره وفي هذا نهي عن ضياع المال والتبذير فيه

[٥] أقتر الرجل ضيق في النفقة ويقال أيضا أقتر إقتارا إذا قل ماله وهو المراد هنا ويقال أكثر الرجل إذا كثر مالـــه والحول الكثير الحيل والحمق الأحمق والأثيم كثير الإثم والمعنى أن الرزق غير موقوف على العقل والتدبير فقد يفتقر المحتال الحذر ويستغني الأحمق السيئ الفعل

[٦] الكلالة الوارث ما عدا الوالد والولد وما في قوله ما يسيم يجوز أن تكون زائدة فيكون المعنى أن الرجل يبخل بما يلزمه من أداء الحقوق ويترك ماله لكلالته ويجوز أن تكون مصدرية فكأنه قال وإسامته لماله لغيره لا لنفسه والإسامة إخراج المال إلى المرعى

[٧] ما استفهامية على طريق الإنكار والمنون إذا ذكر فالمراد به الدهر وإذا أنث فالمراد به المنيـــة والريـــب صـــرفه والغرض الهدف والرجيم بمعنى المرجوم والمعنى كيف يبخل من هو للحوادث كالهدف المنصوب للرمي

ويرى القـــرون أمامـــه همدوا كما همد الهشيم[١]

وستخرب الدنيا فـــربٌّ بؤس لا يدوم ولا نعيم[٢]

ما علم ذو الجـــد أيشْـــ كُلُـــه أم الولـــد اليتيم[٣]

. ومن موعظة يزيد بن الحكم الجامعة نجده قد أوصى ابنه بوصايا بليغة كما في القصيدة نأخذ منها الآتي:

. يوصيه بالمداومة بالود للخليل ومعرفة حق الجار وإكرام الضيف وأن الناس منهم المادح والقادح فليحرص على أن يكون مادحوه أكثر من قادحيه وأن كبار الأشياء وعظائمها تبدو وتثار من صغار الأمور ودقائقها وأن الثأر سيأخذه صاحبه ولن يتركه فهو مثل الدين فلا يوتر أحدا ظلما لأن الظلم عاقبته سيئة فليحذره وأن الحميم والقريب قد يجفو قريبه وقد يصله بعيد الرحم وأن المجتمع يكرم الأغنياء ويهين الفقراء وأن الغنى ليس من حيلة الفتى ولكنه بتوفيق الله فقد يحرمه التقي ويعطاه اللئيم وبين له أن الدنيا ستنتهي وتخرب ولا يدرى أيهما أسبق موتا الزوج أو الزوجة أو الوالد أو الولد ولكنهم حتما سيموتون.

ومع هاتين الوصيتين الشعرية والنثرية ومقارنة بما قاله ذو الإصبع لابن عمه وما قاله يزيد لأخيه عبد ربه ولابن عمه نجد أنهما:

. أخفقا في النجاح العملي مع أقاربهما وأنهما قد بينا سبب إخفاقهما العملي وأنهما قد عللا سبب عداوتهما لمن عادا مع وجود أقوالهما في الإحسان إلى العشيرة

---

[١] القرن من الناس أهل زمان واحد وهمدوا بادوا وأصله من همدت النار إذا ذهبت البتة ولم يبـــق منـــها شـــيء والهشيم ما يتفتت من ورق الشجر إذا وطئ والمعنى أنه يعلم من التاريخ أن من مضى قبله من الأمم بـــاد وهلـــك كهلاك ورق الشجر المتفتت فكيف حاله

[٢] المعنى أن الدنيا لا بقاء لها وكل ما فيها يفنى فلا دوام للفقر والغنى

[٣] الثكل فقدان الحبيب والمعنى أن علم التقديم والتأخير عند الله فالوالد والولد لا يعلم أيهما يتقدم الآخر أو يتأخر عنه [ديوان الحماسة ج ٢ ص ٤٥ ــ ٥٠]

والصفح عن ابن العم ولكنهما فشل عمليا في تطبيق ذلك مع تسويغهما هذا الفعل منهما وأن سبب ذلك هو إساءة ابني عمهما لهما وأن ابني عمهما دفعاهما لأن يفعلا هذا الفعل دفعا وأن يسلكا هذا السلوك قسرا وأن ينتهجا هذا النهج كرها ويسيرا على هذا الطريق اضطرارا.

ويعلم ذو الإصبع العدواني ويزيد بن الحكم الثقفي تمام العلم وهما حكيما العرب أن هنالك أسبابا لعداوة أقاربهما لهما منها :

. قبول ذي الإصبع العدواني ويزيد بن الحكم الثقفي ورفض ابن عم ذي الإصبع ، وعبد ربه أخي يزيد وابن عمه فحالهما كحال أحمد بن المعذل مع أخيه عبد الصمد فهما من حكماء العرب ومن المقبولين لدى الناس وأقاربهما رويبضات ونكرات ومرفوضين ومنبوذين لدى الناس مما ينتج عنه الحسد والبغض .

واستطالة ابن العم الدنئ على ابن عمه السري الناجح الموفق وتناوله أمر طبيعي عند العقلاء ومن ذلك أنه: كان عبد الله بن عباس صديقا لعمر بن عبد الرحمن بن عوف فلقيه يوما مغتاظا ، فقال له: مالك؟ قال: لقيني فلان . لرجل من أهله . فشتمني وآذاني. فقال: هون عليك فما ضارٍ على طريدة بأسرع إليها من ابن عم دنيء إلى ابن عم سري، فهوِّن عليك [1].

. كان يمكن لذي الإصبع العدواني ويزيد بن الحكم أن يتلافيا هذه العداوة بالانتقال عن مكان ابن عم السوء وترك المكان له.

. عدم تسجيل العداوة في أشعار يسير بها الركبان ويتمثل بها أهل المدر والوبر وتنشد وتحفظ ويستشهد بها ويتندر بها في المجالس والصعدات والمنتجعات بل صارت دليلا على إخفاقهما في معالجة أوضاعهما مع أقاربهما ومن ثم صارت أشعارهما دليلا على اشتراكهما في اللؤم والذم مع أقاربهما وكان يمكن لهما أن يسترا على أنفسهما ولا يتناولا هذا الأمر شأنهما شأن كثير من المتلبسين به. وستر أنفسهما أولى بهما من

[1] بهجة المجالس القسم الأول ص٧٧٩

فضحها وتشهيرها بين الناس.

. بأشعارهما هذه قد سنا سنة سيئة وأوجدا مبررا ومتكئا ومرتكزا لكل الأقارب المخفقين مع أقاربهم في علاقتهما مع أبناء عمهم وأقاربهما وذلك بتمثل الناس بأشعارهما والعمل بها والاستشهاد بها وتسويغ عداوة الأقارب وجعل المناوئيين لأقاربهم هذه الأشعار مطية يمتطونها ومتكأ يتكون عليه وسلما يرتقونه في مناوأتهم لأقاربهم.

والذي أراه أن معن بن أوس والمقنع الكندي قد نجحا وحازا إعجاب الآخرين وذلك بحسن تعاملهما مع أقاربهما وعكسا ذلك شعرا حتى وإن كان في الأمر تزيد منهما والظن بهما أنّ قولهما حقيقة وأن ذا الإصبع العدواني ويزيد بن الحكم الثقفي قد فشلا فشلا ذريعا في تطبيق ما قالاه في نفسيهما وانطلى قولهما على من لا يعرف حقيقتهما. لأن الذي يقرأ وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد ويزيد بن الحكم لابنه بدر يرى فيهما وصية شخصين مجربين حكيمين وهي من النصوص التي يستفيد منهما السادة في تحقيق سؤددهم والزعماء في إحراز زعامتهم والرؤساء في تمكين رئاستهم. وقد ذكر ذلك ذو الإصبع لابنه. ولا يخطر ببال أحد من الناس أن أصحاب هاتين المقولتين قد أخفقا في تطبيق ما قالاه لغيرهما في أنفسهم بل المتبادر إلى الذهن أن هناك صفات وخلالا لم يتمكنا من إبرازها وإظهارها في وصيتهما الشعرية والنثرية وأنهما يطبقانها في أنفسهما.

والذي نخلص إليه في هذا الموضوع أن أكثر النصوص في الخلافات بين الأقارب نصوص نظرية وأن أصحابها يقولونها كنوع من التزيد والفخر وتشبع الواحد منهم بما لم يعط وعند التطبيق العملي قد يكون الكثيرون لابسي ثياب زور فيقع بعضهم في ظلم الأقارب والاستطالة عليهم مع علمه ودرايته بالنصوص والوقائع الداعية إلى الإحسان إلى الأقارب وعدم قطع الأرحام.

# الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة الممتعة ذات الأخبار الطريفة المحزنة رأينا تعريف الخلافات أو وصف الداء. كما رأينا أسباب الخلافات وأن بعضها صغير تافه قد لا يعيره كثير من الناس أهمية ولكنها عظيمة الأثر بليغة الخطر.

كما تحدثنا عن هذه الآثار والنواتج الكبيرة للخلاف بدأ من الهجر والبغض وانتهاء بأعظمها وهو المكائدات وما ينتج وينجم عنها من انتقام وحب له. ثم انتقلنا بعد ذلك إلى وصف الداء وتشخيص أسبابه ثم وصفنا العلاج الناجع له في رأينا كإلانة الكلام وإطعام الطعام وغير ذلك من الوسائل والعقاقير المبثوثة في ثنايا هذه الوصفة الطبية آلتي رآها القارئ.

وفي الختام لا أملك إلا أن أقول هذه إسهامة [1] ولفتة نظر أرجو أن أكون قد وفقت في وصفها وتشخيصها وعلاجها وحسبي أني أثرتها حتى يتناولها الآخرون بالبحث والتمحيص والرد عليها إن كان في بعض معالجتي لها إفراط أو تفريط. فإن أصبت فالفضل من الله وحده وهو ولي ذلك فله الفضل والمن وهذا ما أرجوه وما أصبو إليه وإن زللت والعياذ بالله فهو من نفسي والشيطان والله ورسوله بريئان من ذلك.

كما لا يفوتني، أن أنبه القراء الأكارم والإخوة الأفاضل إن رأوا حسنة في هذا البحث أن ينشروها ويذيعوها وإن رأوا خللا أن يسدوه ويستروه وأن ينبهوني عليه وأكون لهم شاكرا ولإفضالهم علي ممتنا ذاكرا. كما أنبهم أن هذا من واجب النصح عليهم لكل المسلمين.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[1] مما يحفز على إصدار هذا الكتاب وأمثاله ما أخبرني به بعضهم أنه عرض كتابي هذا وذلك قبل طبعه وكنت قد أعطيته لينظر فيه على بعض أقاربه الذين وقع بينهم خلاف فاطلعا عليه فأصلح الله بينهم فالحمد لله أولا وآخر.

# المصادر والمراجع

. الآبي: أبو سعيد منصور بن الحسن، نثر الدر تحقيق محمد علي قرنة، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٤م

. الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق عبد السلام محمد هرون الطبعة الرابعة دار المعارف مصر ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م

. الأصفهاني: علي بن الحسين أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار الكتب المصرية القاهرة، (ب.ت)

. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مطبعة دار الفكر لبنان بيروت ١٤٠٩هـ. ١٩٨٩م

. ابن الجوزي: الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، سيرة عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م

. ابن حجر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة

. ابن حمزة الحنفي الدمشقي: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، المكتبة العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.١٩٨٢م

. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت

. ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي، أمالي ابن دريد، تحقيق السيد مصطفى السنوسي الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

. ابن عبد ربه: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، تحقيق د. مفيد محمد قميحة ود. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ . ١٩٨٣م

. ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم القرطبي النمري المالكي، بهجة المجالس ونزهة المُجالس تحقيق محمد مرسي الخولي، مراجعة د. عبد القادر القط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (ب.ت)

. ............ الاستيعاب في أسماء الأصحاب بهامش كتاب الإصابة لابن حجر طبع دار الفكر بيروت، سنة ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م

. ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ : علي فاعور، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م

... كتاب المعارف الطبعة الرابعة ، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف القاهرة، (ب.ت)... عيون الأخبار لا بن قتيبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م

... غريب الحديث، صنع فهارسه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م

. ابن القيم : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبو بكر الحنبلي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، نشر دار الوعي حلب، ١٣٩٧هـ

. ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية الطبعة الأولى تحقيق د. أحمد أبو ملحم وجماعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ .١٩٨٥م

. ابن المبارك: ديوان الإمام عبد الله بن المبارك للدكتور مجاهد مصطفى بهجت، دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م

. ابن المعتز: عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة

. ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكّرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، طبع دار المعارف، (ب.ت)

. ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٥هـ. ١٩٣٦م

. الأنطاكي: داود الأنطاكي المعروف بالأكمه، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، الطبعة الثانية، المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣١٩ هـ

. البكري: الوزير أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأونبي، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م

. البلاذري: أحمد بن يحي بن جابر ، كتاب جمل من أنساب الأشراف، حققه وقدم له: د. سهيل زكار ود. رياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ. ١٩٩٧م

. التجاني: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القاسم التجاني، تحفة العروس ونزهة النفوس، تحقيق أبي هاجر، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م

. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، (ب.ت)

. الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي الطبعة الثالثة سنة ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م

. الخطيب البغدادي: الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (ب.ت)

. ............ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب طبع مؤسسة الرسالة الطبع الأولى ١٤١٢هـ. ١٩٩١

. الخلال : أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دراسة وتحقيق أحمد عطا ، دار الاعتصام (ب.ت)

. الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام ، سنن الدارمي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، نشر دار السنة النبوية، (ب.ت)، طبع بعناية محمد أحمد دهمان.

. الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ. ١٩٩١م

. ................سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م

. الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين محمد، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت (ب.ت)

. الزمخشري: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف تحقيق محمد الصادق قمحاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٩٢هـ. ١٩٧٢م

. .................. الفائق في غريب الحديث، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الثانية، تحقيق : علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم

. الصابوني: محمد علي، روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ. ١٩٧٧م، منشورات مكتبة الغزالي

. صبير: عبد المنعم عثمان عبد الله، العنوسة: أسبابها، آثارها، علاجها، طبع دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م

. ............ غنية المحتاج إلى بناء الأسرة وأنواع الزواج (تحت الطبع)

. .......... المخالفات الشرعية في الأشعار العربية من فترة صدر الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية (رسالة دكتوراه من كلية التربية بجامعة إفريقيا العالمية) ١٩٩٩م.

. ..........المشترك اللفظي في سورة البقرة، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لمعهد الخرطوم الدولي للعام ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م.

. ... المعلم الداعية، طبع دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م

. .......الخلافات بين الزوجين: أسبابها، آثارها، علاجها (تحت الطبع)

. صفوت: أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، الطبعة الأولى، تحقيق: عصام شيعتو.

. طرفة بن العبد البكري: ديوان طرفة بن العبد، المكتبة الثقافية بيروت، لبنان

. العسكري: أبو هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش.

. العيني: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م مصطفى البابي الحلبي، مصر

. الفيومي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ. ١٩٩٤م

. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الناشر مؤسسة مناهل العرفان بيروت، توزيع مكتبة الغزالي دمشق

. المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، الطبع الأولى، ١٣٢٣هـ مطبعة التقدم العلمية بمصر

. المناوي، عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تعليق: ماجد الحموي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ

. الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي، أدب الدين والدنيا، تحقيق ياسين محمد السواس، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م

. مجهول: مجموعة المعاني دار الجيل بيروت ١٤٤١- ١٩٩٠م تحقيق عبد السلام محمد هرون

. الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ، مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان (ب.ت)

. نقشة: حسين محمد (دراسة وتحقيق)، شرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء المعري، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩١م. ١٤١١هـ

# الفهرس



## الباب الأول
## أسباب العداوة والخلافات بين الأقارب
## الفصل الأول
## الأسباب الدينية والعقائدية والفكرية

## الفصل الثاني
## أسباب سياسية



## الفصل الثالث
## أسباب اقتصادية

## الفصل الرابع
## أسباب اجتماعية

## الفصل الخامس
## أسباب نفسية

## الباب الثاني
## آثار الخلاف بين الأقارب

## الباب الثالث
## علاج الخلافات وإذهاب وحر الصدور بين الأقارب
## الفصل الأول
## العلاج الوقائي للخلافات بين الأقارب

## الفصل الثاني
## العلاج الدوائي للخلافات بين الأقارب

رقم الإيداع
٢١٤ / ٢٠٠٨